
أسس الإيمان

دليل المؤمن الممتلئ من الروح

بقلم

ديريك برنس

ترجمة

صلاح عباسي

فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير
الذي وُضع، الذي هو يسوع المسيح.
١ كورنثوس ١١: ٣

المحتويات العامة

الجزء الأول: أساس الإيمان	٢١
الجزء الثاني: التوبة والإيمان	١٠٣
الجزء الثالث: معموديات العهد الجديد	١٨٢
الجزء الرابع: أهداف يوم الخمسين	٢٨٩
الجزء الخامس: وضع الأيادي	٣٧٦
الجزء السادس: قيامة الأموات	٤٠٧
الجزء السابع: الدينونة الأبدية	٤٧٥

المحتويات

المقدمة.....	١٥
نبذة عن المؤلف.....	١٩
كيفية استخدام هذا الدليل.....	٢٠

الجزء الأول: أساس الإيمان

مقدمة الجزء الأول: الكتاب المقدس.....	٢٢
الفصل الأول: أساس الإيمان المسيحي.....	٢٤

- المسيح هو الصخرة ٢٥
- المواجهة ٢٩
- الإعلان ٣٠
- الإدراك ٣١
- الاعتراف ٣٢

الفصل الثاني: كيف نبني على الأساس.....	٣٣
--	----

- الكتاب المقدس - أساس الإيمان ٣٤
- امتحان التلمذة ٣٥
- امتحان المحبة ٣٦
- طرائق الإعلان ٣٧

الفصل الثالث: سلطان كلمة الله.....	٤٢
------------------------------------	----

- الكتاب المقدس - كلمة الله المكتوبة ٤٢
- موحى به من الروح القدس ٤٤
- أزلي وذو سلطان ٤٥
- مترابط، متكامل، كافٍ ٤٩

- ٥٢..... الفصل الرابع: التأثيرات الأولية لكلمة الله
- التجاوب يحدد التأثير ٥٢
 - الإيمان ٥٥
 - الولادة الجديدة ٥٧
 - الغذاء الروحي ٥٨
- ٦٢..... الفصل الخامس: تأثير كلمة الله في الجسد والذهن
- الشفاء الجسدي ٦٢
 - الاستنارة الذهنية ٦٩
- ٧٢..... الفصل السادس: الانتصار بتأثير كلمة الله
- الانتصار على الخطية ٧٢
 - الانتصار على الشيطان ٧٦
- ٨٢..... الفصل السابع: الطهارة بتأثير كلمة الله
- الطهارة ٨٢
 - القداسة ٨٥
- ٩٢..... الفصل الثامن: الإعلان بتأثير كلمة الله
- كلمة الله كمرآة ٩٢
 - كلمة الله تديننا ٩٨

الجزء الثاني: التوبة والإيمان

- ١٠٤..... مقدمة الجزء الثاني: العقائد الأساسية
- ١٠٦..... الفصل التاسع: التوبة
- معناها في اليونانية والعبرية ١٠٦
 - التجاوب الأول للخطيء نحو الله ١٠٧
 - التوبة ليست الندم ١٠٧
 - الطريق الوحيد للإيمان الحقيقي ١٠٩

١١٤.....	الفصل العاشر: طبيعة الإيمان
١١٤	• الفرق بين الإيمان والرجاء
١١٧	• الإيمان يرتكز كلياً على كلمة الله
١٢٢	• الاعتراف: التعبير عن الإيمان
١٢٥.....	الفصل الحادي عشر: تفرد الإيمان
١٢٥	• أساس حياة كل بار
١٣١	• الحصول على كل مواعيد الله
١٣٥.....	الفصل الثاني عشر: الإيمان والخلص
١٣٥	• حقائق الإنجيل الأساسية
١٣٧	• التجاوب البسيط لنيل الخلاص
١٤٤.....	الفصل الثالث عشر: الإيمان والأعمال
١٤٤	• الخلاص بالإيمان وحده
١٤٨	• الإيمان الحي مقابل الإيمان الميت
١٥٤.....	الفصل الرابع عشر: الناموس والنعمة
١٥٤	• ناموس موسى: نظام مستقل متكامل
١٥٨	• المؤمنون ليسوا تحت الناموس
١٦٣.....	الفصل الخامس عشر: الهدف من الناموس
١٦٣	• إعلان الخطية
١٦٤	• إثبات عجز الإنسان عن تخليص نفسه
١٦٦	• الايذان بمجيء المسيح
١٦٨	• حفظ الشعب القديم
١٦٩	• المسيح كَمَلْ الناموس تماماً
١٧٣.....	الفصل السادس عشر: البر الحقيقي
١٧٥	• أعظم وصيتين

- المحبة تكميل الناموس ١٧٦
- نمط الطاعة في العهد الجديد ١٨٠

الجزء الثالث: معموديات العهد الجديد

الفصل السابع عشر: الفعل "يَعْمَدُ"..... ١٨٣

- جذر المعنى ١٨٤
- الاستخدام التاريخي ١٨٧
- أربع معموديات مختلفة ١٩٠

الفصل الثامن عشر: مقارنة بين معمودية يوحنا والمعمودية المسيحية..... ١٩٣

- معمودية يوحنا - التوبة والاعتراف ١٩٤
- المعمودية المسيحية - تكميل كل بر ١٩٦

الفصل التاسع عشر: شروط المعمودية المسيحية..... ٢٠٠

- التوبة ٢٠٠
- الإيمان ٢٠٠
- الضمير الصالح ٢٠١
- التلمذة ٢٠٢
- هل الأطفال مؤهلون؟ ٢٠٣
- الإرشادات التمهيدية ٢٠٥

الفصل العشرون: الأهمية الروحية للمعمودية المسيحية..... ٢٠٩

- كيفية عمل نعمة الله ٢٠٩
- الصلب والقيامة مع المسيح ٢١١
- أولاً الدفن ثم القيامة ٢١٤

الفصل الحادي والعشرون: المعمودية في الروح القدس..... ٢١٨

- سبعة مراجع من العهد الجديد ٢١٨
- التغطيس من الأعالي ٢٢٢

• العلامة الخارجية ٢٢٥	
الفصل الثاني والعشرون: اقبلوا الروح القدس..... ٢٣٠	
• ما اختبره الرسل ٢٣٠	
• المزيد من انسكاب الروح ٢٣٣	
• تعليم الرب يسوع ٢٣٨	
الفصل الثالث والعشرون: أعلّ الجميع يتكلمون بألسنة؟!..... ٢٤١	
• موهبة "أنواع ألسنة" ٢٤١	
• هل الثمر هو العلامة؟ ٢٤٣	
الفصل الرابع والعشرون: ردود الفعل الجسمية والعاطفية..... ٢٤٩	
• مكانة العاطفة ٢٤٩	
• ردود الفعل الجسمية ٢٥٢	
• ثلاثة مبادئ كتابية ٢٥٤	
الفصل الخامس والعشرون: موعد الروح..... ٢٥٨	
• سُكنى، شخصية، دائمة ٢٥٩	
• موعد الآب ٢٦٢	
• ختم السماء على كَفَّارة المسيح ٢٦٤	
الفصل السادس والعشرون: كيفية قبول الروح القدس..... ٢٦٧	
• النعمة والإيمان ٢٦٧	
• ستّ خطوات إيمان ٢٧١	
• التوبة والمعمودية ٢٧١	
• العطش ٢٧١	
• الطلب (السؤال) ٢٧٢	
• الشرب ٢٧٢	
• التسليم ٢٧٣	

الفصل السابع والعشرون: أنماط العهد القديم عن خلاص العهد الجديد..... ٢٧٦

- الخلاص بالدم ٢٧٦
- المعمودية مزدوجة ٢٧٧
- المعمودية في السحابة ٢٧٩
- المعمودية في البحر ٢٨٢
- نمط الخلاص في العهد القديم ٢٨٤
- طعامٌ وشرابٌ روحيَّان ٢٨٦
- المن ٢٨٦
- ماءٌ من الصخرة ٢٨٧

الجزء الرابع: أهداف يوم الخمسين

الفصل الثامن والعشرون: مقدّمة وتحذير..... ٢٩٠

- الروح القدس ليس ديكتاتوراً ٢٩٠
- الانتفاع بكلّ ما يوفره الله ٢٩٢
- بُعد آخر للحرب الروحية ٢٩٧

القسم الأول: المؤمن الممتلئ من الروح

الفصل التاسع والعشرون: القوة والمجد..... ٣٠١

- قوّة للشهادة ٣٠١
- تمجيد المسيح ٣٠٥

الفصل الثلاثون: البعد فوق الطبيعي في خطة الله..... ٣١٠

- بداية البعد فوق الطبيعي ٣١٠
- الصلاة المتقدمة بالروح ٣١٣
- إعلان وتفسير الكتاب المقدس ٣١٦

الفصل الواحد والثلاثون: قيادة متواصلة وحياة فيّاضة..... ٣١٩

- القيادة اليومية ٣١٩

- حياة لكل الجسد ٣٢٤

٣٢٨..... الفصل الثاني والثلاثون: محبة الله التي انسكبت

- طبيعة محبة الله ٣٢٨

- المحبة هي الأعظم ٣٣٢

القسم الثاني: الجماعة الممتلئة من الروح

٣٣٨..... الفصل الثالث والثلاثون: حرية تحت القيادة

- تحت ربوبية (Lordship) الروح ٣٣٨

- الله يصنع أبناء لا عبيداً ٣٤١

- الأزمنة والأوقات ٣٤٤

٣٤٧..... الفصل الرابع والثلاثون: مشاركة كل الأعضاء

- السراج والمنارة ٣٤٧

- ممارسة المواهب الروحية ٣٥١

القسم الثالث: الكارز الممتلئ من الروح

٣٥٧..... الفصل الخامس والثلاثون: التبكيك على الأمور الأبدية

- الخطية والبر والدينونة ٣٥٨

- الاستخدام البارع لسيف الروح ٣٦٣

٣٦٧..... الفصل السادس والثلاثون: التأييد فوق الطبيعي

- بالآيات التابعة ٣٦٧

- الاعلان الفائق يتطلب تأييداً فائقاً ٣٧٢

الجزء الخامس: وضع الأيدي

٣٧٧..... الفصل السابع والثلاثون: نقل البركة والسلطان والشفاء

- ثلاثة مواقف من العهد القديم ٣٧٨

• نمط العهد الجديد للصلاة من أجل المرضى ٣٨٠

• كيفية تحقيق الشفاء ٣٨٤

الفصل الثامن والثلاثون: إعطاء الروح القدس ومنح المواهب الروحية..... ٣٨٧

• خدمة إعطاء الروح القدس ٣٨٧

• منح المواهب الروحية ٣٩٠

• مثال تيموثاوس ٣٩٢

الفصل التاسع والثلاثون: تفويض الخدام..... ٣٩٦

• الكنيسة المحلية في أنطاكية ٣٩٦

• إرسالية بولس وبرنابا ٣٩٨

• تعيين الشيوخ والشمامسة ٤٠١

الجزء السادس: قيامة الأموات

الفصل الأربعون: ما بعد الزمن..... ٤٠٨

• الأبدية: لا محدودية الوجود الإلهي ٤٠٨

• الموعدان العظيمان ٤١١

الفصل الحادي والأربعون: الموت: مفترق الطرق..... ٤١٤

• كيان الإنسان الثلاثي ٤١٤

• انفصال روح الإنسان عن جسده ٤١٦

• فصل الأشرار عن الأبرار ٤١٨

الفصل الثاني والأربعون: المسيح هو المثال والبرهان..... ٤٢١

• بين موت المسيح وقيامته ٤٢١

• مصير المؤمن عند الموت ٤٢٤

• القيامة تعيد تكوين الجسد الأصلي ٤٢٥

الفصل الثالث والأربعون: العهد القديم يتنبأ بالقيامة..... ٤٣٠

• المزامير ٤٣٠

- التكوين ٤٣١
- أيوب ٤٣٢
- إشعياء ٤٣٣
- دانيال ٤٣٤
- هوشع ٤٣٦
- قيامة المسيح تشمل كل المؤمنين ٤٣٧
- الفصل الرابع والأربعون: المسيح هو الباكورة..... ٤٤٠
 - ثلاث مراحل متتابعة للقيامة ٤٤٠
 - المعنى الرمزي للكلمة "باكورة" ٤٤٣
- الفصل الخامس والأربعون: الذين للمسيح في مجيئه..... ٤٤٨
 - مميزات المؤمنين الحقيقيين ٤٤٨
 - خمسة أهداف لمجيء المسيح الثاني ٤٤٩
 - قيامة واختطاف المؤمنين الحقيقيين ٤٥٢
 - شهود وشهداء ٤٥٥
- الفصل السادس والأربعون: وبعد ذلك النهاية..... ٤٥٨
 - عند تمام الألف سنة ٤٥٨
 - القيامة الأخيرة ٤٦٠
 - الموت والهاوية هما شخصان ٤٦٣
- الفصل السابع والأربعون: بأي جسم؟..... ٤٦٥
 - رمز حبة الحنطة ٤٦٥
 - خمسة تغييرات مميزة ٤٦٩
 - الأهمية الفريدة للقيامة ٤٧١

الجزء السابع: الدينونة الأبدية

- الفصل الثامن والأربعون: الله ديّان الجميع..... ٤٧٦

- الدينونة ولطف الله ٤٧٦
- الآب، الابن، الكلمة ٤٨٠
- أربعة مبادئ للدينونة بحسب كلمة الله ٤٨١
- الفصل التاسع والأربعون: دينونة الله عبر التاريخ..... ٤٨٧
- مقارنة بين الدينونة الأبدية والتاريخية ٤٨٧
- أمثلة من الدينونة في التاريخ ٤٩٠
- الفصل الخمسون: كرسي المسيح..... ٤٩٥
- دينونة المؤمنين أولاً ٤٩٥
- لا للإدانة بل للمجازاة ٤٩٧
- امتحان النار ٥٠٠
- الفصل الحادي والخمسون: الدينونة والخدمة المسيحية..... ٥٠٣
- تقييم الخدمة المسيحية ٥٠٣
- الملائكة تجمع المرائين ٥٠٧
- الفصل الثاني والخمسون: الدينونات النهائية..... ٥١١
- دينونة الأمم ٥١١
- العرش الأبيض العظيم ٥١٣
- فهرس الموضوعات..... ٥١٦

المقدّمة

لقد مارستُ خدمة التعليم والإرشاد والصلاة من أجل المؤمنين، من مختلف الطوائف والجنسيات طوال خمسين سنة. وكانت المشاكل في حياتهم متنوعةً تنوع الخلفيات التي جاءوا منها. رغم هذا كنتُ أُميّزُ دائماً ذلك النقص الأساسي المشترك وهو أنهم لم يضعوا الأساس التعليمي المناسب على الإطلاق، مما أدى إلى عدم قدرتهم على بناء حياة روحية ناجحة ومتزنة.

ومثّلهم في ذلك مثلُ أشخاصٍ جمعوا الكثير من المواد لبناء بيت لأنفسهم، إلاّ أنّ ذلك البيت لم يُبنَ. فلا نرى سوى أكواماً متزايدة من الأشياء التي أنفقوا جهداً كبيراً في جمعها، كموايد البناء والأثاث والأدوات وغيرها. وهذا ينطبق تماماً على المؤمنين الذين جمعوا - عبر السنوات - كمّاً هائلاً من المواد من حضورهم لكثير من الاجتماعات الكنسية والمؤتمرات والحلقات الدراسية وكراسيات اللاهوت. فمن فترة إلى أخرى يشتركون في مؤتمر ما ويعودون بشيء خاص من أجل بناء البيت، كباب كبير مصنوع من السنديان أو حوض استحمام رخامي. ومع ذلك، فإنّ ذلك البيت لا يبنى لأنهم - ببساطة - لم يضعوا الأساس اللازم. فهل ينطبق هذا الوصف عليك عزيزي القاريء؟ أو ربما على شخص ما تحاول أن تقدم له الإرشاد؟

في هذا الكتاب ستقابل - ربما لأول مرة في حياتك - مع حقيقة وجود أساس تعليمي كتابي محدد ينبغي وضعه قبل أن تتمكن من بناء حياة روحية ناجحة. وستكتشف أنّ الكتاب المقدس يعلن ستّ عقائد أساسية (أنظر عبرانيين ٦: ١-٢). فإذا قُمت بدراسة هذا الكتاب بعناية، تتمكن من فهم هذه التعاليم الستّ الأساسية. وتكتشف

أيضاً كيف تنسجم هذه التعاليم مع مجمل إعلان الكتاب المقدس. وما أن تستوعب هذه الأساسيات وتتعلم كيف تطبقها عملياً، حتى تتمكن من الاستفادة من كل الأشياء التي جمعتها عبر السنوات، كذلك الحوض الرخامي مثلاً أو الباب السندياني الكبير!

ولست أعبر هنا عن حلم أو مجرد فكرة أرغب بأن تتحقق، لكنني أتحدث عن شيء حقيقي وعملي للغاية. إنه ينجح دائماً، وأستطيع أن أبرهن ذلك على وجهين: الأول هو نجاح هذه الحقيقة في حياتي الشخصية، فلقد تمكنت من بناء حياة روحية ناجحة، وخدمة صمدت أمام الامتحان طوال خمسين سنة شاقة. والوجه الثاني هو النتائج المماثلة التي تحققت في حياة أعداد لا تُحصى من الناس الذين خدّمتهم. فمن النادر أن أكون في اجتماع أو مؤتمر في أي بلد من دون أن يتقدم إلي أحد المؤمنين بامتنان قائلاً: "أخ برنس، أريد أن أشكرك لأنني حصلت من خلال تعليمك على أساس صلب، ما زلت أبني عليه منذ عدة سنوات."

لقد استخدمنا العبارة "الممتليء من الروح" عن قصد في العنوان الفرعي لهذا الكتاب. فعادةً ما نهمل أفنوم^١ الروح القدس، رغم أن كل ما نعرفه عن الله نعرفه من خلاله، فهو وحده يستطيع أن يعلن لنا شخص المسيح وأن يفسر لنا الكتب. وكل أساس تعليمي لا يقر بدور الروح القدس هو أساس ناقص بلا شك (أنظر الأجزاء: الثالث والرابع والخامس).

لقد قدّمت مادة هذا الكتاب في أول برنامج إذاعي لي "ساعة الدراسة" الذي أذيع في الستينات، وكانت محصلة ذلك البرنامج اثنتين وخمسين دراسة مستقلة، جُمعت فيما بعد في سبعة كتب. بعد ذلك باثنتي عشرة سنة راجعتها ونقّحتها، ثم نُشرت في بريطانيا ضمن مجلد واحد. أمّا المجلد الحالي فقد خضع لمزيد من التدقيق والمراجعة، وكان الهدف دائماً هو الوصول بهذه المادة إلى المستوى الأفضل من الدقة والبساطة.

١ كلمة سريانية تعني شخص.

لقد تُرجمت هذه الدراسة كلياً أو جزئياً إلى عشرين لغة على الأقل، منها العربية^٢ والألبانية والصينية والعبرية والهنغارية، بالإضافة إلى الأندونيسية والروسية والكرواتية. ومن الصعب إحصاء عدد النسخ التي وُزعت غير أنها تصل إلى عشرات الآلاف. بعد ذلك طُوّرت دراسة شاملة بالمراسلة تحت عنوان "الأسس المسيحية" سنة ١٩٨٣ من أجل دراسة هذا الكتاب بطريقة شخصية عميقة، وقد انضم إلى تلك الدراسة خدام وعلمانيون من كل القارات.

في الختام، دعوني أقدم نصيحة لكل قارئ: حاول أن تتعامل مع هذه الدراسات بقلب وذهن مفتوحين، وضع جانباً - قدر الإمكان - أية أحكام شخصية أو مفاهيم مسبقة، سواء كانت دينية أو عقلانية. دع الله يكلمك بكلماته الخاصة مباشرة، فمن المفيد لك أن تُصغ إلى ما يريد الله أن يقوله لك.

ديريك برنس

فلوريدا في ١٩٩٣/١/٨

٢ الإشارة هنا إلى ترجمة جزئية سبقت هذه الترجمة.

نبذة عن المؤلف

ولد ديريك برنس في الهند عام ١٩١٥ من والدين بريطانيين. تعلم اليونانية واللاتينية في اثنتين من أشهر المؤسسات التعليمية في بريطانيا العظمى هما: كلية ايتون وجامعة كامبردج. والتحق بعضوية كلية "King" للفلسفة القديمة والمعاصرة في الفترة ما بين (١٩٤٠ - ١٩٤٩) في كامبردج. درس اللغات العبرية والآرامية في جامعة كامبردج وفي الجامعة العبرية في القدس. ويجيد أيضاً عدداً من اللغات الحديثة. في السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية، وبينما كان يخدم في الفيلق الطبي للجيش الملكي البريطاني، تقابل ديريك برنس مع الرب يسوع المسيح فتغيرت حياته، وهو يكتب عن هذا الاختبار قائلاً: "بعد أن تعرفت على المسيح استنتجت حقيقتين، لم أعرف سبباً واحداً - منذ ذلك الحين - يدعوني إلى التخلي عنهما: (١) إنَّ يسوع المسيح حي (٢) إنَّ الكتاب المقدس صحيح ومناسب لكل زمان. لقد غيّرت هاتان الحقيقتان مسار حياتي كلها بطريقة جذرية."

تزوج ديريك من زوجته الأولى "ليديا" وتبنّى تسع بنات، كانت آخرهن طفلة أفريقية تبناها أثناء خدمته مع زوجته كمعلمين في كينيا. وعام ١٩٧٥ رقدت ليديا وتزوج ديريك زوجته الحالية "روث" عام ١٩٧٨.

إنَّ أسلوب ديريك اللاطائفي وغير المتعصب فتح أمامه أبواب التعليم لأشخاص من مختلف الخلفيات العرقية والدينية. وهو معروفٌ دولياً كأحد رواد تفسير الكتاب المقدس في عصرنا الحاضر،

نشر ديريك برنس أكثر من ثلاثين كتاباً وقد تُرجم بعضها إلى أكثر من خمسين لغة.

يقع المقرّ الدولي لخدمات ديريك برنس في فورت لاودرديل (Ft. Lauderdale) فلوريدا، في الولايات المتحدة الأمريكية. بالإضافة إلى مكاتب فرعية في أستراليا وكندا وألمانيا وهولندا وهونغ كونغ ونيوزلندا ونيجيريا وجنوب أفريقيا والمملكة المتحدة.

كيفية استخدام هذا الكتاب

إنَّ "دليل المؤمن الممتلئ من الروح" مصمَّم لكي يساعدك على وضع أساس صلب لبناء حياتك الروحية، ومن مزايا وتسهيلات هذه الدراسة ما يلي:

- **جدول المحتويات**

يحتوي هذا الجدول على كل العناوين الرئيسة والفرعية في الكتاب، وهذا يساعدك على تحديد موقع المعلومة التي تبحث عنها، ويزوِّدك بهيكلٍ منظمٍّ يسهِّل قراءة الجزء المطلوب بأكمله.

- **فهرس الموضوعات**

ولمساعدتك في البحث عن أجوبةٍ عن بعض الأسئلة المهمة في الإيمان المسيحي، تمَّ تحليل هذا المجلد بأكمله تحليلاً شاملاً، من خلال فهرس متكامل للموضوعات الأساسية.

الجزء الأول

أساس الإيمان

كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَيَسْمَعُ كَلَامِي وَيَعْمَلُ بِهِ، أُرِيكُمْ مِنْ
يَشْبَهُ: يَشْبَهُ إِنْسَانًا بَنَى بَيْتًا وَحَفَرَ وَعَمَّقَ وَوَضَعَ
الْأَسَاسَ عَلَى الصَّخَرِ.

لوقا ٦: ٤٧-٤٨

مقدّمة الجزء الأول

الكتاب المقدّس

يقدّر عدد المؤمنين اليوم بما لا يقل عن مليار شخص، يتضمن هذا العدد مؤمنين من كل طوائف الكنيسة ومن كل الخلفيات العرقية في كل بقاع الأرض. وبينما لا يمارس كل هؤلاء ايمانهم بفعالية، إلّا أنهم يعتبرون من الموالين والمنتمين. وهم يكوّنون أكبر قطاعات سكان العالم وأكثرها أهمية. وجميعهم يعترفون بسلطان الكتاب المقدس كقاعدة لإيمانهم وسلوكهم.

يلعب الكتاب المقدس أيضاً دوراً مهماً بالنسبة إلى اليهودية والاسلام، وهما ديانتان رئيستان في العالم. فالكتاب المقدس - بحسب المعايير الموضوعية - يعتبر أكثر الكتب انتشاراً وتأثيراً في تاريخ البشرية. إنه يتصدر قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في العالم باستمرار، فلا يمكن لأي شخصٍ يطمح بأن يحقق مستوى متقدم من المعرفة أن يهمل دراسة الكتاب المقدس.

يتكوّن الكتاب المقدس كما نعرفه اليوم من قسمين رئيسين: العهد القديم ويتكون من تسعة وثلاثين سفرًا كُتبت بالعبرية أصلاً عدا بعض المقاطع التي كتبت باللغة الآرامية (لغة ساميّة شقيقة للعبرية)، والعهد الجديد الذي يتكون من سبعة وعشرين سفرًا أقدم مخطوطاتها متوفرة باللغة اليونانية.

يصف العهد القديم باختصار قصة خلق العالم وخاصة آدم، ويروي كيف عصى آدم و زوجته وصية الله فجلبا سلسلةً من النتائج الشريرة على نفسيهما وعلى نسلهما من بعد، وحتى على البيئة التي أوجدهما الله فيها.

بعد الأصحاح الحادي عشر، يبدأ العهد القديم بالتركيز على إبراهيم، الرجل الذي اختاره الله ليكون أباً لشعبٍ خاص، أراد الله أن يقدّم الفداء للبشرية بأسرها من

خلاله. يسجل لنا العهد القديم أصل وتاريخ ذلك الشعب، ويسجل تعاملات الله مع إبراهيم وذريته خلال فترة ألفي سنة تقريباً.

ويعلن العهد القديم عدة سماتٍ عن شخصية الله وعن تعاملاته، سواءً مع الأفراد أو الأمم. وهذا الإعلان يتضمن إظهار عدالة الله وأحكامه، حكمة الله وقوته، رحمة الله وأمانته. ويركز العهد القديم بشكلٍ خاص على أمانة الله في حفظ عهوده ومواعيده التي يعلنها للأفراد أو للأمم على حدٍ سواء.

إنَّ محور الهدف الإلهي من جهة الشعب القديم يتركز في وعده بأن يرسل إليهم مخلصاً يحمل على عاتقه مسؤولية فداء الجنس البشري من كل نتائج عصيانه، وإعادة الإنسان إلى التمتع بالاتصال مع الله. إنَّ اللقب العبري لهذا المخلص هو "المسيّا" الذي يعني حرفياً "المسيح" أي "الممسوح". وقد ثبَّت الله هذا الوعد بواسطة عهده الذي قطعه معهم.

أمَّا العهد الجديد فإنه يسجل تحقيق ذلك الوعد في شخص يسوع الناصري، وهذا يتضح من خلال اللقب "Christ" المنسوب إليه وهو منقولٌ عن الكلمة اليونانية "Christos" التي تترادف الكلمة العبرية "مسيّا" (ويمكن ترجمتها حرفياً إلى العربية باسم المفعول "ممسوح" أو الصفة المشبهة "مسيح" وهي الأكثر شيوعاً).

لقد جاء يسوع إلى شعب إسرائيل باعتباره (الممسوح من الله) الموعود به في العهد القديم. لقد تم كل ما سبق وتنبأت به كتب العهد القديم بخصوص مجيئه. من هذا المنظور نرى أنَّ العهدين القديم والجديد يشكلان معاً إعلاناً واحداً متماسكاً عن الله وعن أهدافه من جهة الإنسان.

أساس الإيمان المسيحي

تتعدد المواضع في الكتاب المقدس التي تصور حياة المؤمن على أنها (بناء).
نقرأ في رسالة يهوذا مثلاً: "ابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس..." (ع ٢٠). ويستخدم الرسول بولس هذا التشبيه في عدة أماكن:

- فإننا نحن عاملان مع الله وأنتم فلاحه الله. بناء الله. حسب نعمة الله
- المعطاة لي كبناء حكيم قد وضعت أساساً وآخر يبني عليه
(١كورنثوس ٣: ٩-١٠).
- الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح (أفسس ٢: ٢٢).
- والآن أستودعكم يا إخوتي الله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع المقدسين (أعمال ٢٠: ٣٢).

كل هذه الفقرات تتبنى فكرة المشابهة بين إقامة بناء وبين حياة المؤمن. ومن المعروف على الصعيد الطبيعي، أن الأساس هو أول وأهم جزء في البناء. فالأساس يحدد ارتفاع ووزن البناء الذي يُشيد فوقه. والأساس الضعيف قد يصلح لبناء بيت صغير فقط، أما الأساس القوي فإنه يصلح لإقامة مبنى كبير. إنها علاقة ثابتة بين الأساس والبناء.

عندما كنت في القدس استأجرت شقة في بيت سكني، كان صاحبه قد حصل على رخصة من البلدية لبناء بيت مكون من طابقين، وقد تمّ وضع الأساس المناسب بناءً على ذلك. لكنه - فيما بعد - بنى طابقاً ثالثاً لكي يزيد من دخله بتأجير الطابق

الجديد. كنت ما زلت أسكن هناك عندما بدأ هذا البيت بالانزلاق نحو أحد أركانه، مما جعله يفقد استقامته واستقراره، لماذا؟ لأنَّ أساسه لم يكن قوياً بما فيه الكفاية ليحمل البناء الإضافي.

يتكرر هذا المشهد نفسه على الصعيد الروحي أيضاً. يصرح الكثيرون بانتمائهم للحياة المسيحية، ويبدأون - بكل تصميم - في بناء صرح عظيم لتلك الحياة. وللأسف، سرعان ما يبدأ هذا الصرح بالانحدار والترهل منحرفاً عن وضعه الطبيعي، وتميل جدرانه تاركةً بناءً مشوهاً ربما ينهار تماماً، مخلفاً كومة محطمة من النذور والصلوات والنوايا الحسنة التي لم تتحقق.

تحت هذا الحطام يكمن السبب الدفين للفشل. إنه الأساس الذي لم يوضع كما يجب فعجز عن تدعيم ذلك الصرح الجميل.

المسيح هو الصخرة

ما هو الأساس الذي أعده الله للحياة المسيحية إذا؟ بولس الرسول يقدم إجابة واضحة:

فإنَّه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضِعَ الذي هو يسوع المسيح (١ كورنثوس ٣: ١١).

هذا ما يؤكد بطرس أيضاً عندما يتحدث عن يسوع المسيح، فيكتب:

لذلك يتضمن أيضاً في الكتاب: هأنذا أضع في صهيون حجر زاوية مختاراً كريماً، والذي يؤمن به لن يخزي (١ بطرس ٢: ٦).

هنا يقتبس بطرس المكتوب في سفر إشعياء:

لذلك هكذا يقول السيد الرب: ها أنذا أؤسس في صهيون حجراً، حجر امتحان، حجر زاوية كريماً أساساً مؤسساً. من آمن لا يهرب (إشعياء ٢٨: ١٦).

وهكذا يتفق العهدان القديم والجديد حول هذه الحقيقة الأساسية، وهي أن أساس الحياة الروحية هو شخص الرب يسوع المسيح نفسه ولا شيء أو أحد سواه. فليست العقيدة أو الطقس هي الأساس، ولا الكنيسة أو الطائفة، بل يسوع المسيح نفسه "وما من أحد يقدر أن يضع أساساً آخر." أمّا بالنسبة لما قاله يسوع نفسه، فيحسن بنا أن ندرس النص التالي:

ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلاً: من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: قوم يوحنا المعمدان، وآخرون ايليا، وآخرون إرميا أو واحد من الأنبياء. قال لهم: وأنتم من تقولون إنني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي. فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا، إنَّ لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات. وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها (متى ١٦: ١٣-١٨).

يعتقد الكثيرون بأنَّ يسوع يُشير إلى بطرس باعتباره الصخرة التي سيبني الكنيسة عليها. مما يوحي بأنَّ بطرس هو الأساس في المسيحية وليس المسيح نفسه. هذه المسألة ذات أهمية بالغة جداً، تجعل من المحتمل أن نفحص كلمات يسوع بدقة لنعرف معناها الحقيقي.

في الأصل اليوناني للعهد الجديد، يوجد تلاعب متعمد بالألفاظ في إجابة يسوع لبطرس. ففي اليونانية، الاسم "بطرس" هو "Petros" ومعنى الكلمة "صخرة" هو "Petra". بناء على هذا التشابه في الألفاظ قال يسوع: "أنت بطرس (Petros) وعلى هذه الصخرة (Petra) أبني كنيستي" (متى ١٦: ١٨). ورغم وجود تشابه في اللفظ بين الكلمتين فإنَّ معناهما مختلف تماماً، "Petros" تعني حجراً صغيراً أو حصاة، بينما تعني "Petra" صخرة كبيرة، ومن الواضح أن فكرة بناء الكنيسة على حصاة هي فكرة سخيفة لا يعقل أن يكون المسيح قد قصد بها. إلا أنه يستخدم هذا التشابه اللفظي للإفصاح عن

حقيقة ما، فهو لم يقصد إظهار التشابه بين بطرس والصخرة، بل إظهار المفارقة بينهما، مشيراً إلى صغر وضعف الحجر الصغير (بطرس)، بالمقارنة مع الصخرة الكبيرة التي يبني المسيح الكنيسة عليها.

إنَّ التفكير الفطري السليم وحقائق الكتاب المقدس يؤكدان هذه الحقيقة. فلو أنَّ كنيسة المسيح أُسِّسَتْ فعلاً على الرسول بطرس، لكانت أقلُّ الأبنية أماناً في العالم. حيث أننا نقرأ في الأصحاح نفسه من إنجيل متى أنَّ المسيح يبدأ بتبليغ تلاميذه عمّا يوشك أن يحلَّ به من رفض وصلب. بعد ذلك:

أخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً: حاشاك يا رب! لا يكون لك هذا. فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان! أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس (متى ١٦: ٢٢-٢٣).

وهنا يوجه المسيح اتهاماً صريحاً لبطرس بأنَّه متأثر بالفكر البشري، بل وبما يلقنه إياه الشيطان نفسه. فكيف يمكن لرجل مثل هذا أن يوضع كأساس للكنيسة المسيحية برمتها؟ ونقرأ أيضاً في الأناجيل أنَّ بطرس أنكر المسيح علناً ثلاث مرات إحداها أمام جارية، بدلاً من أن يعترف به. ثم بعد القيامة وبعد يوم الخمسين، يقول لنا بولس بأنَّ بطرس خاف من أقربائه اليهود، مما جعله يساوم على حقيقة تمس جوهر الإنجيل (انظر غلاطية ٢: ١١-١٤).

إنَّ بطرس لم يكن صخرةً بكل تأكيد. نعم، ربما كان محبوباً، جريئاً، وقائداً موهوباً - إلا أنه رجل كباقي الرجال تماماً، ووارثاً لطبيعة الإنسان الضعيفة. أمَّا الصخر الوحيد الذي يمكن أن يستقر عليه الإيمان المسيحي فهو المسيح نفسه.

ونجد المزيد من التأكيد على هذه الحقيقة الأساسية في العهد القديم، داود كاتب أغلب المزامير يقول بوحى نبوي منقاداً بالروح القدس:

الرب صخرتي وحصني ومنقذي

إلهي صخرتي به أحتمي.
 ترسي وقرن خلاصي وملجأئي (مزمور ١٨: ٢).
 وفي المزمور ٦٢ يكرر داود اعترافه بهذا الإيمان:
 إنما الله انتظرت نفسي،
 من قبله خلاصي.
 إنما هو صخرتي وخلاصي
 ملجأئي،
 لا أتزعج كثيراً...
 إنما الله انتظري يا نفسي
 لأنَّ من قبله رجائي.
 إنما هو صخرتي وخلاصي
 ملجأئي فلا اتزعج.
 على الله خلاصي ومجدي
 صخرة قوتي
 محتماي في الله (مزمور ٦٢: ١-٢، ٥-٧).

لا شيء يمكن أن يكون أكثر وضوحاً من هذا. الكلمة "صخرة" تستخدم هنا ثلاث مرات والكلمة "خلاص" أربع مرات. إننا نجد تلازماً وثيقاً بين الكلمتين "صخرة، خلاص" في الكتاب المقدس، وكلتاها تتجسدان في شخص واحد فقط هو الرب نفسه. فإذا طلب أحدهم مزيداً من التأكيد، نستطيع أن نشير إلى كلمات بطرس نفسه مخاطباً اليهود:

وليس بأحد غيره (يسوع) الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص (أعمال ٤: ١٢).

فالرب يسوع المسيح إذاً هو الصخر الحقيقي، صخر الدهور، الذي فيه لنا الخلاص. ومن يبني على هذا الأساس يستطيع أن يقول كداود:

إنما هو صخرتي وخلصي، ملجأ، فلا أتزعزع (مزمور ٦٢: ٦).

المواجهة

والآن، كيف نستطيع البناء على الصخرة، أي المسيح؟ لننظر مجدداً إلى ذلك المشهد المؤثر، عندما وقف بطرس وجهاً لوجه أمام المسيح وقال له: "أنت هو المسيح ابن الله الحي" (متى ١٦: ١٦). لقد سبق ورأينا أن المسيح هو الصخرة. وهذا لا يتمثل في المعرفة المجردة للمسيح ولا بعزلة عن الاختبار الشخصي الواضح. لقد تمتع بطرس بهذا الاختبار الذي نكتشف فيه أربع مراحل متتابعة:

(١) مواجهة شخصية ومباشرة بين المسيح وبطرس. لقد وقفا وجهاً لوجه، بلا وسيط، ومن دون تدخل بشري.

(٢) إعلان شخصي ومباشر لبطرس. "فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا، إنَّ لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات" (متى ١٦: ١٧). إذاً لم يكن ذلك الإعلان حصيلة منطق طبيعي أو فهم عقلي، بل كان إعلاناً روحياً مباشراً لبطرس من الله الأب نفسه.

(٣) إدراك شخصي من بطرس للحقيقة التي أعلنت له.

(٤) اعتراف شخصي صريح وعلمي من بطرس بالحقيقة التي قبلها وسلم بها في نفسه.

هذه المراحل المتتابعة تؤهلنا لفهم معنى البناء على الصخرة. إنها ليست فكرة تجريديّة أو عقلانية أو نظرية، حيث تتضمن كل مرحلة اختباراً شخصياً محدداً: المرحلة الأولى، مواجهة شخصية ومباشرة مع المسيح. المرحلة الثانية، إعلان روحي مباشر لشخص المسيح. المرحلة الثالثة، إدراك شخصي وقبول لهذا الإعلان. والمرحلة الرابعة، اعتراف شخصي علني بالمسيح.

الإعلان

السؤال المطروح الآن: هل يستطيع أحد اليوم أن يعرف المسيح بالطريقة الشخصية المباشرة نفسها التي عرفه بها بطرس؟ والجواب: نعم، للأسباب التالية:

أولاً: لم يكن الإعلان معنياً بإظهار المسيح بطبيعته البشرية، فقد كان بطرس يعرف يسوع الذي من الناصره، ابن يوسف النجار. أمّا الإعلان الذي قبله بطرس فقد كان إظهاراً لابن الله الحي الأبدي بطبيعته الإلهية. ذلك الذي جلس مجدداً عن يمين الأب قبل ألفي سنة، وما زال هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. فكما أعلن المسيح لبطرس في الماضي، يمكن أن يُعلن اليوم لكل الذين يطلبونه بإخلاص.

ثانياً: لم يأت هذا الإعلان من "لحم ودم" أي بطريقة طبيعية محسوسة، بل كان إعلاناً روحياً. إنّ الروح القدس الذي وهب هذا الإعلان لبطرس، ما زال يعمل الآن في العالم معلناً شخص الرب يسوع المسيح الذي وعد تلاميذه قائلًا:

وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية. ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم (يوحنا ١٦: ١٣ - ١٤).

وبما أنّ الإعلان الروحي، يتعلق بالبعد الروحي الأبدي، فإنّ العوامل المادية الطبيعية، كالزمن، واللغة، والعادات، والتقاليد والظروف المحيطة لا يمكنها أن تُعيقه. إنّ اختبار شخص الرب يسوع المسيح ابن الله المُعطى بإعلان الروح القدس والمصحوب بإدراكنا الروحي واعترافنا العلني، هو الصخرة التي لا تتغير، والأساس الراسخ الذي ينبغي أن تركز عليه حقائق الإيمان المسيحي. وبينما تتغير العقائد والآراء، وتزول الكنائس والطوائف، تثبت صخرة الخلاص الحقيقي، صخرة الإيمان الشخصي في المسيح. هذه الصخرة التي يستطيع الإنسان أن يبني حياته الروحية عليها، واثقاً بأنّ شيئاً لن يززع هذه الحياة على امتدادها في الحاضر وفي الأبدية.

الإدراك

إنَّ أكثر ما يلفت النظر في كتابات وشهادات أوائل المسيحيين، هو ما يتمتعون به من صفاء وثقة عندما يتعلق الأمر بايمانهم بالمسيح. يقول يسوع:

وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته (يوحنا ١٧: ٣).

وهذا لا يعني معرفة الله معرفة مجردة عن طريق الطبيعة أو الضمير كخالقٍ أو كديان، بل يعني معرفته معلناً بشخصه في يسوع المسيح. وأن نعرف المسيح لا يعني أن نعرفه كمجرد شخصية تاريخية، أو معلم عظيم، بل أن نعرفه شخصياً، بطريقة مباشرة، وأن نعرف الله فيه. يكتب الرسول يوحنا:

كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية ولكي تؤمنوا باسم ابن الله (١ يوحنا ٥: ١٣).

فالمسيحيون الأوائل لم يؤمنوا فقط، لكنهم عرفوا أيضاً. لقد تمتعوا بالإيمان الاختباري الذي يولد إدراكاً محدداً للشخص الذي هو موضوع الإيمان (يسوع المسيح). ويضيف يوحنا قائلاً:

ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية (٢٠ع).

لاحظ التواضع والصفاء والثقة في هذه الكلمات، إنها تركز على معرفة شخص، وهذا الشخص هو يسوع المسيح نفسه. هذه هي شهادة بولس الرسول أيضاً عندما قال:

...لأنني عالم بمن آمننت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم (٢ تيموثاوس ١: ١٢).

لاحظ أنَّ بولس لم يقل: "لأنني عالم بما آمنت" بل قال: "لأنني عالم بمن آمنت" فلم يكن إيمانه مؤسساً على عقيدة أو كنيسة، بل على شخص عرفه معرفة شخصية، على يسوع المسيح. فحصل بذلك على ثقة مطلقة من جهة مصير نفسه الأبدي، ثقة لا تتزعزع، لا في هذه الحياة ولا في الأبدية.

الاعتراف

أقيمت قبل سنوات بعض الاجتماعات الدورية في شوارع لندن، وفي نهاية كل اجتماع كنت أسأل بعض الحاضرين سؤالاً بسيطاً: "هل أنت مؤمن؟" وكنت كثيراً ما أتلقي إجابات مثل: "ربما!،" "أرجو أنني كذلك،" "أحاول أن أكون،" أو "لا أعرف!" وتدل مثل هذه الاجابات بوضوح على أنَّ إيمان أصحابها غير مبني على أساس أكيد من المعرفة الشخصية المباشرة للرب يسوع المسيح. لكن بماذا تُجيب أنت عن ذلك السؤال؟

وأخيراً أقدم لك هذه النصيحة المقتبسة من سفر أيوب:

تعرّف به واسلم، بذلك يأتيك خير (أيوب ٢٢: ٢١).

كيف نبني على الأساس

ماذا بعد أن نؤسس حياتنا على شخص الرب يسوع؟ كيف نبني على هذا الأساس؟ مدخلنا إلى الإجابة هو المثل المعروف: مثل العاقل والجاهل اللذين بنى كلُّ منهما بيتاً. قال يسوع:

فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها، أُشَبِّهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبَّت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط، لأنه كان مؤسساً على الصخر. وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها، يشبّه برجل جاهل بنى بيته على الرمل، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبَّت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه عظيماً! (متى ٧: ٢٤-٢٧).

لاحظ أنَّ الفرق بين هذين الرجلين لا يكمن في نوعية المصاعب التي تعرض لها بيتاهما. ف كلا البيتين كان عليه أن يتعرض للعواصف والمطر والفيضانات. إنَّ المسيحية لا تقدم على الإطلاق طريقاً خالياً من الصعوبات، بل إنَّ كلمة الله تنبها إلى أننا "بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" (أعمال ١٤: ٢٢). إنَّ وجود لافتة على الطريق تحمل العبارة "السماء من هنا"، مشيرةً إلى طريق جانبي خالٍ من الضيقات، هي خدعة لا تقودنا إلى المصير الموعود.

فما الفرق الحقيقي بين هذين الرجلين إذاً؟ بماذا يختلف بيت كلِّ منهما عن الآخر؟ لقد بنى العاقل بيته على أساس صخري، بينما بنى الجاهل بيته على أساس رملي. العاقل بنى بطريقة مكّنت بيته من النجاة، فوقف أمام العاصفة ثابتاً آمناً. أمّا

الجاهل فقد بنى بطريقة جعلت بيته عاجزاً عن الثبات.

الكتاب المقدس - أسس الإيمان

ما الذي نفهمه أيضاً من هذه الصورة المجازية (البناء على الصخر)؟ ما الذي تعنيه هذه الصورة لكل واحدٍ منا كمؤمنين؟ يقول المسيح نفسه بكل وضوح:

فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها، أُشَبِّهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر (متى ٧: ٢٤).

فالبناء على الصخر يعني أن نسمع أقوال المسيح وأن نعمل بها، فما أن نضع الأساس (المسيح الصخرة) في حياتنا، حتى نبدأ بالبناء عليه بسماع كلمة الله، ودراستها باجتهاد، والعمل بموجبها، لذلك يقول بولس لشيوخ كنيسة أفسس:

والآن أستودعكم يا إخوتي الله، ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم (أعمال ٢٠: ٣٢).

إنها كلمة الله، وكلمة الله وحدها، القادرة أن تبني في أعماقنا صرحاً آمناً للإيمان، مبنياً على أساس المسيح نفسه. وهذا يقودنا إلى موضوع فائق الأهمية في الإيمان المسيحي، ألا وهو العلاقة بين المسيح والكتاب المقدس، ومن ثمَّ العلاقة بين كل مؤمن والكتاب المقدس.

فالكتاب يتحدث عن نفسه على أنه "كلمة الله"، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإنَّ العبارة نفسها "كلمة الله"، أو "الكلمة" قد أطلقت عدة مرات على المسيح نفسه، مثلاً:

- في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله (يوحنا ١: ١).

- والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحده من الآب (يوحنا ١: ١٤).

- وهو (المسيح) متسرّبل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله (رؤيا ١٩: ١٣).

يحمل الاسم هوية وطبيعة صاحبه، والكتاب المقدس يُسمّى "كلمة الله"، والمسيح يُدعى اسمه "كلمة الله". فكلاهما إعلان إلهي كامل وذو سلطان إلهي، وكلاهما يتفق مع الآخر تماماً. الكتاب المقدس يعلن المسيح بوضوح، والمسيح يتم الكلمة بصورة كاملة. الكتاب المقدس هو كلمة الله المكتوبة والمسيح هو كلمة الله الشخصية، فهو الكلمة الأزلي الموجود مع الآب قبل التجسد، وهو الكلمة الذي صار جسداً. والروح القدس الذي يُعلن الله في الكلمة المكتوبة، هو نفسه الذي يعلن الله في الكلمة المتجسد، يسوع الناصري.

امتحان التلمذة

بما أنّ المسيح والكتاب المقدس يتحدان تماماً من هذه الناحية، فهذا يستدعي أن تكون علاقة المؤمن بالكتاب المقدس كعلاقته بالمسيح، ويشهد الكتاب بذلك في عدة أماكن. لننظر أولاً إلى يوحنا ١٤، في هذا الأصحاح ينبه يسوع تلاميذه إلى أنّ فترة حضوره في الجسد بينهم توشك على الانتهاء، وإلى أنه سيؤخذ من بينهم ليبدأ معهم علاقة من نوع آخر فيما بعد، أمّا التلاميذ فهم غير قادرين على قبول هذا التغيير الوشيك، ولا حتى راغبين بذلك. إنهم لا يفهمون- بشكل خاص- كيف يمكن للمسيح أن يتركهم ويذهب بعيداً عنهم ومع ذلك يكون بمقدورهم أن يروه وأن تكون لهم شركة معه. لقد قال لهم المسيح:

بعد قليل لا يراني العالم أيضاً وأما أنتم فترونني إني أنا حي فأنتم ستحيون (يوحنا ١٤: ١٩).

ويمكننا أن نقرأ المقطع الأخير من هذا العدد: "وأما أنتم فستستمرون برؤيتي." هذا المقطع يثير سؤالاً عند يهوذا (ليس الإسخريوطي):

يا سيد ماذا حدث حتى إنك مزعم أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم؟
(يوحنا ١٤: ٢٢).

بكلماتٍ أخرى: "يا رب إذا كنت ستذهب بعيداً ولن يراك العالم فيما بعد، كيف ستواصل إظهار نفسك لنا نحن تلاميذك دون الآخرين؟ ما هي وسيلة الاتصال التي ستبقى بيننا وبينك من دون أن يملكها العالم؟" وقد أجاب يسوع قائلاً:

إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً
(يوحنا ١٤: ٢٣).

إنَّ مفتاح فهم الإجابة يكمن في العبارة "يحفظ كلامي"، فالعلامة التي تميز التلميذ الحقيقي عن غيره هي أنه يحفظ كلام المسيح. ونجد في إجابة المسيح أربع حقائق مهمة لكل من يرغب - بإخلاص - بأن يكون مؤمناً، وهذه الحقائق هي:

- ١- حفظ كلمة الله هو الجانب الرئيس الأعظم الذي يميز تلميذ المسيح عن باقي الناس.
- ٢- حفظ كلمة الله هو الامتحان الأعظم الذي يفحص محبة التلميذ لله وهو المسبب الأعظم لتمتع التلميذ بإحسانات الله.
- ٣- المسيح يظهر نفسه للتلميذ من خلال كلمة الله، إذا حفظها وأطاعها.
- ٤- يأتي الآب والابن إلى حياة التلميذ ويصنعان لهما منزلاً باقياً في حياته من خلال كلمة الله.

امتحان المحبة

لنضع الآن إجابة يسوع تلك جنباً إلى جنب مع كلمات يوحنا الرسول:
من قال: قد عرفته، وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه وأما من حفظ كلمته فحقاً في هذا قد تكملت محبة الله. بهذا نعرف أننا فيه (١ يوحنا ٢: ٤-٥).

نرى من خلال هذين المقطعين أننا لا نبالغ مهما أكدنا على أهمية كلمة الله في حياة المؤمن. وباختصار نقول: إنَّ حفظ كلمة الله يميزك كتلميذ للمسيح، إنه امتحان محبتك لله، وهو سبب تمتعك بإحساناته، وهو الوسطة التي يعلن المسيح بها نفسه لك، وبها يأتي الآب والابن ويصنعان منزلهما معك.

دعني أوضح لك هذا بهذه الطريقة: إنَّ موقفك من كلمة الله هو ذات موقفك من الله نفسه، فلا يمكنك أن تحب الله أكثر مما تحب كلمته، أو أن تطيع الله أكثر مما تطيع كلمته، أو أن تكرم الله أكثر مما تكرم كلمته، أو أن تعطي مكاناً في قلبك وفي حياتك لله أكثر مما تعطي لكلمته.

هل تريد أن تعرف مقدار ما يعنيه الله بالنسبة إليك؟ فقط اسأل نفسك: ما مقدار ما تعنيه كلمة الله بالنسبة إلي؟ والجواب عن السؤال الثاني هو الجواب على الأول أيضاً. فالله يعني لك بمقدار ما تعني لك كلمة الله، فقط بهذا المقدار وليس أكثر.

طرائق الإعلان

لقد ازداد الإدراك في وسط الكنيسة المؤمنة عموماً، بأننا دخلنا في الفترة الزمنية التي سبق وأشار إليها سفر أعمال الرسل:

يقول الله: ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً (أعمال ٢: ١٧).

وأنا أقول - بكل تواضع - إنني أشعر بالامتنان العظيم للرب، حيث كان لي الامتياز في السنوات الأخيرة بأن أختبر وأرى انسكاباً حقيقياً للروح القدس في خمس قارات مختلفة: أفريقيا، آسيا، أوروبا، أمريكا وأستراليا. وقد رأيت تفاصيل هذه النبوة تتحقق مراراً وتكراراً. وعليه، فأنني أوّمن بالتأكيد بأنَّ هذه الأيام ستشهد إظهاراتٍ لكل مواهب الروح القدس التسع التي يذكرها الكتاب المقدس، فأنا أوّمن أنَّ الله يتكلم

لشعبه عن طريق النبوءات والرؤى والأحلام وغيرها من طرائق الإعلان فوق الطبيعية، مع ذلك أنا أتمسك بإصرار بأن الكتاب المقدس هو الطريقة ذات السلطان الأعظم التي يتكلم الله من خلالها إلى شعبه ويقودهم ويرشدتهم ويعلن نفسه لهم. واتمسك بالرأي القائل بأن كل وسائل الإعلان الإلهي الأخرى يجب أن تُمتحن بالرجوع إلى الكتاب، وتُقبل فقط بمقدار ما تيسر وفق تعليمه ومبادئه والأمثلة والممارسات الموجودة فيه، مكتوب:

لا تطفئوا الروح. لا تحتقروا النبوءات. امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسن (١ تسالونيكي ٥: ١٩-٢١).

فمن الخطأ إذاً أن نطفيء أي إظهار حقيقي للروح القدس، ومن الخطأ أن نحتقر النبوءات المعطاة بالروح القدس، لكن من الضروري جداً -من جانب آخر- أن نمتحن هذه النبوءات أو الإظهارات بالرجوع إلى ثوابت الكتاب المقدس، من ثم نتمسك بالحسن، أي نقبل ونحتفظ فقط بتلك الاظهارات والنبوءات التي تتوافق تماماً مع تلك الثوابت. مرة أخرى يحذرننا سفر إشعياء قائلاً:

إلى الشريعة وإلى الشهادة. إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر (إشعياء ٨: ٢٠).

إذاً فالأسفار المقدسة (كلمة الله) هي المرجع الفائق والثابت الذي به يُمتحن كل شيء، وبه يحكم على كل شيء، فلا تقبل عقيدة أو ممارسة أو نبوة أو إعلان، إلا ما يتوافق تماماً مع كلمة الله، ولا سلطان لفرد أو لجماعة أو لمنظمة أو لكنيسة أن تغير أو أن تتجاوز أو أن تستقل عن كلمة الله، فبمقدار الابتعاد عن كلمة الله بمقدار الظلمة التي نغوص فيها "فليس لهم فجر".

إننا نعيش في زمن صار من المحتم فيه أن نؤكد على تفوق كلمة الله على كل مصادر الإعلان والعقيدة الأخرى. لقد سبق وأشرنا إلى القوة العظيمة التي ينسكب فيها

الروح القدس في الأيام الأخيرة، وإلى الإظهارات فوق الطبيعية المختلفة التي ترافق هذا الانسكاب، لكن الكتاب المقدس يحذرننا من أنَّ هذه الفاعلية المتزايدة في إظهارات الروح القدس، يرافقها تزايد موازٍ في فاعلية القوة الشيطانية التي تسعى لمقاومة شعب الله وتعطيل أهداف الله على الأرض. عن هذه الفترة الزمنية نفسها يقول يسوع محذراً:

حينئذ إن قال لكم أحد: هوذا المسيح هنا أو هناك، فلا تصدقوا. لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً. ها أنا قد سبقت وأخبرتكم (متى ٢٤: ٢٣-٢٥).

ويحذرننا بولس بالطريقة نفسها قائلاً:

ولكن الروح يقول صريحاً: إنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان، تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين، في رياء أقوال كاذبة، موسومة ضمائرهم، مانعين عن الزواج، وأميرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق (١ تيموثاوس ٤: ١-٣).

هنا يحذر بولس من الانتشار الضخم للتعاليم المضلة والبدع الذي ستشهده الأيام الأخيرة. ويبيّن بأنَّ السبب الخفي وراء هذا الانتشار هو نشاط الأرواح الشريرة والشياطين المخادعة. يذكر بولس - مثلاً - تعاليم دينية وممارسات تفرض أشكالاً غير طبيعية وغير كتابية للتنسك تتعلق بالطعام والزواج، ويشير إلى أنَّ الضمان ضد التعرض لمثل هذا الخداع من البدع الدينية المختلفة هو أن نؤمن وأن نعرف الحق، حق كلمة الله.

بهذه المرجعية الإلهية الثابتة للحق نستطيع أن نكشف كل أشكال الخداع والتضليل الشيطانية، وأن نرفضها، أمّا لأولئك الذين يمارسون التدين الشكلي من دون إيمان أو

معرفة بتعليم كلمة الله، فستكون تلك الأيام محفوفة بالمخاطر. لذلك علينا أن نتمسك بمبدأ كتابيٍّ عظيم واحد ألا وهو أنَّ كلمة الله وروح الله يعملان معاً ودائماً في وحدة وانسجام تامين، فعلينا ألاَّ نفصل الكلمة عن الروح، أو الروح عن الكلمة، إذ أنَّ خطة الله ليست أن تعمل الكلمة مستقلة عن الروح أو أن يعمل الروح مستقلاً عن الكلمة.

بكلمة الرب صنعت السموات، وبنسمة فيه كل جنودها (مزمو ٣٣: ٦).

الكلمة المترجمة هنا "نَسْمَة" هي الكلمة العبرية نفسها التي تعني "روح"، على كل حال فإنَّ استخدام الكلمة "نَسْمَة" هنا يرسم صورة رائعة لعمل روح الله، فبينما تخرج كلمة الله من فمه، يخرج روحه الذي هو نَسْمَتُهُ (أي نَفْسُهُ) معها كما هو الحال بالنسبة إلينا نحن البشر، فكلماً فتحنأ أفواهنا لنقول كلمة، تخرج نَسَمَاتُ أفواهنا (أنفاسنا) معها، هكذا أيضاً بالنسبة إلى الله. بهذه الطريقة يظهر التلازم بين كلمة الله وروح الله متحدتين تماماً في عملية إلهية واحدة، ويزكرنا كاتب هذا المزمور بقصة الخلق في سفر التكوين، حيث نجد صورة تَوْضُح هذه الحقيقة.

... وروح الله يرف على وجه المياه (تكوين ١: ٢).

وفي العدد الذي يليه نقرأ:

وقال الله: ليكن نور.

هذا يعني أنَّ كلمة الله قد أُرسِلت، لقد نطق الله بالكلمة "نور" ونتيجةً لاتحاد كلمة الله وروحه تحقق الخلق، فوجدِ النور وأنجز الله هدفه.

وما يصح بالنسبة لعملية الخلق العظيمة يصح أيضاً بالنسبة لحياه كل فرد، فإنَّ كلمة الله وروح الله المتحدتين في حياتنا، يحتويان على كل قوة الله وسلطانه المبدع. وبواسطتهما يسدُّ الله كل احتياج، ويحقق إرادته وخبطته المعدة لنا. أمَّا إذا فصلنا روح الله عن كلمة الله، كأن نسعى وراء الروح من دون الكلمة، أو أن ندرس الكلمة بعيداً عن

الروح، فإننا نضلُّ ونخرج عن خطة الله.
إنَّ السعي وراء إظهارات الروح القدس باستقلال عن الكلمة، يؤدي دائماً
إلى الحماقة والتعصب والضلال، كذلك فإنَّ التمكن من كلمة الله بعيداً عن الحياة التي
يوفرها الروح القدس لا تنتج إلا تديناً شكلياً وعقيدة عقيمة.

سلطان كلمة الله

في دراستنا لهذا الموضوع سننظر أولاً في كلمات المسيح نفسه حين يخاطب اليهود مبرراً ما قاله بشأن كونه (ابن الله)، الأمر الذي أبدى اليهود ارتيابهم بشأنه ومعارضتهم له. وقد اقتبس المسيح من سفر المزامير مشيراً إلى هذا الاقتباس باستخدام العبارة "في ناموسكم". حيث قال:

أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب، فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له: إنك تجدف، لأنني قلت: إني ابن الله؟! (يوحنا ١٠: ٣٤-٣٦).

يستخدم يسوع في إجابته هذه العبارتين: "كلمة الله" و "المكتوب - Scripture" وهما الأكثر استخداماً من غيرهما للدلالة على الكتاب المقدس. ومن المفيد أن نعطي اهتماماً لما تعنيه هاتان العبارتان بخصوص طبيعة الكتاب المقدس.

فعندما سمى المسيح الكتاب المقدس بـ "كلمة الله" كان يشير إلى أن الحقائق المعلنة فيه ليست من مصدر بشري بل إلهي، فمع أن الله استخدم الكثيرين من البشر بطرائق مختلفة ليقدموا الكتاب المقدس للعالم، إلا أنهم كانوا مجرد قنوات وأدوات، فلم تكن الرسالة أو الإعلان الذي يقدمه الكتاب المقدس من أصل بشري بأي وجه من الوجوه، بل من الأصل الحقيقي الذي هو الله نفسه.

الكتاب المقدس - كلمة الله المكتوبة

من جانب آخر، عندما استخدم يسوع العبارة الثانية "المكتوب" أشار إلى وجود تحديد معين من الله للكتاب المقدس، فعبارة "المكتوب" تعني: "ذلك الجزء الذي كُتب"،

أي أن الكتاب المقدس لا يحتوي على المعرفة الكاملة أو الهدف المطلق المختص بالإله الكلي القدرة بالتفصيل، بل إنه لا يحتوي أيضاً على كل الرسائل الموحى بها والتي وجهها الله من خلال قنوات بشرية، وما يؤكد ذلك هو أن الكتاب المقدس نفسه يشير - في أماكن كثيرة منه - إلى ما نطق به الأنبياء من كلمات لم تسجل فيه أصلاً.

نرى من هذا أن الكتاب المقدس، رغم سلطانه وكمال صحته، يتكون من حقائق منتقاة بعناية، ورسالة موجهة للإنسان بشكل رئيس. فهو رسالة مكتوبة بكلمات يفهمها البشر، هدفها وموضوعها الرئيس هو الحرب الروحية التي يخوضها الإنسان وهو رسالة تختص أساساً بإظهار طبيعة ونتائج الخطية وطريقة التحرر منها ومن نتائجها بالإيمان في المسيح.

دعونا نلقي الآن نظرة سريعة أخرى على كلمات يسوع في يوحنا ١٠: ٣٥. فهو لا يطبع ختمه الشخصي موافقاً على العبارتين "كلمة الله" و "المكتوب" اللتين يُسمّى بهما الكتاب المقدس فحسب، لكنه يختم أيضاً بوضوح على سلطان الكتاب المقدس الكامل عندما يقول: "ولا يمكن أن ينقض المكتوب" هذه العبارة القصيرة: "لا يمكن أن ينقض" تحتوي على تصريح كافٍ بخصوص السلطان الإلهي الفائق الذي يمكن أن ننسبه دائماً إلى الكتاب المقدس. ربما كُتبت مجلدات جدلية لصالح الكتاب المقدس أو ضده، لكن المسيح حسم الأمر، وقال كل ما هو ضروري في خمس كلمات بسيطة: "لا يمكن أن ينقض المكتوب". وعندما نهتم بالقدر المناسب بتصريح الكتاب المقدس بأن كل البشر المرتبطين به هم مجرد أدوات وقنوات وأن كل ما هو مكتوب ومعلن فيه يعود بأصله إلى الله نفسه، نستطيع أن نقبل تصريح الكتاب بخصوص سلطانه الكامل بلا تردد.

إننا نعيش في الأيام التي يستطيع فيها الإنسان أن يطلق الأقمار الصناعية إلى الفضاء ثم يتحكم بمسارها ويتصل معها ويستقبل منها بواسطة وسائل ذات قوة غير مرئية كاللاسلكي والرادار والأجهزة الإلكترونية المختلفة. فإذا كان الإنسان قادراً على تحقيق نتائج كهذه، فمن يستطيع أن ينكر قدرة الله على خلق البشر بطريقة أعظم،

مزودين بقدراتٍ عقليةٍ وروحيةٍ، يستطيع من خلالها أن يدير حياتهم وأن يقودهم وأن يتصل معهم وهم معه؟ إلا أن يكون من ينكر هذه الحقيقة مُجحفاً في حكمه وغير علمي على الإطلاق.

إنَّ اكتشافات واختراعات العلم الحديث - بعيداً عن التشكيك في صدق الكتاب المقدس - يمكنها أن تسهل على الإنسان المنفتح عملية تصور طبيعة العلاقة بين الله والبشر، هذه العلاقة التي جعلت وجود الكتاب المقدس ممكناً.

موحى به من الروح القدس

يشير الكتاب المقدس بوضوح إلى أنَّ هناك مؤثراً واحداً فقط، يتصل الله بواسطته بعقول وأرواح الذين كتبوا نصوص الكتاب المقدس. هذا المؤثر الفائق الخفي هو الروح القدس، روح الله نفسه. يقول الرسول بولس:

كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح (٢ تيموثاوس ٣: ١٦).

والعبارة المترجمة هنا "موحى به" تعني حرفياً "من نسمة الله" وهي تتصل مباشرة بالكلمة "روح". أي أنَّ روح الله، الروح القدس، هو المؤثر الخفي المعصوم، الذي أرشد وقاد كل الذين اشتركوا بكتابة أسفار الكتاب المختلفة. وربما يتضح هذا أكثر في كلمات الرسول بطرس:

عالمين هذا أولاً أنَّ كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص (٢ بطرس ١: ٢٠).

أي أنَّ رسالة أو إعلان الكتاب المقدس ليس من إبداع بشري - كما أشرنا سابقاً - بل هو مرتبط دائماً بالإبداع الإلهي. ويتابع بطرس موضحاً كيفية حدوث هذا:

لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس (٢ بطرس ١: ٢١).

والكلمة اليونانية المترجمة "مسوقين" تعني حرفياً: "محمولين" أو "موجهين في مسارهم"، فكما أنَّ الإنسان يسيطر اليوم على مسار أقماره الصناعية في الفضاء باستخدام اللاسلكي والأجهزة الإلكترونية، هكذا أيضاً قاد الله الأشخاص الذين كتبوا الأسفار المقدسة بروحه الذي يعمل من خلال الإمكانيات العقلية والروحية للإنسان. ففي مواجهة أدلة العلم الحديث، لا يكون إنكار هذه الحقيقة إلا تعبيراً سافراً عن التحامل والتحيز.

ويقدم العهد القديم حقيقة الوحي الإلهي نفسها بصورة مختلفة لا تتعلق بإطلاق الأقمار الصناعية إلى الفضاء في العصر الحديث، بل تعود بنا رجوعاً إلى أعماق التاريخ الإنساني، فداود يقول:

كلام الرب كلامٌ نقي كفضة مصفاة في بوطة في الأرض، محوصة سبع مرات (مزمور ٦١٢).

هذه الصورة مأخوذة من عملية تنقية الفضة في فرن مبني من الطين. يمثل هذا الفرن الطيني الطبيعة البشرية، والفضة تمثل الرسالة الإلهية التي يجب أن تنقل من خلال القناة البشرية، أمّا النار التي تعمل على تنقية الفضة تماماً (أي عصمة الرسالة المطلقة) فإنها تمثل الروح القدس، والعبارة "سبع مرات" تشير إلى الكمال المطلق لعمل الروح القدس، حيث أنَّ الرقم سبعة في كثير من فقرات الكتاب المقدس يتحدث عن الكمال. وهكذا فإنَّ هذه الصورة بمجملها تؤكد على أنَّ الدقة الكاملة في الرسالة الإلهية، تعود إلى الفاعلية الكاملة لعمل الروح القدس الذي يهيمن على هشاشة وضعف الطينة البشرية، وينقي الفضة - التي هي رسالة الله للإنسان - من كل شوائب الزلل البشري.

أزلي وذو سلطان

ربما لا يوجد شخص في العهد القديم استطاع أن يدرك تماماً حقيقة سلطان كلمة الله وصحتها كما أدركها صاحب المزامير داود، فهو يكتب:

إلى الأبد يا رب كلمتك مثبتة في السموات (مزمور ١١٩: ٨٩).

وهنا يؤكد داود أن الكتاب المقدس ليس مرهوناً بالحاضر فقط، لكنه يحتوي على جذور أزلية ثابتة تعود إلى فكر الله ومشورته، وُجِدَتْ قبل الزمن وقبل تأسيس العالم، وقد انطلقت من هناك إلى عالم الزمن عبر قنوات بشرية. وعندما يزول العالم ويزول الزمن، يبقى ما أعلنه الله في الكلمة المكتوبة من فكره ومشورته ثابتاً لا يتغير. هذا ما عبّر عنه المسيح نفسه حين قال:

السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول (متى ٢٤: ٣٥).

وداود يقول أيضاً:

رأس كلامك حق، وإلى الدهر كل أحكام عدلك (مزمور ١١٩: ١٦٠).

لقد تعرض الكتاب المقدس بعهديه خلال القرن أو القرنين الماضيين إلى هجوم ونقد متواصلين، حظي سفر التكوين والأسفار الأربعة التي تليه بالنصيب الأعظم من هذا الهجوم، إنها تلك الأسفار الخمسة (Pentateuch) الأولى في الكتاب المقدس المنسوبة إلى موسى والمعروفة باسم "التوراة".

والمذهل أن داود كان قد أعلن شهادة الروح القدس التي تدعم إيمان المؤمنين على مر العصور، وذلك قبل حوالي ثلاثة آلاف سنة من تبلور هذا الفكر الهجومي على التوراة في عقول الناس:

رأس كلامك حق... (مزمور ١١٩: ١٦٠).

وفي ترجمة أخرى:

كلامك بأسره حق... (كتاب الحياة).

وهذا يعني أن الكتاب المقدس صحيح تماماً من العدد الأول من سفر التكوين إلى العدد الأخير من سفر الرؤيا.

لقد قبل المسيح ورسله وأتقياء اليهود في ذلك الوقت ما تتمتع به أسفار العهد القديم من حق وسلطان مطلقين، بما في ذلك الأسفار الخمسة الأولى. ففي تجربة الشيطان للمسيح في البرية، نقرأ أنَّ المسيح أجاب عن كل محاولة لتجربته باقتباس مباشر من العهد القديم (انظر متى ٤: ١-١٠) وقد استهل إجابته بالكلمة "مكتوب" ثلاث مرات مقتبساً من الكتاب الخامس من كتب موسى (التثنية)، ومن الجدير بالملاحظة أنَّ الشيطان أيضاً أقرَّ بالسلطان المطلق لهذا السفر.

في عظته على الجبل (متى ٥: ١٧-١٨)، قال يسوع:

لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس والأنبياء (العبارة "الناموس والأنبياء" كانت تستخدم للإشارة إلى العهد القديم بأكمله) ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإنني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.

إنَّ الكلمة "حرف" هنا، هي كلمة تعبر في الأصل عن اسم أصغر حرف في الأبجدية العبرية، وهو يماثل تقريباً شكل وحجم الفاصلة المقلوبة في اللغة العربية أمَّا الكلمة "نقطة" فهي في الأصل إشارة صغيرة على شكل قرن، أصغر حجماً من الفاصلة، توضع على طرف بعض الحروف العبرية لتمييزها عن غيرها من الحروف المشابهة لها في الشكل. فما يريد أن يقوله المسيح هو أنَّ الأصل العبري المكتوب دقيق جداً وذو سلطان، حتى أنَّ جزءاً أصغر من الفاصلة لا يمكن تغييره أو إزالته. وما أصعب أن نتخيل وجود كلمات أكثر دقة من هذه، يمكن أن يستخدمها المسيح تعبيراً عن إقراره الشامل بدقة وسلطان العهد القديم المكتوب!

لقد حافظ المسيح باستمرار، خلال خدمته على الأرض، على موقف ثابت من كُتب العهد القديم، فعندما سأله الفريسيون عن الزواج والطلاق، أجابهم مشيراً إلى الأصحاحات الأولى من سفر التكوين (انظر متى ١٩: ٣-٩). وقد بدأ إجابته بهذا السؤال:

أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى؟ (ع ٤)

والعبارة "من البدء" تتضمن إشارة مباشرة إلى سفر التكوين إذ أنها عنوان السفر في اللغة العبرية. ومرة أخرى عندما سألّه الصدوقيون عن القيامة من الأموات، أجابهم المسيح بالرجوع إلى قصة موسى والعليقة المشتعلة في سفر الخروج (انظر متى ٢٢: ٣١-٣٢). وهو يقتبس هنا من خروج ٦: ٣ مستهلاً إجابته بسؤال كما فعل مع الفريسيين: "أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله؟" ومع أنه يستخدم كلمات كان موسى قد كتبها قبل ذلك الوقت بحوالي ألف وخمسمئة سنة، إلا أن المسيح لم ينسب هذه الكتابات إلى موسى كمجرد وثيقة تاريخية عن الماضي، بل اعتبرها رسالة حياة باقية وذات سلطان وموجهة مباشرة من الله إلى الناس في ذلك الوقت. لاحظ قوله: "ما قيل لكم من قبل الله"، فلم تجرّد تلك القرون الخمسة عشر تلك الرسالة من حيويتها وسلطانها وصحتها. ثم أن المسيح لم يقبل الدقة المطلقة لكتب العهد القديم في تعليمه فحسب، لكنه أقر أيضاً بالسلطان المطلق لهذه الأسفار على مسار حياته الشخصية على الأرض. فمنذ ميلاده وحتى موته وقيامته كان المسيح منقاداً وفق مبدأ سام واحد، يعبر عنه الكتاب المقدس دائماً بالعبارة "حتى يتم..." والتي يتبعها دائماً المقطع المناسب من المكتوب، ويسجل لنا الكتاب المقدس أحداثاً محددة في حياة يسوع على الأرض كانت تتميماً للمكتوب. مثل:

ميلاده من عذراء، ميلاده في بيت لحم، ذهابه إلى مصر، سكناه في الناصرة، مسحه بالروح القدس، خدمته في الجليل، شفاؤه للمرضى، رفض اليهود تعاليمه ومعجزاته، استخدامه للأمثال، خيانة صاحبه له، تخلي تلاميذه عنه، احتقار الناس له بلا سبب، إحصاؤه مع أئمة، إلقاء القرعة على ثيابه واقتسامها، تقديم الخل له عندما عطش، طعنه من دون أن تكسر عظامه، دفنه في قبر رجل غني، قيامته في اليوم الثالث.

لقد كانت حياة يسوع على الأرض موجهة - بمجملها وبكل نواحيها - بالسلطان المطلق لكتب العهد القديم، وعندما نضع هذه الحقيقة جنباً إلى جنب مع حقيقة قبول

المسيح لهذه الكتب بلا تردد، واستخدامه إياها في تعليمه، نجد أنفسنا أمام استنتاج منطقي واحد: إذا لم تكن كتب العهد القديم إعلاناً إلهياً دقيقاً ذا سلطان، فإمّا أن يكون يسوع المسيح مخدوعاً وإمّا أن يكون مخادعاً.

متربط، متكامل، كافٍ

لننتقل الآن إلى موضوع سلطان العهد الجديد، وعلينا أولاً أن نلاحظ هذه الحقيقة الملفتة للنظر، وهي أنّ المسيح - على قدر ما نعرف - لم يدوّن بنفسه كلمة مكتوبة واحدة، عدا تلك الحادثة التي كتب فيها على الأرض أمام امرأة أمسكت في زنا. رغم ذلك فقد أمر المسيح تلاميذه - بكل صراحة - بأن ينقلوا سجل خدمته وتعاليمه إلى كل أمم الأرض:

فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس،
وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى
انقضاء الدهر (متى ٢٨: ١٩-٢٠).

وكان قد قال قبل ذلك:

لذلك ها أنا أرسل لكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون
وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى
مدينة (متى ٢٣: ٣٤).

والكتبة هم الذين يدونون التعاليم الدينية باستخدام الكتابة، فقد أراد يسوع من تلاميذه أن يسجلوا خدمته وتعاليمه بطريقة تحفظ لها الديمومة. بالإضافة إلى ذلك فقد وقرّ يسوع كل ما هو ضروري لضمان الدقة المطلقة في كل ما أراد أن يكتبه التلاميذ، إذ وعد بأن يرسل الروح القدس ليحقق هذا الغرض:

وأما المعزّي الروح القدس الذي يرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل
شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم (يوحنا ١٤: ٢٦).

وهناك وعد مشابه آخر في يوحنا ١٦: ١٣-١٥. لاحظ أن يسوع قد جعل هذه الكلمات تفي بمتطلبات الماضي والمستقبل معاً، أمّا الماضي فمن أجل تمكين التلاميذ من تسجيل تلك الأشياء التي كانوا قد رأوها أو سمعوها بدقة، وهذا واضح في قوله عن الروح القدس: "...ويذكركم بكل ما قلته لكم." وأمّا المستقبل فمن أجل ضمان النقل الدقيق لحقائق جديدة سيعلمها الروح القدس فيما بعد، ويعبر عن ذلك بقوله: "...فهو (الروح القدس) يعلمكم كل شيء" (انظر يوحنا ١٤: ١٦) وفي يوحنا ١٦: ١٣: "فهو يرشدكم إلى جميع الحق."

نلاحظ إذاً أن العهد الجديد في دقته وفي سلطانه كالعهد القديم لا يعتمد على ذاكرة وذكاء ودقة ملاحظة البشر، بل على تعليم وقيادة وسيطرة الروح القدس، لهذا يقول بولس:

كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرّ، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح (٢ تيموثاوس ٣: ١٦).

فقد أدرك الرسل أنفسهم هذه الحقيقة وأكدوها في كتاباتهم، فبطرس يكتب قائلاً: هذه أكتبها الآن إليكم رسالة ثانية أيها الأحباء فيهما أنهض بالذاكرة ذهنكم النقي لتذكروا الأقوال التي قالها سابقاً الأنبياء القديسون ووصيتنا نحن الرسل وصية الرب والمخلص (٢ بطرس ١: ٣-٢).

وهنا يضع بطرس أنبياء العهد القديم جنباً إلى جنب مع رسل المسيح، مساوياً بينهم تماماً في السلطان، فقد أقر بطرس بالسلطان الإلهي في كتابات بولس عندما قال:

واحسبوا أناة ربنا خلاصاً كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له، كما في الرسائل كلها أيضاً، متكلماً فيها عن هذه الأمور التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم (٢ بطرس ٣: ١٥-١٦).

والعبارة "باقي الكتب" تشير إلى أنَّ الرسل قد اعترفوا - أثناء حياة بولس - بأنَّ رسائله تتمتع بالسلطان الكامل للكتب المقدسة، مع أنَّ بولس لم يعرف يسوع خلال فترة خدمته على الأرض، مما يدل على أنَّ سلطان بولس ودقة تعليمه اعتمدا كلياً على إعلان وحي الروح القدس الفائقين.

وينطبق هذا على لوقا أيضاً، الذي لم يكن قد مُنح اللقب "رسول"، لكنه قال عن نفسه في افتتاحية الأنجيل المنسوب إليه: "إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق" (لوقا ١: ٣). والكلمة اليونانية المترجمة هنا "من الأول" تعني حرفياً "من فوق".

وفي يوحنا ٣: ٣ حيث يتحدث يسوع عن "الولادة الثانية" يستخدم الكلمة اليونانية نفسها التي تترجم "ثانية" أو "من فوق"، ففي كلتا هاتين الفقرتين تشير هذه العبارة إلى فاعلية عمل الروح القدس وتدخله فوق الطبيعي المباشر. وهكذا نجد بعد الفحص المدقق، بأنَّ حقيقة سلطان الكتاب المقدس ودقته بعهديه القديم والجديد، لا تعتمد على الإمكانيات البشرية المتقلبة والمعرضة للخطأ، بل على القيادة الإلهية الفائقة وعلى سيطرة وإعلان الروح القدس. ويتفسير العهد القديم والعهد الجديد معاً على هذا الأساس، نجد أنَّ أحدهما يؤكد الآخر ويكمّله، فيكوّنان معاً إعلاناً إلهياً يتميز بالترابط والتكامل والكفاية. وقد رأينا أيضاً أنَّ هذه النظرة إلى الكلمة المكتوبة لا تتعارض مع العلم أو المنطق أو الفطرة، بل إنَّ هذه المقاييس الثلاثة تحوي على الكثير الذي يؤكد هذه النظرة ويساعد على تسهيل الإيمان بها.

التأثيرات الأولية لكلمة الله

سندرس الآن التأثيرات العملية التي يعلن الكتاب المقدس أنه يستطيع تحقيقها في حياة الذين يقبلونه. نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين أن "كلمة الله حية وفعّالة" (عبرانيين ٤: ١٢)، والكلمة اليونانية المترجمة "فعّالة - Powerful" هي الكلمة نفسها التي اشتقت منها الكلمة الإنجليزية "Energetic". إن الصورة التي تنقلها لنا هذه الكلمة هي صورة مفعمة بالطاقة الحية والنشاط، وبطريقة مشابهة، نجد أن يسوع نفسه يقول: "الكلام الذي أكلّمكم به هو روح وحياة" (يوحنا ٦: ٣٦)، ومرة أخرى يقول بولس لمؤمني تسالونيكي:

من أجل ذلك نحن أيضاً نشكر الله بلا انقطاع، لأنكم إذ تسلّمتم منا كلمة خبر من الله، قبلتموها لا ككلمة أناس، بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله التي تعمل أيضاً فيكم أنتم المؤمنين (١ تسالونيكي ٢: ١٣).

وهكذا نرى أن كلمة الله، لا يمكن حصرها بمجرد أصوات في الهواء، أو حبر على ورق، فهي على العكس من ذلك تماماً. إن كلمة الله حياة، إنها روح، إنها حية وفعّالة ومشبعة بالطاقة، إنها تعمل بنشاط وفاعلية في أولئك الذين يؤمنون بها.

التجاوب يحدد التأثير

من جانب آخر يوضح الكتاب المقدس بأن الدرجة أو الطريقة التي تعمل بها كلمة الله في أية مرحلة، يحددها تجاوب أولئك الذين يسمعونها، لذلك يقول يعقوب:

اطرحوا عنكم كل نجاسة وكثرة شر (سوء سلوك) فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم (يعقوب ١: ٢١).

فقبل أن نتمكن من قبول كلمة الله التي تخلص نفوسنا، هناك أشياء معينة يجب التخلص منها، ويذكر يعقوب أمرين محددين هما "النجاسة" و "الشر" أو السلوك السيء. أمّا النجاسة فإنها تشير إلى الابتهاج المنحرف بأمرٍ غير طاهرة وممارسات إباحية. هذا الموقف يغلق القلب والذهن أمام تأثير كلمة الله المخلص.

أمّا ما يسميه يعقوب "كثرة الشر - naughtiness" فإنه يتوضح بالسلوك السيء للطفل، فنحن ننعت الطفل بأنه سيء الطبع (naughty) عندما يكون مشاكساً يرفض التوجيه والتصحيح ويجادل ويجاوب من هم أكبر منه بوقاحة. هذا الموقف نجده غالباً في النفوس غير المجددة تجاه الله، وهناك عدة مقاطع في الكتاب تتحدث عن هذا الموقف:

- بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله؟ ألع الجبله تقول لجابلها: لماذا صنعتني هكذا؟! (رومية ٩: ٢٠).
- هل يخاصم القدير موبخه أم المحاج الله يجاوبه؟! (أيوب ٤٠: ٢).

إنّ هذا الموقف أيضاً كموقف "النجاسة" يغلق القلب والذهن أمام تأثيرات كلمة الله النافعة.

مقابل النجاسة وسوء الطبع، يستخدم يعقوب الكلمة "الوداعة"، التي تتضمن معاني الهدوء والتواضع والإخلاص، وتحمل صفات الصبر والانفتاح في الذهن والقلب. هذه الخصائص ترتبط غالباً فيما يسميه الكتاب المقدس: "خوف الله". إنه موقف يصور التوقير والاحترام لله. أيضاً نقرأ في سفر المزامير وصفاً للرجل الذي يستطيع أن يتمتع بالفائدة والبركة التي توفرها مشورة الرب من خلال كلمته:

الرب صالح ومستقيم
لذلك يعلم الخطاة الطريق
يدرّب الودعاء في الحق
ويعلم الودعاء طريقه...

من هو الإنسان الخائف الربّ؟

يعلمه طريقاً يختاره...

سر الرب لخائفيه

وعهده لتعليمهم (مزمور ٨: ٩-١٢، ١٤).

نرى هنا أنّ الوداعة وخوف الرب هما موقفان ضروريان لمن يرغبون بالتمتع بقيادة الرب وببركاته من خلال الكلمة. إنهما الموقفان المعاكسان لما وصفه يعقوب بالنجاسة وكثرة الشر.

نستخلص من هذا أنّ كلمة الله تؤثر تأثيراتٍ مختلفةٍ في الأشخاص المختلفين وذلك يعتمد على طريقة تجاوبهم مع ما يسمعون من الكلمة، لهذا فإننا لا نقرأ في عبرانيين ١٢: ٤ بأنّ كلمة الله "حية" و "فعالة"، فقط، بل هي "مميّزة لأفكار القلب ونياته" أيضاً. أي أنّ كلمة الله تكشف الشخصية والطبيعة الداخلية لمن يسمعونها، وتميز بدقة بين نوعيات السامعين المختلفة.

ويصف بولس فاعلية الإنجيل في التمييز والكشف قائلاً:

فإنّ كلمة الصليب عند الهالكين جهالةٌ، وأمّا عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله (١ كورنثوس ١: ١٨).

فليس هناك فرق في الرسالة المقدمة، إنها ذات الرسالة لكل البشر، إنما يكمن الفرق في ردود أفعال الذين يسمعون. فرد فعلٍ معين يُظهر الكلمة على أنها حماقة، بينما تصبح الكلمة هي قوة الله للخلاص في حياة من يتبنّى رد فعل معاكس.

هذا يقودنا إلى حقيقة أخرى بخصوص كلمة الله نجدها أيضاً في عبرانيين ١٢: ٤ العدد الذي هو مفتاح هذه الدراسة. فكلمة الله ليست فقط حية وفعّالة وليست فقط مميزة وكاشفة لأفكار القلب ونياته لكنها أيضاً "أمضى من كل سيف ذي حدين" وهذا يعني أنها تقسم من يسمعونها إلى صنفين: الأول هم أولئك الذين يرفضون الكلمة ويعتبرونها حماقة، والثاني هم الذين يقبلون الكلمة ويجدون فيها قوة الله للخلاص.

قال المسيح بهذا المعنى:

لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً! فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنة ضد حماها (متى ١٠: ٣٤-٣٥).

إنَّ السيف الذي جاء يسوع ليلقيه على الأرض هو ذلك السيف الذي رآه يوحنا يخرج من فم المسيح، "وسيف ماضٍ ذو حدين يخرج من فمه" (رؤيا ١٦: ١). إنه السيف الذي يجول في الأرض ويفرق حتى بين أعضاء العائلة الواحدة ممزقاً أقوى الروابط الأرضية، ويعتمد تأثيره على طريقة تجاوب كل فرد معه.

الإيمان

دعونا نعود الآن إلى أولئك الذين قبلوا كلمة الله بوداعة وإخلاص، وبقلوب وعقولٍ منفتحة، ولنتفحص بالترتيب التأثيرات المختلفة التي تحدثها الكلمة فيهم. أول هذه التأثيرات هو الإيمان.

إذاً الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله (رومية ١٠: ١٧).

وفي ترجمة أخرى:

إذاً، الإيمان نتيجة السماع، والسماع هو من التبشير بكلمة المسيح (كتاب الحياة).

نجد في هذه العملية الروحية الموصوفة هنا ثلاث مراحل متتالية:

١- التبشير بكلمة المسيح (كلمة الله)

٢- السماع (الخبر)

٣- الإيمان

إنَّ كلمة المسيح لا تنتج الإيمان مباشرةً، بل تنتج السماع. ويمكن وصف الخبر أو السماع على أنه موقف يتسم بالانتباه والاهتمام واليقظة والرغبة المخلصة بقبول وفهم

الرسالة المقدمة، وبناءً على هذا الموقف ينتج الإيمان. ومن المهم أن نلاحظ أنَّ سماع كلمة الله هو انطلاقة لعملية تبدأ في النفس وينتج عنها الإيمان، وأنَّ هذه العملية تحتاج إلى حدٍّ أدنى من الوقت. وهذا يفسر وجود قليلٍ من الإيمان فقط في كثير من المؤمنين الملتزمين هذه الأيام، فهم لم يكرسوا وقتاً كافياً لسماع كلمة الله، وقتاً يسمح للكلمة أن تنتج فيهم مقداراً حقيقياً من الإيمان، وإن كانوا قد كرسوا وقتاً لتأمل ودراسة كلمة الله، فإنما يكون ذلك في إطارٍ من التسرع والعشوائية، ثم ينتهي الأمر قبل أن يبدأ الإيمان بالنمو.

وبينما ندرس عملية نشوء الإيمان، نصل أيضاً إلى فهم أوضح لكيفية تعريف مفهوم الإيمان الكتابي. فنحن نستخدم الكلمة "إيمان" أحياناً في أحاديثنا العامة كأن نقول: "نحن نؤمن بهذه الفلسفة" أو "نؤمن بسياسة هذا الحزب"، أمّا في مجال المصطلحات المستخدمة في الكتاب المقدس فإنَّ الكلمة "إيمان" يجب أن تعرّف بدقة أكثر. فيما أنَّ الإيمان يأتي بسماع كلمة الله فقط، فإنه يُنسب دائماً إلى كلمة الله مباشرة. فالإيمان الكتابي لا يعني تصديق أي شيء نحن نتمناه أو نحبه أو نتخلّيه، بل يعني تصديق أن الله يعني ما يقوله في كلمته، وإنه سيحقق ما وعد به في كلمته. على سبيل المثال، يمارس داود هذا الإيمان الكتابي عندما يقول للرب:

والآن أيها الرب ليثبت إلى الأبد الكلام الذي تكلمت به عن عبدك وعن بيته، وافعل كما نطقت (١ أخبار الأيام ١٧: ٢٣).

هذا هو الإيمان الكتابي الذي يعبر عنه داود بثلاث كلمات: "افعل كما نطقت". أيضاً العذراء مريم اختبرت هذا النوع من الإيمان عندما نقل لها الملاك جبرائيل وعداً من الرب، فأجابت:

ليكن لي كقولك (لوقا ١: ٣٨).

هذا هو سر الإيمان الكتابي "بحسب كلمتك". فالإيمان الكتابي ينشأ في النفس التي تستمع لخبر كلمة الله، ويُعبر عن هذا الإيمان بالاعتراف بأنَّ الله يتمم ما يقوله.

لقد أكدنا على أنَّ الإيمان هو التأثير الأول الذي تُحدثه كلمة الله في النفس، إذ أنَّ الإيمان هو قاعدة أي تعامل بين الله والنفس الإنسانية:

ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاءه، لأنه يجب أنَّ الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه (عبرانيين ١١: ٦).

الولادة الجديدة

بعد الإيمان يأتي التأثير العظيم التالي لكلمة الله في النفس، ألا وهو الاختبار الذي تسميه الكلمة "الولادة الجديدة" أو "الولادة الثانية" ويقول يعقوب بهذا الصدد عن الله:

شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه (يعقوب ١: ١٨).

فالمؤمن المولود ثانية يمتلك نوعاً جديداً من الحياة الروحية التي تولدت في أعماقه بكلمة الله التي قبلها بالإيمان. ويقول الرسول بطرس مشيراً إلى المؤمنين على أنهم:

مولودين ثانية، لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد (١ بطرس ١: ٢٣).

فمن المبادئ التي تقرها الطبيعة والكتاب المقدس معاً، هو أنَّ نوعية الزرع (البذار) تحدد نوعية الحياة النباتية التي يُنتجها ذلك البذار، فبذرة الذرة تنتج الذرة، وبذرة الشعير تنتج الشعير، وبذرة البرتقال تنتج البرتقال، هكذا أيضاً فإنَّ بذرة الكلمة الإلهية الأبدية التي لا تفنى تنتج حياة إلهية أبدية لا تفنى في قلب الإنسان الذي يقبلها بالإيمان. إنها في الحقيقة حياة الله نفسه، يأتي بها إلى أعماق النفس البشرية من خلال كلمته. ويكتب يوحنا:

كل من هو مولود من الله لا يفعل الخطية، لأنَّ زرعه يثبت فيه. ولا يستطيع أن يُخطيء، لأنه مولود من الله (١ يوحنا ٣: ٩).

وينسب هنا يوحنا حياة المؤمن المنتصر إلى طبيعة الزرع (البذرة) الذي أنتج هذه الحياة في داخله. إنه زرع الله الخاص، زرع كلمة الله الذي لا يفنى. ولأنَّ الزرع لا يفنى فإنَّ الحياة التي يُنتجها لا تفنى هي أيضاً، أي أنها حياة طاهرة ومقدسة تماماً.

على أية حال فإنَّ هذا العدد الذي قرأناه لا يعني أنَّ المولود ثانية لا يمكن أن يخطيء على الإطلاق، بل تعني بأنَّ هناك طبيعة جديدة تماماً في كل مؤمن مولود ثانية. يسمى بولس هذه الطبيعة: "الإنسان الجديد" مفرقاً بينها وبين "الإنسان العتيق". وهذه العبارة الأخيرة تمثل الطبيعة القديمة الفاسدة والساقطة التي تتسلط على كل إنسان لم يولد ثانية (انظر أفسس ٢: ٢٢-٢٤). فهناك اختلاف كلي بين "الإنسان الجديد"، و "الإنسان العتيق"، الإنسان الجديد بار ومقدس، أمَّا الإنسان العتيق فإنه فاسد. الإنسان الجديد مولود من الله، لا يستطيع أن يخطيء، أمَّا الإنسان العتيق فإنه امتداد لمعصية وسقوط الإنسان، لذلك فهو لا يستطيع إلا أن يخطيء.

إنَّ نوعية الحياة التي يعيشها كل من يختبر الولادة الثانية، هي محصلة التفاعل بين هاتين الطبيعتين، فما دام "الإنسان العتيق" يخضع و "الإنسان الجديد" يمارس سيطرته بطريقة صحيحة، فلا بدَّ من وجود برٍّ غير ملوَّث وانتصارٍ وسلامٍ في حياة المؤمن. لكن كلما أخذ "الإنسان العتيق" الفرصة ليؤكد نفسه مجدداً ويستعيد سيطرته، فإنَّ النتيجة المحتمَّة هي الفشل والهزيمة أمام الخطية.

ويمكننا تلخيص الفارق بين الطبيعتين بهذه الطريقة: إنَّ المؤمن الحقيقي المولود ثانية بزرع كلمة الله الذي لا يفنى، يمتلك في داخله القدرة على أن يحيا حياة الانتصار الكامل على الخطية. أمَّا الإنسان الذي لم يُخلق خليفةً جديدةً أي لم يولد ثانية، فليس لديه خيار إلا أن يخطيء. إنه حتماً عبدٌ لطبيعته الفاسدة الساقطة.

الغذاء الروحي

لقد ذكرنا أنَّ الولادة الجديدة تولَّد في نفوسنا طبيعة جديدة وحياةً جديدة من خلال كلمة الله. وهذا يقودنا إلى النظر في تأثير آخر لكلمة الله.

يوجد مبدأ ثابتٌ في كل نواحي الحياة وهو أنَّ المولود الجديد، تكون حاجتها الأولى والعظمى هي التغذية التي تمنح الحياة الجديدة القدرة على البقاء. فعندما يولد الطفل، يكون صحيحاً ومعافىً من كل وجه، فإن لم يتلق التغذية المناسبة بسرعة، يبدأ بالنحول ثم يموت. وهذا صحيح أيضاً في العالم الروحي، فعندما يولد شخص ما ثانية فإنَّ الطبيعة الروحية الجديدة التي وُلدت في هذا الشخص تتطلبُ التغذية الروحية المناسبة فوراً، وذلك للحفاظ على هذه الحياة وتعزيز القدرة على النمو. أمَّا الغذاء الروحي الذي وفره الله لكل أولاده فهو كلمته. فكلمة الله غنية جداً ومتنوعة، فهي تحتوي على الغذاء المناسب لكل مرحلة من مراحل التطور الروحي.

إنَّ ما يقدمه الله في المراحل الأولى للنمو الروحي هو ما نجد وصفاً له في رسالة بطرس الرسول الأولى. فبعدما كان يتحدث في الأصحاح الأول عن الولادة الثانية بزرع كلمة الله الذي لا يفنى، ينتقل في الأصحاح الثاني ليقول:

فاطرحوا كل خُبثٍ وكل مكرٍ والرياء والحسد وكل مذمَّة، وكأطفالٍ مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا به (١ بطرس الأولى ٢: ١-٢).

لقد عيَّن الله غذاءً هو لبن (حليب) كلمته العديم الغش، من أجل الأطفال المولودين حديثاً في المسيح، فهذا اللبن شرط ضروري لاستمرار الحياة والنمو. ونجد في هذا النص تحذيراً ضمناً. فاللبن بحسب الطبيعة يمكن أن يثلوث وأن يفسد بسهولة، مهما كان نظيفاً أو طازجاً، إذا وضع في إناءٍ نتن أو ملوث. هذا ينطبق أيضاً على الحياة الروحية، فيجب أن تتنقى أولاً قلوب أولئك الذين يرغبون بتناول لبن كلمة الله العديم الغش، فيطرح منها كل خُبثٍ وكل مكرٍ والرياء والحسد وكل مذمة. هذه هي عناصر التثانة والثلوث التي تتكون منها الحياة العتيقة، فإذا لم تتطهر منها قلوبنا، فإنَّ تأثيرات كلمة الله النافعة تُحبط فينا، وتعرَّض صحتنا الروحية ونمونا الروحي للإعاقة. ولا تقف إرادة الله عند هذا الحد، فهو لا يريد أن يبقى أولاده في حالة الطفولة الروحية وقتاً طويلاً. فبينما يبدأون بالنمو، تقدم لهم كلمة الله غذاءً أكثر قوة، فعندما

جُرَّبَ المسيح من الشيطان في أن يحول الحجارة إلى خبز، ردَّ المسيح قائلاً:

مكتوب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمةٍ تخرج من فم الله (متى ٤: ٤).

ويشير المسيح هنا إلى أنَّ كلمة الله هي النظير الروحي للخبز في طعام الإنسان الطبيعي، فهو الجزء الرئيس في الطعام وهو مصدر القوة. ومن المهم أن نلاحظ تأكيد المسيح على شمولية كلمة الله في قوله: "كل كلمة تخرج من فم الله". أي أنَّ المؤمنين الذين يرغبون بالنضوج روحياً عليهم أن يدرسوا كل الكتاب وليس تلك المقاطع القليلة المألوفة فقط.

قيل عن جورج مولر (George Mueller) أنه كان يقرأ الكتاب المقدس عدة مرات خلال السنة، وهذا يفسر مصدر الانتصارات التي حققها إيمانه والثمر الكثير الذي امتازت به خدمته. بينما هناك الكثيرون من المؤمنين الملتزمين وأعضاء الكنائس الذين يعرفون بالكاد موضع بعض الأسفار في الكتاب المقدس مثل "عزرا" و "نحميا" أو بعض أسفار الأنبياء الصغار، هذا عدا أنهم لم يدرسوا أبداً مثل هذه الأسفار لاكتشاف الرسالة التي تحتوي عليها، فلا غرابة في أنهم يستمرون دائماً في مرحلة الطفولة الروحية. إنهم - في الحقيقة - أمثلةٌ محزنةٌ للتخلف في التطور والنمو الذي يسببه سوء التغذية.

بالإضافة للبن والخبز تقدم كلمة الله طعاماً قوياً. كاتب الرسالة إلى العبرانيين يوبَّخ المؤمنين العبرانيين في زمنه، لأنَّ الكتب المقدسة كانت مألوفةً لديهم لعدة سنوات، لكنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء دراسة وتطبيق هذه الكتب، مما أدى إلى بقائهم غير ناضجين روحياً وغير قادرين على مساعدة الآخرين. هذا ما يقوله كاتب الرسالة:

لأنكم إذ كان ينبغي أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان، تحتاجون أن يعلمكم أحدٌ ما هي أركان بداءة أقوال الله، وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعامٍ قوي. لأنَّ كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة في كلام البر

لأنه طفل. وأمّا الطعام القوي فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر (عبرانيين ٥: ١٢-١٤).

فيا لها من صورة تمثل الكثيرين من أعضاء كنائسنا هذه الأيام، فهم يملكون كتاباً مقدساً ويدومون على الكنيسة لعدة سنوات، وما أقل معرفتهم بتعليم الكتاب! وكم هم ضعفاء وغير ناضجين في تجربتهم الروحية، عاجزين عن مساعدة مؤمنٍ جديدٍ أو عن الشهادة لشخصٍ غير مؤمن! بعد كل هذه السنوات ما زالوا أطفالاً بالروح، غير قادرين على هضم أي تعليمٍ يتجاوز قوة اللبن. والواقع أنه لا داعي للبقاء في هذه الحالة، فكتب الرسالة إلى العبرانيين يقدّم لنا العلاج أيضاً، وهو أن ندرب حواسنا عن طريق التمرن، أي عن طريق المواظبة على الدراسة المنتظمة لكلمة الله بأكملها، فهذا يطور وينمي قدراتنا الروحية بلا شك.

تأثير كلمة الله في الجسد والذهن

في دراستنا السابقة اكتشفنا التأثيرات الثلاثة التالية لكلمة الله:

- ١- كلمة الله تنشيء الإيمان، والإيمان بدوره مرتبط بكلمة الله مباشرة، لأنَّ الإيمان هو تصديق ما يقوله الله والسلوك بحسب ذلك.
- ٢- بقبول كلمة الله كزرع لا يفنى في قلب المؤمن، تنشأ الولادة الجديدة. إنها طبيعة روحية جديدة تُخلق في كل من يؤمن ويسمّيها الكتاب: "الإنسان الجديد."
- ٣- كلمة الله هي الغذاء الروحي الذي أعدّه الله، والذي ينبغي أن تتغذى عليه الطبيعة الجديدة المولودة في داخل المؤمن باستمرار، هذا إذا أراد ذلك المؤمن أن ينمو نحو النضوج وأن يتمتع بالصحة والقوة.

الشفاء الجسدي

إنَّ كلمة الله متنوعة ورائعة في عملها، فهي لا توفر القوة والصحة الروحية للنفس فحسب، بل توفر الصحة والقوة للجسد أيضاً. لننظر إلى سفر المزامير أولاً:

والجهال عن طريق معصيتهم،

ومن آثامهم يُذلُّون.

كرهت أنفسهم كل طعام،

واقتربوا إلى أبواب الموت.

فصرخوا إلى الرب في ضيقهم،

فخلصهم من شدائدهم.

أرسل كلمته فشفاهم،

ونجّاهم من تهلكاتهم (مزمور ١٠٧: ١٧-٢٠).

يقدم لنا كاتب المزامير صورةً لأشخاص يكتنفهم اليأس بسبب المرض، حتى أنهم فقدوا كل شهية للطعام وجلسوا ينتظرون الموت، ثم صرخوا إلى الرب وهم في أقصى حالات الخطر، فأرسل إليهم ما صرخوا من أجله: الشفاء والخلص من حالتهم. لكن بأية طريقة فعل الله هذا؟ الجواب واضح إذ أن المزمور يقول:

أرسل كلمته فشفاهم،

ونجّاهم من تهلكاتهم (مزمور ١٠٧: ٢٠).

وإلى جانب المزمور ١٠٧ نستطيع أن نضع كلمات إشعياء ١١: ٥٥ حيث يقول الله:

هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي،

لا ترجع إلي فارغة،

بل تعمل ما سررت به،

وتنجح في ما أرسلتها له.

ففي مزمور ١٠٧: ٢٠ قرأنا أنّ الله أرسل كلمته من أجل الشفاء، وفي إشعياء ١١: ٥٥ يقول الله أنّ كلمته ستعمل ما أرسلها من أجله، بهذا يقدم لنا الله ضماناً بأنه سيحقق الشفاء من خلال كلمته.

نرى حقيقة الشفاء الجسدي من خلال كلمة الله بوضوح أكثر في سفر الأمثال

حيث يقول الله:

يا ابني أصنع إلى كلامي،

أمل أذنك إلى أقوالي.

لا تبرح عن عينيك،

احفظها في وسط قلبك.

لأنها هي حياة للذين يجدونها،

ودواء لكل الجسد (أمثال ٤: ٢٠-٢٢).

فأي وعد يمكن أن يكون أكثر شمولاً من هذا الوعد بخصوص الشفاء الجسدي؟ "دواء لكل الجسد"، إنها عبارة تتضمن كل جزء من أجزاء الجسد بلا استثناء. وفي الأصل العبري فإنَّ الكلمة المترجمة هنا "دواء" تحتل أيضاً المعنى "شفاء" وهي الكلمة المستخدمة في الترجمة العربية الجديدة:

فهي حياة لمن يحظى بها،

وهي شفاء للجسد كله (أمثال ٤: ٢٢).

دعونا نعود الآن إلى بداية العدد ٢٠ حيث نقرأ: "يا ابني أصغِ إلى كلامي، أمل أذنك إلى أقوالي." وهذا يشير إلى أنَّ الله يخاطب هنا أولاده المؤمنين. عندما جاءت المرأة الفينيقية إلى يسوع تتوسل إليه من أجل شفاء ابنتها، ردَّ يسوع على طلبها هذا قائلاً:

ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب (متى ١٥: ٢٦).

ويشير هنا يسوع إلى أنَّ الشفاء هو خبز البنين، أي أنه جزء من العطايا اليومية التي يوفرها الله لأولاده. فالشفاء ليس رفاهية إضافية قد يوفرها الله وقد لا يوفرها لمن يقدم الصلاة المناسبة من أولاده، لكن الشفاء الجسدي هو خبزهم، هو جزء من عطايا الأب السماوي اليومية لأولاده. هذا يتوافق تماماً مع ما قرأناه في أمثال ٤ إذ أنَّ وعد الشفاء الكامل يوجَّه إلى كل أبناء الله المؤمنين. وفي كلا الفقرتين: مزمور ١٠٧، أمثال ٤، يستخدم الله كلمته من أجل تحقيق الشفاء. إنَّ هذه الحقيقة الأساسية تؤكد ما أشرنا إليه في بدايات دراستنا هذه، وهو أنَّ الله نفسه موجود في كلمته، وأنه يأتي إلى أعماق حياتنا من خلالها.

لقد رأينا في أمثال ٤: ٢٠-٢٢ أنَّ كلمة الله هي "دواء لكل الجسد"، ويمكن

اعتبار هذه الاعداد الثلاثة "قارورة الدواء". إنها تحتوي على دواء فريد لم يركب مثله على الأرض من قبل، إذ أنه يضمن علاج كل الأمراض.

ونحن نعلم أن الطبيب الذي يصف دواءً معيناً يهمله أن تكون تعليمات استخدامه مكتوبة بوضوح ومرفقةً مع الدواء، فلا يمكن توقُّع الشفاء إلا إذا استخدمنا الدواء بانتظام وحسب التعليمات. هذا صحيح أيضاً بالنسبة للدواء الإلهي، ففي سفر الأمثال نقرأ التعليمات التي لا يمكن ضمان نتيجة العلاج من دون اتباعها. هذه هي التعليمات موضوعةً في أربعة أقسام:

- ١- "أصغ إلى كلامي"
- ٢- "أمل أذنك إلى أقوالي"
- ٣- "لا تبرح (أقوالي) عن عينيك"
- ٤- "احفظها في وسط قلبك"

فلنحلل الآن هذه التعليمات بأكثر دقة:

أولاً: "أصغ إلى كلامي." وهذا يعني انتبه إلى كلامي، فعلينا - بينما نقرأ في كلمة الله أن نعطيها كل الانتباه، وأن نركِّز تفكيرنا عليها، وأن نعطيها الحرية للدخول إلى أعماقنا بلا مانع. فنحن كثيراً ما نقرأ كلمة الله بفكرٍ منقسم، فيحتل ما نقرأه نصف أذهاننا، بينما تحتل النصف الثاني "اهتمامات الحياة" كما سماها يسوع. فنقرأ بضعة أعداد أو ربما أصحاب أو أكثر، وفي النهاية لا ينطبع في أذهاننا شيء واضح مما قرأناه، وذلك بسبب تشتت أفكارنا.

إنَّ التعامل مع كلمة الله بهذه الطريقة، لن يحقق فينا تأثيرات الكلمة التي يريدنا لها. فعندما نقرأ كلمة الله، من المستحسن أن نعمل بوصية يسوع عن الصلاة عندما أشار إلى دخول المخدع وإغلاق الباب، فعلينا أن نختلي مع الله وأن نخلق أنفسنا عن أمور العالم.

ثانياً: "أمل أذنك." إمالة الأذن تشير إلى التواضع، إنها عكس الكبرياء

والعناد. فيجب أن نتمتع بالقابلية على التعليم وأن تكون لنا الرغبة في أن نتعلم من الله. في مزمور ١٠٧: ٤١ يتحدث الكاتب عن سلوك الشعب القديم وهم تائهون في البرية في طريقهم من مصر إلى كنعان، ويتهممهم بهذه التهمة: "...وعنوا قدوس إسرائيل" أي "حدّوه - limited". فبسبب عنادهم وعدم إيمانهم، كانوا يضعون حدوداً أمام ما يستطيع الله أن يعملهم لأجلهم. وهذا ما يعمله الكثيرون من المؤمنين اليوم، فلا يتعاملون مع الكتاب المقدس بذهن مفتوح وروح خاضعة للتعليم، بل يغلقون على أنفسهم بالأفكار الشخصية والأحكام المتحيزة التي طبعتها في أذهانهم هذه الطائفة أو تلك، وهم غير مستعدين لقبول إعلان أو تعليم من الكتاب المقدس يعاكس أو يذهب أبعد مما يعتقدون. لقد إنهم يسوع القادة الدينيين في أيامه باقتراحهم هذا الخطأ فقال:

فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم. يا مراؤون حسناً تنبأ عنكم إشعياء قائلاً: يقترب اليّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً. وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس (متى ١٥: ٦-٩).

لقد كان بولس سجيناً لتحيزه وتقاليد الدينية، لكنه تحرر منها بعدما تقابل مع المسيح نفسه على طريق دمشق، ثم قال في رومية ٣: ٤:

ليكن الله صادقاً، وكل إنسان كاذباً.

فإذا أردنا أن نتمتع بكل غنى كلمة الله علينا أن نتعلم كيف ننكسر ونحرر من تقاليدنا.

ثالثاً: "لا تبرح (كلمة الله وأقواله) عن عينيك." قال المبشر الراحل سميث ويجلزورث (Smith Wigglesworth): "إنّ مشكلة كثير من المؤمنين هي أنهم مصابون بالحوال الروحي، فينظرون إلى وعود الله بعين واحدة، بينما تنظر العين الأخرى في اتجاه آخر."

فمن أجل اختبار الشفاء الجسدي الذي وعد به الله في كلمته، ينبغي تثبيت كلنا العينين نحو وعود الرب من دون أن نتلفّث هنا وهناك. ومن الأخطاء الشائعة التي

يقتربها المؤمنون أنهم يبعدون عيونهم عن وعود الله، ويمعنون النظر في حالة مؤمن آخر فشل في الحصول على الشفاء، فيبدأ إيمانهم بالاضطراب، ولا ينالون الشفاء هم أيضاً.

ولكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الرياح وتدفعه. فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب. رجل ذو رأيين هو متقلّب في جميع طرقه (يعقوب ١: ٦-٨).

وقد يساعد أن نتذكر العدد التالي في مثل هذه الحالة :

السرائر للرب الهنا والمعلنات لنا ولبنينا إلى الأبد لنعمل بجميع كلمات هذه الشريعة (تثنيه ٢٩: ٢٩).

فالشفاء لا يتحقق أحياناً لسبب يكمن في سرائر الله التي لم يعلنها للإنسان، لأن معرفتها لا تهمنا في هذا الدهر. أمّا ما يهمنا فهو تلك الوعود الإلهية الواضحة المعلنّة في الكلمة:

المعلنات (في كلمة الله) لنا ولبنينا إلى الأبد.

إنها ميراثنا كمؤمنين وحقوقنا التي لا نفقد ملكيتها، فهي لنا " لنعمل بجميع كلمات هذه الشريعة" أي لنسلك فيها بالإيمان وعند ذلك نبرهن على صحتها في اختبارنا أيضاً.

فأول هذه التعليمات إذاً هو الإصغاء، وثانيها إمالة الأذن وثالثها تثبيت العينين، أمّا الرابعة فهي بخصوص القلب.

رابعاً: " احفظها في وسط قلبك." إنّ القلب هو مركز الشخصية الإنسانية، ويؤكد سفر الأمثال على التأثير الحاسم للقلب في حياة الإنسان:

فوق كل تحفظ احفظ قلبك،

لأن منه مخارج الحياة (أمثال ٤: ٢٣).

وهذا يعني أنّ ما في قلوبنا، يسيطر على مسار حياتنا كله ويؤثر في كل ما نختبره.

فإذا قبلنا كلمة الله بانتباهٍ شديد، وسمحنا لها بالدخول إلى حياتنا باستمرار عن طريق الأذن والعين إلى أن تسكن وتسيطر على قلوبنا. عند ذلك فقط نتحقق من صدقها عملياً، فتكون حياةً لنفوسنا وشفاءً لأجسادنا كما وعدنا الله.

أثناء الحرب العالمية الثانية وبينما كنت أعمل في مجال الخدمة الطبية، أصبت بمرضٍ بالجلد والأعصاب كان من المتعذر علاجه طبياً نظراً للمناخ والظروف السائدة في ذلك الوقت. فأمضيت أكثر من سنةٍ في المستشفى أتلقى كل علاجٍ متوفرٍ. منها أربعة أشهرٍ متواصلةٍ لم أغادر فيها سريري، ثم غادرت المستشفى بناءً على طلبي ومن دون أن أشفى، فقد قررت ألا أستمّر بالعلاج الطبي، بل أن أحول وعد الرب في أمثال ٢٠:٤-٢٢ إلى اختبارٍ شفاءٍ حقيقي، فكنت أنفرد بنفسي ثلاث مراتٍ يومياً مع الله ومع كلمته، مصلياً و طالباً من الله أن يجعل كلمته "دواءً لكل الجسد" بحسب وعده.

كان المناخ والطعام وكل الظروف الخارجية غير ملائمةٍ إلى أقصى حد، وكانت الأمراض تصطاد الكثيرين من الرجال الأصحاء من حولي. مع ذلك، فقد تمتعت خلال فترة قصيرةٍ بشفاءٍ كليٍّ دائم، بالاعتماد على كلمة الله وحدها ومن دون الاستعانة بأية وسيلةٍ أخرى.

وأود أن أضيف بأنني لا أقصد على الإطلاق أن أنتقد العلوم الطبية أو أن أنتقص من قدرها، بل إنني أسجل تقديري لكل ما أنجزه الطب، وأنا نفسي كنت أعمل في الخدمة الطبية، إلا أنني أقصد أن أبين أن العلم والطب قوةٌ محدودة. أمّا قوة كلمة الله فهي بلا حدود.

ويشهد الكثيرون من المؤمنين من خلفياتٍ طائفيةٍ مختلفةٍ على هذه الحقيقة، فقد تلقيت رسالة من سيدة من الطائفة الإنجيلية المشيخية، طلب منها أن تقدم شهادة في أحد الاجتماعات المخصصة للصلاة من أجل المرضى، وبينما هي تشهد وتقتبس كلمات سفر الأمثال ٢٠:٤-٢٢ شُفيت سيدة أخرى فوراً بعد أن كانت تعاني من ألمٍ لا يطاق بسبب إصابتها بدسك في الرقبة. حدث هذا قبل أن يصلي معها أحد، لكن لأنها أصغت إلى كلمة الله بإيمان.

في وقتٍ لاحقٍ خَصَّصْتُ اسبوعاً من برنامجي الإذاعي لدراسة الكتاب المقدس للتعليم عن موضوع "قارورة الدواء" الإلهية والذي نحن بصددّه الآن، وقد قرّرت إحدى المستمعات، وهي مصابة بأكزيما (مرض جلدي) مزمنة، أن تتبع تعليمات الدواء، وبعد ثلاثة أشهرٍ كتبت لتخبرني بأنها تخلّصت تماماً من آثار الأكزيما لأول مرة منذ عشرين سنة. وما زالت كلمات المزمور ١٠٧: ٢٠ تتحقق حتى يومنا هذا:

أرسل كلمته فشفاهم،

ونجاهم من تهلكاتهم.

ويستطيع المؤمنون الذين يشهدون اليوم عن قوة كلمة الله الشافية أن يقولوا ما قاله المسيح نفسه لنيقوديموس:

الحق الحق أقول لك: إننا نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا... (يوحنا ٣: ١١).

وأقول لأولئك الذين يحتاجون إلى الشفاء والتحرير:

ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب،

طوبى للرجل المتوكل عليه (مزمور ٨: ٣٤).

ذوقوا دواء كلمة الله بانفسكم، وانظروا كيف تعمل. إنها ليست كباقي الأدوية الأرضية المرّة وغير المستساغة، ولا تعمل مثل كثيرٍ من العقاقير الطبية الحديثة فتريح عضواً من الجسد وتؤدي إلى أعراض ضارة في عضو آخر، لكن كلمة الله صالحةٌ كلها ونافعةٌ كلها. وعندما نستخدمها طبقاً للتعليمات المقدمة من الله فإنها توفر الحياة والصحة لكياننا كله.

الاستنارة الذهنية

إنّ تأثير كلمة الله فريد أيضاً في مجال الذهن:

فتح كلامك ينير،

يعقلّ الجاهل (مزمور ١١٩: ١٣٠).

وفي ترجمة أخرى:

...ويتفهمه حتى البسطاء (ت.ع.ج).

يتحدث الكاتب هنا عن تأثيرين لكلمة الله في الذهن (الفكر) وهما "النور" و "الفهم". ربما لم يسبق في التاريخ الإنساني أن حظي التعليم بما يحظى به اليوم من الإجلال والسعي وراء النهل منه. رغم ذلك فإن العلم الطبيعي ليس هو نفسه "النور" أو "الفهم" ولا هو بديل عنهما. فلا يوجد على الإطلاق بديل للنور، ولا شيء في الكون بأسره يستطيع أن يعمل عمل النور. وهذا ينطبق على كلمة الله التي تعمل في ذهن الإنسان، فلا شيء آخر يستطيع أن يعمل ما تعمله الكلمة في الذهن أو أن يكون بديلاً عنها.

إنَّ العلم الطبيعي جيد، لكن يمكن أن يُساء استخدامه. فالعقل ذو المستوى العالي من التعليم هو أداة جيدة يمكن تشبيهه بالسكين الحادة، فيمكن لأحدهم أن يأخذ هذه السكين الحادة ويقسم بها الطعام لعائلته، بينما يمكن لآخر أن يأخذ السكين نفسها ويستخدمها لقتل شخصٍ ما. وهذا صحيحٌ بالنسبة للعلم أيضاً، فهو شيءٌ رائع ولكن يمكن أن يُساء استخدامه. وبفصل العلم عن الاستنارة بكلمة الله، يمكن أن يصبح فائق الخطورة. إنَّ الأمة أو الحضارة التي تعتمد على التعليم الطبيعي فقط من دون أن تعطي مكاناً لكلمة الله، تصنع أسلحة تدميرها بنفسها، وتاريخ تطور تقنية الانشطار النووي هو واحدٌ من الأمثلة التي يسجلها التاريخ عن هذه الحقيقة.

من ناحية أخرى فإنَّ كلمة الله تكشف للإنسان تلك الأمور التي لا يستطيع أن يكتشفها بقدرته العقلية، كحقيقة الله الخالق والفادي، والهدف الحقيقي للوجود، وطبيعة الإنسان الداخلية وأصله ومصيره. تكتسب الحياة معنىً جديداً تماماً في ضوء هذا الإعلان، وفي ذهن مستنير كهذا يستطيع الإنسان أن يرى نفسه كجزء من خطة شاملة واحدة تمتد عبر الكون. وباكتشاف الإنسان لمكانه في هذه الخطة الإلهية، يتمتع بإحساسٍ بقيمة نفسه وبتحقيق ذاته مما يشبع أعماق أشواقه.

إنَّ تأثير كلمة الله على الذهن لا يقل عن مقدار تأثيرها على الجسد. هذا ما اختبرته شخصياً، فقد كان لي الامتياز بأن أحصل على أعلى درجةٍ جامعيةٍ كانت

تقدمها بريطانيا في جيلي، وذلك تتويجاً لسبع سنواتٍ من دراسة الفلسفة القديمة والمعاصرة في كامبردج. فكنت دائماً أبحث عن شيء يضيفي على الحياة هدفاً ومعنى، لقد كنت ناجحاً أكاديمياً ولكنني كنت محبطاً من الداخل وغير قادرٍ على تحقيق ذاتي.

أخيراً - وكملادٍ أخيرٍ - بدأت بدراسة الكتاب المقدس على اعتبار أنه عمل فلسفي ليس أكثر، درسته بارتياحٍ لأنني كنت أرفض كل الأنماط الدينية، وقبل أن تمضي بضعة شهور، وحتى قبل أن أصل إلى العهد الجديد، كانت كلمة الله قد أشرقت بنور الخلاص في حياتي، وبتأكيد غفران خطاياي، وبإدراكٍ لحصولي على السلام الداخلي والحياة الأبدية. لقد وجدت ما كنت أبحث عنه: معنى الحياة وهدفها الحقيقي. ونعود إلى عبرانيين ١٢:٤ فمن المناسب أن نختم هذا الفصل بها:

لأنَّ كلمة الله حيَّة وفَعَّالة (مفعمة بالطاقة) وأمضى من كل سيفٍ ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميّزة أفكار القلب ونياته.

هذه الكلمات تؤكد وتلخص كل ما توصلنا إليه بخصوص كلمة الله، فما من ناحية من نواحي الشخصية الإنسانية لا تستطيع كلمة الله أن تخترقها. إنها تصل إلى أعماق الروح والنفس والقلب والذهن، بل حتى إلى أعماق الأجزاء في الجسد الطبيعي، إلى المفاصل والمخاخ.

رأينا في هذا الفصل والذي سبقه بعض التأثيرات التي تصنعها كلمة الله، فهي تُزرع في القلب لتنتج حياةً أبدية، ثم توفر الغذاء الروحي اللازم للحياة الجديدة التي تنشأ، وتعمل الكلمة في أجسادنا لتجعلها صحيحةً تماماً، وفي أذهاننا أيضاً تولّد فهماً واستنارةً عقلية.

الانتصار بتأثير كلمة الله

الانتصار على الخطية

لقد سبق وأشرنا إلى أنَّ كاتب المزامير داود، كان هو الأكثر إدراكاً لقوة كلمة الله وسلطانها من بين شخصيات العهد القديم. وكمقدمة لموضوعنا في هذا الفصل نعود ثانيةً إلى كلماته:

خبأت كلامك في قلبي،
لكيلاً أُخطيء إليك (مزمور ١١٩: ١١).

الكلمة العبرية المترجمة هنا "خبأت" تعني "كنزت" بأكثر دقة. فلم يقصد داود أنه خبأ كلمة الله بحيث لا تعود تظهر، لكنه قصد أنه خزنها في أكثر الأماكن أماناً (القلب)، ذلك المكان المعد لأثمن الكنوز، فتكون متوفرة للاستخدام كل الوقت، عند الحاجة. وفي مزمور ١٧: ٤ يعبر داود عن قوة كلمة الله الحافظة قائلاً:

من جهة أعمال الناس،
فبكلام شفقتك،
أنا تحفظت من طرق المعتنف.

هذه الكلمات تنبهنا من جهة مشاركتنا في "أعمال الناس"، أي نشاطاتهم الإنسانية وتفاعلاتهم الاجتماعية التي يمكن أن يكون بعضها مأموناً ومقبولاً بالنسبة إلى الله، وبعضها الآخر خطراً على النفس وتكمن فيه فخاخ المعتنف أو المخرب (وهو أحد الأسماء الكثيرة التي يطلقها الكتاب المقدس على إبليس). فكيف نميز بين ما هو مأمون ومفيد وبين ما هو خطرٌ روحياً؟ والجواب: بتطبيق كلمة الله.

فكثيراً ما نسمع اسئلةً مثل: "هل يجوز أن يرقص المؤمن؟ أن يدخن؟ أو أن يُقامر؟" وغيرها، والإجابة عن هذه الأسئلة يجب ألا تُبنى على الممارسات الاجتماعية المتعارف عليها أو على التقاليد الكنسية المقبولة، بل على كلمة الله.

أذكر - على سبيل المثال - أنَّ مجموعة من الطالبات المؤمنات في افريقيا سألنني - كخادم مؤمن - إن كان هناك ضررٌ من المشاركة بحفلات الرقص في الجامعة حيث يتدربن كمعلمات، وفي إجابتي لم أقدم رأيي الشخصي أو ما تقوله الأنظمة التي وضعها مجلس الإرسالية، لكنني اقترحت أن نقرأ معاً مقطعين من الكتاب المقدس هما:

• فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيء لمجد الله (١ كورنثوس ١٠: ٣١).

• وكل ما عملتم بقولٍ أو فعلٍ فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به (كولوسي ٣: ١٧).

ثم بينتُ بأنَّ هذين المقطعين من الكتاب المقدس يحتويان على مبدئين عظيمين، يمكن بواسطتهما أن نتخذ القرارات المناسبة وأن نوجّه حياتنا كمؤمنين في كل ما نعمل:

أولاً: علينا أن نعمل كل شيءٍ لمجد الله.

ثانياً: ينبغي أن نعمل كل شيءٍ باسم الرب يسوع شاكرين الله به.

فكل ما نستطيع أن نعمله لمجد الله وباسم الرب يسوع، هو صالحٌ ومقبول، وكل ما لا نستطيع أن نعمله لمجد الله وباسم الرب يسوع هو خطأ ومؤذي.

بعد ذلك طَبَّقْتُ هذين المبدئين على السؤال الذي طُرح علي. فقلت: "إذا كان بالإمكان المشاركة بحفلات الرقص هذه لمجد الله، وبالإمكان تقديم الشكر له باسم الرب يسوع أثناء الرقص، فليست هناك أية مشكلة في ذلك. لكن إن لم يكن بالإمكان أن تتحقق هذه الشروط في الرقص، فهو خطأ."

لقد رأيت أن مسؤوليتي هي أن أقدم لأولئك الشباب المبادئ الروحية الكتابية. بعد ذلك، تقع مسؤولية تطبيق هذه المبادئ في الحياة على عاتقهم.

لقد أثبتت البحوث الطبية وجود طريقٍ محددٍ للسلامة، هو نفسه الذي يتمتع به المؤمنون اليوم بالحفظ من طرق المعتنف، وذلك بتطبيقهم لكلمة الله كداود. ويعلم الكتاب بكل وضوح بأن جسد المؤمن الذي إفتدي من تسلط الشيطان بدم المسيح، هو هيكل للروح القدس، يسكن فيه ويحفظه طاهراً ومقدساً. يقول بولس مثلاً:

• أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم؟ إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأنَّ هيكل الله مقدس الذي أنتم هو (١ كورنثوس ٣: ١٦-١٧).

• أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله؟ وأنكم لستم لأنفسكم؟ لأنكم قد اشتريتم بثمن، فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله (١ كورنثوس ٦: ١٩-٢٠).

• لأنَّ هذه هي إرادة الله: قداستكم. أن تمتنعوا عن الزنا، أن يعرف كل واحدٍ منكم أن يقتني إناءه (الإناء الأرضي أي الجسد الطبيعي) بقداسةٍ وكرامةٍ (١ تسالونيكي ٤: ٣-٤).

بناءً على هذه وغيرها من المقاطع المماثلة في الكتاب المقدس، امتنع الكثيرون من المؤمنين عن استخدام التبغ بكافة أشكاله، الأمر الذي يعتبره بعض الناس ضرباً من حماقة والتخلف والتعصب. على أية حال، فقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة بلا أدنى شك، بأن التدخين بأنواعه هو مسبب رئيس لسرطان الرئة، وقد صادقت المؤسسات الطبية في بريطانيا وفي الولايات المتحدة على هذه النتيجة. ومن الحقائق غير القابلة للنقاش والتي اثبتتها التجربة وأكدها البحوث العلمية، أن الموت بسرطان الرئة موت بطيء ومؤلم إلى أبعد الحدود.

أمام هذه الحقائق، لا يمكن اعتبار رفض المؤمنين للتدخين حماقةً أو تعصباً، وإن كان لا بدّ من وصف أحدٍ بالحماقة، فلن يكون المؤمن بالتأكيد بل ذلك الذي يبذّر أموالاً طائلةً لإشباع شهوةٍ قد تؤدي إلى موته المؤلم بسبب سرطان الرئة. وإذا وصفنا ضحايا هذه الشهوة بالحماقة، فليس أقل من أن نصف بالبشر، أولئك الذين لا يتوانون عن استخدام كل طرق الإقناع والدعاية لجذب إخوتهم من البشر إلى الوقوع تحت القيود القاسية لهذه العادة المنحطة المدمرة.

وكل ما قيل بخصوص التدخين يمكن قوله تقريباً بخصوص الانغماس في شرب الكحول. ومرةً أخرى نقول بأن غالبية المؤمنين المخلصين قد امتنعوا على مر السنين عن التورط في مثل هذه العادات بناءً على تحذيرات الكتاب المقدس. وقد صار من المؤكد الآن أنّ الانغماس المستمر بشرب الكحول هو عاملٌ رئيس مشترك في عدة أشكال من الأمراض العقلية والجسدية، وفي عدد هائل من القتل بحوادث الطرق. ففي هذا المجال كما في مجال التدخين أيضاً، استطاع الملايين من المؤمنين أن يحفظوا أنفسهم من الأذى والدمار وذلك بوضع تعليم الكتاب المقدس في حيّز التطبيق.

وهناك وباءٌ آخر حديث وهو الإيدز (AIDS) دخل العالم في الثمانينات. والمؤمنون الذين يلتزمون بالزواج الطبيعي لمرة واحدة ويحجمون عن الانحلال الخلقي، يحمون أنفسهم وأولادهم من الدمار الذي يسببه هذا المرض. من جهةٍ أخرى فإنّ الشذوذ الجنسي الذي يسميه بعضهم: "أسلوب حياةٍ جديد" تبين أنه "أسلوب موتٍ جديد"، والمؤمنون الذين صانوا أنفسهم من هذه الشرور يستطيعون - بقلوب شاكرة - أن يرددوا صدى كلمات داود:

من جهة أعمال الناس،

فبكلام شفئك،

أنا تحفظت من طرق المعتنف (مزمو ١٧: ٤).

الانتصار على الشيطان

لا توفر لنا كلمة الله - عندما نطبقها - انتصاراً على الخطية فحسب، بل هي أيضاً سلاحٌ إلهي للانتصار على الشيطان نفسه. ويأمر الرسول بولس قائلاً:
وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله
(أفسس ٦: ١٧).

إنَّ كلمة الله سلاح لا غنى عنه في الحرب التي يخوضها المؤمن، فكل قائمة الأسلحة المذكورة في أفسس ٦ : المنطقة، الدرع، الحذاء، والخوذة - هي أسلحة دفاعية، أمَّا السلاح الهجومي الوحيد فهو "سيف الروح الذي هو كلمة الله". فمن دون التمكن من كلمة الله وتطبيقها، لا يملك المؤمن سلاحاً ينقُضُ به على إبليس وعلى قوات الظلمة لدفعهم إلى الهروب. فلا غرابة في أنَّ الشيطان استخدم كل الأساليب والأدوات التي بحوزته، ليبقي الكنيسة المسيحية - عبر العصور - غافلةً عن سلطان وقوة كلمة الله وطبيعتها الحقيقية. والمثال الأعظم للمؤمن في استخدام سلاح كلمة الله هو مثال الرب يسوع المسيح نفسه، لقد جرَّبه الشيطان ثلاث مرات، وفي كل مرة كان يسوع يواجه ويهزم كل تجربة بالسلاح نفسه، سيف كلمة الله المكتوبة (أنظر لوقا ٤: ١٣). ففي كل مرة كان يسوع يبدأ إجابته بالكلمة "مكتوب" ثم يقتبس مباشرة من الكلمة المكتوبة.

هناك أهمية خاصة للعبارات المختلفة التي يستخدمها لوقا في سياق سرده لتجربة المسيح ونتائجها. ففي لوقا ٤: ١ يقول:

أمَّا يسوع فرجع من الأردن ممثلاً من الروح القدس، وكان يُقتاد بالروح في البرية.

لكن بعد التجربة نقرأ في لوقا ٤: ١٤:

ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل.

فقبل مقابلته مع الشيطان كان يسوع "ممتلئاً من الروح القدس"، لكن فقط بعد مقابلة الشيطان وهزيمته بسيف كلمة الله، بدأ يسوع خدمته المعينة من الله "بقوة الروح القدس". فهناك فرق كبير بين أن نمتلىء من الروح وأن نكون قادرين على الخدمة بقوة الروح. لقد دخل يسوع إلى نطاق قوة الروح بعد أن استخدم أولاً سيف الكلمة ليهزم محاولات إبليس لإقصائه جانباً عن خدمته المسوحة.

هذا الدرس يحتاج أن يتعلمه كثير من المؤمنين الذين اختبروا الملء الحقيقي بالروح القدس في هذه الأيام، لكنهم لم يستخدموا هذه العطية لخدمة الرب، إذ أنهم فشلوا في الاقتداء بالمسيح، فلم يتعلموا كيف يستخدمون سيف كلمة الله ببراعة من أجل التغلب على الشيطان، وصد محاولاته لعاقتهم من تحقيق الغرض الذي ملأهم الله بالروح القدس من أجله.

وربما نستطيع أن نقول بأن المؤمن الذي امتلأ حديثاً من الروح القدس هو الأكثر احتياجاً لدراسة كلمة الله. مع هذا فمن المحزن أن نرى أن مثل هؤلاء المؤمنين، يتخللون غالباً بأن اختبارهم لملء الروح القدس هو بديل - بطريقة ما - لدراسة وتطبيق كلمة الله بكل اجتهاد. والعكس تماماً هو الصحيح.

لا يمكن إذاً لأي قطعة سلاح أن تكون بديلاً للسيف عند الجندي، فمهما كان تسليحه قوياً ومتقناً بكل الأسلحة الأخرى، فإن الجندي بلا سيف يواجه خطراً شديداً. وهذا ينطبق على المؤمن أيضاً، فما من سلاح روحي أو اختبار يمكنه أن يكون بديلاً عن المعرفة المتمكنة من كلمة الله، فالمؤمن بلا سيف يكون عرضةً لخطرٍ عظيم.

لقد اتَّبَعَ المسيحيون الأوائل - في العصر الرسولي - مثال الرب يسوع، حيث أنهم - رغم بساطتهم - استخدموا كلمة الله كسلاح هجومي في مصارعتهم الروحية الشديدة التي وجدوا أنفسهم فيها بسبب إيمانهم العلني بالمسيح، ونأخذ الرسول يوحنا على سبيل المثال، الذي كتب في أيامه الأخيرة إلى الأحداث الذين ربَّاهم قائلاً:

كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير (١ يوحنا ٢: ١٤).

ويستخدم يوحنا ثلاث عبارات بخصوص أولئك الشبان:

- ١- أقوياء
- ٢- كلمة الله ثابتة فيهم
- ٣- غلبوا الشرير (الشیطان)

النقطة الثانية من هذه النقاط مرتبطة بالأولى وبالثالثة، كارتباط السبب بالنتيجة. فالسبب في أن هؤلاء الأحداث المؤمنين أقوياء وقد غلبوا الشيطان، هو أن كلمة الله ثابتة فيهم. إنها كلمة الله الساكنة فيهم والتي منحتهم القوة الروحية. نحتاج الآن أن نسأل أنفسنا هذا السؤال: كم من الأحداث المؤمنين في كنائسنا اليوم أقوياء وقد غلبوا إبليس؟ إذا لم نر الكثيرين منهم يُظهرون هذه القوة وهذا الانتصار، فالسبب هو عدم المعرفة المتمكنة الثابتة لكلمة الله. فالشبان المؤمنون الذين لا يدرسون كلمة الله باستمرار، لا يستطيعون أن يكونوا أقوياء أو أن يختبروا الانتصار في حياتهم.

إننا نواجه اليوم خطراً شديداً بسبب الاستخفاف بقدرات الأحداث الروحية ومعاملتهم بطريقة طفولية جداً، حتى أن هناك ميلاً هذه الأيام لخلق انطباع عند الأحداث بأن الله قد أعد لهم مسيحيةً من نوع خاص، فيها مطالب ومعايير أقل من تلك الخاصة بالكبار. وقد سجل سليمان بخصوص هذا ملاحظة دقيقة وجديرة بالاعتبار قائلاً:

لأنَّ الحداثة والشباب باطلان (جامعة ١١: ١٠).

وهو يقصد أن الحداثة والشباب مجرد مظاهر خارجية زائلة لا تتغير - بأي شكلٍ من الأشكال - الحقائق الروحية الثابتة، المرتبطة بكل نفوس البشر على حدٍ سواء. لقد عبّرت ابنة وليم بوث، كاثرين (Catherine Booth-Clibborn) عن مثل هذه الحقيقة عندما قالت: "النفوس ليس لها جنس." فالحقائق الروحية العميقة الثابتة التي تركز عليها المسيحية، لا تتأثر على الإطلاق بالسن أو بالجنس. فالمسيحية تركز على

مقومات كالتوبة والإيمان والطاعة والتكريس وإنكار الذات. هذه المقومات هي نفسها للنساء والرجال والبنات والأولاد على حدٍ سواء.

يقترح بعض الخدام أنَّ الطريقة التي نستطيع فيها أن نسدَّ حاجة الشباب لدراسة تعليم الكتب المقدسة دراسة شاملة، هو إرسالهم لكليات اللاهوت. ويمكن قبول هذا العلاج المقترح فقط إذا أخذنا هذين الوضعين بعين الاعتبار:

أولاً: يجب أن نعرف أنَّ كليات اللاهوت وحتى الإنجيلية منها أو كليات الإنجيل الكامل (Full Gospel)، تميل اليوم إلى التقليل أكثر وأكثر من الوقت المخصص لدراسة الكتاب المقدس ولزيادة الوقت المخصص لدراسة المواد الطبيعية العلمانية. ويحذر بولس أهل كولوسي قائلاً:

انظروا أن لا يكون أحدٌ يسبيكم بالفلسفة وبغرورٍ باطلٍ حسب تقليد الناس (كولوسي ٢: ٨).

ويحذر بولس تيموثاوس أيضاً:

يا تيموثاوس احفظ الوديعة معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم، الذي إذ تظاهر به قومٌ زاغوا من جهة الإيمان (١ تيموثاوس ٦: ٢٠-٢١).

وأعتقد أنَّ هذه التحذيرات يجب أن تكرر اليوم، فمن الممكن أن يدرس شابٌ في كليةٍ حديثة للكتاب المقدس، ويخرج منها بمعرفةٍ غير ملائمة لتعاليم الكتاب المقدس ولكيفية تطبيقها عملياً.

ثانياً: يجب أن نعرف بأنَّ الدراسة في كلية لاهوت - مهما كانت شاملة - لا تعفي رعاة الكنائس من واجبهم بتزويد الأعضاء بالتدريب النظامي المبني على كلمة الله باستمرار، فالكنيسة المحلية هي نقطة مركزية في خطة العهد الجديد الشاملة للتعليم الكتابي، ولا تستطيع مؤسسة أخرى أن تغتصب دور الكنيسة المحلية. فلم تكن للرسول

وللمؤمنين الأوائل مؤسسةً أخرى لتقديم التعاليم الكتابية إلا الكنيسة المحلية، ومع ذلك فقد كانوا أكثر نجاحاً منّا اليوم في إنجاز مهمتهم.

ويمكن لمؤسسةٍ أخرى - ككلية اللاهوت - أن تقدّم تعليمًا مكملًا لما تقدمه الكنيسة المحلية، لكنها لا تستطيع أن تحل محلها أبداً. إذ أنّ الحاجة الأكثر إلحاحاً اليوم في غالبية الكنائس المحلية، ليست إلى مزيدٍ من التنظيم أو البرامج أو النشاطات، بل إلى تعليمٍ محلي شامل ومستمر يعتمد على حقائق كلمة الله، وكيفية تطبيقها في جوانب حياة المؤمن. وبهذه الوسيلة فقط يمكن لكنيسة المسيح - بمفهومها الشامل - أن تنهض بقوة وأن تشارك في انتصار الجلجلة باسم المسيح، وأن تنجز المهمة الموكلة لها من السيد والرب يسوع المسيح. وهذا ينطبق على الصورة التي يرسمها لنا سفر الرؤيا عن الكنيسة المنتصرة في أواخر هذا الدهر.

وهم (المؤمنون) غلبوه (الشیطان) بدم الخروف وبكلمة شهادتهم
(رؤيا ١٢: ١١).

وهنا تظهر العناصر الثلاثة للانتصار: الدم والكلمة والشهادة. أمّا الدم فهو علامة وختم عمل المسيح الكامل على الصليب وما وفره هذا العمل من بركة وقوة وانتصار. أمّا الكلمة فهي مصدر فهمنا ومعرفتنا لكل ما يمكن أن يشتريه لنا دم المسيح. وأخيراً، بشهادتنا بما تعلنه الكلمة عن الدم، نستطيع أن نجعل انتصار المسيح على الشيطان حقيقةً وفعلاً في اختبارنا الشخصي.

وبينما ندرس هذه الخطة الإلهية للانتصار على الشيطان، نرى من جديد أن الكلمة تحتل موقعاً مركزياً. فمن دون المعرفة المناسبة للكلمة، لا نستطيع أن نفهم القوة والاستحقاقات التي يتميز بها دم المسيح، وبذلك تفتقر شهادتنا إلى الإقناع والسلطان. إنّ خطة الله الشاملة تتركز حول معرفة كلمته وإمكانية تطبيقها، ومن دون هذه المعرفة تجد الكنيسة نفسها في وضعٍ مشابهٍ لوضع الشعب القديم أيام هوشع، الذين أعلن الرب بخصوصهم ما يلي:

قد هلك شعبي من عدم المعرفة. لأنك أنت رفضت المعرفة أرفضك أنا... (هوشع ٦: ٤).

إنَّ الكنيسة التي ترفض معرفة كلمة الله، ستواجه حتماً رفض الله نفسه لها، وسيلحق بها الدمار بينما تقع بين يدي خصمها الكبير، إبليس.

الطهارة بتأثير كلمة الله

الطهارة

التأثير العظيم السابع لكلمة الله يختص بالطهارة والقداسة. ومفتاح دراستنا لهذا الموضوع سيكون المقطع التالي:

أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحبَّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يقدِّسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غَضَن أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدَّسة وبلا عيب (أفسس ٥: ٢٥-٢٧).

في هذا المقطع عدة نقاطٍ مهمه تستحق الانتباه:

لاحظ أولاً أنَّ عمليتنا التطهير والتقدس مرتبطتان معاً ارتباطاً وثيقاً ورغم ذلك فهما عمليتان مختلفتان، ويمكن صياغة هذا الاختلاف مبدئياً بأنَّ ما هو مقدس ينبغي أن يكون طاهراً ونقياً بالضرورة، لكن ليس من الضروري دائماً أن يكون ما هو طاهر ونقي مقدساً بكل معنى الكلمة. بكلمات أخرى: من الممكن أن تحصل على الطهارة والنقاء من دون القداسة^١، لكن من غير الممكن أن تحصل على القداسة من دون الطهارة والنقاء. فالطهارة إذاً جزءٌ مهم من القداسة لكنها ليست هي القداسة كلها. وسندرس لاحقاً وبتمعُّنٍ أكثر المعنى الدقيق لعملية "التقدس".

نعود الآن إلى أفسس ٥، وثاني ما نلاحظه هو أنَّ هناك هدفاً محدداً واحداً لأجله افتدى المسيح الكنيسة وهو:

^١ "التقدس" هو العملية التي تقود إلى "القداسة" بهذا المعنى استخدمنا هاتين الكلمتين في هذا الكتاب.

لكي يقدّسها مطهّراً إياها بغسل الماء بالكلمة (ع ٢٦).

وهذا يعني أنّ الهدف من موت المسيح الكفّاري - بالنسبة إلى الكنيسة جماعةً وأفراداً - لن يتحقق حتى يجتاز هؤلاء المفديون في عملية أخرى هي عملية التطهير والتقديس، عندها فقط يكونون في حالة تؤهلهم لأن يُقدّموا كعروسٍ للمسيح، هذه الحالة التي يصفها بولس بقوله: "كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غَضَنٌ أو شيءٌ من مثل ذلك، بل تكون مقدسة بلا عيب" (ع ٢٧).

الملاحظة الثالثة في هذا النص هي أنّ الوسيلة التي يستخدمها المسيح لتطهير الكنيسة وتقديسها هي "غسل الماء بالكلمة" (ع ٢٦). فكلمة الله هي وسيلة التقديس والتطهير، وعمل كلمة الله هذا يُشبّه بالغسل بالماء النقي. وقد أكّد المسيح لتلاميذه قبل الصليب وجود تلك القوة المطهرة في كلمته التي كان ينطق بها أمامهم فقال:

أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به (يوحنا ١٥: ٣).

وهكذا نرى بأنّ كلمة الله هي الوسيط الإلهي للتطهير الروحي، ونرى كيف يُقارَنُ عملها بعملية الغسل بالماء النقي.

ألى جانب الكلمة ينبغي أن نشير إلى الوسيط العظيم الآخر للتطهير الروحي، والذي يذكره الرسول يوحنا:

ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض،
ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية (١ يوحنا ١: ٧).

يتحدث يوحنا هنا عن القوة المطهرة لدم المسيح المسفوك على الصليب لفدائنا. إنّ تدبير الله للطهارة الروحية يتضمن دائماً هذين الوسيطين: دم المسيح الذي سُفِكَ على الصليب، وغسل الماء بالكلمة، ولا يعمل أحدهما من دون الآخر. لقد فدانا المسيح بدمه لكي يتمكن فيما بعد من تطهيرنا وتقديسنا بكلمته.

ويضع يوحنا هاتين العمليتين في أكثر ترابط ممكن بينهما، عندما يتحدث عن المسيح قائلاً:

هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح. لا بالماء فقط بل بالماء والدم. والروح هو الذي يشهد لأنَّ الروح هو الحق (١ يوحنا ٥:٦).

فيعلن يوحنا بأنَّ المسيح ليس هو فقط ذلك المعلم العظيم الذي جاء ليوضح الحق الإلهي للإنسان، لكنه أيضاً المخلص العظيم الذي جاء ليسفك دمه ويفدي الإنسان من قيود الخطية، وفي كلتا الحالتين يشهد الروح القدس لعمل المسيح، يشهد لحق وسلطان كلمته ولإستحقاقات وقوة دمه. فيعلمنا يوحنا ألاَّ نفصل أبداً بين عمل المسيح في كلا المجالين، فلا نفصل المعلم عن المخلص أو المخلص عن المعلم. فليس كافياً أن نقبل تعاليم المسيح من خلال كلمته من دون أن نقبل ونختبر قوة دمه للفداء والتطهير من الخطية. من جانبٍ آخر، على من يقولون بأنَّهم مفديون بدم المسيح، أن يخضعوا بعد ذلك للغسل الداخلي المستمر بكلمته.

هناك عدة مقاطع في العهد القديم تختص بطقوس الذبائح، وتتضمن توضيحاً للرابطة القوية بين التطهير بدم المسيح والتطهير بكلمته. مثلاً في الترتيبات الخاصة بخيمة الاجتماع نقرأ كيف أمر الله بأن توضع مِرْحَضَةٌ (مَغْسَلَةٌ) النحاس التي تحتوي على الماء النظيف في مكانٍ قريبٍ من المذبح النحاسي، وأن تُستخدم مع المذبح بانتظام:

وكَلَّمَ الرب موسى قائلاً: وتصنع مِرْحَضَةً من نحاسٍ وقاعدتها من نحاسٍ للاغتسال. وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح وتجعل فيها ماءً. فيغسل هرون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع، يغسلون بماء لئلا يموتوا، أو عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة ليوقدوا وقوداً للرب. يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا ويكون لهم فريضة أبدية، له ولنسله في أجيالهم (خروج ٣٠:١٧-٢١).

فإذا طبقنا هذه الصورة على العهد الجديد، نرى أنَّ الذبيحة الموضوعة على المذبح النحاسي تتحدث عن دم المسيح المسفوك على الصليب من أجل الفداء من الخطية،

والماء في المغسلة يتحدث عن التطهير الروحي المستمر المتوفر في كلمة الله. وكلاهما (الدم والكلمة) ضروريان على حدٍ سواء لخير نفوسنا الأبدي كما هما لهرون وبنيه "لئلا نموت" (انظر ع ٢١).

القداسة

يذكر العهد الجديد خمس وسائلٍ مميزةٍ مرتبطةٍ بالقداسة هي:

(١) روح الله (٢) كلمة الله (٣) المذبح (٤) دم المسيح (٥) الإيمان

وفيما يلي النصوص الكتابية التي تردُّ فيها هذه الوسائل المختلفة:

وَأَمَّا نحن فينبغي لنا أن نشكر الله كلَّ حينٍ لأجلكم أيها الإخوة المحبوبون
من الرب أنَّ الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق
الحق (٢ تسالونيكي ٢: ١٣).

ويقول بطرس للمؤمنين بأنهم: مختارين...

... بمقتضى علم الله الآب السابق في تقديس الروح للطاعة ورش دم
يسوع المسيح (١ بطرس ١: ٢).

وهكذا يذكر بولس وبطرس "تقديس الروح"، أي التقديس بواسطة الروح القدس،
كعنصرٍ أساسي في الاختبار المسيحي. أمَّا التقديس بواسطة كلمة الله فقد ذكره المسيح
في معرض صلاته للآب من أجل التلاميذ، فقال:

قَدْسَهُمْ فِي حَقِّكَ،

كلامك هو حق (يوحنا ١٧: ١٧).

هنا نجد التقديس الذي يأتي من خلال حق كلمة الله، أمَّا التقديس الذي يأتي من خلال
المذبح فقد أشار إليه المسيح أيضاً عندما قال للفريسيين:

أيها الجهّال والعميان، أيما أعظم: القربان أم المذبح الذي يقدّس القربان؟
(متى ١٩:٢٣).

ويصادق المسيح هنا على تعليم العهد القديم بأنّ القربان الذي كان يقَدِّمُ الله على المذبح كان يقدّس أو يخصّص بوضعه على مذبح الله. وقد تغيرت في العهد الجديد طبيعة المذبح والقربان كما سنرى، لكن المبدأ لم يتغير "المذبح... يقدّس القربان".

أمّا التقديس بدم المسيح فيُشار إليه في عبرانيين ١٠:٢٩. وهنا يبحث الكاتب قضية الارتداد، أي الشخص الذي عرف بركات الخلاص لكنه رفض المخلص متعمداً وهو يدرك تماماً ما يعمل. فقال الكاتب بخصوص مثل هذا الشخص:

فكم عقاباً أشر تظنون أنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله، وحسب دم العهد الذي قدّس به دنساً، وازدرى بروح النعمة؟

هذه الفقرة تُظهر أنّ المؤمن الحقيقي الذي يتمسك بالإيمان، يتقدس بدم العهد الجديد (دم المسيح) الذي قبله.

أمّا التقديس من خلال الإيمان فنجدّه في كلام المسيح نفسه، الذي اقتبسّه بولس ليشير إلى المأمورية التي قبلها من المسيح ليبشّر الأمم بالانجيل:

لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلماتٍ إلى نورٍ، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيياً مع المُقدّسين (أعمال ١٨:٢٦).

فنرى أنّ التقديس يتحقق من خلال الإيمان في المسيح. وبتلخيص المقاطع الكتابية المذكورة نجد أنّ التقديس حسب العهد الجديد يأتي من خلال خمس وسائط عظيمة هي:

- (١) الروح القدس (٢) حق كلمة الله (٣) المذبح (٤) دم المسيح (٥) الإيمان في المسيح

وبناءً على هذا التوضيح الكتابي يمكننا أن نحدد باختصار الإطار العام لعملية التقديس كما يلي: يبدأ الروح القدس بعمل التقديس في قلوب وأذهان كل الذين اختارهم الله بحسب قصده الأزلي. ثم يعلن عمل المذبح من خلال حق كلمة الله، فيقود المؤمن إلى الانفصال عن كل ما يُعيق تقدمه نحو الله. وعلى المذبح يجذب الروح القدس المؤمن إلى التسليم والتكريس، وهناك يتقدس المؤمن ويُفَرَز للرب كنتيجة لقراره بتقديم نفسه للرب وبسبب القوة المطهرة للدم الذي سُفِكَ هناك (على المذبح).

إنَّ عمل هذه الوسائط الأربع: الروح القدس والكلمة والمذبح والدم، يتحدد بناءً على العامل الخامس ألا وهو الإيمان الفردي لكل مؤمن. فالله لا يُجبر أحداً على الخضوع لعملية التقديس، لكن توجد شريعة واحدة تُحدِّد عمل نعمة الله في كل مؤمن، هي شريعة الإيمان:

وكما آمنت يكون لك (متى ٨: ١٣).

دعونا الآن ندرس بتمعن أكثر دور كلمة الله في عملية التقديس. أولاً علينا أن نلاحظ أنَّ للقداسة بُعدان اثنان: الأول سلبي والآخر إيجابي. أمَّا السلبي فإنه يتعلق بالانفصال عن الخطية وعن العالم وعن كل ما هو نجس، بينما يتعلَّق البعد الإيجابي بالمشاركة في طبيعة الله المقدسة. ونجد أنَّ كثيراً من الوعظ هذه الأيام، يميل إلى المبالغة في التأكيد على الجانب السلبي على حساب الجانب الإيجابي، فنحن كمؤمنين نميل إلى استخدام عبارات كتابية تحتوي على: "لا تفعل كذا وكذا!" أكثر مما نستخدم عبارات تحتوي على: "افعل كذا وكذا!"، مثلاً في أفسس ١٨:٥ غالباً ما نؤكد على الجانب السلبي "لا تسكروا بالخمير..." أكثر مما نؤكد على الجانب الإيجابي: "امتلئوا بالروح"، إنها طريقة خاطئة وغير فعَّالة لتقديم كلمة الله. فالقداسة في الكتاب المقدس أكثر من مجرد موقف سلبي بالامتناع عن الخطية والنجاسة، ففي عبرانيين ١٠: ١٢ نقرأ بأنَّ الأب السماوي أدبنا نحن أولاده لأجل المنفعة، لنشترك في قداسه. ثم نقرأ في ١ بطرس ١: ١٥-١٦:

بل نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة.
لأنه مكتوب: كونوا قديسين لأنني أنا قدوس.

فالقداسة هي طبيعة إلهية أزلية ثابتة، فالله قدّوس قبل أن تدخل الخطية هذا الكون، وسيبقى الله قدّوساً بعد أن تفنى الخطية، ونحن كشعب الله مدعوون للمشاركة بهذه الطبيعة الأزلية إلى الأبد. فالانفصال عن الخطية كالتطهير من الخطية هو مرحلة في عملية التقديس لكنه ليس العملية بأكملها، إذ أنّ النتيجة النهائية الايجابية التي يشترك الله لتحقيقها فينا هي أعظم من مجرد الانفصال والطهارة.

وتلعب كلمة الله دورها في كلا البعدين (السلبى والايجابى) للقداسة. يصف بولس البعد السلبي في رومية ١٢: ١-٢ قائلاً:

فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية. ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة.

في هذه العملية التي يصفها بولس نجد أربع مراحل متتابعة:

- ١- أن نقدم أجسادنا كذبيحة حية على مذبح الله. وقد سبق ورأينا أنّ المذبح يقدّس ما يقدم عليه.
- ٢- أن لا نشاكل هذا الدهر. وهذا يعني أن ننفصل عن خطايا وتفاهات العالم.
- ٣- أن نتغيّر عن شكلنا بتجديد أذهاننا. أي أن نبدأ بالتفكير حسب مفاهيم وقيم جديدة كلياً.
- ٤- أن نختبر شخصياً إرادة الله لحياتنا. وهذا الاعلان الالهي لارادته يُمنح فقط للذهن المُجدّد، أمّا الذهن الجسدي القديم غير المُجدّد فلا يستطيع أن يعرف أو أن يُدرك إرادة الله الكاملة.

إنَّ تجديد الذهن هو المؤشّر على مقدار تأثير كلمة الله، فبينما نقرأ وندرس ونتأمل في كلمة الله فإنها تغيّر أسلوب تفكيرنا كله، تطهرنا من الداخل وتفصلنا عن كل ما هو نجس وشرير، فنبدأ بالتفكير بالأشياء وتقييمها حسب طريقة تفكير الله فيها. وبينما نتعلم كيف نفكر بطريقة مختلفة، نتعلم بالضرورة كيف نسلك بطريقة مختلفة، إذ أنَّ حياتنا الخارجية تتغير لتنسجم مع تفكيرنا الداخلي. فلا نعود نشاكل هذا الدهر لأننا لا نعود نفكر بطريقة، إذ قد تغيرنا عن شكلنا بتجديد أذهاننا.

والواقع أنَّ عدم مشكلة هذا الدهر هو مجرد جانب سلبي، فهو ليس النهاية الايجابية بحد ذاته. فإذا كنا لا نريد أن نشاكل هذا الدهر، فإلى أي شكل نتغير إذا؟ والاجابه يقدّمها بولس بكل وضوح:

لأنّ الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم، ليكونوا مشابهيين صورة ابنه، ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين (رومية ٨: ٢٩).

هذه هي النتيجة الايجابية للقداسة: أن نكون مشابهيين صورة المسيح. فليس كافياً أن لا نشاكل العالم، أي أن لا نفكر أو نقول أو نعمل الأشياء التي يعملها العالم، بل أن نشابه المسيح، أي أن نفكر ونقول ونعمل الأشياء التي تُجسّد حياة المسيح نفسه. إنَّ بولس يرفض نمط الحياة السلبي من جهة القداسة باعتباره نمطاً غير كافٍ، فيقول:

إذاً إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا كأنكم عاثشون في العالم تفرض عليكم فرائض: لا تمس ولا تذق ولا تجس. التي هي جميعها للفناء في الاستعمال حسب وصايا وتعاليم الناس؟ (كولوسي ٢: ٢٠-٢٢).

فالقداسة الحقيقية أعمق من هذا الموقف السلبي والحرفي العقيم، بل هي مشابهة ايجابية لصورة المسيح نفسه ومشاركة ايجابية في قداسة الله. وقد لخص بطرس هذا البعد الايجابي للقداسة ودور كلمة الله فيه بطريقة رائعة عندما قال:

كما أنَّ قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة
الذي دعانا بالمجد والفضيلة، الذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى
والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الالهية هاربين من الفساد
الذي في العالم بالشهوة (٢ بطرس ١: ٣-٤).

نلاحظ هنا نقاطاً ثلاث:

- ١- لقد وهبت لنا قدرة الله كل ما نحتاج إليه للحياة والتقوى. لقد تَمَّت
هذه الهبة فعلاً، فنحن لا نحتاج أن نطلب من الله أكثر مما قد أعطانا
منها، بل أن نستفيد من هذه الهبة المقدمة بأكبر قدر ممكن.
- ٢- هذه العطية الكاملة قُدِّمَتْ لنا من خلال المواعيد العظمى والثمينة
في كلمة الله. إنَّ مواعيد الله تحتوي على كل ما نحتاج إليه للحياة
والتقوى، فما علينا إلا أن نمتلك هذه المواعيد ونطبِّقها بالإيمان
الشخصي الفعَّال.
- ٣- إنَّ نتيجة امتلاك وتطبيق الوعود الالهية تنقسم إلى جانبين: سلبي
وايجابي. فمن الجانب السلبي نحن نهرب من الفساد الذي بالعالم
بسبب الشهوة، ومن الجانب الايجابي نصير شركاء الطبيعة الالهية
أي شركاء في قداسته.

فبمقدار ما نطبق كلمة الله في حياتنا، بمقدار ما نختبر القداسة الروحية الحقيقية ببعديها
السلبي والايجابي.

حلم يعقوب يوماً بأنه يرى سُلماً تصل بين السماء والأرض. وبالنسبة للمؤمن
فإنَّ الصورة التي تناظر هذه السَّلْم موجودة في كلمة الله، فالسَّلْم منصوبة على
الأرض ورأسها يمس السماء حيث حضرة الله. إنَّ كل درجة في هذه السَّلْم تشير
إلى وعد، وبينما نتمسك بأرجلنا وأيدينا بالإيمان بمواعيد كلمة الله، فنحن نرفع أنفسنا
بواسطتها بعيداً عن العالم الأرضي وقريباً من عالم السماء. وكلما تمسَّكنا بوعد جديد

فإنه يرفعنا أكثر عن الفساد الذي في العالم ويمنحنا مقياساً جديداً من طبيعة الله (انظر تكوين ١٢: ٢٨-١٣).

نعم إنَّ القداسة بالإيمان، لكن ليس مجرد الإيمان السلبي الجامد. إنَّ الإيمان الذي يقدِّسنا فعلاً، يحتوي على تمسُّكٍ مستمر وتطبيقٍ فعَّال لمواعيد كلمة الله. ولهذا السبب صلَّى يسوع للآب قائلاً:

قدِّسهم في حقك، كلامك هو حق (يوحنا ١٧: ١٧).

الإعلان بتأثير كلمة الله

في الفصول الأربعة الأخيرة درسنا سبعة تأثيرات عملية تولّدها كلمة الله فينا عندما نقبلها بالإيمان ونطيعها ونطبّق تعليمها. هذه التأثيرات السبعة هي:

- ١- الإيمان
- ٢- الولادة الجديدة
- ٣- التغذية الروحية الكاملة
- ٤- الشفاء والصحة لأجسادنا
- ٥- الاستنارة الذهنية والفهم
- ٦- الانتصار على الخطية وعلى الشيطان
- ٧- الطهارة والقداسة

بالإضافة إلى ذلك، سندرس الآن طريقتين يعمل بهما الكتاب المقدس (كلمة الله) في المؤمن.

كلمة الله كمرآة

أولاً يزودنا الكتاب المقدس بمرآة ذات إعلانٍ روحي. إنّ عمل كلمة الله موصوف في يعقوب ١: ٢٣-٢٥، وفي هذه الأعداد ينبّهنا يعقوب إلى وجود شرطين أساسيين لتحقيق التأثير المناسب لكلمة الله:

- ١- أن نقبل الكلمة بوداعة (ع ٢١) أي بموقف عقلي وقلبي لائق.
- ٢- أن نكون عاملين بالكلمة لا سامعين فقط (ع ٢٢) أي أن نطبقها فوراً بطريقة عملية في حياتنا.

فإذا لم نحقق هذين الشرطين، نكون خادعين لنفوسنا كما يقول يعقوب. ربما ندعو أنفسنا مؤمنين أو تلاميذ أو دارسين للكتاب، لكننا لا نختبر البركات العملية والفوائد التي يتحدث عنها الكتاب المقدس. ولنخص هذا بالقول: إن كلمة الله تؤثر بطريقة عملية في هؤلاء الذين يطبقونها عمليا.

بعد العددين ٢١، ٢٢ يتابع يعقوب الأعداد الثلاثة التي تليها كما يلي:

لأنه إن كان أحد سامعا للكلمة وليس عاملا، فذاك يشبه رجلا ناظرا وجه خلقته في مرآة. فإنه نظر ذاته ومضى وللوقت نسي ما هو. ولكن من اطلع على الناموس الكامل ناموس الحرية، وثبت وصار ليس سامعا ناسيا بل عاملا بالكلمة، فهذا يكون مغبوطا في عمله (يعقوب ١: ٢٣-٢٥).

يشبه هنا يعقوب كلمة الله بالمرآة. والفرق الوحيد بينها وبين المرآة الطبيعية هو أن هذه الأخيرة تُري الإنسان ما يسميه يعقوب "وجه خلقته" أو "صورة وجهه" (ت.ع.ج) أي المظهر الخارجي الطبيعي للإنسان، أما طبيعته الروحية وحالته الداخلية فتظهرها مرآة كلمة الله. إنها تُعلن تلك الأشياء التي لا تستطيع المرآة العادية ولا أي عمل من أعمال الحكمة الإنسانية أن يعلنه لنا. إنها تلك الأشياء التي لا يمكن معرفتها بأية طريقة أخرى على الإطلاق. لخص أحدهم هذه الحقيقة بقوله: "تذكر بينما تقرأ كتابك المقدس بأنه هو يقرأك أيضا."

وما زالت تتداعى الذكريات في خاطري - رغم مرور سنوات كثيرة - فأتذكر كيف اختبرت هذه الحقيقة بأسلوب ينبض بالحياة. فقد بدأت بدراسة الكتاب المقدس كمتشكك غير مؤمن بسبب خلفيتي كطالب ومعلم للفلسفة، فكنت أعتبر الكتاب المقدس مجرد نظام فلسفي ضمن أنظمة أخرى كثيرة في العالم. وبينما تابعت دراستي بدأت - رغماً عني - أدرك بعض التغييرات الغريبة التي تتأصل وتأخذ مكاناً في داخلي. وبدأت ثقتي بنفسي واكتفائي الذاتي واعتقادي بتفوقي العقلاني، بدأت جميعها بالانهيار.

كنت أتبنّى موقف الفيلسوف الإغريقي الذي قال: "الإنسان هو مقياس كل الأشياء" فافترضت أنني، اعتماداً على قدرتي العقلية وامكانياتي النقدية، أستطيع أن أقيّم أي كتاب أو فلسفة بمجرد أن أدرسها. لكنني دهشت بينما كنت أقرأ الكتاب المقدس، ليس فقط لأنني لم أفهمه تماماً، بل لأنني أدركت بأنني أنا الذي كنت خاضعاً للتقييم والقياس، بمعايير ليست مني ولا هي من غيري من البشر، كما حدث مع بيلشاصر في وليمته، وكأنّ هذه الكلمات انكشفت أمام عيني الرافضتين:

وُزِنْتَ بالموازين فوجدتَ ناقصاً (دانيال ٥: ٢٧).

ومن دون أن تتغير ظروف المحيطة، بدأت أشعر بعدم الراحة وعدم الاكتفاء في داخلي. النشاطات والمباهج التي كانت تجذبني وتسيطر عليّ، فقدت قوتها على إلهائي وتسليتي، وبدأت أدرك بالتدريج حاجةً عميقةً في داخل كياني لم أستطع لا أن أفهمها ولا أن أشبعها. ومع أنني لم أفهمها بوضوح إلا أنّ الله كان يعلن لي الحقيقة بخصوص حاجتي وفراغي الداخلي، وذلك من خلال مرآة كلمته.

بعد عدة أشهر قادني هذا الاعلان إلى أن أطلب الله بتواضع وإخلاص، رغم ما كان عندي من عمى روحي ولا مبالاة. وعندما وجدت الله بهذه الطريقة، اكتشفت أنّ ذلك الذي أعلن لي حاجتي من خلال كلمته المكتوبة، يستطيع أن يُشبعها تماماً من خلال شخص كلمته الحية: الرب يسوع المسيح.

فالكتاب المقدس هو مرآة النفس. ولكن كما في كل تأثيراته المتنوعة، فإنّ النتائج التي يحققها فينا تعتمد بمقدار كبير على مدى تجاوبنا معه. فعندما ننظر في مرآة عادية، نفعل ذلك بنية الاستجابة العملية لأي شيء تُظهره هذه المرآة، فإذا كان شعرنا غير مرتّب، نسرّحه. وإذا كان وجهنا ملوثاً، نغسله بالتأكيد. وإذا كانت ملابسنا تحتاج إلى ترتيب، نرتبها. وإذا رأينا أعراضاً مرضيةً، نستشير طبيباً لوصف العلاج المناسب.

هكذا أيضاً بالنسبة لكلمة الله، فلكي نستفيد منها ينبغي أن نتجاوب مع ما تُعلنه لنا، فإذا أعلنت حالة من النجاسة، علينا أن نسعى إلى الطهارة التي يوفرها دم المسيح.

وإذا أعلنت وجود مرضٍ روحي، علينا أن نستشير طبيب نفوسنا الأعظم "الذي يغفر جميع ذنوبك، الذي يشفي كل أمراضك" (مزمور ١٠٣: ٣).

فقط بتجاوبنا العملي السريع لما تعلنه مرآة كلمة الله. نستطيع أن نحصل على الغفران والطهارة والشفاء وعلى كل البركات التي أعدّها الله لنا. لهذا يفشل الكثيرون باستخدام مرآة الله بطريقة مناسبة، مما يؤدي لخسارتهم الروحية والأبدية. فمن خلال سماع وقراءة كلمة الله، يعمل الروح القدس على توبيخ المؤمنين بخصوص الأمور غير الطاهرة في قلوبهم وفي حياتهم، تلك الأمور المؤذية التي لا يُسر بها الله، ومن خلال مرآة كلمة الله يرى الناس حالتهم الروحية تماماً كما يراها الله.

قد يكون الحزن والندم وإدراك الحاجة والشعور بالخطر، هي ردود الفعل الأولى لمثل هؤلاء، ربما ينتج عن ذلك اللجوء إلى مذبج إحدى الكنائس للصلاة والبكاء. لكن تجاوبهم لا يذهب أبعد من ذلك، فلا يوجد تغييرٌ حقيقي وفعلي في أسلوب حياتهم. وفي اليوم التالي يبدأ هذا الاحساس بالتلاشي، ويبدأ كل واحدٍ بالرجوع إلى طريقه القديمة. وبعد مدة وجيزة نجد أنه "نسي ما هو" (يعقوب ١: ٢٤) فلم يعد يتذكر تلك الحقائق التي أعلنتها له مرآة الله بوضوح، فيستمر في مساره الذي يُبعده أكثر فأكثر عن الله، متخفياً في اللامبالاة وخداع النفس.

على كل حال فإنّ مرآة كلمة الله لا تُعلن الأمور السيئة فقط، بل الجيدة أيضاً. فهي لا تعلن فقط كيف تكون حالتنا الساقطة من دون المسيح، لكنها تعلن أيضاً كيف نصبح بعد إيماننا في المسيح. إنها لا تُعلن الثوب القذر لبرئنا الذاتي فقط، لكنها تعلن أيضاً رداء البر الطاهر الذي نلبسه بالإيمان في المسيح. إنها لا تُعلن فساد ونقصات "الإنسان العتيق" من دون المسيح فقط، بل تُعلن أيضاً قداسة وكمالات "الإنسان الجديد" في المسيح. فالنظرة الأولى إلى مرآة كلمة الله، تعلن لنا حقيقة الخطية والنجاسة. فإذا تجاوبنا فوراً بالتوبة والإيمان والطاعة، نرى أنفسنا في النظرة الثانية كما يرانا الله. عندها ندرك أنّ ثمة معجزة قد حدثت. وننظر فنرى في مرآة كلمة الله هذه الكلمات:

إذاً، إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت
هوذا الكل قد صار جديداً، ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع
المسيح (٢ كورنثوس ٥: ١٧-١٨).

ليس فقط أن الأشياء العتيقة قد مضت وأنّ الكل قد صار جديداً، بل صار "الكل من
الله." أي أن الله يتحمّل شخصياً مسؤولية كل جوانب الخليقة الجديدة في المسيح كما هو
واضح هنا في مرآة الله. فلا شيء في الخليقة الجديدة من صنع أو من أساليب الإنسان،
بل الكل من الله نفسه. ويقول بولس في الأصحاح نفسه:

لأنه جعل الذي لم يعرف خطية (أي المسيح) خطية لأجلنا لنصير نحن
براً لله فيه (ع ٢١).

انظر إلى كمال هذه المقايضة: لقد جعل المسيح خطية بخطيتنا لنصير نحن
أبراراً ببر الله، فما هو برُّ الله؟ إنه برُّ بلا عيب وبلا شائبة ولم يعرف الخطية مطلقاً.
هذا هو البرُّ الذي يُنسب إلينا في المسيح. نحتاج أن نُحدّق طويلاً وبجدية في هذه
الحقيقة التي تعلنها مرآة الله حتى نرى أنفسنا فيها كما يرانا الله. ونجد هذا الإعلان
نفسه في العهد القديم أيضاً، في نشيد الأنشاد حيث يقول المسيح (العريس) للكنيسة
(عروسه):

كلُّك جميلٌ يا حبيبتي
ليس فيك عيبٌ (نشيد الأنشاد ٤: ٧).

تعلن لنا هنا المرأة الصافية صورة البرِّ الصافي الذي لنا في المسيح. ويؤكد بولس
حاجة المؤمنين إلى النظر المستمر في مرآة كلمة الله عندما يقول:

ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة،
نتغيّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح
(٢ كورنثوس ٣: ١٨).

يتحدث بولس عن مرآة كلمة الله كما تحدّث يعقوب، ويقول بأنّ هذه المرآة لا تُعلن لنا نحن المؤمنين خطايانا التي أُلغيت بالمسيح ولن تُذكر فيما بعد، بل تُعلن عوضاً عنها مجد الرب الذي يمنحنا إياه الرب بالإيمان. ويؤكد بولس بأننا بينما ننظر في هذه المرآة ناظرين مجد الرب، فإنّ روح الله يعمل فينا ويغيرنا إلى تلك الصورة عينها التي ننظر إليها.

وهنا كما في مواضع أخرى من الكتاب، نرى أنّ الروح وكلمة الله يعملان معاً بانسجام، ففي الوقت الذي ننظر فيه إلى مرآة كلمة الله نجد أنّ الروح القدس يعمل فينا ويُغيرنا إلى أن نشابه الصورة التي نراها في المرآة، وإذا توقفنا عن النظر في المرآة لا يعود الروح القدس قادراً على العمل فينا بهذه الطريقة.

في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس يعود بولس إلى الموضوع نفسه ثانية:

لأنّ خفة ضيقنا الوقتية تُنشيء لنا أكثر فأكثر ثِقَل مجد أبديا، ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل إلى التي لا تُرى. لأنّ التي تُرى وقتية وأمّا التي لا تُرى فأبدية (٢ كورنثوس ٤: ١٧-١٨).

وهنا يُعلّم بولس بأنّ تحمّل الضيق المؤقت باخلاص وانتصار، سينتج لنا كمؤمنين مجداً أبدياً عظيماً، لكنه يُضيف الشرط ذاته الوارد في الأصحاح الثالث، وهو أنّ عمل الروح القدس سيكون ذو فاعلية فقط إذا كنّا "غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل إلى التي لا تُرى" (ع ١٨). فإذا رفعنا عيوننا عن الأشياء الأبدية لا يعود الضيق يُنشيء هذه الامتيازات فينا. فهذه الأمور الأبدية موجودة في مرآة كلمة الله لذلك علينا أن نستمر بلا توقف بالنظر فيها. وكمثال على ذلك، لاحظ كيف تشدّد موسى أربعين سنة منفياً في البرية بعد أن هرب من مصر:

بالإيمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك لأنه تشدّد كأنه يرى من لا يرى (عبرانيين ١١: ٢٧).

لاحظ ما هو مصدر القوة الذي أهّل موسى لكي يتشدّد ويتحمّل الضيق: "تشدد كأنه يرى من لا يرى". إنها الرؤيا التي احتفظ بها موسى عن الإله الأزلي غير المنظور ومخلص شعبه. هذه الرؤيا التي كانت مصدر إيمانه وشجاعته لكي يتحمّل ويتشدّد وينتصر على كل ضيقاته. وهذه الرؤيا نفسها توفّر لنا اليوم ذلك الإيمان وتلك الشجاعة. فإين نجد مثل هذه الرؤيا عن الله في تجاربنا وحاجاتنا اليومية؟ بالطبع نجدها في المرأة الروحية الرائعة التي قدّمتها لنا الله لهذا الغرض بعينه، إنها امرأة كلمته. فالسرّ في التغيّر الذي تُحدثه النعمة والسرّ في الحياة المنتصرة، هما في الاستخدام الصحيح لمرآة الله، فإذا استخدمناها بطريقة مناسبة، يحقق روح الله هذه التأثيرات في حياتنا.

كلمة الله تُديننا

وأخيراً، كلمة الله أيضاً تُديننا. إنّ مهمة الدينونة - كما يؤكّد الكتاب المقدس بأكمله - تختص بالله وحده. هذا الموضوع يظهر في كُتب العهد القديم بوضوح. مثلاً: يقول إبراهيم للرب: "أديّان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟!" (تكوين ١٨: ٢٥). وقال يفتاح: "ليقض الرب القاضي اليوم..." (قضاة ١١: ٢٧). وكتب صاحب المزامير: "إنه يوجد إله قاض في الأرض" (مزمور ٥٨: ١١). بينما يقول إشعياء: "فإنّ الرب قاضينا" (إشعياء ٣٣: ٢٢). وإذا انتقلنا إلى العهد الجديد، فإننا ندخل في إعلانٍ أكمل عن دوافع وطرائق دينونة الله، يقول المسيح:

لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم
(يوحنا ٣: ١٧).

ونقرأ أيضاً في ٢ بطرس ٩: ٣:

لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قومٌ التباطؤ لكنه يتأنى علينا، وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة.

هذه الأعداد - ومثلها كثير - تُعلن أنَّ الله يُسرُّ بالرحمة والخلاص. لكنه (يضطر) لأن يُمارس العقاب والدينونة.

إنَّ (اضطرار) الله لإقامة الدينونة ظاهر من خلال الطريقة التي تنفَّذ فيها هذه الدينونة في النهاية. فالعهد الجديد يُعلن أولاً أنَّ الدينونة هي حق أزلي مطلق لله الآب. ويتحدث بطرس عن الله الذي "يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد" (١ بطرس ١: ١٧)، ويظهر هنا أنَّ عمل دَيَّان كل البشر هو عمل يختص بالله الآب. مع هذا، فإنَّ المسيح يُعلن أنَّ الآب اختار بحسب حكمته المطلقة أن يُعطي كل الدينونة للابن:

لأنَّ الآب لا يُدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن. لكي يُكرم الجميع الابن كما يُكرمون الآب (يوحنا ٥: ٢٢-٢٣).

يقول المسيح أيضاً:

لأنه كما أنَّ الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته. وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان (يوحنا ٥: ٢٦-٢٧).

وهكذا نرى أنَّ مهمة الدينونة قد انتقلت من الآب إلى الابن. ويقدم لنا الكتاب هنا سببين لذلك الانتقال:

أولاً: لأنَّ عمل الديَّان يتطلَّب تقديم الإكرام له، وبهذا يلتزم كل البشر بتقديم الاكرام للابن كما يُقدِّم للآب تماماً.

ثانياً: لأنَّ المسيح هو أيضاً ابن الإنسان كما هو ابن الله، أي أنه شريك في الطبيعة البشرية وفي الطبيعة الإلهية، وهذا يؤهله - بسبب خبرته البشرية الخاصة - لأن يأخذ ضعفات الجسد البشري بعين الاعتبار.

وكما هو الحال بالنسبة للآب، فإنَّ طبيعة الابن الإلهية المشبعة بالرحمة والنعمة، جعلت المسيح لا يُسر بإقامة الدينونة، فنقل بدوره سلطان الدينونة النهائي من شخصه إلى كلمة الله:

وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أُدينه، لأنني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم. من ردلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه. الكلام الذي تكلمت به هو يُدينه في اليوم الأخير (يوحنا ١٢: ٤٧-٤٨).

وهذا إعلان بأنَّ السلطان النهائي للدينونة قد عُهد به إلى كلمة الله. فهي معيار الدينونة النهائي الذي لا يُحابي، والذي سيُقَيَّم كل البشر - يوماً - بناءً عليه. يقول الرب في إشعياء ٦٦: ٢:

وإلى هذا أنظر، إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي.

وفي ضوء إعلان العهد الجديد، نستطيع أن نفهم تماماً لماذا يجب أن يرتعد الإنسان من كلام الله. لأننا بينما نقرأ في صفحات الكلمة ونسمع تعليمها نجد أنفسنا - في الأغلب - واقفين في قفص المحاكمة، أمام الإله الكلي القدرة. فالكلمة تشرح لكل من يقبلها مبادئ ومعايير الدينونة الإلهية المختصة بكل الجنس البشري. ويصف المسيح دينونة الله كما يلي:

- فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل (متى ١٨: ٥).
- السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول (متى ٢٤: ٣٥).

وفي الأصحاحات الأخيرة من الكتاب المقدس، ينزاح الحجاب عن المستقبل، ليُعلن ما سيحدث عندما تزول السماء والأرض إتماماً لما قاله المسيح، ويظهر عرش الله من أجل الدينونة العظيمة:

ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع. ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم (رؤيا ٢٠: ١١-١٢).

في هذا المشهد الأخير يؤكد لنا المسيح وجود معيار واحد، وواحد فقط، للدينونة وهو كلمة الله الأزلية الثابتة. وسيكون هذا تتماماً للمزمور ١١٩: ١٦٠:

كلامك بأسره حق،

وكل أحكامك إلى الأبد عادلة (كتاب الحياة).

وهنا تظهر كل أحكام الله المبنية على كلمته الثابتة مُتمتعةً بكمال مطلق.

ولو أمعنا النظر في هذه الحقيقة المُعلنة بأن كل الدينونة ستكون بحسب كلمة الله، لأدركنا أن ذلك هبة من نعمة الله ورحمته، لأننا نستطيع في هذه الحياة الحاضرة أن نتوقع كيف تكون دينونة الله علينا، وبالتالي نستطيع أن نهرب منها. يقول بولس:

لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا (١ كورنثوس ١١: ٣١).

كيف نستطيع أن نحكم على أنفسنا؟ بتطبيق أحكام كلمة الله على كل جوانب حياتنا، ثم بالتوبة وقبول هبات الغفران والرحمة. إذا فعلنا هذا فلن نأتي إلى دينونة. والمسيح يؤكد هذا قائلاً:

الحق الحق أقول لكم: إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة (يوحنا ٥: ٢٤).

ويكرر بولس هذا التأكيد في رومية ٨: ١:

إذاً، لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع.

فماذا علينا أن نفعل لكي نهرب من دينونة الله؟ علينا أن نسمع كلمته بتوبة وبتواضع، وأن نقبل كل أحكامه التي تقع على حياتنا، وأن نقبل بالإيمان ما تُسجله الكلمة عن أن المسيح أخذ دينونتنا وتحمل عقابنا. فإذا قبلنا هذه الحقائق الكتابية، نُبرّر وننتقل من الموت والدينونة إلى الغفران والحياة الأبدية.

كل هذا من خلال كلمة الله. إذا رفضناها فهي الديان لنا في اليوم الأخير، أمّا إذا قبلناها فهي تؤكد لنا الآن غفراناً كاملاً وخلاصاً تاماً لأننا قد حصلنا على البرّ، الذي هو ليس منا بل هو برُّ الله نفسه.

الجزء الثاني

التوبة والإيمان

... توبوا، وآمنوا بالإنجيل.

مرقس ١: ١٥

العقائد الأساسية

إذا أردنا أن ندرس الكتاب المقدس بالتفصيل، فهل هناك طريقة سهلة للتعرف على التعاليم والعقائد الأساسية والأكثر أهمية التي يجب دراستها أولاً؟ هذا سؤال منطقي. وكجميع الأسئلة المشابهة الأخرى، فإننا نجد الإجابة غالباً في الكتاب المقدس نفسه. حيث أن الكتاب المقدس يبين أن تعاليماً معينة هي أكثر أهمية من غيرها، وينبغي أن تدرس أولاً. ويقدم لنا الكتاب المقدس ست عقائد أساسية:

لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح لنتقدم إلى الكمال، غير واضعين أيضاً أساس التوبة من الأعمال الميتة، والإيمان بالله، تعليم المعموديات، ووضع الأيادي، قيامة الأموات، والدينونة الأبدية (عبرانيين ٦: ١-٢).

إنَّ العبارة "كلام بداءة المسيح" تشير إلى أننا نتعامل هنا مع تعاليم هي البداية أو نقطة الانطلاق في دراستنا عن المسيح وتعاليمه بشكل عام. وهذا مؤكد أيضاً باستخدام الكلمة "أساس" في العدد نفسه. إنَّ كاتب الرسالة إلى العبرانيين يوجِّهنا إلى نقطتين:

- ١- وضع الأساس العقائدي الصحيح
- ٢- الاستمرار بعد هذا نحو الكمال، نحو بناء صرح متين للعقيدة والسلوك المسيحيين

وهدف تعليم الكاتب في هذا النص هو ضرورة السعي نحو الكمال ونحو بناء صرحٍ روحي متكامل. لكنه يوضِّح استحالة ذلك من دون وضع أساس تعليمي متكامل أولاً. وفي تصوُّره لهذا الأساس، حدد الكاتب ستَّ تعاليمٍ متتابعة هي:

- ١- التوبة من الأعمال الميتة
- ٢- الأيمان بالله
- ٣- تعليم المعموديات
- ٤- وضع الأيدي
- ٥- قيامة الأموات
- ٦- الدينونة الأبدية

علينا أن نلاحظ في تتابع هذه العناوين الرئيسة الموحى بها، أنها تحتوي على سلسلة متكاملة للاختبار المسيحي، ابتداءً من التجاوب الداخلي للإنسان الخاطيء ألا وهو التوبة، وإنهاءً بذروة الاختبار المسيحي كله في الأبدية، حيث القيامة والدينونة. كل هذا في إطارٍ منطقي متتابع.

وبينما ندرس هذه التعاليم بالتفصيل علينا أن لا نفقد الرؤيا الإلهية الفريدة والخطة الكاملة التي تتخلل كل هذه المواضيع. وبشكلٍ محدّد، علينا أن لا ننشغل بالأمور الزمنية إلى درجة نفقد فيها الرؤيا الأبدية. وإلا فإننا سنعاني من المأساة التي يصفها بولس في ١ كورنثوس ١٥: ١٩ قائلاً:

إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس.

الدراسات التالية في هذا الجزء من الكتاب، تُركّز على المرحلتين الأولى والثانية من هذه التعاليم: التوبة والإيمان.

التوبة

معناها في اليونانية والعبرية

نحتاج أن نفهم أولاً معنى الكلمة "توبة" كما استُخدمت في الكتب المقدسة. إنَّ الفعل "يتوب" في العهد الجديد، هو ترجمةٌ للفعل اليوناني "Metanoein" وهذا الفعل، لم يُعرف له سوى معنى واحد على مرِّ تاريخ اللغة اليونانية واللغة الإغريقية القديمة، مروراً بلغة العهد الجديد. هذا الفعل له معنى واحد وهو "أن يغيّر أحدهم رأيه" أو "فكره"، لذلك فإنَّ التوبة بمفهوم العهد الجديد ليست عاطفةً لكنها قرار.

إنَّ معرفة هذه الحقيقة يساعد على التخلص من كثير من الانطباعات والأفكار الخاطئة المتعلقة بالتوبة. فكثيرون يربطون بين التوبة والعاطفة أو بينها وبين ذرف الدموع، مع أنه من الممكن لأحدهم أن يشعر بمشاعر جياشة ويذرف الكثير من الدموع من غير أن يتوب بحسب مفهوم الكتاب المقدس. وهناك من يربط بين التوبة وبين ممارسة بعض الطقوس والمراسيم الدينية الخاصة، أو مع ما يُسمّى بطقوس التكفير عن الذنوب بتعذيب الجسد. ونقول هنا أيضاً أنه من الممكن أن نمارس الكثير من الطقوس الدينية من دون أن نُحقق التوبة بمعناها الكتابي.

فالتوبة هي قرار داخلي ثابت. إنها تغيير في الرأي أي في طريقة التفكير. فإذا عُدنا إلى العهد القديم نجد أنَّ الكلمة التي تترجم في الأغلب بمعنى "يتوب" تعني باللغة العبرية حرفياً "أن يرجع" أو "أن يلتفت إلى الوراء". وهذا ينسجم تماماً مع معنى الكلمة في العهد الجديد. فالمعنى في العهد الجديد يُشير إلى القرار الداخلي، بينما يُشير المعنى في العهد القديم إلى الفعل الخارجي الناتج عن التغيير الداخلي في الفكر ينتج عنه تغيير خارجي في الإتجاه، أي تثبتت الوجه والسير في اتجاه جديد كلياً.

التجاوب الأول للخاطيء نحو الله

نجد المثال المناسب للتوبة الحقيقية في مثل الابن الضال (انظر لو ١٥: ١١-٣٢) حيث نرى كيف أدار الابن الضال ظهره لأبيه ولبيته وسافر إلى كورة بعيدة، بذّر فيها كل ما يملك بسبب الخطية والانغماس في الملذات. ثم انتبه وإذا به جائع ووحيد، يلبس ثياباً رثّة، ويجلس بين الخنازير مشتهياً أن يملأ بطنه من طعامها. وبينما هو على هذا الحال اتخذ قراراً. قال: "أقوم وأذهب إلى أبي" (ع ١٨)، وقد نفذ قراره حالاً، فقام وذهب إلى أبيه (ع ٢٠) هذه هي التوبة الحقيقية: أولاً، القرار الداخلي، ثم العمل الخارجي المناسب لهذا القرار، وهو العودة إلى الأب وإلى البيت.

فكل إنسان في حالته الخاطئة ومن دون الولادة الجديدة، قد وُلِدَ وهو يدير ظهره للأب وللسماء التي هي بيته، وكل خطوة يخطوها تُبعده عن الله وعن السماء، فتراه يسير والنور من خلفه والظلام من أمامه، وكلما ابتعد أكثر كلما ازدادت حُلْكة الظلام الذي يمتدُّ أمامه، وكل خطوة تجعله أقرب إلى النهاية، إلى القبر والجحيم والظلمة التي لا تنتهي في الأبدية. وعلى كل من يسير في هذه الدرب، أن يعمل شيئاً واحداً: أن يقف ويغيّر فكره ثم يغيّر اتجاهه نحو الطريق المعاكس. عليه أن يدير ظهره للظلام متوجّهاً نحو النور. إنّ هذا الفعل الأساسي هو ما يسميه الكتاب المقدس بالتوبة، وهو الخطوة الأولى التي يجب أن يتخذها كل إنسان يرغب بالتّصالح مع الله.

التوبة ليست النَّدَم

إنّ أفضل الترجمات العربية للكتاب المقدّس قد اتّفقت على التمييز بين مصطلحي "التوبة" و "الندم" فنقرأ في متى ٢٧: ٣-٤:

حينئذٍ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين، ندم وردّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً: قد أخطأت إذ سلّمت دماً بريئاً. فقالوا: ما علينا أنت أبصر.

فالكلمة المترجمة هنا "ندم" هي "Metamelein" باليونانية وليست هي الكلمة نفسها التي تترجم "تاب" أي . "Metanoein" بينما تجد من يخلط بين الكلمتين فيعتقد أنَّ التوبة هي الندم والألم النفسي، فلا شك في أنَّ يهوذا الإسخريوطي قد اختبر ألماً نفسياً حاداً في هذه الحادثة و ندم ندماً شديداً، لكنه مع هذا لم يختبر توبة حقيقية بحسب مفهوم الكتاب المقدس، فلم يغير موقفه الفكري ولا مساره أو اتجاهه، وعلى العكس من ذلك نقرأ في العدد ٥: أنه "مضى وخنق نفسه". ويعبر عن هذا في أعمال ١: ٢٤-٢٥ بهذه الكلمات:

أيها الرب العارف قلوب الجميع عيّن أنت من هذين الإثنين أيّاً اخترته.
ليأخذ قرعة هذه الخدمة والرسالة التي تعدّها يهوذا ليذهب إلى مكانه.

فقد اختبر يهوذا بالتأكيد حالة عاطفية شديدة من المرارة والندم والألم النفسي، لكنه لم يختبر توبة حقيقية، فلم يُغيّر فكره أو مساره، بل إنه لم يستطع أن يتوب، لأنه ذهب بعيداً جداً رغم تحذير المخلص. لقد ألزم نفسه بمسار لا عودة منه، فلم يعد له مكان في التوبة. ياله من درس رهيب وفظيع! فمن الممكن للإنسان بسبب عناده أن يستمر بالسير في الطريق الذي اختاره لنفسه، حتى يصل إلى حالة اللاعودة، حيث تغلق أبواب التوبة في وجهه إلى الأبد وبمحض إرادته.

هناك قصة رجل آخر اقترف هذا الخطأ المأساوي نفسه، ألا وهو عيسو الذي باع بكوريته من أجل أكلة واحدة، ثم نقرأ :

أنه أيضاً بعد ذلك لما أراد أن يرث البركة، رُفض إذ لم يجد للتوبة مكاناً،
مع أنه طلبها بدموع (عبرانيين ١٢: ١٧).

في لحظة حماقة ولا مبالاة باع عيسو بكوريته لأخيه يعقوب مقابل صحن من المرق. ويسجّل لنا سفر التكوين ما يلي: "فاحتقر عيسو البكورية" (تكوين ٣٤: ٢٥). وعلينا أن نتذكر أن عيسو باحتقاره للبكورية، إنما هو يحتقر كل

بركات وموايد الله المرتبطة بالبكورية. بعد ذلك يشعر عيسو بالألم واللوعة بسبب ما فعل، فيسعى لاستعادة البكورية والبركة لكنّه يُرفض، لماذا؟ لأنه "لم يجد للتوبة مكاناً" (عبرانيين ١٢: ١٧) أي أنه "لم يجد طريقة لتغيير فكره". كما تقول ترجمة (الملك جيمس ١٦١١).

نجد هنا دليلاً آخر على أنّ العواطف الشديدة ليست دليلاً على التوبة، فقد بكى عيسو وذرف الدموع المرة ورغم ذلك لم يجد للتوبة مكاناً، فقد حدّد مسار حياته كلّها في الحاضر ومصيره في الأبدية بسبب موقف متهورٍ وتافه. لقد ألزم نفسه في طريقٍ لم يتمكن من العودة عنها فيما بعد. وكم من الناس اليوم يكررون ما عمله عيسو مقابل لحظاتٍ من المتعة الحسيّة أو بسبب الانغماس في أعمال الجسد. إنهم يحتقرون بذلك كل بركات وموايد الإله العظيم. وعندما يدركون خطأهم بعد ذلك، ويصرخون من أجل تلك البركات الروحية الأبدية التي احتقروها، ينتابهم الفرع لأنهم يُرفضون، ولماذا؟ لأنهم لا يجدون للتوبة مكاناً، أي ليست لهم القدرة على تغيير فكرهم فيما بعد.

الطريق الوحيد للإيمان الحقيقي

تُجمع كتب العهد الجديد على هذه النقطة: التوبة الحقيقية يجب أن تسبق الإيمان الحقيقي دائماً. ومن دون توبة حقيقية لا يمكن الحصول على إيمانٍ حقيقي. إنّ الدعوة إلى التوبة تبدأ مع بداية مقدّمة العهد الجديد، وفي خدمة يوحنا المعمدان بالذات:

صوت صارخٍ في البرية: أعدّوا طريق الرب، اصنعوا سُبُلَه مستقيمةً.
كان يوحنا يعمّد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا
(مرقس ١: ٣-٤).

لقد كانت دعوة يوحنا المعمدان إلى التوبة إعداداً ضرورياً لإعلان المسيح الذي انتظره الناس طويلاً.

ثم نقرأ بعد هذا بقليلٍ عن الرسالة الأولى التي أعلنها المسيح نفسه بعد أن أعدّ يوحنا له الطريق:

وبعدما أُسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله.
ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل
(مرقس ١: ١٤-١٥).

فالوصية الأولى التي نطق بها المسيح لم تكن بخصوص الإيمان بل التوبة: "توبوا
(أولاً) وآمنوا بالإنجيل (ثانياً)". ثم بعد الصلب والقيامة عندما أوصى المسيح رُسُلَه
بأن يذهبوا إلى العالم أجمع للكراسة بالإنجيل، نجد أنَّ الكلمة الأولى في إرساليته تتعلّق
بالتوبة:

وقال لهم: هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أنَّ المسيح يتألّم ويقوم من
الأموات في اليوم الثالث. وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا
لجميع الأمم مبتدئاً من أورشليم (لوقا ٢٤: ٤٦-٤٧).

فالتوبة أولاً هنا أيضاً ثم مغفرة الخطايا. وبعد القيامة بفترة قصيرة، بدأ الرسل
مع بطرس الناطق باسمهم، بتنفيذ هذه الأمور التي قبلوها من المسيح. فبعد
حلول الروح القدس يوم الخمسين، قال الرجال الذين نُخسوا في قلوبهم لكنهم لم يؤمنوا
بعد، قالوا لبطرس ولسائر الرسل: "ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟" (أعمال ٢: ٣٧)
وجاءت الإجابة عن هذا السؤال مُحدّدة وسريعة. حيث قال بطرس:

توبوا وليعتمد كل واحدٍ منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا
فتقبلوا عطية الروح القدس (أعمال ٢: ٣٨).

فالتوبة أولاً ثم المعمودية ومغفرة الخطايا. وعندما كان بولس يخاطب شيوخ كنيسة
أفسس، لخصّ لهم رسالة الإنجيل التي سبق وشهد لهم بها فقال:

كيف لم أُؤخّر شيئاً من الفوائد إلّا وأخبرتكم وعلمتكم به جهراً وفي كل
بيتٍ شاهداً لليهود وللليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع
المسيح (أعمال ٢٠: ٢٠-٢١).

ف نجد الترتيب نفسه في حديث بولس: التوبة أولاً ثم الإيمان، وهذا ما رأيناه في عبرانيين ٦: ١-٢. في ترتيب التعاليم الأساسية للإيمان المسيحي، فتأتي التوبة أولاً ثم الإيمان ثم المعموديات، الخ..... وبدون استثناء، نجد في العهد الجديد كله أنَّ التوبة هي أول تجاوب نحو الإنجيل يطلبه الله، فلا يمكن لشئٍ آخر أن يتقدم التوبة أو أن يحل محلها.

وهكذا فإنَّ التوبة الحقيقية تسبق دائماً الإيمان الحقيقي، ومن دون التوبة يكون الإيمان مجرد اعتراف فارغ. وهذا من الأسباب التي تجعل اختبار كثيرٍ من المؤمنين اليوم اختباراً غير ثابت وغير آمن، فهم يريدون البناء قبل وضع أول ركنٍ من التعاليم الأساسية. فيعترفون بايمانهم قبل أن يختبروا التوبة الحقيقية، لذا فإنَّ إيمانهم هذا لن يجلب لهم لا رضى الله ولا احترام البشر.

إنَّ ما طرأ على رسالة الإنجيل من التبسيط هذه الأيام، كثيراً ما تجاوز حده حتى أنَّ الرسالة المقدَّمة في كثيرٍ من الأحيان هي "آمن فقط" وهي ليست رسالة المسيح، فقد قدَّم المسيح ورسالته رسالة "توبوا وآمنوا"، وأي مبشِّر أو واعظٍ يتجاهل دعوة التوبة، يُضل الخطاة ولا يمثل رأي الله، لأنَّ بولس يقول بأنَّ الله نفسه "يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا" (أعمال ١٧: ٣٠). هذا هو المرسوم الإلهي العام لكل البشر.

في عبرانيين ٦: ١. تُعرَّف التوبة بأنها "التوبة من الأعمال الميئة". وفي أعمال ٢٠: ٢١. تُعرَّف بأنها "التوبة إلى الله". وهذا يعني أننا بممارسة التوبة نبتعد ونترجع عن أعمالنا الميئة ونتوجه نحو الله لسماع وإطاعة وصاياه. أمَّا العبارة "الأعمال الميئة" فإنها تتضمن كل الأعمال والأنشطة التي لم تُبنَ على التوبة والإيمان، حتى تلك الأعمال الدينية التي تُمارس في المسيحية تُعتبر ميئةً إن لم تُبنَ على هذا الأساس. ويقول إشعياء بهذا المعنى:

كثوب عدَّة كل أعمال برِّنا (إشعياء ٦٤: ٦).

وفي ترجمة أخرى:

وأضحت جميع أعمال برّنا كثوبٍ قذر (كتاب الحياة).

فلا إشارة هنا إلى الخطية أو الشر. بل إلى تلك الأعمال المصنوعة باسم الدين والبرّ والأخلاق، فهي غير مقبولة عند الله إذا لم تؤسس على التوبة والإيمان، أكانت صلوات أو اجتماعات كنسية أو أي شكلٍ من أشكال المراسيم والطقوس الدينية، فهي ليست أكثر من مجرد "أعمال ميتة" أو "ثوبٍ قذر".

وهناك حقيقة أخرى بخصوص التوبة بالمفهوم الكتابي ينبغي تأكيدها، وهي أنّ التوبة الحقيقية تبدأ في الله وليس في الإنسان. إنّ مصدرها ليس إرادة الإنسان بل نعمة وسيادة الله المطلقة، فالإنسان - من دون نعمة الله وعمل روحه القدس - لا يستطيع أن يتوب. لذلك يصرخ كاتب المزامير من أجل الرجوع إلى الله قائلاً:

يا الله أرجعنا وأنر بوجهك فنخلص (مزمور ٨٠: ٣-٧).

والكلمة المترجمة هنا "أرجعنا" تعني حرفياً "اجعلنا نرجع عن طريقنا" وهي الكلمة التي يستخدمها إرميا في مراثي إرميا ٢١: ٥ عندما يقول:

ارددنا يا رب إليك فترتد.

فإذا لم يجذب الله الإنسان نحوه، لا يستطيع الإنسان بإرادته وحدها أن يرجع إلى الرب ويخلص. المبادرة الأولى يجب أن تكون من الله. اليس هذا ما يؤكد العهد الجديد على لسان المسيح؟

لا يقدر أحد أن يُقِيل إلي إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني

(يوحنا ٦: ٤٤).

والمرحلة العظمى في حياة كل إنسان تأتي في اللحظة التي يجذب بها الروح القدس الإنسان إلى التوبة، فإذا تجاوب مع الروح، قاده إلى الإيمان المخلص وإلى الحياة الأبدية، وإذا رفض الإنسان هذا الجذب الإلهي، يفارقه الروح، ويتركه ليندفع نحو القبر ونحو ظلمة لا تنتهي في أبدية بعيدة عن الله. فالكتاب يصرّح بأنه من الممكن

للإنسان أثناء حياته على الأرض أن يصل إلى حالةٍ لا يجد فيها مكاناً للتوبة، حالةٍ لا يعود فيها الروح القدس مستعداً لجذبه، وينتهي رجاؤه حتى قبل أن يدخل أبواب الأبدية. من المناسب الآن أن نختم هذه الدراسة بكلمات المسيح في لوقا ١٣: ٣، والتي تتكرر في العدد الخامس أيضاً:

إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون.

كان المسيح يتكلم عن رجالٍ ماتوا أثناء ممارسة طقس ديني، وهم جماعة من الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم. فبينما كانوا يقدّمون الذبائح في الهيكل، أعدموا بأمرٍ من الحاكم الروماني وسالت دماؤهم على أرض الهيكل لتختلط بذبائحهم. ويقول المسيح بأن هؤلاء الرجال قد هلكوا وذهبوا إلى أبديةٍ مظلمة، ولم تستطع ممارساتهم الدينية بتقديم الذبائح في الهيكل أن تُخلص نفوسهم، لأنها لم تؤسس على التوبة الحقيقية. وهذا ينطبق على الطقوس الدينية لكثيرٍ من المسيحيين اليوم، إذ لا تصلح هذه الأنشطة الدينية كبديلٍ عن التوبة الحقيقية، ومن دون التوبة، يقول المسيح:

جميعكم كذلك تهلكون (لوقا ١٣: ٣).

طبيعة الإيمان

توجد عدّة معانٍ للكلمة "إيمان" خارج الكتاب المقدس، لكن فيما يتعلّق بدراستنا هذه فلا داعي لأن نشغل أنفسنا بمثل هذه المعاني. حيث أنّ الكتاب يقَدِّم لنا جانبين مميزين بخصوص الإيمان:

أولاً: ينشأ الإيمان دائماً من خلال كلمة الله مباشرة.

ثانياً: يتعلّق الإيمان دائماً بكلمة الله مباشرة.

والمصطلح "الإيمان" هو من المصطلحات القليلة نسبياً التي نجد تعريفاً لها في الكتاب المقدس، حيث نقرأ في عبرانيين ١: ١١

وأما الإيمان فهو الثقة بما يُرجى والايقان بأُمورٍ لا تُرى.

ويمكن ترجمة هذا العدد كما يلي:

أما الإيمان فهو الثقة بأنّ ما نرجوه لا بدّ أن يتحقّق، والاعتناع بأنّ ما لا نراه موجود حقاً (كتاب الحياة).

الفرق بين الإيمان والرجاء

إنّ هذا العدد المهم في عبرانيين ١١ يوضّح عدة حقائق تختص بالإيمان، فهو يُشير أولاً إلى وجود تمييز بين الإيمان والرجاء. وهناك طريقتان يختلف فيهما الإيمان عن الرجاء:

١-الرجاء يختص بالمستقبل، أمّا الإيمان فإنه يؤسس في الحاضر. الرجاء

هو موقف توقع حدوث الأشياء، أمّا الإيمان فإنه ثقة فعلية محددة نمتلكها هنا والآن.

٢- الرجاء يركز في مجال العقل بينما يركز الإيمان في مجال القلب. هذا يظهر بوضوح عندما يصف بولس السلاح الروحي الذي يحتاج الجندي المسيحي إليه.

وأما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص (١ تسالونيكي ٨:٥).

لاحظ أننا نجد الإيمان والمحبة معاً في الدرع، أي على الصدر الذي هو موضع القلب، أمّا الرجاء فتصوره الخوذة التي توضع على الرأس حيث يوجد الذهن أو العقل. فالرجاء هو موقف فكري نتوقع فيه المستقبل، أمّا الإيمان فهو حالة قلبية توجد فينا شيئاً حقيقياً - هنا والآن - يمكن وصفه بالكلمة "ثقة". في رومية يربط بولس - مرة أخرى - بين الإيمان وبين القلب.

لأنّ القلب يؤمن به للبرّ [حرفياً: إلى (داخل) "into" البرّ]^١ والفم يُعترف به للخلاص (رومية ١٠: ١٠).

كثيرون من الناس يعترفون بايمانهم في المسيح وبالكتاب المقدس، لكن ايمانهم يتركز في جانب الذهن فقط. فهو قبول عقلي لحقائق أو عقائد معينة، وهذا ليس هو الإيمان الحقيقي بحسب مفهوم الكتاب، فهو لا يحقق تغييراً مهماً في أولئك الذين يعترفون به، لكن عندما يرتبط بالقلب يصبح الفعل "يؤمن" فعلاً عاملاً. لذلك يقول بولس: "الإيمان في القلب يؤدي إلى البر" (كتاب الحياة). أو "القلب يؤمن به (إلى داخل) البر" ليس مجرد ايمان بالبر (unto righteousness) ولكن إلى داخل البر (into righteousness) فالإيمان العقلي "بالبر" كمجرد نظرية أو مثل أعلى هو شيء.

١ حرف الجر المستخدم هنا في اليونانية "sie" ويترجم عادة [في (بمعنى داخل) أو الى (بمعنى داخل أيضاً)]. وبالانجليزية into (المؤلف).

بينما الإيمان القلبي الذي يجتاز "إلى داخل البر" أو يكون "في البر" هو شيء آخر يُحدث تغييراً في العادات وفي الشخصية، بل في الحياة بمجملها.

وفي كلمات المسيح، نجده غالباً ما يستخدم حرف الجر "في" بمعنى "إلى داخل"، بعد استخدامه للأفعال والتعبير الخاصة بالإيمان، معبراً بذلك عن وجود تغيير أو حركة. مثلاً يقول المسيح:

أنتم تؤمنون بالله (حرفياً: في الله) فأمنوا بي (حرفياً: فيّ)
(يوحنا ١٤: ١).

وهذا يُظهر أن الإيمان يرتبط بعملية تغيير وحركة، فليس كافياً أن نؤمن "بالمسيح" أي مجرد قبول عقلي لحقائق تتعلق بحياته أو تعاليمه، بل المطلوب أن نؤمن "في المسيح" ايماناً صادراً من القلب يحركنا خارج ذاتنا و "إلى داخل المسيح". ايماناً يخرجنا من خطيتنا إلى داخل بره، ومن ضعفنا إلى داخل قوته، ومن فشلنا إلى داخل نصرته، ومن محدوديتنا إلى داخل قدرته المطلقة. هذا الإيمان الكتابي في القلب يؤدي دائماً إلى التغيير. إنه الإيمان "في" المسيح و "في" البر، ونتيجته هي دائماً اختبار محدد يحدث هنا والآن وليس مجرد رجاء مستقبلي. لهذا السبب لا يستخدم يسوع صيغة المستقبل في كلامه في يوحنا ٦: ٤٧ حيث يقول:

الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي (فيّاً) فله حياة أبدية.

ليس "سيكون له حياة أبدية" بل "له حياة أبدية" الآن. فالحياة الأبدية التي يوفرها لنا الإيمان الكتابي في المسيح هي حياة تبدأ في المؤمن الآن وهنا على الأرض، وليست شيئاً نرجو الحصول عليه في العالم الآخر بعد الموت، بل إننا نمتلكها الآن ونتمتع بها الآن، إنها حقيقة ملموسة فينا.

بعض الناس يعتنقون أدياناً يأملون بأن تنفعهم بطريقة ما عندما يصلون إلى عتبة الأبدية. أمّا الإيمان الحقيقي المُعلن في الكتاب المقدس فإنه يمنح المؤمن أن يختبر وأن يتأكد - هنا والآن - من تمتعه بالحياة الأبدية في داخله، فيكون ايمانه

حقيقة جوهرية وحاضرةً فيه، ويمكّنه هذا الإيمان من امتلاك الرجاء النقي والثقة المؤكّدة بخصوص المستقبل، وهذا الرجاء المؤسس على ايمان ملموس يستطيع أن يجتاز امتحان الموت والأبدية، أمّا الرجاء الذي يفتقر لمثل هذا الإيمان فليس سوى رغبةٍ وأملٍ فارغين يندفعان نحو هلاكٍ وخيبة أمل مرّة.

الإيمان يرتكز كلياً على كلمة الله

فلنلقي الآن نظرة أخرى على تعريف الإيمان في عبرانيين ١:١١ ولنلاحظ حقيقة أخرى مهمة بخصوصه. الإيمان هو "الإيقان بأمرٍ لا ترى" أي القناعة المؤكدة بخصوص أشياء لا ترى. وهذا يدل على أن الإيمان يتعامل مع أمورٍ لا ترى، فهو غير مبني على القنوات التي تنشأ بسبب الحواس الطبيعية، بل على تلك التي تنشأ بسبب الحقائق الأبدية غير المرئية التي تعلنها كلمة الله. ويوضّح بولس هذا التباين بين مدركات الإيمان ومدركات الحواس فيقول:

لأننا بالإيمان نسلّك لا بالعيان (٢ كورنثوس ٥:٧).

ويميّز هنا بين "الإيمان" و"العيان". فالعيان (الرؤية باستخدام العين) - بالإضافة لاستخدام باقي الحواس الطبيعية - يتعلق بأمور العالم الطبيعي، بينما يتعلق الإيمان بالأمور التي تعلنها كلمة الله. تتعامل حواسنا مع أشياء مادية ووقتيّة متغيّرة، بينما يتعامل الإيمان مع حقائق معلنة عن الله، تتصف بأنها أبدية وغير مرئية، فإذا كنّا نمتلك أذهاناً جسدية، لن نتمكن من قبول إلا ما تقبله حواسنا. أمّا إذا تمتعنا بأذهانٍ روحية، فإنّ الإيمان يجعل ما تعلنه كلمة الله حقيقةً أكثر من أي شيء آخر تعلنه الحواس. فإذا ارتكز ايماننا على كلمة الله، يكون كل ما نختبره ونعاينه فيما بعد نتيجةً لما سبق وآمناً به. ففي الاختبار الروحي يأتي العيان بعد الإيمان وليس العكس. يقول داود:

أنا مؤمن بأن أرى جود الرب في أرض الأحياء
(مزمور ٢٧: ١٣ ت.ع.ج).

فداود لم يرَ أولاً، لكنه آمن أولاً ثم رأى. لاحظ أن اختبارهُ المتعلق بالإيمان لم يكن يختص بالحياة بعد الموت، بل بالحياة الآن وهنا في أرض الأحياء.

هذا الدرس نفسه نجده في الحديث الذي دار بين يسوع ومرثا عند قبر لعازر:

قال يسوع: ارفعوا الحجر، قالت له مرثا أخت الميت: يا سيد قد أنتن لأنَّ له أربعة أيام. قال لها يسوع: ألم أقل لك إن آمنْتَ ترين مجد الله؟ (يوحنا ١١: ٣٩-٤٠).

هنا يبين يسوع بأنَّ الإيمان يتعلق بالتصديق أولاً ثم بالرؤية وليس العكس، بينما نجد أنَّ معظم الناس ذوي الأذهان الجسدية يعكسون هذا الترتيب، فيقول أحدهم: "أومن عندما أرى فقط" وهذا غير صحيح، والواقع أننا حين نرى شيئاً ما، لا نعود بحاجة لأنْ نؤمن به، بل نحتاج إلى الإيمان فعلاً عندما لا نتمكن من الرؤية. هذا ما أكَّده بولس عن تباين طبيعتي الإيمان والعيان.

وكثيراً ما نجد تعارضاً ظاهرياً بين ما نشعر به بحواسنا وبين ما تعلنه كلمة الله، كأن نرى ونشعر بكل الأعراض التي تشير إلى مرضٍ في أجسادنا، مع أن الكتاب المقدس يعلن أنَّ يسوع "أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا" (متى ٨: ١٧) و "بجلدته شفيتُم" (١ بطرس ٢: ٢٤). إذاً هناك تعارض ظاهري حيث أنَّ حواسنا تخبرنا بوجود المرض بينما يعلن الكتاب المقدس بأننا شُفينا. هذا التعارض الذي يواجهنا بين شهادة الحواس وشهادة كلمة الله يضطرنا كمؤمنين للسلوك بحسب أحد خيارين: إمَّا أن نقبل شهادة حواسنا وبهذا نقبل المرض ونصبح عبيداً للذهن الجسدي، وإمَّا أن نتمسك بشهادة كلمة الله بأننا شُفينا، فإذا فعلنا هذا بايمان حقيقي فعلاً نجد أنَّ شهادة الحواس تتطابق فيما بعد مع شهادة الكلمة وعندها نستطيع أن نقول بأننا شُفينا، ليس بناءً على الإيمان بالكلمة فقط بل بناءً على الواقع الفعلي الذي تؤكدُه الحواس أيضاً.

وعلينا أن نؤكد مرة أخرى بأنَّ نوعية الإيمان الذي يُنتج مثل هذه النتائج هو الإيمان القلبي، علينا أن ندرك بأنَّ مجرد القبول العقلي لعبارة في الكتاب المقدس تختص بالشفاء والصحة، يفتقر إلى القوة التي تجعل هذه العبارة حية في الاختبار الحسي. إنَّ

كلمات بولس في أفسس ٨:٢ عن الإيمان المختص بالخلاص يمكن استخدامها أيضاً بخصوص الإيمان المتعلق بالشفاء:

لأنكم بالنعمة مخلصون (مشفيون)، بالإيمان، وذلك (الإيمان) ليس منكم. هو عطية الله.

فالإيمان الذي يحقق الشفاء هو عطية نعمة الله الفائقة، ولا يمكن تكوينه من خلال أي شكل من أشكال الرياضة العقلية أو الحيل النفسية. إنه الإيمان الذي يدركه الذهن الروحي فقط، والذي يظهر كحماسة بالنسبة للذهن الجسدي. فالذهن الجسدي يقبل شهادة الحواس في كل الظروف لذلك هو محكوم لها، أما الذهن الروحي فإنه يقبل شهادة كلمة الله على أنها ثابتة لا تتغير ومن ثم يقبل شهادة الحواس بقدر ما تتفق مع كلمة الله. ويلخص داود موقف الذهن الروحي من نحو شهادة كلمة الله قائلاً:

• لصقت بشهادتك،

يا رب لا تخزني (مزمور ١١٩: ٣١).

• منذ زمان عرفت من شهادتك،

أنك إلى الدهر أسستها (مزمور ١١٩: ١٥٢).

إنّ النموذج الكتابي لمثل هذا الإيمان موجودٌ في حياة إبراهيم (انظر رومية ٤: ١٧-٢١). يقول بولس بأنّ إيمان إبراهيم كان موجّهاً نحو الله...

...الذي يحيي الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة.

فحالما يعلن الله صحة شيء ما، يعتبر الإيمان ذلك الشيء صحيحاً حتى لو لم تدل الحواس على هذه الحقيقة. لذلك عندما دعا الله إبراهيم "أباً لأُمم كثيرة" اعتبر إبراهيم نفسه كذلك، رغم أنه لم يكن حتى ذلك الوقت قد أنجب ابناً واحداً. فلم ينتظر إبراهيم ليرى دليلاً ملموساً لعمله الله في جسده حتى يقبل صحة ما قاله الله، بل قبل ما قاله الله واعتبره صحيحاً، وبعد ذلك حدث الاختبار الملموس ليتطابق مع إعلان الله. يقول بولس بأنّ إبراهيم...

...على خلاف الرجاء، آمن على الرجاء (رومية ٤: ١٨).

والعبارة "آمن على الرجاء" تدل على تمتع إبراهيم - في ذلك الوقت - بالإيمان وبالرجاء معاً. الرجاء بما يختص بالمستقبل كان نتيجةً للإيمان في الحاضر،

وإذ لم يكن (إبراهيم) ضعيفاً في الإيمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتاً
إذ كان ابن نحو مئة سنة، ولا مماتية مستودع سارة (رومية ٤: ١٩).

أي: أن إبراهيم لم يتخل عن إيمانه...

...حين رأى أن بدنه مات وإن رجم امرأته سارة مات أيضاً (ت.ع.ج).

لقد رفض إبراهيم قبول شهادة حواسه التي تؤكد عدم قدرته أو قدرة زوجته على الإنجاب، لأن هذه الشهادة لم تتفق مع ما قاله الله، فمَنع أذنه عن الإصغاء لصوت الحواس ولم يُعره أي اعتبار،

ولا بعدم إيمان ارتاب (إبراهيم) في وعد الله بل تقوى بالإيمان
معطياً مجداً لله. وتيقن أن ما وعد به (الله) هو قادر أن يفعله أيضاً
(رومية ٤: ٢٠-٢١).

وهذا يبين بوضوح أن الهدف الذي كان إبراهيم قد وضعه نصب عينيه هو
وعد الرب. فالإيمان يُبنى على وعود وكلمات الله، وتقبل شهادة الحواس على قدر ما
تتوافق مع كلمة الله.

لقد تحدث بولس أولاً عن إبراهيم كونه "أباً لجميع الذين يؤمنون..." (ع ١١)
وفي العدد الذي يليه يتحدث عن الذين "يسلكون في خطوات إيمان أبينا إبراهيم..."
(ع ١٢). أي أن الإيمان الكتابي يتضمن السلوك على مثال إبراهيم وفي خطوات
إيمانه. وفي تحليلنا لطبيعة إيمان إبراهيم وجدنا فيه الخطوات أو المراحل المتتابعة
التالية:

١- قَبْلَ إبراهيم وعد الله واعتبره صادقاً منذ اللحظة التي تكلم الله فيها.

- ٢- رفض إبراهيم شهادة حواسه بقدر ما كانت تتعارض مع ما قاله الله.
 ٣- تمسك إبراهيم بما وعده به الله وبعد ذلك جاء الاختبار الملموس وشهادة الحواس تطابقت مع وعد الله.

وينظر الكثيرون إلى هذا الموقف الذي يقبل صحة كلمة الله من دون اعتبار لشهادة الحواس، على أنه مجرد حماقة وتعصب. غير أنه من الجدير بالملاحظة أنَّ فلاسفةً وعلماءَ نفسٍ من خلفياتٍ وعصورٍ مختلفةٍ قد اتفقوا على أنَّ شهادة الحواس الطبيعية متذبذبة، بل أنها ليست موضوعية وغير جديرة بالثقة أو بالاعتماد. وفي الوقت نفسه عجز الفلاسفة وعلماء النفس عن إيجاد معايير صحيحة للحقيقة يمكن الحكم بواسطتها على معطيات الحواس المشكوك بمصداقيتها، لكنهم داوموا - عبر القرون - على ترديد صدى السؤال الذي طرحه بيلاطس بينما كان يجلس في دار الولاية: "ما هو الحق؟" والذي يعرف المؤمن المسيحي أنَّ جوابه موجودٌ في كلمات المسيح التي وجهها للآب قائلاً:

كلامك هو حق (يوحنا ١٧: ١٧).

إنَّ المعيار الثابت الأسمى للحقيقة وللحق يكمن في كلمة الله. والإيمان يتضمن سماع وتصديق وتطبيق هذا الحق.

وما دمنا نتحدث فيما يخص الإيمان وعلاقته بحواسنا الطبيعية، أجد من الضروري أن نحدد تمييزاً واضحاً بين الإيمان الكتابي الحقيقي من جهة وبين تعاليم مثل ما يدعى زوراً "العلم المسيحي - Christian Science" ٢ من جهة أخرى. ويمكن التعبير عن هذا الفرق في نقطتين:

أولاً: هذا النوع من التعاليم يميل إلى تضخيم وتعظيم شأن العنصر البشري المجرد كالعقل والمنطق وقوة الإرادة، لذلك فإنها تعاليم تشير إلى مركزية الإنسان،

٢ بدعة يدَّعي أصحابها إمكانية التخلص من المرض والموت والخطية بامتلاك "الإعلان النهائي للمبدأ الإلهي المطلق المختص بالشفاء الذهني والعلمي" على حد تعبيرهم. "الشر والخطية لا وجود لهما وبالتالي فإن موت المسيح لا يطهر"، هذا ما تقولهُ المؤسَّسة ماري بيكر (Mary Baker).

بينما يؤكد الإيمان الكتابي الحقيقي على مركزية الله، فيقلّ من شأن ما هو بشري بالمقارنة مع حق وعظمة وقوة الله.

ثانياً: مثل هذه التعاليم ليست مؤسسة كلياً على كلمة الله ولا حتى كمصدرٍ من المصادر الأساسية المعتمدة، لذلك فإنّ كثيراً من الأمور التي تؤكد عليها هذه التعاليم، وتسعى لتحقيقها من خلال تدريب الإرادة البشرية، لا تتلائم مع تعليم كلمة الله، بل تعارضها، بينما يلتزم الإيمان الكتابي بحدود كلمة الله.

نحتاج أيضاً أن نميز بين الإيمان وبين الافتراض أو الحدس (presumption). فالحدس يحتوي على عنصر الكبرياء البشري وعلى تمجيد الذات حتى عندما يتقنّع بالمصطلحات الروحية، بينما يعتمد الإيمان كلياً على الله، وانجازاته تمجد الله دائماً ولا تسلب المبادرة منه.

وذلك يعيدنا إلى كلمات بولس: "وذلك (الإيمان) ليس منكم. هو عطية الله، ليس من أعمالٍ كي لا يفتخر أحد" (أفسس ٢: ٨-٩). وهو الموقف الذي يلخّصه يوحنا المعمدان قائلاً:

لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أُعطي من السماء
(يوحنا ٣: ٢٧).

وأخيراً أقول ببساطة: الإيمان يُقبل، أمّا الحدس فإنه يُغتصب.

الاعتراف: التعبير عن الإيمان

نأتي الآن إلى جزءٍ مهم آخر يتعلق بالإيمان الكتابي. لقد سبق وأشرنا إلى كلمات بولس في رومية ١٠: ١٠:

والقلب يؤمن به للبر.

وفي المقطع الثاني من هذا العدد يضيف بولس:

...والفم يُعترفُ به للخلاص.

ويبين بولس هنا الارتباط المباشر بين الإيمان في القلب والاعتراف بالفم. هذا الارتباط بين القلب والفم هو من المبادئ الأساسية العظيمة في الكتاب. يقول المسيح:

فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم (متى ١٢: ٣٤).

ونستطيع أن نضع ذلك بتعابير مختلفة كأن نقول: "عندما يمتليء القلب فإنه يفيض من خلال الفم" وعبرة "فيض القلب" هي المستخدمة في الترجمة العربية الجديدة، وهذا يعني أنه عندما تمتليء قلوبنا بالإيمان في المسيح فإنَّ هذا الإيمان يعبر عن نفسه بطريقة مناسبة من خلال الاعتراف بالمسيح صراحةً بأفواهنا. أمَّا الإيمان الذي يتراجع بصمتٍ ومن دون اعترافٍ صريح، فهو إيمان ناقص لن يحقق النتائج والبركات المرجوة منه. يقول بولس عن هذه العلاقة بين الإيمان والكلام:

فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب: آمنت لذلك تكلمت. نحن أيضاً نؤمن ولذلك نتكلم أيضاً (٢ كورنثوس ٤: ١٣).

لاحظ الترابط المنطقي المشار إليه بالكلمة "لذلك". يتحدث هنا بولس عن "روح الإيمان"، فبينما يصمت الإيمان الذهني المجرد، ينبغي أن يتكلم الإيمان الروحي الذي يسكن روح الإنسان وقلبه، ينبغي لهذا الإيمان أن يُعبر عنه بالاعتراف بالفم.

ويمكن استنتاج هذه الحقيقة منطقياً من المعنى الأصلي للكلمة "اعتراف". إنَّ الكلمة اليونانية "homologia" التي تترجم "اعتراف" تعني حرفياً "أن تقول نفس ما...". أي أنَّ الكلمة "اعتراف" بالنسبة للمؤمن تعني: "أن نقول بأفواهنا ما قاله الله في كلمته" وباختصار أكثر: "أن يتفق ما نقوله مع كلمة الله".

فالاعتراف - على هذا الأساس - هو التعبير الطبيعي عن الإيمان القلبي، فنحن نصدّق في قلوبنا ما قاله الله في كلمته، هذا هو الإيمان، ثم نقول بأفواهنا - بلا تكلف - ما سبق وأمنّا به في قلوبنا، فهذا هو الاعتراف. وكلاهما (الإيمان والاعتراف) يرتكزان على القاعدة نفسها، التي هي حق كلمة الله.

المزيد من التأكيد على أهمية ارتباط الاعتراف بالإيمان نجده في ظهور المسيح في الرسالة إلى العبرانيين على أنه "رسول اعترافنا ورئيس كهنته" (عبرانيين ٣: ١). هذا يشير إلى أن المسيح يعمل في السماء كشفيّ وكممثّل عنا في كل ما يتعلّق بحق كلمة الله الذي نعترف به بفمنا. وحينما نفشل بالاعتراف بايماننا على الأرض، فإننا لا نعطي الفرصة للمسيح ليعمل كبديلٍ عنا في السماء. فسكوتنا على الأرض يُسكت شفيعنا في السماء. وحدود عمل المسيح كرئيس كهنة اعترافنا في السماء، مرهونة بحدود اعترافنا على الأرض.

وأخيراً نلخص النواحي الرئيسة المتعلقة بالإيمان كما تمّ تعريفه ووصفه في الكتاب المقدس:

- الإيمان الكتابي هو حالة القلب وليس حالة الذهن.
- الإيمان حاصلٌ في الحاضر وليس في المستقبل.
- يُنتج الإيمان تغييراً إيجابياً في سلوكنا وفي اختبارنا.
- يركز الإيمان كلياً على كلمة الله، وتقبل شهادة الحواس بقدر ما تتوافق مع شهادة الكلمة.
- يعبّر عن الإيمان الحقيقي بالاعتراف بالفم.

تفرّد الإيمان

لقد سبق ودرسنا تعريف الإيمان في عبرانيين ١: ١١. ويسترسل الكاتب بعد هذا التعريف ليصف الدور الذي يلعبه الإيمان في تقرب الإنسان من الله:

ولكن بدون ايمان لا يمكن إرضاؤه، لأنه ينبغي أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه (عبرانيين ٦: ١١).

لاحظ العبارتين: "بدون ايمان لا يمكن إرضاؤه" و "ينبغي أن الذي يأتي إلى الله يؤمن..."، فالإيمان شرط لا غنى عنه للاقتراب من الله ولإرضائه. من جانب آخر، نجد المفهوم المكمل لهذا في رومية ١٤: ٢٣ حيث يقول بولس: "وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية." وهذا يعني أن أي عمل يقوم به الإنسان في أي وقت، يعتبره الله عملاً خاطئاً، إن لم يكن مبنياً على الإيمان. وهذا يتضمن الأعمال الدينية كحضور اجتماعات الكنيسة والصلاة والترنيم وأعمال الإحسان. فإن لم تكن هذه مبنية على الإيمان المخلص بالله، لن تقبل بأي حال من الأحوال. فهي تعتبر أعمالاً ميتة، إلا إذا تأسست على توبة حقيقية، وكان الإيمان هو دافعها.

أساس حياة كل بار

ربما تكون العبارة الموجودة في حبقوق ٢: ٤ هي العبارة الأكثر شمولاً فيما يختص بالعلاقة بين البرّ والإيمان:

والبار بايمانه يحيا.

وقد اقتُبست هذه العبارة ثلاث مرات في العهد الجديد، في كل من: رومية ١: ١٧ و

غلاطية ١١:٣ وعبرانيين ٣٨:١٠. وما أصعب أن نبتكر عبارة بهذا القصر وهذه البساطة، ولها - في الوقت نفسه - هذا التأثير العظيم على تاريخ الجنس البشري! فمع أنها مكوّنة من ثلاث كلمات فقط، إلا أنها تتضمن السلطان الكتابي الأساسي لرسالة الانجيل التي أعلنتها الكنيسة الأولى من خلال أقلية محتقرة، فكان لهذه الرسالة أن تغير مجرى التاريخ. وخلال ثلاثة قرون، استطاعت أن تصمد أمام اضطهادات قياصرة روما، ووقفت هذه الرسالة شامخةً عبر القرون، بينما سقطت الإمبراطورية الرومانية التي كانت أقوى وأوسع وأبقى إمبراطورية عرفها التاريخ. وبعد ذلك بحوالي اثني عشر قرناً، وبقوة الروح القدس، عملت هذه العبارة نفسها في ذهن وقلب مارتن لوثر (Martin Luther)، لتكون بمثابة النور الذي غزا ظلمة الكنيسة في العصور الوسطى، وتغيّر ثانية مجرى التاريخ من خلال حركة الإصلاح التي نشأت أولاً في أوروبا ثم شملت العالم أجمع.

ولا شك بأنّ هذه العبارة البسيطة: "البار بايمانه يحيا"، ما زالت إلى الآن مشبعة بالقوة التي تفجّر ثورة التغيير في حياة كل من يدركها ويعيشها. ليس على مستوى الأفراد فحسب، بل على مستوى الأمم والممالك أيضاً.

وبالرغم من قصر العبارة "البار بايمانه يحيا" إلا أنّ مجال الرؤية فيها شاسع جداً. فالكلمة "يحيا" تشمل كل فعل أو حالة يمكن تصورها في الحياة، وتشمل كل نواحي التجربة والشخصية الإنسانية في كل المجالات الممكنة، الروحية منها والعقلية والمادية. وتشمل أيضاً أوسع مجال ممكن للنشاط الحيوي، كالتنفس والتفكير والكلام والأكل والنوم والعمل الخ...، فكل من يقبله الله ويمنحه امتياز البر، عليه أن يمارس كل أنشطة الحياة بدافع مبدأ الإيمان، وتحت قيادته. هذا ما يقوله لنا الكتاب المقدس.

وهنا يطبق بولس هذا المبدأ العظيم على عملية مألوفة وهي الأكل، فيقول:

وأما الذي يرتاب فإن أكل يُدان لأنّ ذلك ليس من الإيمان. وكل ما ليس

من الإيمان فهو خطية (رومية ١٤: ٢٣).

ففي حياة البرّ، التي لا يقبل الله بما هو أقلّ منها، ينبغي أن تنبغ أيسط الأعمال المألوفة -كأكل الطعام مثلاً - من الإيمان، فما الذي يعنيه عملياً الأكل الذي من الإيمان؟

أولاً: هذا يعني أننا نعتزف بأنّ الله هو الذي أعطانا الطعام الذي نأكله. إنّ هذه العطية لأجسادنا هي مثال على المبدأ الذي نجده في يعقوب ١: ١٦-١٧:

لا تضلّوا يا إخوتي الاحباء، كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق، نازلة من عند أبي الأنوار، الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران.

وهي تتميم للوعد الذي في فيلبي ٤: ١٩:

فيملاً الهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع.

ثانياً: بما أننا نعتزف أنّ الطعام هو عطية الله، فإننا نتمهل تلقائياً قبل أن نبدأ بالأكل لكي نقدم الشكر للرب على ما قدمه لنا، وبهذا نطيع الوصية التي في كولوسي ٣: ١٧:

وكل ما عملتم بقول أو فعل، فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به.

وبهذا أيضاً نتأكد من أنّ الله قد بارك الطعام لنحصل على أكبر قدر من التغذية والفائدة. ويقول بولس بهذا الصدد:

لأنّ كل خليفة الله جيدة ولا يُرفض شيء إذا أخذ مع الشكر لأنه يُقدّس بكلمة الله والصلاة (١ تيموثاوس ٤: ٤-٥).

إذاً فبالإيمان والصلاة يُقدّس ويُبارك الطعام الذي نأكله.

ثالثاً: الأكل يكون من الإيمان باعترافنا بأنّ القوة والصحة التي نتمتع فيهما بسبب الطعام هما من الله، لذلك ينبغي استخدام هذه القوة في خدمته ولمجده، ولكن الجسد ليس للزنا (ليس لأي استخدام نجس أو أحمق أو مؤذي) بل للرب. والرب للجسد (١ كورنثوس ٦: ١٣).

فيما أنّ أجسادنا صارت للرب بالإيمان وبالحياة المقدسة، فإنّ مسؤولية حفظها والعناية بها هي مسؤولية الرب أيضاً. ولنا كل الحق بأن نتوقع استجابة صلاة بولس:

ولتُحفظ روحيكم ونفسكم وجسديكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح (١ تسالونيكي ٥: ٢٣).

كل هذه المعاني وغيرها هي تطبيق وتحقيق لمبدأ "البار بايمانه يحيا" في مجال الطعام فقط. ونضطر بعد تحليل معنى "الأكل...من الإيمان" أن نستنتج بأنّ الغالبية العظمى من الناس، حتى ممن يعتبرون أنفسهم مؤمنين، لا يأكلون من ايمان، أي بالإيمان. إنهم لا يعيرون الله أي اهتمام، لا عند الحصول على عطية الطعام ولا عند إعداد واستهلاكه اليومي. ولا شك بأنّ هذا من الأسباب الرئيسة للإصابة بأمراض عسر الهضم والقرحة والأورام الخبيثة وأمراض القلب وغيرها. لقد تمتع العالم الغربي بوفرة لم يسبق لها مثيل من المال والطعام، إلا أنّ أعداداً هائلة من الناس هناك يسيئون استخدام هذه الوفرة مما يعود عليهم بالحسرة والألم، ذلك لأنهم أبعدوا الله خارج حياتهم بسبب اللامبالاة وعدم الإيمان. ويقدم لنا سليمان صورة لذلك الإنسان الجسدي الشهواني الذي لا يعطي الله مكاناً في حياته اليومية:

يأكل كل أيامه في الظلام،

ويغتم كثيراً مع حزن وغيظ (جامعة ٥: ١٧).

وما زالت هذه الصورة صحيحة اليوم كما في أيام سليمان، فإن نأكل "ليس من الإيمان" يعني أن نأكل "في الظلام" والنتائج التلقائية لذلك هي: الغم والحزن والغيظ.

هناك أيضا عمل آخر بسيط، يمكن لمبدأ الإيمان أن يكون ذا تأثير حاسم فيه، ألا وهو النوم. يقول كاتب المزمور:

باطل هو لكم أن تُبَكِّروا إلى القيام،
مؤخرين الجلوس،
آكلين خبز الأتعاب،

لكنه يعطي حبيبه نوما (مزمور ١٢٧: ٢).

فبسبب سعي الإنسان الدائب والمستمر وراء الثروة والمتعة، يفقد الملايين اليوم قدرتهم على التمتع بالطعام أو بالنوم. فمن يستطيع أن يُحصي ملايين المهدئات وأقراص الهضم والأقراص المنومة التي تُستهلك كل يوم في العالم، وبفاعلية قليلة؟ أمّا لأولاد الله، فإنَّ النوم يأتي كهدية حب إلهية، وكعطية من عطايا رحمته اليومية، فهو "يعطي حبيبه نوما".

قال أحدهم: " تستطيع أن تشتري بنقودك الدواء والسريّر، لكنك لا تستطيع أن تشتري الصحة أو النوم." إنَّ استبعاد الله من حياتنا ليس مكلفا فحسب، بل هو مؤذٍ لأجسادنا أيضا. أمّا صاحب المزامير داود فرغم ما جاز به من المشاكل والمخاطر المتعددة، إلّا أنَّ إيمانه بالله في وسط كل هذه الصعوبات ثبَّتَه وحافظ عليه، وأعطاه أن يتمتع بنوم لذيق وهادئ. أصغ له وهو يقدم شهادته الخاصة عن عمل الصلاة والإيمان في حياته قائلاً:

• بصوتي إلى الرب أصرخ،

فيجيبني من جبل قدسه.

أنا اضطجعت ونمت

استيقضت لأنَّ الرب يعضدني (مزمور ٤: ٥).

• بسلامة اضطجع بل أيضاً أنام،

لأنك أنت يا رب منفرداً

في طمأنينة تسكنني (مزمور ٤: ٨).

إنَّ هذه الطمأنينة المباركة، وهذا النوم الهادئ في نهاية كل يوم، ما زال ممكناً لكل من يلجأ إلى عطايا رحمة الله ومحبته، والتي تتضمنها العبارة البسيطة: "البار بايمانه يحيا". والسؤال الذي قد يطرحه القاريء الآن: "أنت تتحدث عن أفعال بسيطة مألوفة كالأكل والنوم وعن دور الإيمان فيهما، لكنَّ مشاكل عالمتنا الحديث أعظم وأكثر تعقيداً من الأكل والنوم. فما هو الحل الذي يقدمه الإيمان اليوم لمشاكلنا الوطنية والعالمية العظيمة؟" وهذا صحيح بلا شك، فنحن نواجه مشاكل ضخمة ومعقدة في كل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وعلينا أن نعترف بذلك. ولكن لتتقدم خطوة أخرى في إظهار الحقيقة، وهي أنه لا يوجد عقل بشري أو حكمة إنسانية تستطيع الإلمام بكل هذه المشاكل بمجملها، فكيف باكتشاف الحلول لها جميعاً! إنَّ الاعتماد على حكمة الإنسان المجردة لابتكار الحلول سينتهي إلى اليأس والقنوط. أمَّا الإيمان فهو مرتبط دائماً بالتواضع. إنه يجعل الإنسان يعترف بمحدوديته، ويجعله يميز بين تلك الأشياء التي في متناول يده، وتلك التي في متناول يد الله فقط.

قال أحدهم في وصف دور الإنسان ودور الله في حياة الإيمان: "اعمل أنت الأمور البسيطة، وسيعمل الله الأمور المعقدة. اعمل الأشياء الممكنة، وسيعمل الله الأشياء المستحيلة." إنَّ خطة الله البسيطة للحياة، والملخصة بهذه العبارة: "البار بايمانه يحيا"، ما زالت صحيحة اليوم أيضاً. فليعمل الإنسان ما ينبغي أن يعمل، وليسعى بالإيمان والطاعة ليحصل على قيادة الله وبركته في الأمور اليومية البسيطة في حياته، وفي علاقاته الطبيعية في البيت وفي المجتمع، فسيصل إلى تحقيق الراحة والتحرير من التوتر والانقباض والانهيار الجسدي والعقلي والأخلاقي، الأمور التي تشكّل ملامح الحياة العصرية. أمَّا بالنسبة لتلك الجوانب الهائلة، التي تتجاوز مجال استيعاب وسيطرة الإنسان، فسيتحرك الله متجاوباً مع إيمان البشر، وسيطر على شؤون الأمم بطريقة سندهدسنا بفاعليتها.

إنَّ هذا المبدأ البسيط: "البار بايمانه يحيا" والذي غيّر مجرى التاريخ مرتين، ما زال مفعماً بالقوة التي تقلب موازين الحياة، وتُغيّر مصائر الأمم التي تطبّقه في هذا

العصر. ما زال هذا المبدأ هو جواب الله لمشاكل الإنسانية، وعطية الله لاحتياجاتها. فمن ضمن كل إمكانياته وقدراته ، هناك قدرة واحدة يستطيع الإنسان من خلالها أن يحل كل المشاكل التي تواجهه اليوم، وهي قدرته على أن يؤمن بالله. إنها قدرة تفوق أعظم الانجازات المادية والعلمية على الإطلاق. ولاستيعاب حجم القدرات الكامنة في إيمان الإنسان بالله، دعونا نعود إلى عبارتين قالهما الرب يسوع المسيح أثناء خدمته على الأرض:

- فنظر إليهم يسوع وقال لهم: هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع (متى ١٩: ٢٦).
- فقال له يسوع: إن كنت تستطيع أن تؤمن، كل شيء مستطاع للمؤمن (مرقس ٩: ٢٣).

هذا يعني أن قدرات الله تصبح في متناولنا عندما نؤمن، فالإيمان هو القناة الوحيدة التي تجعل قدرة الله الفريدة في متناول يد الإنسان. ولا حد لهذه القدرة!

الحصول على كل مواعيد الله

تحدثنا حتى الآن عن اختبار الإيمان في قلب الإنسان، الذي يقلب موازين السلوك، ويقدم مبدأً يمكنه أن يوجّه مسار حياة البشر بمجملها. لكن من المهم جداً أن نضيف، بأن الإيمان ليس مجرد شيء ذاتي خاص ينشأ في قلب كل مؤمن، بل هو أكثر من ذلك. فهو مبني على حقائق موضوعية محددة، فما هي هذه الحقائق؟ من الممكن أن نقدم إجابة موسّعة جداً عن هذا السؤال، ومن الممكن أيضاً أن نختصر إجابتنا في حدود ضيقة نوعاً ما.

أمّا الإجابة الواسعة فهي أن الإيمان مبني على الكتاب المقدس بأسره، على كل عبارة وعلى كل وعد. فالإيمان ينتج عن سماع كلمة الله وهو لذلك مبني على كل ما تحتويه هذه الكلمة، وبالنسبة للمؤمن المسيحي لا يوجد في عبارات ومواعيد الله ما

هو خارج نطاق الإيمان. هذا ما يوضحه بولس عندما يقول:

لأن مهما كانت مواعيد الله فهو (المسيح) فيه النعم والأمين لمجد الله بواسطتنا (٢ كورنثوس ١: ٢٠).

والى جانب هذا نستطيع أن نضع رومية ٨: ٣٢:

الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟!

أي أن كل ما يمتلكه الله، كل بركاته ووعوده، متوفر لكل من يؤمن بموت المسيح الكفاري وبقيامته. لكننا نجد اليوم ميلاً لتفسير الكتاب المقدس حسب مجموعة من أنظمة التوزيع، بحيث يحصل المؤمن على حصة فقط من بركات الله ووعده. وحسب نظام التفسير هذا فإن الكثير من الوعود الإلهية والبركات تنسب إما إلى عصور الماضي كالعهد الموسوي، أو إلى كنيسة الرسل الأوائل، أو إلى عصور مستقبلية كالمُلْك الألفي وانقضاء الأزمنة. وهذا كله لا يتوافق - على أية حال - مع كلمات بولس في ٢ كورنثوس ١: ٢٠ والتي سنشرحها كما يلي:

لأن مهما كانت مواعيد الله (كل المواعيد مهما كانت وليس بعضها) فهو فيه (المسيح، فيه الآن وليس في الماضي أو المستقبل فقط) النعم وفيه الأمين (ليس النعم فقط بل الأمين أيضاً لتأكيد مضاعف) لمجد الله بواسطتنا (وليس بواسطة جماعات متنوعة تنتمي إلى عصور مختلفة، لكن بواسطتنا نحن الذين نقبل هذه الوعود اليوم).

والنص يوضح أن الضمير المتصل في الكلمة "بواسطتنا" يشمل كل المؤمنين الحقيقيين. ولا توجد ناحية أو احتياج في حياة أي مؤمن خارج نطاق مواعيد الله.

فيماً إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع (فيلبي ٤: ١٩).

فكلما ظهرت حاجة في حياة المؤمن، هناك ثلاث خطوات عليه اتباعها:

- ١- أن يطلب من الروح القدس أن يوجهه إلى الوعد أو الوعود التي تنطبق على حالته وتسدُّ احتياجه.
- ٢- أن ينفذ عملياً الشروط المتعلقة بهذه الوعود بكل طاعة.
- ٣- أن يتوقع بثقة تحقيق هذه الوعود في حياته.

هذا هو الإيمان العامل، وإيمان كهذا هو "الغلبة التي تغلب العالم" (١ يوحنا ٥: ٤). إنَّ سر الانتصار والغلبة يكمن في اكتشاف وتطبيق مواعيد كلمة الله. هذه الحقيقة يؤكدُها بطرس بقوة عندما يقول:

كما أنَّ قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي (المسيح) دعانا بالمجد والفضيلة اللذين بهما (المجد والفضيلة) قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة (٢ بطرس ١: ٣-٤).

حيث يتفق بطرس تماماً مع ما قاله بولس، إذ يقول بأنَّ الله قد وهب لنا الآن كل ما نحتاج إليه في الحياة والتقوى، وأنَّ هذه الهبة متوفرة لنا في مواعيد الله من خلال المسيح. لقد أحضر الله شعبه في العهد القديم إلى الأرض الموعودة تحت قيادة يشوع، والآن يحضر الله شعبه إلى أرض المواعيد، تحت قيادة يسوع. إنَّ هذا التشابه يصبح أكثر دقة إذا عرفنا أنَّ "يسوع" و "يشوع" هما شكلان لاسم واحد. لقد أعلن الله ليشوع شخصياً ذلك المبدأ الفعَّال لامتلاك الإيمان عندما قال له:

كل موضعٍ تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته (يشوع ١: ٣).

يمكن رؤية هذا المبدأ في العهد الجديد، وكأنَّ الرب يقول: "كل وعدٍ تمتلكه شخصياً، لك أعطيته." ولا بدَّ هنا من إضافة كلمة تحذيرٍ بأنَّ الغالبية العظمى من مواعيد الله في العهدين القديم والجديد هي مواعيد مشروطة، فكل وعد يرتبط بشرط ينبغي تحقيقه قبل تحقيق الوعد. مثلاً:

سَلِّمَ للرب طريقك،

واتكل عليه،

وهو يُجري (مزمور ٥: ٣٧).

الوعد هنا "وهو يُجري" أو "وهو يدبّر" (ت.ع.ج) أو "فيتولى أمرك" (كتاب الحياة). وهناك شرطان يسبقان هذا الوعد هما: "سَلِّمَ للرب طريقك" و "اتكل عليه". فالكلمة "سَلِّمَ" تشير إلى فعل محدد، بينما تشير الكلمة "اتكل" إلى استمرارية الموقف. فيمكن فهم الشرطين المتصلين بالوعد كما يلي:

١- اعمل فعلاً محدداً واحداً (وهو هنا التسليم).

٢- حافظ على موقف ثابت بعد ذلك (هو هنا موقف الاتكال المستمر).

عندما يتحقق هذان الشرطان، يستطيع المؤمن أن يطالب بتحقيق الوعد الذي يليهما: "وهو يُجري" بالطريقة التي تناسب ظرف ذلك المؤمن.

إنَّ امتلاك الإيمان هو مفتاح الحياة الغالبة للمؤمن، وينبغي أن يتأسس الإيمان على مواعيد الله وحسب الخطوات التالية:

١- اكتشاف الوعد المناسب

٢- تحقيق الشروط المرتبطة بالوعد

٣- المطالبة بتحقيق الوعد

بناءً على هذه الخطوات، يكون مجال الإيمان واسعاً بقدر اتساع وعود الله نفسها.

الإيمان والخلاص

تعرضنا فيما سبق إلى موضوع الإيمان بعمومية وشمول من جهة ارتباطه بمواعيد وأقوال الله في الكتاب المقدس. أمّا موضوعنا الآن فيتعلّق بجانب خاص من رسالة الكتاب له أهمية عظيمة لأنه يقرر المصير الأبدي لكل نفس بشرية، هذا الجانب هو "الإنجيل" الذي يعلن طريق الخلاص من الخطية ونتائجها.

كثيراً ما يعتقد الناس أنّ "الإنجيل" هو رسالة ذات طبيعة عاطفية مبهمة لا يمكن فهمها بطريقة عقلانية. ونجد حتى في طريقة الكرازة بالإنجيل الكثير من التأكيد على التجارب العاطفي مما يعطي انطباعاً خاطئاً بأنّ الخلاص بأكمله عبارة عن اختبار عاطفي، وهذا مفهوم مُضللّ وغير صحيح. فرسالة الإنجيل الحقيقية كما نجدها في الكتاب المقدس تحتوي على حقائق محددة. والخلاص يتضمن معرفة هذه الحقائق والإيمان بها والسلوك بموجبها.

حقائق الإنجيل الأساسية

ما هي هذه الحقائق التي تشكل الإنجيل؟ للإجابة عن هذا السؤال سنلجأ إلى مقطعين من كتابات بولس هما رومية ٤: ٢٤-٢٥ و ١ كورنثوس ١٥: ١-٤.

في رومية ٤ لم يحل بولس النواحي الأساسية لإيمان إبراهيم ويضع ذلك الإيمان كمثال ينبغي أن يتبعه كل المؤمنين. ويشير بولس - مستنداً على العهد القديم - إلى أنّ إبراهيم لم يتبرر أمام الله بأعماله، بل بإيمانه. ثم نقرأ في الأعداد ٢٣-٢٥ كيف يُعمّم بولس هذا المثال علينا مباشرة كمؤمنين في المسيح، فيقول:

ولكن لم يُكتب من أجله (إبراهيم) وحده أنه حُسب له (البر)، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيحسب لنا، الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات. الذي أسلم من أجل خطيانا وأقيم لأجل تبريرنا.

فالإنجيل يشتمل على ثلاث حقائق محددة حسب ما قرأناه، هي:

- ١- يسوع أسلم من أجل خطيانا.
- ٢- أقام الله يسوع من أجل تبريرنا.
- ٣- إذا آمنا بحقيقة معنى موت وقيامة يسوع لأجلنا، سنُبرَّر (أي سيقبلنا الله كأبرار).

وفي ١ كورنثوس ١٥: ١-٤ يذكر بولس مؤمني كورنثوس برسالة الإنجيل التي بشرهم بها والتي بها أيضاً نالوا الخلاص، ومرة أخرى يضع بولس أمامهم الحقائق الأساسية لهذه الرسالة قائلاً:

وأعرفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه، وتقومون فيه، وبه أيضاً تخلصون، إن كنتم تذكرون أي كلام بشرتكم به إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً. فإنني سلّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطيانا حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب (١ كورنثوس ١٥: ١-٤).

نرى هنا مرة أخرى أن الإنجيل يشتمل على ثلاث حقائق محددة:

- ١- مات المسيح لأجل خطيانا.
- ٢- دُفن.
- ٣- قام في اليوم الثالث.

يؤكد بولس أيضاً على أن الشهادة الأولى والأكثر سلطاناً عن هذه الحقائق هي ليست شهادة أولئك الذين عاينوا موت وقيامة المسيح، بل هي شهادة كتب العهد القديم

التي صوّرت هذه الحقائق نبوياً قبل حدوثها بمئات السنين، أمّا شهادة شهود العيان المعاصرين فقد ذكرت لاحقاً كتدعيم لما سبق وأعلنته كتب العهد القديم. فإذا وضعنا هذين المقطعين من رسائل بولس جنباً إلى جنب (رومية ٤: ٢٤-٢٥، ١ كورنثوس ١٥: ١-٤) نستطيع أن نحدد الحقائق الأساسية التي يشتمل عليها الإنجيل.

التجاوب البسيط لنيل الخلاص

اسمحوا لي أن أكرر ثانية أنّ هناك فرقاً أساسياً بين الإيمان الذهني الذي لا يتعدى كونه قبولاً عقلياً لحقائق الإنجيل، وبين الإيمان القلبي الذي يؤدي إلى تجاوب ايجابي مع هذه الحقائق. ويؤكد العهد الجديد بأكمله بأنّ اختبار الخلاص يتحقق في الإنسان بناءً على هذا التجاوب الشخصي مع الإنجيل فقط. وهناك كلمات متنوعة ومختلفة يستخدمها العهد الجديد لوصف التجاوب الشخصي مع الإنجيل، وتلتقي كل هذه الكلمات حول نقطة أساسية واحدة وهي أنها كلها تشير إلى نشاط بسيط ومألوف يستطيع أي شخص أن يفهمه وأن يقوم به. على سبيل المثال يشرح بولس بأنّ الخلاص يأتي بسبب الإيمان بالقلب والاعتراف بالفم بحقائق الإنجيل (أنظر رومية ١٠: ٨-٩) ويختتم بولس توضيحه هذا لطريق الخلاص بقوله:

لأنّ كل من يدعوا باسم الرب يخلص (رومية ١٠: ١٣).

وهنا نجد الفعل البسيط الذي نحصل على اختبار الخلاص بواسطته وهو أن ندعوا باسم الرب، أي أن نطلب الخلاص من الله باسم الرب يسوع المسيح.

في متى ٢٨: ١١ يستخدم المسيح الكلمة "تعال" البسيطة ليصف التجاوب الذي تتطلبه رسالة الإنجيل، فيقول:

تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم.

ويضيف المسيح وعداً كريماً مطمئناً لهذه الدعوة.

...من يقبل إلي لا أخرجه خارجاً (يوحنا ٦: ٣٧).

وهكذا تثبت الدعوة بالوعد، والوعد يخلق الإيمان المطلوب في من يرغبون بقبول الدعوة.

ثم استخدم يسوع عملية "الشرب" البسيطة بينما كان يتحدث مع المرأة السامرية على بئر يعقوب. وقد كان هذا الاستخدام مناسباً لذلك الوضع، فقال يسوع معبراً عن التجاوب الضروري لرسالة الإنجيل:

ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد،
بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية
(يوحنا ٤: ١٤).

وهنا يشبه قبول الخلاص بشرب الماء. ويأتي الوعد أولاً: "لن يعطش إلى الأبد" وفيما بعد يثبت هذا الوعد بالدعوة. يقول المسيح:

- إن عطش أحد، فليقبل إلي ويشرب (يوحنا ٧: ٣٧).
- الروح والعروس يقولان: تعال، ومن يسمع فليقل: تعال، ومن يعطش فليأت، ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً (رؤيا ٢٢: ١٧).

أمّا في يوحنا ١: ١١-١٣ فإنّ الرسول يوحنا يستخدم الكلمة "قبل" للإشارة إلى التجاوب الفعّال مع الإنجيل، فيكتب في هذه الأعداد الثلاثة بخصوص المسيح:

إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله، وأمّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً
أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا
من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله.

والفكرة الرئيسة هنا تتعلق بقبول المسيح شخصياً، ونتيجة هذا التجاوب الإيماني هو ما يصفه يوحنا بأن تصبح ابناً لله أو أن "تولد من الله". والمسيح يتحدث عن هذا الاختبار نفسه في يوحنا ٣: ٣ ويسميه "الولادة الثانية" أو "الولادة من فوق"، مؤكداً أنه من دون هذا الاختبار الشخصي المحدد، لا يستطيع أي إنسان أن يأمل بدخول الملكوت، فيقول:

الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله.

مرة أخرى نرى كيف يُثبَّت المسيح دعوته إلى التجاوب مع رسالة الانجيل بتقديم وعدٍ محددٍ:

ها أنذا واقف على الباب وأقرع، إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشى معه، وهو معي (رؤيا ٣: ٢٠).

فيخاطب المسيح مباشرة كل نفس بشرية سمعت الانجيل وترغب بالتجاوب بفتح باب القلب وقبول المسيح، ويقدم المسيح لهذه النفوس وعداً صريحاً مباشراً: "أدخل إليه."

لاحظنا في كل مرة يقَدَّم فيها الانجيل، بأنَّ المطلوب هو تجاوب شخصي بسيط بالإيمان. ويمكن أن نصف هذا التجاوب بكلمات مختلفة، إلّا أنَّ طبيعته هي نفسها دائماً. ففي الحالات التي تطرقنا إليها استُخدمت الكلمات التالية في وصف هذا التجاوب: يدُع، يأت، يشرب، يقبل. وكما سبق ورأينا فإنَّ هذه الكلمات تشير إلى أفعال بسيطة ومألوفة يستطيع كل إنسان أن يفهمها وأن يعملها.

وهناك جانب أساسي مهم يجمع فيما بين كل هذه الأفعال، وهو أنَّ كل شخص عليه أن يقوم بها لنفسه، ولا يستطيع أحد أن ينوب عن الآخر في أيِّ منها. فعلى كل شخص أن "يدعو" من أجل نفسه، وأن "يأتي" بنفسه، وأن "يشرب" بنفسه وأن "يقبل" بنفسه. هكذا أيضاً بالنسبة إلى التجاوب مع الانجيل، فعلى كل شخص أن يتجاوب بنفسه ولا يستطيع أي إنسان أن يحقق تجاوباً طُلِبَ من غيره. فكل شخص بمفرده يخلص أو يهلك بناءً على تجاوبه الشخصي، وواجب كل مؤمن يشعر بالمسؤولية، كان خادماً متفرغاً أو علمانياً، أن يكون متمكناً من هذه الحقائق البسيطة بخصوص الانجيل، وملمّاً بالصور المتنوعة التي يصف فيها العهد الجديد حاجة الإنسان إلى التجاوب الشخصي مع الإنجيل.

إنَّ عمل ملكوت المسيح سيكون أكثر تقدُّماً لو أنَّ كلَّ خادمٍ اهتم بالإشارة إلى هذه الحقائق في عظاته. فأيّما تجد كرازة لا تقدّم هذه الحقائق بوضوح، تجد أيضاً علامات استفهام حول إمكانية تحقيق شيء ذي قيمة أبدية من خلال تلك الكرازة.

لم أتطرق يوماً لهذا الموضوع من دون أن أتذكر تلك الحادثة التي كنت طرفاً فيها أثناء عملي كخادم في لندن. إنها حادثة تتعلّق بسيدة يمكن أن نسميها السيدة (س)، كانت تأتي إلى بيتنا بانتظام لإعطاء دروس في البيانو لابنتنا الصغرى. استمر ذلك لعدة أسابيع لكننا لم نعرف الكثير عن السيدة (س) غير أنها سيدة محترمة تتردد بانتظام إلى كنيسة بروتستانتيه قرب منزلنا، وقد فهمنا منها أن لها دوراً فعّالاً في منظمة نسائية للعمل المرسلي تابعة لتلك الكنيسة.

يوماً ما تلقينا نبأ دخول السيدة (س) إلى المستشفى. لقد أصيبت بمرض قاتل ولم يكن من المتوقع أن تعيش. فشعرت بواجب زيارتها في المستشفى وعندما طلبت الإذن بذلك أجابت الممرضة بأنها مريضة جداً ولا يمكن لأحد أن يزورها، وعندما وضّحت لها بأنني خادم سمحت لي الممرضة بأن أراها لمدة خمس دقائق لا أكثر، وما أن دخلت وقدمت نفسي للسيدة وتأكدت من أنها عرفت من أنا حتى شارفت الدقيقة الأولى على الإنتهاء. فقلت لها - من دون مقدّمات - بأنها ربما تقف على عتبة الأبدية، وسألته إن كانت متأكدة من أنّ خطاياها قد غُفرت وهل هي مستعدة للقاء الله، فأجابت بالنفي! عند ذلك قدّمت لها حقائق الإنجيل الأساسية ببساطة ووضوح: المسيح تحمّل الموت كعقاب بسبب خطايانا، ودفن وقام في اليوم الثالث لنخلص إذا آمنا بهذا الحق، وأنَّ الله يتوقع من كل شخصٍ يرغب بالخلاص أن يتجاوب بإيمان شخصي حاسم. ثم سألتها إن كانت ترغب بالتجاوب مع الله، فردّت بالإيجاب. ثم طلبت منها أن تتبني بالصلاة، وبدأت أصلي بصوت مرتفع مستخدماً بعض العبارات القصيرة التي تضمنت إعلاناً لحقائق الإنجيل ومطالبه بتحقيق وعد الله بالخلاص. أمّا السيدة (س) فقد رددت من بعدي كل جملة. ثم سألتها إذا كانت تؤمن أنها خلّصت. فقالت: "نعم." فختمت هذه الفرصة بصلاة قصيرة سلّمت بها هذه السيدة للرب وشكرته من أجل خلاصها.

كان قد بقي من الوقت المحدد لي نصف دقيقة، أي أن تقديم الانجيل لهذه السيدة وقيادتها لتتأكد من خلاصها، استغرق مني أقل من أربع دقائق، وهكذا حصلت السيدة (س) على سلام في قلبها لم تعرفه من قبل أبداً، وكنتيجة مباشرة لتمتعها بهذا السلام في قلبها حصلت على شفاء سريع غير متوقع وغادرت المستشفى خلال فترة قصيرة.

بعد بضعة أسابيع عادت السيدة (س) إلى بيتنا لتستأنف دروس البيانو، وبعد أن استكملت كل الدروس قلت لها: "هل تمانعين بأن أسألك سؤالاً شخصياً؟" فأشارت بأنها لا تمانع في ذلك. فقلت: "لقد فهمت أنك كنت ملتزمة وأمينة بحضور اجتماعات كنيستك كل أسبوع ولعدة سنوات. لكن عندما جاءت ساعة الأزمة ووجدت نفسك وجهاً لوجه مع الأبدية، لم تكوني مستعدة على الإطلاق للحظة الموت ولمواجهة الله. فهل تمانعين إذا سألتك عن طبيعة المواضيع التي يعظ عنها خادم كنيستك كل أسبوع" أجابت: "إنه يعظ عادة عن حياة الإيمان والنمو في النعمة." فقلت: "لكن ما كان لينفعك أي وعظ عن السلوك في حياة الإيمان والنمو في النعمة لأنك لم تكوني أصلاً قد ولدت ثانية. فمن المستحيل أن يبدأ طفل بالنمو قبل أن يولد!" قالت السيدة (س): "نعم أنا أدرك الآن أن هذا صحيح وسأكلم خادم الكنيسة عن ذلك." أمّا أنا فلم أتوقف عن التساؤل عن ما حدث بعد ذلك. لقد كان واضحاً أنها مصممة على ما عازمت عليه ولا يوجد سبب يثنيها عن ذلك.

ثم رأيته بعد حوالي أسبوع فسألتها: "هل تحدّثت مع الخادم؟"

- "نعم فعلت" أجابت السيدة (س).

- "فماذا كان موضوع عظته الأحد الماضي؟"

- "لقد علّم بأن خلاص نفوسنا هو أهم ما ينبغي أن نتأكد منه."

ليت هذه الكلمات تنطبع بالفعل في ذهن كل من يتردد إلى أية كنيسة تُجاهر بالإيمان المسيحي: "خلاص نفسك هو أهم ما ينبغي أن تتأكد منه."

تخيّل هذه السيدة وهي تعتاد على حضور اجتماعات الكنيسة عدة مرات في الأسبوع ولعدة سنوات وهي لا تعرف الحقائق الأساسية التي يُبنى عليها الانجيل، ولا تعرف كيف تتجاوب مع الانجيل لتخلص، ثم في ساعة الأزمة وفي غضون أربع دقائق، تقدّم حقائق الانجيل لها، وتتجاوب مع رسالة الخلاص لتتمتع بالتالي باختبار حقيقي.

فكم من الوقت الذي لم يُستغل، وكم من الجهد الضائع يمكن أن نستشف وجوده خلف قصة كهذه! ومما لا شك فيه أنّ مثل هذه الحالة يمكن أن تتكرر ملايين المرات في مختلف الكنائس في كل أنحاء العالم.

سمعت - بينما كنت في شرق إفريقيا - مبشراً إفريقياً شاباً يتحدث مع مرسل كان مسؤولاً عن إدارة مجموعة من الكنائس المنتشرة في إقليم واسع. وقد استخدم الشاب هذه العبارة: "إنّ كنائسك ليست سوى مستودعات يُخزّن فيها الناس بانتظار الجحيم" وربما تُعتبر هذه العبارة منتقدة ومثيرة للاشمئزاز، لكن معرفتي للوضع الذي كان يسود هناك جعلني أدرك أنّ ما قاله ذلك الشاب الإفريقي كان صحيحاً. فحقائق الانجيل الأساسية لم تقدّم لمعظم أعضاء تلك الكنائس ولا حتى مرة واحدة، فلم يكتشفوا أبداً حاجتهم إلى التجاوب مع تلك الحقائق. لقد بدّلوا وثنيّتهم بنمطٍ من أنماط المسيحية، فحفظوا بعض العقائد الدينية واعتمدوا وقبلوا في عضوية الكنيسة والتحق كثيرٌ منهم بمدارس الإرسالية. مع هذا لم يكن لديهم أدنى فهم أو معرفة بحقائق الانجيل الأساسية واختبار الخلاص.

إنّ تلك الكنائس وغيرها، سواءً في إفريقيا أو أمريكا أو الشرق الأوسط أو في أي مكان في العالم، لا تزيد عن كونها "مستودعات يُخزّن فيها الناس بانتظار الجحيم" على حدّ تعبير ذلك الشاب الإفريقي.

إنّ الهدف الأسمى لكل كنيسة حقيقية، والواجب الرئيس على كل خادم مؤمن، والمسؤولية الأولى على كل مؤمن علماني، هي تقديم حقائق الأنجيل الأساسية لكل إنسان بأوضح الطرق وأكثرها فاعلية، وحثّ كل من يسمع هذه الحقائق على التجاوب

الشخصي الحاسم الذي يطلبه الله. هذه هي المهمة العظمى، وكل واجب أو نشاط كنسي آخر ينبغي أن يكون ثانوياً وتابعاً بالنسبة إلى هذه المهمة.

أعود الآن لصياغة حقائق الانجيل هذه، والتجارب المطلوب من كل شخص نحو هذه الحقائق:

١- سَلِّمَ اللهُ الآبَ المسيح لعقاب الموت بسبب خطايانا.

٢- دُفِنَ المسيح.

٣- أقامه الله من الأموات في اليوم الثالث.

٤- بالإيمان بهذه الحقائق نحصل على التبرير من الله.

فعلى كل فرد أن يتجاوب تجاوباً شخصياً مباشراً مع المسيح لكي يقبل الخلاص، ويمكن وصف هذا التجاوب بإحدى الطرق التالية: أن يدعو باسم المسيح كرب، أن يأتي إلى المسيح، أن يقبل المسيح أو أن يشرب ماء الحياة الذي لا يقدّمه إلا المسيح.

وأود أخيراً أن أسأل كل من تابع القراءة حتى هذه الصفحة: هل أمنت بهذه الحقائق؟ هل تجاوبت معها بطريقة شخصية حاسمة؟ إذا أجبت بالنفي فأنا أشجّعك الآن على اتخاذ هذه الخطوة. ردد من أعماقك هذه الصلاة المقترحة وبصوت مرتفع:

أيها الرب يسوع المسيح، أنا أو من أنك متّ من أجل خطايي وأنك دفنت وقمت في اليوم الثالث. وأنا أتوب الآن عن خطايي وأتي إليك طالباً الرحمة والغفران. يا رب أنا أو من بوعدك لذلك أقبلك شخصياً كمخلصي وأعترف بك رباً على حياتي. تعال يا رب إلى قلبي وامنحني حياةً أبدية واجعلني ابناً لك، آمين.

الإيمان والأعمال

إنَّ العلاقة بين الإيمان والأعمال هي موضوع مهم يتطرق إليه العهد الجديد في مقاطع مختلفة. ومع هذا فإنَّ قلة التعليم حول هذا الموضوع في الأوساط المسيحية اليوم هي ظاهرة ملفتة للنظر. ونتيجة لذلك، تُركَ الكثيرون من المؤمنين الجيدين في حالة من التخبُّط والحيرة في منتصف الطريق بين الناموس والنعمة، بينما انحرف عدد غير قليل من المسيحيين - بسبب تجاهلهم لهذا الموضوع - إلى تعاليم مُضلَّة، تشدد على أمور غير كتابية كحفظ يوم معين من أيام الأسبوع أو أكل أطعمة محددة وغير ذلك من المسائل الناموسية.

وبحسب تعليم العهد الجديد نستطيع أن نعبر عن علاقة التغيُّر بين الإيمان والأعمال بهذه العبارة البسيطة: "الإيمان لا يعتمد على الأعمال، بل الأعمال هي نتيجة للإيمان".

الخلاص بالإيمان وحده

فلنبداً بالجزء الأول من هذه العبارة: "الإيمان لا يعتمد على الأعمال." ويشهد العهد الجديد كله على هذه الحقيقة المهمة. فيسوع وفي لحظات معاناته الأخيرة على الصليب أكد هذه الحقيقة:

فلما أخذ يسوع الخل قال: قد أكمل. ونكس رأسه وأسلم الروح
(يوحنا ١٩: ٣٠).

الكلمة اليونانية المترجمة هنا "قد أكمل" هي الكلمة الأكثر تعبيراً عن الحسم والتوكيد،

والتي يمكن استخدامها في هذا السياق. فهي في صيغة الفعل التام (perfect tense) بينما يعني الفعل "أكمل" بحد ذاته (أن تعمل شيئاً بشكلٍ تام - perfectly) وهكذا نستطيع أن نترجم حالة هذا الفعل بالعبارة "It is perfectly perfect" - قد تمّ تماماً" أو "It is completely complete" - قد أكمل تماماً" أي لم يبق ما نفعله بعد أبداً. فكل ما ينبغي عمله لدفع أجرة الخطية وشراء الخلاص لكل البشر قد تحقق فعلاً في آلام المسيح وموته على الصليب. حتى أنّ الافتراض بأنّ هناك ما ينبغي أن يعمل الإنسان بعد عمل المسيح الكامل، يُعد رفضاً لشهادة كلمة الله وتكذيباً لفعالية كفارة المسيح.

على ضوء هذا فإنّ آية محاولة للانسان لكسب الخلاص بأعماله الصالحة تعتبر إهانة لله الآب والابن، فمثل هذه المحاولة تتضمن أنّ عمل التكفير والخلاص الذي أعده الله الآب وحققه الابن هو عمل ناقص. وهذا تكذيب للشهادة التي تُجمع عليها كتب العهد الجديد كلها. لقد علّم بولس بهذا دائماً وبكل تشديد. فيقول في رومية ٤: ٤-٥:

أما الذي يعمل فلا تُحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين.
وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبزر الفاجر فإيمانه يحسب له برّاً.

لاحظ العبارة "الذي لا يعمل ولكن يؤمن". فأول ما يجب أن يعمل الإنسان لنيل الخلاص هو أن يتوقف عن (العمل)؛، أن يتوقف عن محاولته لكسب الخلاص. فالخلاص يأتي بالإيمان وحده، لا أن تعمل شيئاً بل أن تؤمن. ومهما حاول الإنسان أن يكسب الخلاص بأعماله فإنه سيفشل بالتأكيد، لأنّ خلاص الله يُقبل بالإيمان، وبالإيمان وحده. ويوضح بولس الذي ينتمي إلى شعب إسرائيل، أنّ الخطأ الأعظم الذي ارتكبه شعبه يتعلق بهذه الناحية فيقول:

ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البرّ لم يدرك ناموس البرّ. لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس (رومية ٩: ٣١-٣٢).

ويقول أيضاً بخصوص إسرائيل:

لأنهم إذ كانوا يجهلون برَّ الله ويطلبون أن يُثبتوا برَّ أنفسهم لم يُخضعوا لبرِّ الله (رومية ١٠: ٣).

لماذا فشل شعب إسرائيل في الحصول على الخلاص الذي أعدّه الله لهم؟ بولس يقدم سببين لذلك:

١ - لأنه (إسرائيل) فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس.

٢ - طلبوا "أن يُثبتوا برَّ أنفسهم".

أي أنهم حاولوا كسب الإيمان مقابل أعمالهم وبرّهم الذاتي، فخاب مسعاهم، ولم ينالوا الخلاص الإلهي.

هذا الخطأ نفسه الذي وقع به شعب إسرائيل، ما زال فخاً للملايين من الناس حول العالم، منهم أعداد لا تُحصى من أعضاء الكنائس في كل مكان، ممن يعتقدون بإخلاص وحسن نية أن عليهم أن يعملوا شيئاً ما يساعدهم في كسب خلاصهم، فيكرسون أنفسهم للصلاة والصوم والإحسان وإنكار الذات وأعمال التكفير بالإماتة الجسدية والتدقيق في حفظ طقوس ومراسيم الكنيسة، كل هذا وبلا فائدة! فهم لا يتمتعون بالسلام الحقيقي في القلب ولا بيقين الخلاص لأنهم كشعب إسرائيل القديم يسعون إلى ذلك لا بالإيمان بل بالأعمال. ويبدأ مثل هؤلاء بتأسيس برّهم الخاص فيفشلون بالخضوع لبرِّ الله، البرِّ الذي بالإيمان في المسيح فقط ويؤكد بولس هذه الحقيقة وهو يقول للمؤمنين:

لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد (أفسس ٢: ٨-٩).

لاحظ الصيغة التي يستخدمها بولس: "مخلصون (الآن)" وهذا يؤكد إمكانية الحصول على الخلاص في الحياة الحاضرة وإمكانية معرفة ذلك. فالخلاص ليس

شيئاً ينتظرنا في الحياة الأخرى، بل يمكن أن نخلص هنا والآن. كيف نحصل على هذا اليقين بأننا خلصنا؟ إنها عطية نعمة الله. إنه إحسان الله المجاني الذي يقدم للإنسان الخاطيء بلا جدارة ولا استحقاق. وهذه العطية تقبل بالإيمان "ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" فاذا استطاع إنسان أن يفعل أي شيء ليكسب خلاصه الشخصي، لحق له إذاً أن يفتخر بما عمل، ولن يدين بخلاصه إلى الله بل سيدين به جزئياً على الأقل إلى جهده وعمله الصالح. ولكن عندما يقبل إنسان الخلاص كعطية مجانية من الله، حين يؤمن بكل بساطة، فلن يجد في ذاته شيئاً يفتخر به،

فأين الافتخار؟ قد انتفى. بأي ناموس؟ بأناموس الأعمال؟ كلا بل بناموس الإيمان. إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس (رومية ٣: ٢٧-٢٨).

وفي رومية ٦: ٢٣ يوضح بولس المفارقة التامة بين ما نكسبه بأعمالنا وما نقبله بالإيمان فقط. فيقول:

لأن أجره الخطية هي موت، وأمّا هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا.

وتوجد هنا مفارقة متعمدة بين الكلمتين "أجرة، هبة"، فالكلمة "أجرة" تشير إلى ما نكسبه مقابل ما نعمل، بينما الكلمة المترجمة هنا "هبة" فهي الكلمة اليونانية "charisma" والمشتقة مباشرة من الكلمة اليونانية "charis" التي تعني "نعمة". إذاً فالكلمة "هبة" تشير على نحو واضح إلى العطية المجانية لنعمة الله والتي ننالها من دون استحقاق.

إنّ هذا يضعنا أمام أحد خيارين: الأول هو أن نأخذ أجرتنا (ما نستحقه مقابل أعمالنا). وفي هذه الحالة ستكون الأجرة هي الموت لأن أعمالنا مشبعة بالخطية ولا تُرضي الله. والموت هنا ليس هو الموت الجسدي فحسب بل العقاب الأبدي بعيداً عن حضرة الله. أمّا الخيار الثاني فهو أن نقبل بالإيمان هبة الله المجانية وهي الحياة الأبدية

التي في يسوع المسيح، فعندما نقبل يسوع المسيح كمخلص شخصي فإننا نقبل هبة الحياة الأبدية فيه،

لا بأعمال في برِّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس (تيطس ٣: ٥).

لا شيء يمكن أن يكون أوضح من هذا "لا بأعمال في برِّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلّصنا..." فإذا رغبتنا بأن نخلص ينبغي أن نستثني أولاً أعمالنا من هذا الاختبار لكي نستطيع أن نقبل رحمة الله للخلاص.

في القسم الثاني من هذا العدد نفسه، يذكر بولس أربع حقائق ايجابية عن الطريقة التي يعمل فيها خلاص الله في حياتنا:

- ١- إنها "غسل" ويتضمن ذلك تطهيرنا من خطايانا.
- ٢- وهي "ميلاد ثاني" حيث نصبح أولاداً لله.
- ٣- و "تجديد" أي أننا نصبح خليفة جديدة في المسيح.
- ٤- إنها "عمل الروح القدس" نعم إنه روح الله نفسه، يعمل في قلوبنا وحياتنا.

ولا يمكن لأي من هذه الحقائق أن تتم نتيجة لأعمالنا بل أنها جميعها تُقبل بالإيمان في المسيح.

الإيمان الحي مقابل الإيمان الميت

ما دام الخلاص بالإيمان فقط. فلا بدّ أن يطرح هذا السؤال نفسه: "ما هو دور الأعمال إذاً في حياة المؤمن؟" أكثر الاجابات وضوحاً عن هذا السؤال في العهد الجديد يقدمها لنا يعقوب عندما يقول:

ما المنفعة يا إخواني إن قال أحد أنّ له ايماناً ولكن ليس له أعمال؟ هل يقدر الإيمان أن يخلصه؟ إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت

اليومي، فقال لهما أحدكم: امضيا بسلام استدفئا واشبعا، ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد، فما المنفعة؟ هكذا الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمال ميّت في ذاته. لكن يقول قائل: أنت لك ايمان وأنا لي أعمال. أرني ايمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالي ايماني. أنت تؤمن أنّ الله واحد. حسناً تفعل والشرّيين يؤمنون ويقشعرون! ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أنّ الإيمان بدون أعمال ميّت؟ ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدّم إسحق ابنه على المذبح؟ فنرى أنّ الإيمان عمل مع أعماله، وبالأعمال أكمل الإيمان وتمّ الكتاب القائل: فأمن إبراهيم بالله فحُسب له براً ودُعي خليل الله. ترون إذاً أنه بالأعمال يتبرّر الإنسان لا بالإيمان وحده. كذلك راحاب الزانية أيضاً أما تبررت بالأعمال إذ قبلت الرّسل وأخرجتهم في طريق آخر؟ لأنه كما أنّ الجسد بدون روح ميّت هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميّت (يعقوب ٢: ١٤-٢٦).

يقدم يعقوب في هذا المقطع عدّة أمثلة يوضّح فيها العلاقة بين الإيمان والأعمال، فيتحدث عن مؤمن يترك أخاه يمضي جائعاً وعرياناً مقابل كلمات تعزية فارغة من دون أن يقدّم له طعاماً أو كساء. ويتحدث عن الشرّيين التي تؤمن بوجود الإله الواحد الحقيقي من دون أن تتمتع بالتعزية، بل ترتعد وتقشعر في ايمانها. ويتحدث أيضاً عن إبراهيم الذي أراد أن يقدّم ابنه إسحق ذبيحة لله، وعن راحاب الزانية التي قبلت وساعدت الجاسوسين الذين أرسلهما يشوع إلى أريحا. أمّا في العدد ٢٦، وهو العدد الأخير في هذه الفقرة، فيلخص يعقوب تعليمه حول العلاقة بين الإيمان والأعمال وذلك بتشبيهها بالعلاقة بين الجسد والروح فيقول: "لأنه كما أنّ الجسد بدون روح ميّت هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميّت." إنّ استخدام الكلمة "الروح" وربطها مع الإيمان، يقدّم لنا مفتاحاً لفهم كيفية عمل الإيمان في حياة المؤمن. فعندما درسنا موضوع "طبيعة الإيمان" في الفصل العاشر استخدمنا كلمات بولس في ٢ كورنثوس ٤: ١٣:

فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب: آمنت لذلك تكلمت. نحن أيضاً نؤمن ولذلك نتكلم أيضاً.

وهنا يصرّح بولس بأن الإيمان الكتابي الحقيقي هو إيمان روحي بالضرورة. إنه روح الإيمان. ومن هنا نستطيع أن نفهم مثال يعقوب عن الروح والجسد.

من المعروف أن روح الإنسان تسكن في جسده ما دام حياً، وكل نشاط لجسد الإنسان ما هو إلا تعبير عن الروح التي في داخله، فمع أن شخصية الروح ووجودها غير مرئيين في الإنسان إلا أنهما معلنان بوضوح من خلال سلوك ونشاط جسد الإنسان، وعندما تفارق الروح الجسد أخيراً، تتعطّل كل أنشطة الجسد فيصبح ميتاً. إن موت الجسد وتوقفه عن العمل يشير إلى أن الروح لم تعد تسكن فيه.

وهذا ينطبق على روح الإيمان في المؤمن الحقيقي، فروح الإيمان حيّ وفعلّ. إنه يبعث في قلب المؤمن حياة الله نفسه، التي هي في المسيح يسوع. وتسيطر حياة الله في داخل المؤمن على كل طبيعته، على رغباته وأفكاره وكلماته وأعماله، فيفكر ويتكلم ويسلك بطريقة مختلفة تماماً عما كان في السابق، فيقول ويعمل ما لم يكن في مقدوره قبل أن تُبعث فيه حياة الله بالإيمان. إن نمط حياته الجديد هذا أو "أعماله" الجديدة كما يسميها يعقوب، هي دليل على وجود الإيمان في قلبه. فإذا لم تظهر هذه الأعمال في الحياة الخارجية للإنسان، أي أن أعماله لم تتوافق مع الإيمان الذي يدّعيه، يكون هذا دليلاً على عدم وجود الإيمان الحقيقي الحي. إن ادعاء الانتماء إلى المسيحية من دون وجود الإيمان الحي المترجم إلى الأعمال، ليس أفضل من جسد ميت قد فارقه الروح.

نستعرض فيما يلي الأمثلة الأربعة التي يوردها يعقوب، ونرى باختصار كيف يوضح كل منها هذا المبدأ:

أولاً: يتحدث يعقوب عن المؤمن الذي يرى أخاً وأختاً عريانين وجائعين فيقول لهما: "امضيا بسلام استدفئا واشبعا" من دون أن يقدم لهما ما يلبسان أو ما يأكلان. من الواضح أن كلمات هذا الرجل لم تكن مخلصّة، فلو كان يرغب حقاً بأن يتحقق كلامه

لقدّم لهما الطعام واللباس، وكونه لم يفعل ذلك يشير إلى لامبالاته وعدم اهتمامه. فتشبه كلماته اعترافاً فارغاً ليس له أصل حقيقي في الداخل. هكذا أيضاً كل من يعترف بايمانه من دون أن يسلك حسب هذا الإيمان، فإيمانه غير صادق وغير ذي قيمة. إنه إيمان ميت.

ثانياً: يتحدث يعقوب عن الشياطين التي تؤمن بأنّ الله واحد وتتشعر أي ترتجف خوفاً. فاولئك الشياطين لا يشكّون مطلقاً بوجود الله لكنهم يعرفون أنهم أعداء غير تائبين لله، بل هم تحت حكم غضبه ودينونته، لذلك فإنّ إيمانهم لا يحقق لهم الطمأنينة بل الخوف. وهذا يعني أنّ التعبير عن الإيمان الكتابي الحقيقي يكون بالطاعة وبالخضوع، أمّا الإيمان الذي يستمر صاحبه بالعناد والعصيان فهو إيمان ميت لا يمكن أن يُخلص أحداً من غضب الله ودينونته.

ثالثاً: يستخدم يعقوب إيمان إبراهيم كمثال كما فعل بولس في رومية ٤. فقد آمن إبراهيم بالله "فحُسيب له برّاً" (تكوين ١٥: ٦). لقد جاء الإيمان الحي إلى قلب إبراهيم من خلال كلمة الله، وكل خطوة جديدة كان يطيع بها إبراهيم الله كانت تقوّي وتنمي إيمانه وتُهيئه للخطوة التالية، حتى جاء الامتحان النهائي لإيمان إبراهيم في تكوين ٢٢ عندما طلب منه الله أن يُقدّم ابنه إسحق كذبيحة (أنظر أيضاً عبرانيين ١١).

بالإيمان قدّم إبراهيم إسحق وهو مجرّب. قدّم الذي قبل المواعيد وحده الذي قيل له أنه بإسحق يدعى لك نسل. إذ حسب أنّ الله قادر على الإقامة من الأموات (عبرانيين ١١: ١٧-١٩).

وهنا نرى كيف نما إيمان إبراهيم وتقوّي من خلال ممارسته للطاعة المستمرة، حتى أنه يستطيع أن يؤمن حقاً أنّ الله قادر على إقامة ابنه من الأموات وإعادته إليه. لقد عبّر إبراهيم عن هذا الإيمان القلبى عملياً عندما أبدى استعداداه الكامل لتقديم إسحق، ولم يمنعه من ذبح ابنه سوى تدخّل الله نفسه. ويقول يعقوب بهذا الخصوص:

فنرى أنَّ الإيمان عملٌ مع أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان (يعقوب ٢: ٢٢).

ونستطيع أن نُلخِّص تجربة إبراهيم فيما يلي: بدأت مسيرته مع الله بالإيمان القلبي بكلمة الله، وتترجم هذا الإيمان عملياً في حياة الطاعة والخضوع. كل عمل من أعمال الطاعة كان ينمي إيمانه ويقويه ويهيئه لامتحانٍ جديد. وأخيراً وصل به هذا التفاعل بين الإيمان والأعمال إلى ذروة إيمانه، حتى أنه كان على استعداد لأن يُقدِّم اسحق ابنه ذبيحةً.

رابعاً: المثال الرابع الذي يقدِّمه يعقوب بخصوص العلاقة بين الإيمان والأعمال هو مثال راحاب. نجد قصة راحاب في الأصحاحين الثاني والسادس من سفر يشوع. كانت راحاب امرأة كنعانية خاطئة تعيش في مدينة أريحا، تحت غضب الله ودينونته. فلما سمعت راحاب عن الطريقة المعجزية التي خلَّص فيها الله شعبه من مصر، آمنت بأنَّ إله إسرائيل هو الإله الحقيقي وأنه سيدفع أرض كنعان وسكانها في يد شعبه، لكنها آمنت أيضاً أنَّ إله إسرائيل هو إله رحيم وقادر على أن يخلِّصها وأن يخلِّص أهل بيتها. هذا هو الإيمان الذي كانت راحاب تحفظه في قلبها، وقد عبَّرت عن هذا الإيمان من خلال عملين قامت بهما:

١- عندما أرسل يشوع رجلين من جيشه إلى أريحا، قَبِلَت راحاب هذين الرجلين في بيتها وخبأتهم وساعدتهما على الهرب. لقد خاطرت بحياتها لتفعل ذلك.

٢- ثم تعبيراً عن حماية الله لبيتها ولأهلها ربطت راحاب حبلًا من خيوط القرمز في كوة بيتها التي كانت قد أنزلت منها الجاسوسين، فكانت هذه علامة لتمييز بيتها عن باقي البيوت.

نتيجة لهذين العاملين نجت عائلتها وبيتها من الدمار الذي جاء على باقي أريحا. فلو أمنت راحاب مجرد إيمان سرّي في الإله الحقيقي من دون أن تكون لديها الرغبة في عمل هذين العاملين الحاسمين، لكان إيمانها ميتاً ولما كان لها رجاء في خلاص نفسها من غضب الله الذي جاء على أريحا.

إنّ الدرس الذي نتعلمه كمؤمنين له جانبان: الأول أننا إذا أردنا أن نؤمن بالمسيح علينا أن نكون مستعدين للانتماء الكلي لقضية المسيح والثبات على درب حاملي رسالته، وقد يعني هذا تضحية شخصية حقيقية ربما تصل إلى حد المخاطرة بحياتنا. أمّا الجانب الثاني فهو أننا يجب أن نكون مستعدين للاعتراف بإيماننا بطريقة علنية قاطعة مما يميزنا عن غير المؤمنين من حولنا. لقد كان الحبل القرمزي يرمز إلى الاعتراف العلني بالإيمان بدم المسيح لتطهير وغفران خطايانا.

وكتلخيص نهائي للعلاقة بين الإيمان والأعمال نعود مرة أخرى إلى كتابات بولس:

تمموا خلاصكم بخوف ورعدة، لأنّ الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة (فيلبي ٢: ١٢-١٣).

العلاقة هنا بين الإيمان والأعمال واضحة، حيث يبدأ الله أولاً عاملاً فينا أن نريد وأن نعمل، ثم ننفذ نحن بأعمالنا ما عمله الله فينا أولاً. المهم أن ندرك أنّ الإيمان يأتي أولاً وفيما بعد الأعمال. فنحن نقبل الخلاص من الله بالإيمان فقط من دون أعمال، وبعد ذلك نحققه في سلوكنا بطريقة فعّالة من خلال الأعمال وإلا فإنّ إيماننا يكون ميتاً واختبار خلاصنا يكون مزيفاً. إننا لا نقبل الخلاص بالأعمال، لكن أعمالنا هي الامتحان الذي يُظهر إن كان إيماننا حقيقياً أم لا، وهي أيضاً الوسيلة التي ينمو الإيمان بواسطتها. الإيمان الحي الحقيقي وحده يستطيع أن يصنع مؤمناً حقيقياً حياً.

الناموس والنعمة

لقد استنتجنا في الفصل السابق بأنَّ الخلاص هو فقط بالإيمان بعمل المسيح الكفَّاري الكامل وذلك من دون أعمال بشرية أيًّا كانت، وأنَّ هذا الإيمان يظهر بعد ذلك من خلال أعمال مناسبة تتوافق مع ذلك الإيمان الذي تمَّ الاعتراف به، والإيمان الذي لا ينتج مثل هذه الأعمال، هو مجرد اعتراف فارغ وإيمان ميّت لا يمكن أن يحقق اختباراً حقيقياً لخلاص. وهذا يقودنا إلى سؤال أعمق: فما هي الأعمال التي يجب أن نبحث عنها في حياة كل من يؤمن ويعترف بالمسيح المخلّص؟ وبأكثر تحديد، ما هي العلاقة بين الإيمان في المسيح ومتطلبات ناموس موسى؟

الإجابة التي يقدّمها العهد الجديد واضحة ومتماسكة، حيث يعلّمنا العهد الجديد بأنَّ برَّ الإنسان الذي يثق في المسيح كمخلّص، لا يعتمد كلياً أو جزئياً على حفظ ناموس موسى، وهذا الموضوع يثير قدراً كبيراً من الحيرة والتشويش بين المسيحيين، ومن أجل إزالة هذا التشويش سنبدأ أولاً بالتعرّف على حقائق معيّنة بخصوص الناموس.

ناموس موسى: نظام مستقل متكامل

الحقيقة الكبرى الأولى هي أنَّ كل الناموس قد أُعطي بموسى مرةً وإلى الأبد،

لأنَّ الناموس بموسى أُعطي، أمّا النعمة والحق فبيسوع المسيح صاراً (يوحنا ١: ١٧).

لاحظ العبارة "الناموس بموسى أُعطي". ليس جزءاً من الناموس أو بعض شرائعه

فقط، إنما "الناموس" كله في نظام جامع وشامل أُعطي في فترة زمنية محدّدة من التاريخ ومن خلال أداة بشرية هي رجل واحد يدعى موسى. فالكلمة "الناموس" في الكتاب المقدس تشير إلى نظام الناموس الكامل الذي أُعطي من خلال موسى، عدا بعض المقاطع التي تشير إلى غير ذلك في سياق النص. وتأكيّداً على هذا نقرأ في الرسالة إلى أهل رومية:

فإنه حتى الناموس كانت الخطية في العالم. على أن الخطية لا تُحسب إن لم يكن ناموس. لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يُخطئوا على شبه تعدّي آدم (١٣:٥-١٤).

لاحظ أن العبارتين "حتى الناموس" و "من آدم إلى موسى" تشيران إلى فترة زمنية محدّدة. فعندما خلق الله آدم ووضعه في الجنة، لم يعطه نظاماً ناموسياً كاملاً بل أعطاه وصية (سلبية) واحدة:

وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسّاه لنلاً تموتا (تكوين ٣:٣).

عندما تعدّي آدم هذه الوصية دخلت الخطية إلى حياة الجنس البشري وسادت على آدم ونسله منذ ذلك الوقت وصاعداً. والدليل على ذلك هو أن الإنسان صار معرضاً للموت الذي هو نتاج الخطية. فمنذ الخطية التي تعدّي بها آدم وصية الله الأولى والوحيدة وحتى زمن موسى، لم يكن هناك ناموس أو نظام ناموسي مُعلن ومفروض على الجنس البشري، وهذا يوضّح كيف تشير العبارتان "حتى الناموس" و "من آدم إلى موسى" إلى الفترة الزمنية نفسها من التاريخ البشري، وهي الفترة ما بين تعدّي آدم لتلك الوصية الوحيدة في الجنة وحتى أعطى الله النظام المتكامل للناموس الإلهي على يد موسى. خلال هذه الفترة كان الجنس البشري من دون نظام ناموسي مفروض من الله. وهذا يتوافق تماماً مع العبارة التي اقتبسناها من يوحنا ١:١٧:

الناموس بموسى أُعطي.

وقد أُعطي هذا الناموس كنظام مستقل كامل للوصايا والمثل والطقوس والأحكام. كل هذه محتواة بمجملها في أربعة أسفار من الكتاب المقدس هي الخروج واللاويين والعدد والتثنية.

قبل عصر موسى لم يكن هناك نظام ناموسي إلهي ولم يُصَف إلى ناموس موسى شيء بعد ذلك العصر. ويوضح موسى حقيقة أنَّ الناموس الكامل قد أُعطي مرة واحدة وإلى الأبد بقوله:

فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلمكم لتعملوها لكي تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي الرب إله آبائكم يعطيكم. لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه لكي تحفظوا وصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها (تثنية ٤: ١-٢).

هذه الكلمات تُظهر أنَّ نظام الناموس الذي أعطاه الله لإسرائيل على يد موسى كان نظاماً كاملاً ونهائياً، فلا مجال للزيادة عليه أو الحذف منه.

وهذا يقودنا بشكل طبيعي إلى حقيقة عظيمة أخرى يجب أن تؤكَّد بوضوح بخصوص حفظ الناموس، وهي أنَّ كل شخص يوضع تحت الناموس ملزم بحفظ الناموس كله دائماً. فحفظ بعض أجزاءه وإهمال الأخرى هي مسألة غير واردة على الإطلاق، وليس وارداً أيضاً أن يتم حفظه في أوقات معينة دون أخرى. فكل من هو تحت الناموس ملزم بالضرورة بحفظه كاملاً وفي الأوقات كلها،

لأنَّ من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرمًا في الكل. لأنَّ الذي قال: لا تزني، قال أيضاً: لا تقتل. فإن لم تزني ولكن قتلت فقد صرت متعدياً الناموس (يعقوب ٢: ١٠-١١).

هذا واضح ومنطقي، فلا يستطيع إنسان أن يقول: "أنا أحفظ بعض الأمور التي اعتبرها مهمة في الناموس ولا أحفظ تلك التي اعتبرها غير مهمة." فكل من هو تحت الناموس عليه أن يحفظ متطلباته كلها، فإذا كسر وصية واحدة فقد كسر الناموس كله.

فالناموس نظام فريد متكامل لا يمكن تقسيمه إلى أجزاء ينبغي تطبيقها وأجزاء أخرى لا تُطبَّق، بل يجب أن يُقبل وأن يطبَّق كاملاً من دون نقص لتحقيق البر، وأي مقياس أقل من هذا المقياس، يفتقر إلى الفائدة وإلى الشرعية مهما كان:

لأنَّ جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب:
ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل
به (غلاطية ٣: ١٠).

لاحظ العبارة "يثبت في جميع ما هو مكتوب". إنها تؤكد مرة أخرى على أنَّ كل من هو تحت الناموس مطالبٌ بحفظه كله كل الوقت، ومن يتعدى وصية واحدة فقد تعدى الناموس كله ووقع تحت اللعنة الإلهية المعلنة على كل من يتعدى الناموس.

ومن هنا نأتي إلى الحقيقة المهمة الثالثة بخصوص الناموس وهي حقيقة تاريخية واقعية تؤكد أنَّ نظام الناموس المعطى بواسطة موسى، هو نظام عيَّنه الله لقطاع صغير من البشر فقط هم شعب إسرائيل، وذلك بعد تحريرهم من عبودية مصر. ولا يوجد مكان في الكتاب المقدس يشير إلى أنَّ الله طالب الأُمم بحفظ الناموس أو جزء منه، لا على مستوى الجماعات ولا على مستوى الأفراد. والاستثناء الوحيد لهذا نجده في بعض الأفراد الأمميّين الذين اختاروا طوعاً أن يصيروا من شعب إسرائيل، فوضعوا أنفسهم بذلك تحت كل الالتزامات الدينية والقانونية التي فرضها الله على إسرائيل. ومثل هؤلاء الأمميّين المتهودين يسميهم العهد الجديد "الدُّخلاء" (أنظر أعمال ٦: ٥). عدا هذه الاستثناءات لم يفرض الله التزامات الناموس على أحدٍ من الأُمم.

سنلخّص الآن باختصار هذه الحقائق الثلاث المهمة والتي ينبغي أن نعرفها قبل دراسة العلاقة بين المؤمن المسيحي والناموس.

- ١- أُعطي الناموس مرة واحدة وإلى الأبد كنظام مستقلّ وكامل على يد موسى. لذلك لا يمكن أن نُضيف إليه أو أن نحذف منه شيئاً.

- ٢- ينبغي أن يُحفظ الناموس بأكمله كنظام متكامل، وكسر وصية واحدة منه تعني كسره بأكمله.
- ٣- كحقيقة تتعلق بالتاريخ البشري، لم يُفرض نظام الناموس على الأمم أبداً بل على شعب إسرائيل فقط.

المؤمنون ليسوا تحت الناموس

بعد أن وضعنا هذه الحقائق كقاعدة لدراستنا، فلنتفحص الآن بالتدقيق تعليم العهد الجديد عن العلاقة بين المؤمن المسيحي والناموس. يتعرّض العهد الجديد إلى هذه المسألة في عدّة مواضع، وفي كل مرة نجد الحقيقة الواضحة المحدّدة نفسها، وهي أنّ برّ المؤمن المسيحي لا يعتمد على حفظ أي جزء من الناموس مطلقاً. فلنلقي نظرة على عدد من المواضع التي توضّح هذا في العهد الجديد:

أولاً يقول بولس للمؤمنين في رومية ٦: ١٤:

فإنّ الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.

هذا العدد يُعلن حقيقتين هامتين: الأولى أنّ المؤمنين المسيحيين ليسوا تحت الناموس بل تحت النعمة. وفيما يلي عبارتان تلغي كل منهما الأخرى بالتبادل: "كل من هو تحت النعمة لا يكون تحت الناموس"، و "لا يمكن لأحد أن يكون تحت النعمة وتحت الناموس في الوقت نفسه". والحقيقة الثانية التي يُعلنها هذا العدد هي أنّ السبب الذي يجعل الخطية لا تسود على المؤمنين هو أنهم ليسوا تحت الناموس، فما دام أحدهم تحت الناموس فهو تحت سيادة الخطية، وللتخلّص من سيادة الخطية ينبغي التحرر من الناموس.

أمّا شوكة الموت فهي الخطية، وقوة الخطية هي الناموس

(١ كورنثوس ١٥: ٢٦).

فالواقع أنّ الناموس يقوّي سيادة الخطية على أولئك الذين هم تحته، وكلما حاولوا

وكافحوا أكثر لحفظ الناموس، كلما ازداد إدراكهم لقوة الخطية وسيادتها في داخلهم، محبطين بذلك كل محاولات العيش بحسب الناموس. والحل الوحيد للهروب من سيادة الخطية هذه، هو التحول من تحت الناموس إلى تحت النعمة،

لأنه لما كنا في الجسد كانت أهواء الخطايا التي بالناموس تعمل في أعضائنا لكي نثمر للموت. وأمّا الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعشق الحرف (رومية ٧: ٥-٦).

يقول بولس هنا أنّ الذين تحت الناموس خاضعين لأهواء الخطايا التي تعمل في أعضائهم أي في طبيعتهم الجسدية، مما ينتج ثمر الموت. أمّا كمؤمنين "فقد تحررنا من الناموس" لنعبد الله لا بحرفية الناموس بل بجدة الحياة الروحية التي نلناها بالإيمان في المسيح. ومرة أخرى في رومية ١٠: ٤ يقول بولس:

لأنّ غاية الناموس هي المسيح للبرّ لكل من يؤمن.

فالحظة التي يضع فيها شخص ما ثقته وإيمانه في المسيح من أجل خلاصه، هي غاية الناموس (أي نهايته) كوسيلة لتحقيق البر بالنسبة لذلك الشخص. إنّ بولس دقيق للغاية فيما يقوله هنا، فهو لا يقول أنّ هناك نهاية للناموس باعتباره جزءاً من كلمة الله، فكلمة الله ثابتة إلى الأبد، ولكن هناك نهاية للناموس باعتباره وسيلة لتحقيق البرّ للمؤمن. فبرّ المؤمن ليس مشتقاً من حفظ الناموس فيما بعد، سواءً قُصد بذلك الناموس كلّهُ أو بعضه، لكن البرّ هو نتيجة للإيمان في المسيح فقط.

ويقول بولس بأنّ الناموس وصل إلى نهايته كوسيلة لتحقيق البرّ بموت المسيح الكفّاري على الصليب:

وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلّف جسدكم، أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا، إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدّاً لنا وقد رفعه من الوسط مسمّراً إياه بالصليب (كولوسي ٢: ١٣-١٤).

يقول بولس هنا أنه بسبب موت المسيح محا الله "الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدًا لنا" ولا يقصد بولس هنا محو الخطايا بل محو الفرائض والطقوس (أي متطلبات الناموس) التي تقف حائلًا بين الله وبين أولئك الذين يتعدون هذه الفرائض لذلك ينبغي إزالتها من الطريق قبل أن يتمكن الله من منحهم الرحمة والغفران. إنَّ الكلمة "فرائض" هنا تشير إلى مجمل نظام الناموس الذي أعطاه الله على يد موسى ومن ضمنه ذلك الجزء الذي نسميه عادة "الوصايا العشر". ويؤكد بولس على أنَّ هذا ينطبق على الوصايا العشر في نفس الأصحاح حيث يقول:

فلا يحكم عليكم أحد في أكلٍ أو شربٍ أو من جهة عيدٍ أو هلالٍ أو سبت (كولوسي ٢: ١٦).

وهذه العبارة - كما يشير حرف الفاء في بدايتها - مرتبطة بما تمَّت الإشارة إليه في الأعداد السابقة لها، وهو محو فرائض الناموس من خلال موت المسيح. والإشارة إلى السبت في نهاية هذا العدد تعني أنَّ حفظ يوم السبت هو إحدى تلك الفرائض التي محاها الله، مع أنَّ وصية حفظ السبت هي الوصية الرابعة من الوصايا العشر، مما يدل على أنَّ هذه الوصايا هي من ضمن فرائض الناموس التي محاها الله وأزالها من الطريق بواسطة موت المسيح.

وهذا يؤكد ما سبق ورأيناه من أنَّ الناموس - بما فيه الوصايا العشر - هو نظامٌ كاملٌ مستقلٌّ قدَّمه الله لإسرائيل على يد موسى، كنظام متكاملٍ لتحقيق البرِّ، ثم ألغى بصفته هذه (وسيلةً لتحقيق البرِّ) على يد المسيح كنظام متكاملٍ أيضاً،

لأنه هو (المسيح) سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً (أفسس ٢: ١٤-١٥).

يقول بولس هنا أنَّ المسيح بموته الكفَّاري على الصليب قد أبطل "ناموس الوصايا"

مزيلاً بذلك الخط الفاصل الذي رسمه ناموس موسى بين اليهود والأمم، فصار لكليها الحق بالمصالحة مع الله ومع بعضهما بواسطة الإيمان في المسيح.

إنَّ العبارة "ناموس الوصايا" تشير بأكثر وضوح ممكن إلى أنَّ ناموس موسى بأسره، ومن ضمنه الوصايا العشر، لم يعد له تأثير باعتباره وسيلةً لتحقيق البر، وذلك بسبب موت المسيح على الصليب.

وفي ١ تيموثاوس ٨: ١-١٠، يناقش بولس علاقة المؤمن المسيحي بالناموس ليصل إلى النتيجة نفسها:

ولكننا نعلم أنَّ الناموس صالحٌ إن كان أحد يستعمله ناموسياً، عالماً هذا: أنَّ الناموس لم يوضع للبار، بل للأثمة والمتمردين، للفجَّار والخطاة، للدنسين والمستبشرين، لقاتلي الآباء وقاتلي الأمهات لقاتلي الناس، للزناة لمضاجعي الذكور لسارقي الناس للكذَّابين للحنثين وإن كان شيء آخر يقاوم التعليم الصحيح.

ويعرّف هنا بولس صنفين من الناس: الإنسان البار من جهة، وأولئك الأثمة بسبب الخطايا التي يعددها بولس من جهة أخرى. إنَّ الإنسان المذنب بهذه الخطايا ليس مؤمناً مسيحياً حقيقياً مخلصاً بالإيمان في المسيح. أمّا من يثق في المسيح من أجل خلاص نفسه فلا يعود مذنباً بمثل هذه الخطايا لكنه يُبرَّر، ليس بسبب برِّه الشخصي بل ببرِّ الله الذي بالإيمان ببسوع المسيح لكل وعلى كل من يؤمن.

يؤكد بولس بأنَّ الناموس لم يوضع من أجل إنسانٍ بار كهذا فهو ليس تحت سيادة الناموس فيما بعد.

لأنَّ كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله (رومية ٨: ١٤).
فأبناء الله المؤمنون فعلاً هم أولئك الذين ينقادون بروح الله، هذه علامة أولاد الله الذين يقول لهم بولس:

ولكن إذا انقذتم بالروح فليستم تحت الناموس (غلاطية ٥: ١٨).

فهذه هي الميزة الرئيسة التي تُظهر أولاد الله المؤمنين بالفعل وهي أنهم ينقادون بالروح وهي تعني أيضاً أنهم ليسوا تحت الناموس.

ويمكن تلخيص هذه الحقيقة بما يلي: إذا كنت ابناً حقيقياً لله بواسطة الإيمان في المسيح فدليل ذلك أنك تنقاد بروح الله. وإذا كنت منقاداً بروح الله فلست تحت الناموس. لذلك لا يمكن أن تكون ابناً لله وتكون تحت الناموس في الوقت نفسه. فأولاد الله ليسوا تحت الناموس. ويمكن توضيح هذه المفارقة بين الناموس والروح إذا تخيلنا محاولة إيجاد الطريق إلى مكان معين باستخدام وسيلتين مختلفتين: الأولى هي الخريطة، والثانية هي أن نتبع شخصاً كقائدٍ وكدليل. فالخريطة هنا تشير إلى الناموس والقائد يشير إلى الروح القدس. الناموس يوفر للإنسان خريطةً دقيقةً ومفصلةً، ثم يطلب منه أن يتبع بدقة كل التفاصيل الموجودة في الخريطة من دون زلل، لكي ترشده هذه الخريطة إلى الطريق من الأرض إلى السماء، مع أن أحداً لم يستطع أن يحقق هذا المقياس من الدقة من قبل. وهذا يشير إلى عجز الإنسان عن اجتياز الرحلة من الأرض إلى السماء بحفظه المعصوم لكل تفاصيل الناموس.

أمّا المؤمن تحت النعمة فيسلم نفسه للمسيح كمخلص، ثم يرسل المسيح الروح القدس إلى ذلك المؤمن ليكون قائده الشخصي. والروح القدس يعرف الطريق إلى السماء لأنه أتى من هناك ولا يحتاج إلى استخدام الخرائط. لذلك لا يحتاج المؤمن في المسيح والمنقاد بالروح القدس إلى خريطة، بل عليه أن يتبع قائده الشخصي ليصل به إلى السماء. إنه لا يعتمد على الخريطة التي تمثل الناموس، بل تكون لديه كل الثقة بشيء واحد وهو أن الروح القدس لن يقوده أبداً ليفعل شيئاً معاكساً لطبيعته فائقة القداسة. لهذا يعلمنا العهد الجديد بأن من هم تحت النعمة ينقادون بالروح القدس ولا يعتمدون على الناموس.

نستنتج من هذا كله بأن الله لم يتوقع مطلقاً من الإنسان أن يحصل على البر من خلال حفظ الناموس، لا جزئياً ولا كلياً. وهذا يطرح سؤالاً مثيراً: إن كان الله لم يتوقع أن يحقق الإنسان البر عن طريق حفظ الناموس، فلم أعطي الناموس أصلاً للإنسان؟ وسنتناول هذا السؤال، بالبحث في الفصل التالي.

الهدف من الناموس

إعلان الخطية

إنَّ الهدف الأساسي الأول من الناموس هو أن يتمكّن الإنسان من مشاهدة حالته الخاطئة:

ونحن نعلم أنّ كل ما يقوله الناموس فهو يكلّم به الذين في الناموس لكي يستدّ كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله. لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه. لأنّ بالناموس معرفة الخطية (رومية ٣: ١٩-٢٠).

لاحظ أولاً العبارة "بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه" (ع ٢٠) وهذا يعني عدم قدرة أي إنسان على تحقيق البرّ أمام الله بحفظ الناموس. بالإضافة إلى هذا، يؤكد بولس مرتين وباستخدام عبارتين مختلفتين، على الهدف الرئيس الذي أُعطي الناموس لأجله. فهو يقول أولاً: "يصير كل العالم تحت قصاص من الله". وفي ترجمة أخرى: "ويخضع العالم كله لحكم الله" (ت.ع.ج) أي لدينونه. ويقول ثانياً: "بالناموس معرفة الخطية".

نرى إذاً أنّ الناموس لم يُعط ليُجعل الإنسان بارّاً بل ليُجعله واعياً ومدرَكاً بأنّه خاطيء وبأنّه خاضع لدينونة الله على الخطية.

- فماذا نقول! هل الناموس خطية؟ حاشا! بل لم أعرف الخطية إلّا بالناموس فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس: لا تشته (رومية ٧: ٧).

- إذاً، الناموس مقدّس والوصية مقدّسة وعادلة وصالحة. فهل صار لي الصالح موتاً؟ حاشا! بل الخطية لكي تظهر خطية منشئة لي بالصالح موتاً لكي تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية (رومية ٧: ١٢-١٣).

يستخدم بولس ثلاث عبارات تعطي كلها المعنى نفسه:

- لم أعرف الخطية إلّا بالناموس (رومية ٧: ٧).
- ...بل الخطية. لكي تظهر خطية (رومية ٧: ١٣).
- تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية (رومية ٧: ١٣).

وهذا يعني أنّ الهدف من الناموس هو إعلان الخطية وإظهارها بألوانها الحقيقية، فبراها الإنسان خبيثة ومدمّرة ومميتة كما هي بالفعل، ولا يبقى له عذر بأن يُخدع، عندما يتعلق الأمر بحالته المفرطة بالخطية. فعندما تعالج الأمراض الخاصة بجسد الإنسان في الطب، يجب إتباع ترتيب محدّد يبدأ أولاً بالتشخيص ثم العلاج. فالطبيب يبدأ بفحص المريض ويحاول أن يتحقق من طبيعة وسبب المرض، وفقط بعد أن يتمكّن من ذلك، يستطيع أن يصف العلاج المناسب.

يستخدم الله هذا الترتيب نفسه في تعامله مع احتياجات الإنسان الروحية، فقبل وصف العلاج يشخص الله الحالة. والسبب الأصلي في كل عوز ومعاناة الإنسان يكمن في عاملٍ مشترك بين البشر كلّهم، إنه الخطية. ولا يمكن تقديم علاج شافٍ لعوز الإنسان حتى يتم تشخيص حالته هذه. والكتاب المقدس هو الكتاب الوحيد في العالم الذي يمكن أن يشخص سبب عوز ومعاناة الإنسانية جمعاء، لهذا السبب وحده - على الأقل - يمكن اعتبار الكتاب المقدس كتاباً لا يقيّم بثمن ولا يُستغنى عنه أبداً، فضلاً عن كل فوائده الأخرى.

إثبات عجز الإنسان عن تخليص نفسه

الهدف الثاني من الناموس هو أن يرى الناس أنهم غير قادرين على جعل

أنفسهم أبراراً بمجهوداتهم الشخصية. فهناك ميل طبيعي في كل إنسان إلى الاستقلال عن نعمة الله ورحمته. هذه الرغبة بالاستقلال عن الله هي دليل على طبيعة الإنسان الخاطئة وهي نتيجة لتلك الطبيعة في الوقت نفسه. رغم ذلك لا يرى معظم الناس هذه الرغبة كما هي فعلاً، فما أن يوبّخ الإنسان بسبب حالته الخاطئة، حتى يبدأ بالسعي لاجاد الوسائل التي يستطيع أن يشفي نفسه بها، صانعاً برّه الشخصي بمجهوداته الشخصية من دون الاعتماد على نعمة الله ورحمته. وهذا ما جعل النواميس والأنظمة الدينية تصبح ملاذاً قوياً للبشر عبر الأجيال. فقد سعى البشر بغض النظر عن جنسياتهم وخلفياتهم إلى إسكات الصوت الداخلي في ضمائرهم عن طريق ممارسة مثل هذه الشرائع والناواميس صانعين برّهم الذاتي بمجهودهم الشخصي. هذا هو تماماً ما عمله الكثيرون من اليهود المتدينين كردّ فعل على ناموس موسى. ويصف بولس محاولة إسرائيل لتأسيس برّهم الذاتي فيقول:

لأنهم إذ كانوا يجهلون برّ الله ويطلبون أن يثبتوا برّ أنفسهم لم يُخضعوا لبرّ الله (رومية ١٠: ٣).

وبسبب محاولتهم هذه فشلوا في الخضوع لله ولطريقته في منح البرّ، وكان الكبرياء الروحي هو السبب الرئيس لفشلهم، إذ أنهم رفضوا الخضوع لله ورغبوا بالاستقلال عن نعمته ورحمته.

يصف بولس التجربة التي خاضها مع نفسه في يوم من الأيام، حينما كان يكافح من أجل تحقيق البرّ في حياته من خلال حفظ الناموس. إنها تجربة كل من يتحلّى بالصدق مع نفسه، فيضطر إلى الاعتراف بعجزه عن جعل نفسه بارّاً من خلال حفظه لبعض الشرائع الدينية والاخلاقية. يقول بولس في رومية ٧: ١٨-٢٣:

فإني أعلم أنه ليس ساكن فيّ، أي في جسدي، شيء صالح. لأنّ الإرادة حاضرة عندي وأمّا أن أفعل الحسنى فلست أجد. لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل. فإن كنت ما لست أريده أياها أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فيّ. إذ

أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشرّ حاضر عندي.
فإنني أُسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن، ولكنني أرى ناموساً آخر
في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن
في أعضائي.

يتحدث بولس هنا كمن يعترف برغبته في أن يعيش بحسب الناموس، ويقرّ بحاجة
إلى البرّ الذي يتوقع الحصول عليه بحفظ الوصايا، لكنه كلما كافح أكثر لتطبيق هذه
الوصايا كلما أدرك وجود ناموس آخر وقوة أخرى في طبيعته الجسدية تحارب ناموس
الله باستمرار، وتحبط أقوى مجهوداته للتمتع بالبرّ بواسطة حفظ الناموس. ويعبّر بولس
عن محور هذا الصراع الداخلي في عدد ٢١ قائلاً:

إذ أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشرّ حاضر عندي.
وفي ترجمة أخرى:

وهكذا أجد أنني في حكم هذه الشريعة، وهي أنني أريد أن أعمل الخير
ولكن الشرّ هو الذي بإمكانني (ت.ع.ج).

وهذا تناقض ظاهري إلا أن التجربة الإنسانية أثبتت صحته. فالإنسان لا
يعرف كم هو سيء إلا عندما يحاول أن يكون صالحاً، وفي كل محاولة للعيش بطريقة
صالحة، يرى الإنسان بوضوح أكثر عجز وفساد ومرض طبيعته الجسدية، ويكتشف
أن كل جهوده التي بذلها وكل نيّاته الحسنة التي أضمرها بلا فائدة على الإطلاق.
فالهدف الثاني من الناموس هو أن يعرف البشر أنهم ليسوا خطاة فحسب لكنهم
عاجزين كلياً عن تخلص أنفسهم من الخطية أو تبرير أنفسهم بمجهوداتهم الشخصية.

الإيذان بمجيء المسيح

الهدف الثالث من إعطاء الناموس هو الإيذان المسبق بمجيء المسيح المخلص،
والذي بواسطته فقط يستطيع الإنسان أن يحصل على الخلاص والبرّ الحقيقيين. وقد

حقق الناموس هذا الهدف بطريقتين: الأولى عن طريق النبوة المباشرة. والثانية بإعلان شخص المسيح من خلال المراسيم والطقوس المتعلقة بفرائض الناموس.

من الأمثلة على النبوة المباشرة في الناموس، ما نجده في تثنية ١٨:١٨ حيث يكلم الله موسى بخصوص شعبه قائلاً:

أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به.

ويقتبس بطرس هذه الكلمات فيما بعد مشيراً بها إلى يسوع المسيح (انظر أعمال ٣: ٢٢-٢٦)، فهذه النبوة التي سبق موسى فأعلنها في الناموس تمت في شخص المسيح في العهد الجديد.

أما في ذبائح ومراسيم الناموس فهناك الكثير مما يشير إلى يسوع المسيح المخلص المزمع أن يأتي إلى العالم. مثال ذلك ما نجده في خروج ١٢ في شريعة حمل الفصح، فهو يشير إلى الخلاص بالإيمان بدم يسوع المسيح الكفاري الذي سفك وقت عيد الفصح على صليب الجلجثة.

كذلك فإن الذبائح المختلفة المرتبطة بالتكفير عن الخطية والتقرب من الله، والموصوفة في الاصحاحات السبعة الأولى من سفر اللاويين، تشير كلها إلى أمور مختلفة تتعلق بذبيحة يسوع وموته الكفاري على الصليب. وهذا ما جعل يوحنا المعمدان يقدم المسيح للناس بهذه الكلمات:

هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم (يوحنا ١: ٢٩).

وبمقارنة المسيح بالحمل استطاع شعب إسرائيل أن يرى أن المسيح هو الحقيقة التي كانت كل طقوس الذبائح الناموسية ظلاً لها. ويلخص بولس هذا الهدف من الناموس في كلماته لأهل غلاطية:

لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليُعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون. ولكن قبلما جاء الإيمان كنّا محروسين تحت

الناموس مغلقا علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن. إذا قد كان الناموس مؤدّبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان (غلاطية ٣: ٢٢-٢٤).

والكلمة اليونانية المترجمة هنا "مؤدّبنا" تشير في الأصل إلى عبدٍ متقدّم في حاشية رجل غني، مهمته الرئيسية هي تعليم أولاد الرجل الغني في المراحل الابتدائية الأولى ثم مرافقتهم وحرصاتهم في طريقهم إلى المدرسة كل يوم، حيث يتلقون تعليمًا أكثر تقدّمًا. وهكذا قدّم الناموس الارشادات الابتدائية الأولى لإسرائيل فيما يتعلّق بمتطلبات البرّ ثم صار بمثابة وسيلة لإرشادهم كي يؤمنوا بيسوع المسيح ويتعلّموا درس البرّ الحقيقي منه. ذلك البرّ الذي يُقبل بالإيمان من دون أعمال الناموس.

وكما تنتهي مهمة ذلك العبد (المؤدّب) حالما يسلم أولاد سيده لعناية معلم أكثر خبرة وتدريب في المدرسة، هكذا أيضا انتهت مهمة الناموس عندما سلّم إسرائيل للمسيح (يسوع المسيح) وجعلهم يدركون حاجتهم إلى الخلاص بالإيمان بالمسيح، لذلك يختم بولس حديثه السابق في غلاطية قائلا:

ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدّب (غلاطية ٣: ٢٥).

أي أننا لم نعد تحت الناموس.

حفظ الشعب القديم

في كلمات بولس هناك عبارة تكشف عن عمل مهم آخر للناموس وعلاقته بإسرائيل. فيقول بولس باعتباره واحداً من شعب إسرائيل:

ولكن قبلما جاء الإيمان كنّا محروسين تحت الناموس مغلقا علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن (غلاطية ٣: ٢٣).

لقد حافظ الناموس على إسرائيل كشعب خاص كان قد أفرزه الله عن الشعوب الأخرى، تميّزه طوقسه وشرائعه الخاصة وأبقاه محفوظاً للأهداف الخاصة التي دعاه الله من أجلها. ويرى بلعام النبي خطّة الله في الرؤيا الإلهية الخاصة بمصير إسرائيل حيث يتنبأ قائلاً:

هوذا شعب يسكن وحده،

بين الشعوب لا يُحسَب (عدد ٢٣:٩).

لقد كانت إرادة الله الكاملة من نحو إسرائيل أنه ينبغي أن يسكن وحده كأمّة فريدة وخاصة. وحتى بعد أن فشل إسرائيل بتحقيق هذا الهدف بسبب العصيان الذي أدّى إلى تشتيتهم كمنفيين ومتنقلين بين كل الأمم، ظلّ إسرائيل كما قال عنه الله "بين الشعوب لا يُحسَب". لقد كان الالتصاق المستمر بناموس موسى هو الأداة التي حفظت لذلك الشعب هويّة ما.

وفي الختام نستطيع أن نلخص الأهداف الأربعة التي أُعطي الناموس من أجلها على يد موسى:

- ١- أُعطي الناموس ليتمكّن الإنسان من رؤية حالته الخاطئة.
- ٢- أظهر الناموس عجز الإنسان الخاطيء عن جعل نفسه باراً بمجهوداته الشخصية.
- ٣- ساهم الناموس في الإشارة المسبقة إلى المخلص الذي كان مزعماً أن يأتي، والذي بواسطته يستطيع الإنسان أن يقبل الخلاص والبرّ. وهذه الإشارة كانت إمّا بالنبوءة المباشرة أو بأنماط الطقوس الناموسية.
- ٤- ساهم الناموس في حفظ الشعب القديم معزولاً عن الأمم الأخرى عبر قرون من التشييت.

المسيح كمّل الناموس تماماً

إنّ بحثنا في العلاقة بين الناموس والإنجيل لا يمكن أن يكتمل من دون أن نأخذ بالاعتبار الكلمات التي يلخص بها المسيح نفسه موقفه من الناموس وعلاقته به:

لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمّل، فإنني الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا

يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل
(متى ٥: ١٧-١٨).

من أي منطلق نستطيع أن نعتبر أنَّ المسيح قد كَمَّلَ الناموس؟ أولاً كَمَلَّه من خلال برِّه
وحياته الطاهرة وبحفظه المستمر لكل فرائض الناموس من دون زلل.

... أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين
تحت الناموس، لننال التبني (غلاطية ٤: ٤-٥).

لاحظ الكلمات "مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس" فقد كان المسيح، بمولده كإنسان،
يهودياً خاضعاً لكل فرائض والتزامات الناموس، وقد كَمَلَّها تماماً خلال حياته على
الأرض من دون أن ينحرف قيد أنملة عن مطالبات الناموس، فكان يسوع المسيح هو
الوحيد الذي كَمَّلَ الناموس بكل تفاصيله من بين كل الذين هم تحت الناموس.

ثم أنَّ المسيح قد كَمَّلَ الناموس من منطلق آخر وذلك بموته الكفَّاري على
الصليب فهو:

الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر... الذي حمل هو نفسه
خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبرِّ
(١ بطرس ٢: ٢٢، ٢٤).

المسيح نفسه وهو بلا خطية، حمل خطايا كل الذين هم تحت الناموس ودفع الأجرة
الكاملة التي يطلبها الناموس بدلاً عنهم، وهكذا يستطيع الله أن يمنح غفراناً كلياً مجاناً
لكل من يؤمن بموت المسيح الكفَّاري، من دون أن يساوم على عدالته الإلهية.

إذاً فقد كَمَّلَ المسيح الناموس في حياته التي عاشها في برٍّ كامل، ثم في موته
الذي حقق بواسطته مطلب الناموس العادل من كل إنسانٍ لم يحفظه تماماً.

لكن المسيح كَمَّلَ الناموس من منظور ثالث أيضاً. وذلك بأن جمع في نفسه كل
جوانب الناموس النبوية بخصوص المخلص والمسيح الذي وعد الله بإرساله. وحتى في
بداية خدمة المسيح على الأرض نقرأ ما قاله فيلبس لثنائيل:

وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة (يوحنا ١: ٤٥).

ومرة أخرى بعد موته وقيامته قال المسيح لتلاميذه:

هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير (لوقا ٢٤: ٤٤).

نرى إذا أن المسيح قد كَمَّلَ الناموس من خلال ثلاث طرائق:

- ١ - حياته الكاملة
- ٢ - موته الفدائي وقيامته
- ٣ - تحقيقه لكل ما أنبأ به الناموس بخصوص المخلص والمسيح المزمع أن يأتي

وهكذا نجد أنفسنا على اتفاق تام مع كلمات بولس:

أفنبطل الناموس بالإيمان؟ حاشا! بل نثبت الناموس (رومية ٣: ٣١).

والمؤمن الذي يقبل موت يسوع المسيح الكفاري بدلا منه كتكميل للناموس يستطيع أن يقبل أيضا - من دون مساومة أو شروط - كل حرف وكل نقطة في الناموس، وأن يعتبره صحيحا وثابتا بأكمله. فالإيمان في المسيح من أجل الخلاص لا يُهمش إعلان الناموس أو يُبطله، بل يكمله،

لأن غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن (رومية ١٠: ٤).

الكلمة اليونانية المترجمة هنا "غاية" لها معنيان متصّلان، فهي تعني "هدف" وتعني أيضا "نهاية". وفي الحالتين فقد وصل الناموس إلى "غايته" بالمسيح. فحسب المعنى الأول، وصل بنا الناموس إلى المسيح بنجاح فلم نعد محتاجين إليه من جهة هذه الوظيفة. وحسب المعنى الثاني فإن المسيح وضع حدا بموته للناموس من جهة اعتباره

وسيلة لتحقيق البرّ أمام الله، فالإيمان في المسيح الآن هو المتطلّب الوحيد والكافي لنيل البرّ.

مع هذا فإنّ الناموس ما زال ثابتاً في كل الاعتبارات الأخرى. فهو بمجمله جزء من كلمة الله الثّابتة إلى الأبد، وتاريخ الناموس ونبوّاته وإعلانه العام لفكر ومشورة الله سنبقى ثابتةً وصحيحةً إلى الأبد.

البرُّ الحقيقي

ذهب أحدهم إلى الطبيب يشكو ألماً في أمعائه، وبعد الكشف شخّص الطبيب مشكلة ذلك الرجل بأنها التهاب في الزائدة الدودية.

- "التهاب في الزائدة الدودية!" قال الرجل مستغرباً "وما هو هذا؟!"
- "إنه تهيجٌ والتهابٌ في زائدةٍ لحميةٍ موجودةٍ في أمعائك."
- "لم أكن أعرف من قبل أنه يوجد في أحشائي شيء كهذا يمكن أن يلتهب!"

فكأنما ذلك الرجل هو صورة عن المؤمنين الذين يعلمون بوجود مشكلة عميقة في اختبارهم الروحي، تعبّر عن نفسها عن طريق أعراضٍ مختلفة، كعدم الاتزان وعدم المثابرة وضعف اليقين والافتقار إلى السلام. وإذا أُخْبِرَتْ مثل هؤلاء المؤمنين بأنَّ السبب الأصلي لمشكلتهم هو عدم فهمهم لبعض مبادئ العهد الجديد، كالعلاقة بين الإيمان والأعمال أو بين النعمة والناموس، فإنهم يعترضون - مثل ذلك الرجل المصاب بالتهاب الزائدة الدودية - بأنهم لم يكونوا يعرفون حتى ذلك الوقت أنَّ للعهد الجديد رأي في مثل هذه المواضع.

فدعونا نوجز باختصار ما توصّلنا إليه بخصوص النعمة والناموس حتى الآن:

١- يعلّم العهد الجديد بمجمله بأنَّ الخلاص يُقْبَل بالإيمان وحده، الإيمان بعمل المسيح الكفّاري الذي تمَّ على الصليب ومن دون أعمالٍ مهما كانت.

٢- يَظهر هذا الإيمان فيما بعد من خلال أعمالٍ مناسبةٍ تتوافق مع الإيمان.

٣- هذه الأعمال التي تعبّر عن الإيمان الحقيقي ليست هي أعمال الناموس، إذ أنّ البرّ الذي يطلبه الله لا يمكن تحقيقه بحفظ ناموس موسى.

هذه الاستنتاجات المتعلقة بطبيعة وهدف الناموس تقودنا إلى السؤال التالي: إذا كان حفظ الناموس لا يعبر عن الإيمان الذي يقود إلى الخلاص، فما هي إذا تلك الأعمال التي يمكن اعتبارها تعبيراً عن ذلك الإيمان؟ ما هي الأعمال المناسبة المتوقعة في حياة كل شخص يعترف بإيمانه في المسيح كمخلص له؟

يقدم بولس إجابة هذا السؤال، حيث يوفر لنا مفتاحاً لفهم العلاقة بين الناموس والنعمة، في رسالته إلى أهل رومية:

لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد فانه إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح (رومية ٨: ٣-٤).

والمفتاح هنا هو العبارة "لكي يتم حكم الناموس فينا" والكلمة "فينا" تشير إلى المؤمنين المنقادين بالروح. فليس مطلوباً من المؤمنين أن يتمموا الناموس نفسه بل "حكم الناموس" أي "البرّ الذي تسعى إليه الشريعة (الناموس)" (كتاب الحياة). فما هو المقصود بالبرّ الذي يسعى إليه الناموس؟ لقد قدم يسوع نفسه الجواب في ردّه على أحد الناموسيين اليهود:

وسأله واحد منهم وهو ناموسي ليجربه قائلاً: يا معلم أيّة وصيّة هي العظمى في الناموس؟ فقال له يسوع: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك، هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلّق الناموس كله والأنبياء (متى ٢٢: ٣٥-٤٠).

أعظم وصيتين

بهذه الكلمات يعرف يسوع "حكم الناموس" أو "البر الذي يسعى إليه الناموس". لقد أُعطي ناموس موسى في فترة زمنية محدّدة في التاريخ البشري فقط ولشريعة محدّدة من البشر، ولكن خلف هذا النظام الناموسي الكامل تكمن شرائع الله العظيمة والثابتة إلى الأبد والمعطة لكل البشرية: "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك" و "تحب قريبك كنفسك". ولم يكن النظام الناموسي المعطى على يد موسى إلا إطاراً لهاتين الوصيتين العظيمتين وتطبيقاً تفصيلياً لهما. هاتان الوصيتان، محبة الله ومحبة القريب، هما قاعدة ناموس موسى وهما مجمل خدمة ورسالة أنبياء العهد القديم. ها هي إذاً متطلبات الناموس من جهة البرّ ملخّصة في وصيتين شاملتين: "تحب إلهك" و "تحب قريبك"، وفي ١ تيموثاوس ١: ٥-٧ يؤكد بولس هذه الحقيقة قائلاً:

وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء. الأمور التي إذ زاغ قوم عنها، انحرفوا إلى كلام باطل. يريدون أن يكونوا معلّمي الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررونه.

لاحظ هذه العبارة المُلهمّة: "أما غاية الوصية فهي المحبة". فقد كان الهدف الأسمى من إعطاء الناموس هو ترسيخ محبة الله ومحبة القريب. ويتابع بولس حديثه مؤكداً بأنّ من يسعون لتعليم ناموس موسى وتفسيره من دون أن يفهموا الهدف الأساسي لمجمل الناموس قد "انحرفوا إلى كلام باطل... وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررونه". أي أنّ مثل أولئك المفسّرين قد ضلّوا تماماً عن ادراك الفكرة الرئيسة من وراء الناموس والتي هي المحبة. إنّ ناموس المحبة هذا، محبة الله والإنسان، هو الناموس الأساسي الذي يكمن خلف كل النواميس والشرائع.

ويتحدث بولس عن ناموس المحبة الأسمى في رومية ١٣: ٨-١٠ قائلاً:

لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأن يحب بعضكم بعضاً، لأنّ من

أحبّ غيره فقد أكمل الناموس. لأن لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وإن كانت وصيّة أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة: أن تحب قريبك كنفسك. المحبة لا تصنع شراً للقريب، فالمحبة هي تكميل الناموس.

وبعبارة أكثر بلاغةً وتحديداً، يقول بولس في غلاطية ٥: ١٤:

لأن كل الناموس في كلمة واحدة يُكَمَّل: تحب قريبك كنفسك.

إنه البرّ الذي يسعى إليه الناموس. إنها متطلبات الشريعة من نحو البرّ بكل تعقيداتها وتفصيلاتها مختزلةً إلى كلمة واحدة: المحبة.

المحبة: تكميل الناموس

وهنا قد يميل أحدهم للقول: "أنت تعني أنني كمؤمن لست تحت ناموس أو وصايا موسى، فهل يعني هذا أنني حرٌّ في كسر هذه الوصايا وفي أن أعمل ما أريده؟ هل أنا حرٌّ في أن أقتل أو أزنّي أو أسرق إذا ما رغبت بذلك؟" والجواب هو أنك كمؤمن حرٌّ في أن تعمل كل ما تستطيع أن تعمله بمحبةٍ كاملةٍ في قلبك تجاه الله والناس، ولست حرّاً في أن تعمل ما لا يمكن أن تعمله بمحبة.

إنّ الإنسان الذي يحمل قلباً مملوءاً ومنقاداً بمحبة الله هو إنسان حرٌّ في أن يعمل ما يمليه عليه قلبه، لذلك يشير يعقوب مرتين إلى ناموس المحبة على اعتبار أنه "ناموس الحرية".

- ولكن من اطلع على الناموس الكامل، ناموس الحرية، وثبت وصار ليس سامعاً ناسياً بل عاملاً بالكلمة فهذا يكون مغبوطاً في عمله (يعقوب ١: ٢٥).

- هكذا تكلموا وهكذا افعلوا كعتيدين أن تُحَاكَمُوا بناموس الحرية (يعقوب ٢: ١٢).

يسمى يعقوب ناموس المحبة "الناموس الكامل" و "ناموس الحرية" لأنّ الإنسان الذي يملك قلباً مملوءاً ومنقاداً بمحبة الله دائماً، يملك الحرية أيضاً ليعمل ما يريد. فمهما كانت رغبات ذلك الإنسان فإنها ستكون متوافقة مع إرادة وطبيعة الله، لأنّ الله نفسه محبة. إنّ الإنسان الذي يعيش حسب ناموس المحبة هو فقط من يتمتع بالحرية الحقيقية على وجه الأرض. وهو الإنسان الذي يستطيع أن يعمل ما يشاء متى شاء ولا يحتاج إلى ناموسٍ آخر يسيطر عليه.

ويستخدم يعقوب اسماً آخر أيضاً لناموس المحبة فيدعوه: "الناموس الملوكي".
فإن كنتم تكملون الناموس الملوكي حسب الكتاب: تحب قريبك كنفسك،
فحسناً تفعلون (يعقوب ٢: ٨).

فلماذا هذه التسمية "الملوكي"؟ لأنّ الإنسان الذي يعيش بحسب هذا الناموس يعيش ملكاً بالفعل. إنه لا يخضع لأي ناموسٍ آخر، إنه حرٌّ دائماً في أن يعمل ما يمليه عليه قلبه. وبتكميل هذا الناموس إنما هو يكمل الناموس كله. وفي كل الظروف والتعاملات مع الله ومع الناس، يتسيّد هذا الإنسان في الحياة كما يليق بملك.

إنّ هذا التحليل لمعنى "حكم الناموس" أو "متطلبات الناموس من جهة البرّ"، يقودنا إلى الاستنتاج التالي: لا يوجد تضارب أو تنافر بين معيار البرّ الحقيقي المقدم في العهد القديم تحت ناموس موسى، والمقدم في العهد الجديد في إنجيل يسوع المسيح. فمعيار البرّ الحقيقي واحد وهو نفسه في العهدين. ويمكن اختصاره بكلمة واحدة هي المحبة، محبة الله ومحبة الإنسان.

أمّا الفرق بين النظامين - نظام الناموس المعطى بموسى ونظام النعمة في يسوع المسيح - فلا يكمن في الغاية التي يجب الوصول إليها بل في الوسيلة المستخدمة لتحقيق هذه الغاية. فالغاية في كلتا الحالتين هي المحبة، لكن الوسيلة تحت الناموس هي نظام الوصايا والطقوس الخارجي المفروض على الإنسان، أمّا الوسيلة تحت النعمة فهي العمل المعجزى المستمر للروح القدس في قلب المؤمن.

ولم يحقق ناموس موسى هذا الهدف، لا لخطأ فيه، ولكن بسبب الشر الموروث وطبيعة الإنسان الجسدية الخاطئة. هذا ما يؤكد بولس بأكثر وضوح في ذلك الجزء من الرسالة إلى رومية والأصحاح السابع:

• إذا الناموس مقدّس والوصية مقدّسة وعادلةٌ وصالحةٌ (رومية ٧: ١٢).

• فإننا نعلم أنّ الناموس روحي، أمّا أنا فجسدي مبيع تحت الخطية (رومية ٧: ١٤).

• فإنني أُسرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن (رومية ٧: ٢٢).

• ولكنني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي (رومية ٧: ٢٣).

فالنّاموس صالح وعادل بحد ذاته، والإنسان الذي يسعى إلى العيش بحسب النّاموس يمكن أن يكون مخلصاً تماماً بقبوله لمعايير النّاموس وبسعيه إلى العيش بحسبها. ورغم هذا كلّهُ، فإنّ قوة الخطية في داخله وضعف طبيعته البشرية يمنعانه دائماً من الوصول إلى مستوى تلك المعايير.

أمّا في العهد الجديد، فمع أنّ نعمة الله في المسيح يسوع توجّه الإنسان للغاية نفسها (محبة الله ومحبة القريب) إلّا أنها تضع تحت تصرّف الإنسان وسيلةً جديدةً ومختلفةً تماماً للوصول إلى تلك الغاية. إنها النعمة التي تبدأ بعمل الروح القدس المعجزي في قلب المؤمن، وينتج عن عملها ما يُدعى "الولادة الجديدة" أو "الولادة من الروح" وقد وصف العهد القديم هذا الاختبار نبوياً حيث يقول الله لشعب إسرائيل:

وأعطيتكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدةً في داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيتكم قلب لحم (حزقيال ٣٦: ٢٦).

إنّ تأثيرات هذا التغيير الداخلي موصوفةٌ في إرميا أيضاً:

- ها أيامٌ تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً (إرميا ٣١: ٣١).
- بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب. أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً (إرميا ٣١: ٣٣).

هذا العهد الجديد الذي يعد به الرب هنا هو عهد النعمة الجديد بالإيمان في يسوع المسيح، والذي تتغير من خلاله طبيعة الخاطيء تغييراً داخلياً كلياً، حيث يُنزع القلب الحجري القديم الذي لا يتجاوب مع الله ويوضع بدلاً منه قلباً جديداً وروحاً جديدة. هذه الطبيعة الجديدة تنسجم مع طبيعة الله ومع شرائعه، فيصير من الطبيعي لذلك الإنسان الذي خُلِقَ خليفةً جديدةً من روح الله، أن يسير في طُرُقِ الله وأن يعمل مشيئته. إنَّ ناموس المحبة المطلقة يُحَفَرُ بالروح القدس على اللوح الحسَّاس في قلب المؤمن، ومن هناك يتحقق هذا الناموس بطريقة تلقائية في شخصية وسلوكٍ جديدين في حياة المؤمن،

لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد فانه إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد، لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح (رومية ٨: ٣-٤).

ونستطيع أن نلخص الفرق الأساسي بين عمل الناموس وعمل النعمة بأنَّ الأول يعتمد على قدرة وأعمال الإنسان الخارجية بينما يعتمد الثاني على عمل الروح القدس المعجزي وعلى أعمال الإنسان النابعة من الداخل.

ويؤكد العهد الجديد على أنَّ قلب الإنسان يمكن أن يخضع لناموس المحبة الإلهي الكامل من خلال عمل الروح القدس فقط:

لأنَّ محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا (رومية ٥: ٥).

لاحظ أنه لا يتحدث عن محبة بشرية بأي شكلٍ أو درجةٍ بل عن محبة الله نفسه التي يستطيع الروح القدس أن يسكبها في قلوبنا. وهذه المحبة الإلهية التي تنسكب في القلب البشري بواسطة الروح القدس، تنتج في كمالها ثمر الروح القدس بأجزائه التسعة. إنَّ ثمر الروح هو محبة الله ظاهرةً في كل نواحي شخصية الإنسان وسلوكه، ويصفها بولس قائلاً:

وأما ثمر الروح فهو محبة فرحٌ سلامٌ طول أناةٍ لطفٌ صلاحٌ إيمانٌ وداعةٌ تعفُّفٌ. ضدَّ أمثال هذه ليس ناموس (غلاطية ٥: ٢٢-٢٣).

وهنا يؤكد بولس مرة أخرى بأنَّ الحياة التي يظهر فيها الحب الإلهي بشكلٍ كاملٍ من خلال ثمر الروح التساعي، لا تحتاج إلى ناموسٍ آخر يسيطر عليها، لذلك يقول: "ضدَّ أمثال هذه ليس ناموس" أو "ما من شريعة تنهى عن هذه الأشياء" (ت.ع.ج). إنَّ ناموس المحبة إذاً هو غاية كل النواميس والوصايا الأخرى، إنه الناموس الكامل، الناموس الملوكي، ناموس الحرية.

نمط الطاعة في العهد الجديد

على أيَّة حال، ينبغي أن نحرص على أن لا نترك انطباعاً بأنَّ محبة الله غامضةٌ غير مفهومةٍ أو أنها عاطفيةٌ غير واقعية. فمحبة الله على العكس من ذلك تماماً، فهي واضحةٌ دائماً وعملية. وبحسب العهد الجديد، يُعبَّر عن المحبة الموجهة إلى الله وإلى الناس بطرقٍ تنسجم مع المحبة الإلهية نفسها، وهي طُرُقٌ عمليةٌ وواضحة. فالامتحان الأعظم لمحبة الإنسان لله يمكن التعبير عنه بكلمة واحدة هي "الطاعة" كما نرى عبر صفحات الكتاب المقدس. ففي العهد القديم يعلن الله هذه الحقيقة لشعبه في إرميا ٢٣: ٧:

إنما أوصيتهم أن يطيعوا صوتي، فأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً (كتاب الحياة).

فالمحبة الحقيقية من نحو الله تظهر دائماً من خلال طاعته.

أيضاً في العهد الجديد يؤكد يسوع - في خطبته الوداعية لتلاميذه - على أهمية الطاعة التي تأتي فوق كل المتطلبات الأخرى، فهو يشدد عليها ثلاث مرات متتابة في يوحنا ١٤:

- إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي (ع ١٥).
- الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني (ع ٢١).

ثم يضع الطاعة وعدمها جنباً إلى جنب بطريقة تبادلية يوضح بها ما يريده تماماً. فيقول:

- إن أحببني أحدٌ يحفظ كلامي (ع ٢٣).
- الذي لا يحبُّني لا يحفظ كلامي (ع ٢٤).

على ضوء هذه الكلمات نجد أنَّ كل مؤمن يجاهر بمحبته للمسيح من دون طاعةٍ لإرادته المعلنة في كلمته ووصاياه، هو مؤمن يخدع نفسه.

إنَّ وصية المسيح العظمى في العهد الجديد هي المحبة التي لا نستطيع أن نتحدث عن الطاعة من دونها. وإذا تقدمنا أكثر لنتفحص طبيعة المحبة المسيحية وطريقة عملها، نكتشف أنَّ العهد الجديد يقدِّم لنا نمطاً للحياة التي تسيطر المحبة على كل جوانبها. فالعهد الجديد يغطي حياة الإنسان الشخصية الفردية بالإضافة إلى علاقته مع الله ومع الآخرين، ويوجِّه العهد الجديد الزواج المسيحي ويقود حياة العائلة المسيحية من جهة الوالدين والأبناء على حدٍّ سواء، ويهتم بأمور حياة الكنيسة المسيحية وسيرتها، وينظِّم موقف المؤمن وارتباطاته المختلفة مع المجتمع المحيط به ومع الحكومة.

ولكي نعيش بحسب هذا النمط علينا أولاً أن ندرس وأن نطبِّق كل جزءٍ من تعليم العهد الجديد بروح الصلاة. ثم علينا أن نتَّكل على قوة الروح القدس وعلى نعمته الفارقة في كل لحظة من لحظات حياتنا. وهكذا نبرهن من خلال اختبارنا الشخصي تلك الحقيقة الواردة في ١ يوحنا ٢:٥:

وأما من حفظ كلمته فحقاً في هذا قد تكملت محبة الله. بهذا نعرف أننا فيه.

الجزء الثالث

معموديات العهد الجديد

لأنَّ يوحنا عمَّد بالماء، وأمَّا أنتم فستتعمَّدون
بالروح القدس...
أعمال ١: ٥

فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمِّدوهم باسم الآب
والابن والروح القدس.
متى ٢٨: ١٩

الفصل السابع عشر

الفعل "يُعَمِّد"

ما زلنا ندرس التعاليم الأساسية الستة العظمى الواردة في عبرانيين ٦: ١-٢، وهي العقائد أو التعاليم الأساسية في تعليم المسيح:

- ١- التوبة من الأعمال الميِّتة
- ٢- الإيمان بالله
- ٣- تعليم المعموديات
- ٤- وضع الأيادي
- ٥- قيامة الأموات
- ٦- الدينونة الأبدية

في الجزء الثاني من هذا الكتاب درسنا الموضوعين الأول والثاني من هذه القائمة، بتدقيق، وهما: التوبة من الأعمال الميِّتة والإيمان بالله، أو ببساطة أكثر التوبة والإيمان. والآن سنتابع في الموضوع الثالث من هذه الأسس التعليمية العظيمة وهو تعليم المعموديات.

إنَّ الطريقة المنطقية لبدء هذه الدراسة هي اكتشاف المعنى الأصلي الصحيح للكلمة "معمودية" إن أمكن، أو بالأحرى معنى الفعل "يُعَمِّد" الذي نشق منه الاسم

١ في المعاجم العربية: عَمَدَ الشيء أي أقامه على عِمَاد (أعمدة) فيقال: أعمَدْتُ البناء أي أقمته على أعمدة يعتمد عليها، وعمَدْتُ الخيمة أي نصبته على أعمدة. وربما استخدم مترجموا الكتاب المقدس (عمَدَ واعتمد ومعمودية) بهذا المعنى معتبرين المعمودية هي عِمَاد (أساس) المسيحية أو «باب النصرانية» على حد تعبير أحد المعاجم، وهي - على أية حال - ترجمة خاطئة تحيد عن معنى الكلمة اليونانية الأصلية "baptizo" التي يسهب المؤلف ببيان معناها في هذا الفصل. أمَّا صبغ واصطبغ (انظر لوقا ١٢: ٥٠، مرقس ١٠: ٣٨) فهي ترجمة أخرى للأصل اليوناني نفسه، وهي تشير إلى معمودية الإلام (انظر الصفحة ١٩٠) وصبغ الشيء أي غمسَهُ، فيقال: صبغ يده في الماء، وصبغ اللقمة في الإدام، وهذا أقرب إلى الأصل كما سنرى.

"معمودية". ونجد بعد الفحص أنَّ هذه الكلمة "يُعَمِّد" هي كلمة غايّة في الغرابة، ففي اللغة الإنجليزية ليس هناك أصلٌ إنجليزي للفعل "baptize" أي يعمّد، إنما هي كلمة يونانية نُقِلَتْ حروفها كما هي بحروفٍ إنجليزيةٍ مناظرةٍ قدر الإمكان، فتكوّنت كلمة "baptizo" وبتحويل ال "o" في نهاية هذه الكلمة إلى "e" حصلنا على الشكل الحالي المعروف "baptize". والسؤال المنطقي هنا، هو لماذا لم تُترجم هذه الكلمة؟ لماذا نُقِلَتْ حرفاً بحرف من اليونانية إلى الإنجليزية؟ لأنَّ المعنى الأصلي اليوناني غير مفهوم، فلم يعرف المترجم الإنجليزي بأي كلمةٍ إنجليزيةٍ يُترجمها؟ على الإطلاق، فهذا تفسير خاطيء وكما سنرى لاحقاً فإنَّ للكلمة "baptizo" اليونانية معنىً مُحدداً معروفاً.

جذر المعنى

تُعتبر ترجمة الملك جيمس (King James Version) للكتاب المقدس من أفضل الترجمات الإنجليزية وأكثرها تأثيراً. لقد تُرجمت ونُشرت بأمرٍ من ملك بريطانيا (James) في أوائل القرن السابع عشر. ومن خلال هذه الترجمة دخلت الكلمة "baptize" في اللغة الإنجليزية. ثم انتقلت عبرَ هذه الترجمة إلى أغلبية ترجمات الكتاب المقدس الإنجليزية الأخرى، كما انتقلت أيضاً إلى ترجمات الكتاب بلغات العالم المختلفة، على الرغم من عدم وجودها أصلاً في تلك اللغات.

كيف دخلت هذه اللفظة الغريبة إلى ترجمة الملك جيمس للكتاب المقدس؟ تكمن الإجابة في أنَّ الملك جيمس، مع أنه مدعوم بقوة سياسية ملكية مطلقة، إلّا أنه كان مسؤولاً أمام أساقفة كنيسة بريطانيا، ولم تكن العلاقة بين أولئك الأساقفة والملك جيمس ودئيةً دائماً، فلم يرغب الملك بأن تكون هذه الترجمة - التي ستُنشر باسمه وتحت سلطته - سبباً لجعل الأمور تسوء أكثر بينه وبينهم، لذلك أمر أن لا تحتوي هذه الترجمة - قدر الإمكان - على ما يمكن أن يسبب إزعاجاً غير ضروري لهم أو يكون معارضاً بشكل واضح لممارسات الكنيسة. لذلك نُقِلَتْ الكلمة اليونانية "baptizo" حرفاً بحرف من دون أن تُترجم، لأن ترجمتها يمكن أن تكون مصدراً سهلاً للجدل. ومن الجدير بالملاحظة

أيضاً أنَّ الكلمة "bishop" التي تترجم "أسقف" بالعربية هي مثلٌ آخر على ما ذكرناه من تأثيرٍ على ترجمة الملك جيمس. فالكلمة "bishop" ليست أعرق من الكلمة "baptize" في الإنجليزية، إنما هي كلمة يونانية أخرى نُقِلَت للإنجليزية كما هي من دون ترجمة، وتعود أيضاً إلى اللغة اللاتينية ولكن من أصل مُغاير إلى حدٍ ما.

فلو تُرجمت الكلمة "bishop" في كل مواقعها في العهد الجديد ترجمة صحيحة إلى الكلمة "ناظر - overseer" لاعتُبرت ترجمة الملك جيمس تحدياً للنظام الكهنوتي القائم في كنيسة بريطانيا، لهذا تجنَّب المترجمون هذه المسألة في عدة مواضع واكتفوا بنقل الكلمة اليونانية بشكل "bishop". بالانجليزية ("أسقف" بالعربية).

لنرجع الآن إلى الكلمة "baptizo" ومثيلتها الإنجليزية "baptize". إنَّ للفعل اليوناني "baptizo" شكلاً مميزاً يتَّصف به أيضاً عددٌ من الأفعال الأخرى باليونانية، وميزة هذا الفعل المشتق هي أنه مكوّن من إدخال الحرفين "iz" في جذر الكلمة الأساسي البسيط "bapto". إنَّ إدخال هذين الحرفين الزائدين يكوّن الشكل المُركَّب "baptizo". وإدخال هذا المقطع اللفظي في أي فعلٍ يوناني يُنتج فعلاً آخر ذا معنى سببي (Causative) خاص، أي أنَّ الفعل المُركَّب الناتج يوحي بمعنى "جعل حدوث شيء". وطبيعة ذلك الشيء يحدده معنى الفعل الأصلي البسيط الذي تمَّ اشتقاق الفعل السببي المُركَّب منه.

إذا فهمنا هذا الأمر نستطيع أن نتخيّل صورةً واضحةً ودقيقةً عن الفعل اليوناني "baptizo". فهو، كما رأينا، فعل سببي مُركَّب أصله الفعل البسيط "bapto" فلنتعرّف الآن بمعنى هذا الفعل البسيط لكي نستطيع معرفة معنى الفعل المُركَّب "baptizo".

يُستخدم هذا الفعل الأصلي البسيط "bapto" ثلاث مرات في النص اليوناني للعهد الجديد، ذلك النص الذي كان مصدراً أساسياً للغة الإنجليزية المستخدمة في ترجمة الملك جيمس، وفي هذه المقاطع الثلاثة تُرجم الفعل "bapto" إلى الفعل "to dip" وهو يرادف في الغالب الفعل "يغمس" في العربية كما سنرى.

أولاً: لوقا ١٦: ٢٤. حيث يصرخ الغني من عذاب الجحيم منادياً إبراهيم:

يا أبي إبراهيم، ارحمني وأرسل لعازر ليبلل (dip) طَرَفَ إصبعه بماء ويُبرّد لساني.

وفي ترجمة أخرى:

ليغمس (dip) طَرَفَ إصبعه... (كتاب الحياة).

ثانياً: يوحنا ١٣: ٢٦. وهنا يشير يسوع لهوية الخائن وذلك بإعطاء علامةٍ مميزةٍ لتلاميذه في أثناء العشاء الأخير:

هو ذاك الذي أغمس (dip) أنا اللقمة وأعطيه.

ثالثاً: رؤيا ١٩: ١٣. حيث يصف يوحنا الرب يسوع المسيح كما يراه آنياً بمجدٍ وتتبعه أجناد السماء:

وهو متسرّبِلٌ بثوبٍ مغموسٍ (dipped) بدمٍ.

في هذه الفقرات الثلاث تشير الكلمة التي استخدمها المترجمون كما يشير محتوى النص أيضاً إلى أَنَّ الفعل اليوناني "bapto" يعني: "أن تغمس (to dip) شيئاً في سائل ثم تخرجه منه". ويقول "الفهرس الشامل للكتاب المقدس" - وهو مرجع كتابي معتمد لمؤلفه سترونغ - أَنَّ معنى الفعل "bapto" هو "أن تغمر شيئاً بأكمله في سائل - to cover wholly with fluid". وهذا يطابق معنى "أن تغمس - to dip".

أيضاً نجد في العهد الجديد شكلاً مركباً آخر للفعل "bapto" يتكوّن بإضافة أحد حروف الجر اليونانية "en" أو "em" وتعني "في - in" التي تُضاف لأول الفعل، حيث أننا نجد الفعل المركّب "embapto" ثلاث مراتٍ في النص اليوناني للعهد الجديد هي:

متى ٢٦: ٢٣، مرقس ١٤: ٢٠، يوحنا ١٣: ٢٦. وكل من يُكلّف نفسه عناء البحث يجد أَنَّ هذا الفعل المركّب قد تُرجم في كل هذه الفقرات إلى الفعل الإنجليزي "to dip" وإلى

الفعل "يغمس" في الترجمات العربية المعتمدة، تماماً كما هو الحال بالنسبة إلى الفعل البسيط "bapto". ومن هنا نستنتج أنَّ الفعل اليوناني "bapto" بشكله البسيط، أو المركَّب بإضافة البادئة "em-" والتي تُعني "في"، يظهر ستّ مرات في النص اليوناني للعهد الجديد ويُترجم دائماً إلى الفعل الإنجليزي "to dip" في ترجمة الملك جيمس أو "يغمس" في الترجمات العربية. من جهةٍ أخرى نجد أنَّ قرائن النصوص تشير بوضوح إلى أنَّ العملية التي يصفها الفعل الأصلي هي عملية غمس (dipping) شيء ما في سائل ثم رفعه منه ثانيةً.

وبتحديدنا للمعنى الصحيح للفعل البسيط "bapto" لن نجد صعوبة في اكتشاف معنى الصيغة السببية المركَّبة "baptizo". فيما أنَّ "bapto" تعني: "غمس شيء في سائلٍ ورفعته ثانيةً فلا يبقى لـ"baptizo" إلاَّ معنىً حرفياً واحداً ممكناً، فهو يعني منطقياً: "أنَّ تتسبب بغمس شيء في سائل ثم ترفعه ثانيةً". وباختصار، فإنَّ الكلمة "baptizo" التي نُقِلت منها الكلمة الإنجليزية "baptize" تعني: "التسبب بالغمس في سائل".

الاستخدام التاريخي

ويمكن تأكيد هذا المعنى من خلال تتبُّع الكلمة "baptizo" رجوعاً، لنصل إلى بدايات تاريخ اللغة اليونانية.

لقد ساهمت فتوحات الإسكندر المكدوني الواسعة في القرن الثالث قبل الميلاد في نشر استخدام اللغة اليونانية في نطاقٍ تجاوز كثيراً حدود اليونان أو حتى حدود المدن والمجتمعات الإغريقية في آسيا الصغرى. وفي زمن العهد الجديد كانت اللغة اليونانية قد أصبحت لغة التفاهم الأكثر شيوعاً وقبولاً عند أغلب شعوب حوض البحر المتوسط. هذه هي اليونانية الموجودة في العهد الجديد والتي يتحدَّر أصلها اللغوي من الشكل الكلاسيكي لهذه اللغة والذي كان يُستخدم أصلاً في المدن والولايات الإغريقية، لذلك فإنَّ معظم الكلمات المستخدمة في العهد الجديد تعود بمعناها الأصلي إلى الأنماط الكلاسيكية القديمة للغة اليونانية (الإغريقية).

وهذا ينطبق على الكلمة "baptizo" التي يمكن أن نتتبع أصلها في اللغة اليونانية الكلاسيكية التي يرجع استخدامها إلى القرن الخامس قبل الميلاد. ومنذ ذلك الحين وهذه الكلمة تأخذ موقعها في تاريخ اللغة اليونانية مروراً بالقرنين الأول والثاني للميلاد (مجلد الفترة التي كُتب فيها العهد الجديد). خلال هذه القرون الستة أو السبعة احتفظت هذه الكلمة بمعنى أساسي ثابت هو: "يغمس" أو "يُغَطَّس" أو "يغمر" أو "يغوص"، ويمكن أن تُستخدم بهذا المعنى حرفياً أو مجازياً. وفيما يلي بعض الأمثلة عن استخدام هذه الكلمة خلال تلك القرون.

- ١- نحو القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد استخدم أفلاطون^٢ الكلمة "baptizo". للإشارة إلى شابٍ مغمور (overwhelmed) بسبب جدالات فلسفية ذكية (إشارة إلى إرتباكهِ).
- ٢- في كتابات أبقراط^٣ المنسوبة إلى القرن الرابع قبل الميلاد، استُخدمت الكلمة "baptizo" لوصف أناسٍ غاطسين (submerged) أو مُغرقين في الماء، كما استخدمت عن غمس (dipping) الإسفنج في الماء.
- ٣- في الترجمة السبعينية (الترجمة اليونانية للعهد القديم وتعود إلى القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد) استُخدمت "baptizo" في ترجمة الفقرة في ملوك الثاني ٥: ١٤، حيث ذهب نعمان و "نزل وغطس (himself dipped) في الأردن سبع مراتٍ" وتُستخدم هنا في عدد ١٤ الكلمة "baptizo" لتشير إلى ما عمله نعمان، أمّا في العدد ١٠ فهناك كلمة يونانية أخرى مستخدمة تُترجم في الملك جيمس إلى الكلمة "wash" أي "يغتسل".^٤ وهذا يعني أنَّ الكلمة "baptizo" لها معنىً محدداً يصف حالة الغمر أو التغطيس وليس مجرد الاغتسال من دون تغطيس.

٢ فيلسوف يوناني (٤٢٨ - ٣٤٧ ق.م).

٣ طبيب يوناني (٤٦٠ - ٣٧٧ ق.م).

٤ هذا ينطبق تماماً على الترجمات العربية التي اعتمدناها.

٤- في الفترة الانتقالية بين القرنين الأول قبل الميلاد والأول للميلاد، استخدم سترابو^٥ الكلمة "baptizo" في وصفه لأناس لا يعرفون السباحة وكيف غرقوا (submerged) تحت سطح الماء، بالمقارنة مع بعض جذوع الشجر التي تطفو على السطح.

٥- في القرن الأول للميلاد استخدم يوسيفوس^٦ الكلمة ليصف رجلاً يغمد (plunge) (وهي تعني يغطس أيضاً) سيفاً في "baptizo" مجازياً رقبته وعن كون مدينة القدس قد اكتُنِفَتْ أو غُمِرَتْ (overwhelmed) أو غُطِّسَتْ في دمار شديد بسبب نزاع داخلي. ومن الواضح أن استخدام هذه الكلمة بهذه الطريقة المجازية لم يكن ممكناً لولا أن المعنى الحرفي لها كان محدداً بوضوح.

٦- في القرن الأول أو الثاني للميلاد استخدم بلوتارك^٧ الكلمة "baptizo" مرتين ليصف جسد إنسانٍ أو تمثالٍ وثنٍ بينما يُغَمَّر (immersed) في البحر.

حسب هذه الدراسة اللغوية الموجزة نرى أن الكلمة اليونانية "baptizo" كان لها دائماً معنىً واحداً محدداً واضحاً لم يتغير أبداً، ومنذ الفترة اليونانية الكلاسيكية وحتى يونانية العهد الجديد احتفظت هذه الكلمة بمعناها الأساسي وهو: "تغطيس شيءٍ ما تحت الماء أو سائلٍ آخر" وفي معظم الحالات يكون هذا التغطيس مؤقتاً غير دائم.

هذا التحليل المختصر لمعنى الكلمة "معمودية" يُظهر جانبين مميزين نجدهما في كل مواضع استخدام هذه الكلمة في العهد الجديد. فكل اختبارٍ للمعمودية يمكن اعتباره اختباراً تاماً وانتقالياً في الوقت نفسه. فهو تام من حيث أنه يتعلق بمجمل شخصية المؤمن المعمَّد وبكل كيانه. وهو انتقالي من حيث أنه يصور الانتقال والعبور من مرحلة اختبارية إلى مرحلة اختبارية جديدة، لم يسبق للمؤمن أن دخل فيها.

٥ جغرافي ومؤرخ يوناني (٦٤ ق.م - ٢٣ م).

٦ مؤرخ يهودي (٣٧ - ١٠٠ م).

٧ كاتب سِير يوناني (٤٦ - ١٢٠ م).

لذلك يمكن مقارنة عملية المعمودية بفتح بابٍ وإغلاقه، فالشخص الذي يتعمّد يجتاز من خلال باب يُفتح له عند المعمودية فيخرج من شيءٍ قديمٍ مألوفٍ ويدخل في شيءٍ جديدٍ غير مألوفٍ، ثم يُغلق الباب وراءه فلا يعود إلى الطرق والتجارب القديمة.

أربع معموديات مختلفة

بهذه الصورة عن المعمودية في أذهاننا، دعونا نعود مرة أخرى إلى تلك الفقرة التي اعتبرت المعمودية من إحدى التعاليم الأساسية في الإيمان المسيحي. هذه الفقرة هي عبرانيين ٢:٦ ونلاحظ أنّ الكلمة "معمودية" تظهر فيها بصيغة الجمع وليس المفرد، فنقرأ: "تعليم المعموديات" بالجمع وليس "المعمودية" بالمفرد، وهذا يشير بوضوح إلى أنّ التعليم المتكامل المتعلق بالإيمان المسيحي يتضمن أكثر من نوعٍ واحدٍ من المعمودية.

وبفحص هذا الاستنتاج عبر البحث في العهد الجديد، نكتشف أربعة أنواعٍ مختلفةٍ من المعموديات تُذكر في عدة أماكن، فإذا رتبناها وفق تسلسلها الزمني الذي يعلنه العهد الجديد نستطيع أن نوجزها فيما يلي:

أولاً: المعمودية التي نادى بها يوحنا المعمدان ومارسها وهي معمودية الماء المرتبطة مباشرة برسالة التوبة:

كان يوحنا يعمّد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا (مرقس ١:٤).

ثانياً: هناك نوع من المعمودية لم يصفه العهد الجديد بكلمةٍ مُحددةٍ (في الأصل) ويمكن أن نسميه "معمودية الآلام" كما في (ت.ع.ج) حيث يقول يسوع: ولي صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل (لوقا ١٢: ٥٠).

وتضع الترجمة العربية الجديدة هذه العبارة كما يلي:

وعلي أن أقبل معمودية الآلام، وما أضيق صدري حتى تتم!

أيضاً في مرقس ٣٨:١٠ حيث يطالب ابنا زبدي بامتياز الجلوس عن يمين المسيح وعن يساره. فيجيب يسوع على هذا الطلب قائلاً:

لستما تعلمان ما تطلبان، أُنستطيعان أن نشربا الكأس التي أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا؟
وفي الترجمة العربية الجديدة:

... أو تقبلا معمودية الآلام التي سأقبلها؟

من الواضح أن يسوع يشير هنا إلى الآلام الجسدية والروحية التي سيخوضها في طريقه إلى الصليب، حيث سيسلّم روحه ونفسه وجسده إلى مشيئة الآب بأن يحمل على عاتقه خطايا العالم ويدفع الثمن المطلوب للتكفير عنها بواسطة آلامه نيابةً عنا. يبيّن يسوع لتلاميذه بهذه الكلمات بأن إكمال خطته لحياتهم سيجعلهم هم أيضاً مطالبين بتسليم حياتهم كلياً ليد الله حتى لو اقتضى ذلك منهم أن يتألموا حتى الموت.

ثالثاً: النوع الثالث من المعمودية الذي يعلنه العهد الجديد هو "معمودية الماء المسيحية" قال يسوع لتلاميذه:

فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس
(متى ٢٨:١٩).

فالجانب الرئيس الذي يميز المعمودية المسيحية عن معمودية يوحنا المعمدان هو أنها تُمارَس باسم الآب والابن والروح القدس، أي تحت السلطان المطلق للثالوث خلافاً لمعمودية يوحنا المعمدان.

رابعاً: النوع الرابع المعلن في العهد الجديد هو المعمودية في الروح القدس. يتحدث يسوع عن هذه المعمودية في أعمال ١:٥ مميّزاً إياها عن معمودية الماء. فيقول لتلاميذه:

لأنّ يوحنا عمّد بالماء وأمّا أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير.

ومع أنَّ أفضل الترجمات العربية للكتاب المقدس تستخدم حرف الجر (الباء) "فستعمدون بالروح القدس". إلا أنَّ حرف الجر المستخدم في الأصل اليوناني يُترجم (في - in) "فستعمدون في الروح القدس". إنَّ النص اليوناني للعهد الجديد لا يستخدم مع الفعل "يعمّد" سوى أحد حرفي الجر [في، إلى (داخل) - in - into] وهذا ينسجم مع ما توصلنا إليه عن معنى الكلمة "يعمّد" وهو "أنَّ تجعل شيئاً ما ينغمس أو يغطس". يُظهر يسوع أيضاً الهدف الأساسي من المعمودية في الروح القدس، فيقول:

لكنكم ستنالون قوّة متى حلَّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً
(أعمال ٨: ١).

وهكذا فإنَّ المعمودية في الروح القدس هي عطية فوق طبيعية ترافقها قوة من الأعلي هدفها الأساسي أن تصنع من المؤمنين شهوداً للمسيح.

هذه هي أنواع المعمودية الأربعة، أمّا بالنسبة للنوع الثاني وهو المعمودية الآلام فهو ينتمي إلى مرحلة ومستوى متقدّمين من الاختبار الروحي بالمقارنة مع الأنواع الثلاثة الأخرى، لذلك لن نتطرّق إليه في هذه الدراسة التي تعمّدنا قَصْرَها على دراسة أساسيات التعليم والاختبار المسيحي، وسنحصر اهتمامنا في الأنواع الثلاثة الأخرى من المعمودية ونتعامل معها بحسب الترتيب الذي يقدّمه العهد الجديد:

١ - المعمودية يوحنا المعمدان

٢ - المعمودية المسيحية في الماء

٣ - المعمودية في الروح القدس

مقارنة بين المعمودية يوحنا والمعمودية المسيحية

لا يُميّز الكثيرون من المؤمنين الفرق بين المعمودية يوحنا والمعمودية المسيحية. لذلك سيكون من المفيد أن نبدأ دراسة هذين الشكلين من المعمودية بالاعتماد على أعمال ١٩: ١-٥، حيث نجد كلا المعموديتين جنباً إلى جنب والفرق بينهما يظهر جلياً في الفقرة التالية:

فحدث فيما كان أبولس في كورنثوس أن بولس بعدما اجتاز في النواحي العالية جاء إلى أفسس، فإذا وجد تلاميذ قال لهم: هل قبلتم الروح القدس لمّا آمنتم، قالوا له: ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم: فبماذا اعتمدتم، فقالوا: بمعمودية يوحنا. فقال بولس: إنَّ يوحنا عمّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده أي بالمسيح يسوع، فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع.

هنا يتقابل بولس في أفسس مع مجموعة من الناس يُسمّون أنفسهم " تلاميذ،" فاعتقد بولس بأنهم تلاميذ للمسيح، أي مؤمنين. لكنّه اكتشف بقليل من التفحّص، أنهم لم يكونوا سوى تلاميذ يوحنا المعمدان. لقد سمعوا وقبلوا رسالة يوحنا بخصوص التوبة والمعمودية التي ترافقها، لكنهم لم يسمعوا شيئاً عن رسالة إنجيل يسوع المسيح أو عن المعمودية المرتبطة بقبول رسالة الإنجيل. وبعد أن شرح لهم بولس رسالة الإنجيل، قبلوها واعتمدوا مرةً أخرى باسم الرب يسوع كما يقول الكتاب.

هذه الحادثة تُظهر بوضوح بأنَّ المعمودية يوحنا تختلف عن المعمودية المسيحية من جهة طبيعة كلٍّ منهما وأهميتها. وأنَّ المعمودية يوحنا لم تُعدَّ مقبولةً كمكافئٍ أو كبديلٍ عن المعمودية المسيحية بعد انتهاء خدمة يوحنا وابتداء عهد الإنجيل. فصار أولئك الذين قبلوا المعمودية يوحنا فقط، مطالبين بالاعتماد ثانيةً بمعمودية (الماء) المسيحية.

معمودية يوحنا - التوبة والاعتراف

يقدِّم لنا الكتاب في مرقس ١: ٣-٥ ملخّصاً لرسالة يوحنا وخدمته والمعمودية المرافقة لها حيث نقرأ:

صوت صارخ في البرية
أعدّوا طريق الرب
اصنعوا سُبُلَهُ مستقيمة.

كان يوحنا يعمّد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا.

لقد وجّه التدبير الإلهي خدمة يوحنا ورسالته لتحقيق غرضين على وجه الخصوص:

١- إعداد قلوب شعب إسرائيل لميلاد واستعلان المسيح المنتظر، يسوع المسيح.

٢- الربط بين عهد الناموس والأنبياء الذي اختتمه يوحنا المعمدان، وبين عهد الإنجيل الذي ابتدأ بعد ذلك بثلاث سنوات كثمرة لموت يسوع المسيح وقيامته.

ونظراً لانحسار خدمة يوحنا بتحقيق هذين الغرضين الإلهيين فقد امتازت هذه الخدمة بأنها قصيرة ومؤقتة فلم تكن تُمثّل عهداً أو نظاماً بحد ذاتها بل كانت مجرد فترة انتقالية.

وتحتوي رسالة يوحنا المعمدان هذه على مطلبين رئيسيين هما:

(١) التوبة (٢) الاعتراف العلني بالخطايا

ففي مرقس ٤:١ نقرأ أنه كان يعمّد أولئك المستعدين لتحقيق هذين الشرطين في نهر الأردن، شهادة علنية على توبتهم عن خطاياهم السالفة والتزامهم بعد ذلك بحياة أفضل:

كان يوحنا يعمّد في البرية ويكرز بالمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا.

أمّا المعنى الحرفي للعبارة "لمغفرة الخطايا" فهو: "إلى (into) مغفرة الخطايا." فهي لا تعني: "لتغفر خطاياكم" (ت.ع.ج) أو: "لأجل مغفرة خطاياكم" (NKJV) .

نرى إذاً أنَّ المعمودية يوحنا كانت "إلى (into) التوبة" و "إلى (into) مغفرة الخطايا." لذلك فمن المهم التأكيد على معنى حرف الجر "into" عندما يستخدم بعد الفعل "يعمّد -to baptize." فمن الواضح أنَّ هذا التركيب اللغوي لا يعني أنَّ من عمّدهم يوحنا يستطيعون اختبار التوبة والغفران بعد تلك المعمودية، بل على العكس من ذلك تماماً، فعندما جاء الفريسيون والصدوقيون ليعتمدوا من يوحنا، رفض يوحنا قبولهم مطالباً بأن يظهروا ثمرًا يدل على التغيير الحقيقي في حياتهم قبل أن يعمّدهم:

فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم: يا أولاد الأفاعي، من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟ فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة (متى ٣: ٧-٨).

وكأنه يقول لهم: "برهنوا أولاً بأعمالكم بأن تغييراً حقيقياً قد حدث في حياتكم، ثم اطلبوا مني أن أعمّدكم."

لقد طالب يوحنا كل الذين يأتون إليه من أجل المعمودية بأن يصنعوا ثمرًا للتوبة ولمغفرة الخطايا قبل ذلك، مما يدل على أنَّ العبارة "معمودية التوبة لمغفرة الخطايا" يجب أن لا تفهم كإشارة إلى أنَّ الاختبار الداخلي للتوبة وغفران الخطايا يتبع الممارسة الخارجية للمعمودية، بل أنَّ هذه العبارة تشير - كما تدل القرينة - إلى أنَّ الممارسة الخارجية للمعمودية تمثل تأكيداً مرئياً بأنَّ أولئك الذين تعمّدوا قد اجتازوا مسبقاً في اختبار التوبة والغفران. فالمعمودية هنا تعمل كختم خارجي لتأكيد حدوث تغييرٍ داخلي.

إنَّ فهمنا لهذه النقطة هو غايةٌ في الأهمية، لأنَّ العبارة "يتعمَّد في أو إلى (into)" تستخدم في موضعين آخرين في العهد الجديد، مرة بالارتباط المعمودية الماء المسيحية ومرة أخرى بمعمودية الروح القدس، وفي كل مرة علينا أن نستخدم مبدأ التفسير نفسه الذي استخدمناه بخصوص المعمودية يوحنا. على كل حال سنتطرق لتفاصيل دراسة هذين الموضوعين فيما بعد.

عودةً إلى المعمودية يوحنا التي يمكن تلخيص تأثيراتها في أنَّ كل أولئك الذين حققوا شروط يوحنا بإخلاص، قد تمتَّعوا باختبارٍ حقيقي للتوبة والغفران نتج عنه تغيير في حياتهم نحو الأفضل، إلَّا أنَّ اختبارهم هذا كان اختباراً انتقاليّاً، تماماً كما كانت خدمة يوحنا المعمدان. فلم يثبت فيهم السلام الداخلي بعد ولم يختبروا الانتصار على الخطية، الأمور التي يمكن اختبارها فقط من خلال رسالة الإنجيل الكامل عن يسوع المسيح، إلَّا أنَّ قلوبهم كانت مهياةً للتجاوب مع رسالة الإنجيل وقبولها عندما تعلن.

المعمودية المسيحية - تكميل كل بر

دعونا ننقل الآن من المعمودية الانتقالية إلى المعمودية الدائمة، من المعمودية يوحنا إلى المعمودية المسيحية الكاملة التي رسمها المسيح نفسه كجزء متكامل مع رسالة الإنجيل الكامل. وأفضل مقدِّمةٍ للمعمودية المسيحية هي المعمودية يسوع نفسه:

حينئذٍ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي! فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برّ، حينئذٍ سمح له. فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامةٍ وآتياً عليه، وصوت من السموات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت (متى ٣: ١٣-١٧).

ومع أنَّ يسوع اعتمد من يوحنا المعمدان، فإنَّ طبيعة المعمودية التي اجتاز فيها لم تكن على نفس مستوى المعمودية الآخرين الذين عمَّدهم يوحنا، فهناك - كما

أشرنا - مطلبين اشتراطت المعمودية يوحنا أن يحققهما الناس هما: التوبة والاعتراف بالخطايا، إلا أن يسوع لم يرتكب أية خطايا يحتاج بسببها إلى الاعتراف أو إلى التوبة، ولم يكن لذلك محتاجاً لأن يعتمد من يوحنا حسب ذلك المفهوم الذي جاء الآخرون ليعتمدوا بناءً عليه، وهذا ما يقرُّ به يوحنا نفسه قائلاً:

أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي! (متى ١٤: ٣).

ويجيبه يسوع بقوله:

اسمح الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برّ (متى ١٥: ٣).

نجد في إجابة يسوع السبب الذي اعتمد يسوع من أجله، كما نجد المغزى الحقيقي للمعمودية المسيحية وامتيازها على المعمودية المؤقتة التي أسسها يوحنا. فيسوع لم يعتمد من يوحنا كعلامة خارجية لتوبته عن خطايه، إذ لم تكن عنده خطايا يتوب عنها، لكنه وضّح بنفسه سبب معموديته على أنه "تكميل كل برّ". فقد كان يسوع يؤسس معياراً سلوكياً كما هو شأنه في كثير من جوانب حياته وخدمته، وقد فعل ذلك عن إدراكٍ وقصد، تاركاً ما فعله مثلاً ونمطاً للمعمودية التي يريد من كل المؤمنين أن يتبعوا مثاله فيها. وهذا يتوافق تماماً مع وصف بطرس لأعمال المسيح.

لأنكم لهذا دعيتم فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثلاً لكي تتبعوا خطواته. الذي لم يفعل خطيئة ولا وجد في فمه مكر (١ بطرس ٢: ٢١-٢٢).

وهذا يؤكد ما سبق وذكرناه من أن يسوع لم يعتمد من يوحنا لأنه تاب عن خطايه، إذ يصرّح بطرس بعكس ذلك قائلاً: "الذي لم يفعل خطيئة، ولا وجد في فمه مكر" لكنه حين اعتمد ترك مثلاً للمؤمنين لكي يتبعوا خطواته.

لنتذكر هذا بينما نعود إلى السبب الذي ذكره يسوع نفسه بخصوص معموديته، ولنتفحص كلماته بأكثر تفصيل:

...هكذا يليق بنا أن نكمل كل برٍّ (متى ١٥:٣).

ويمكن تقسيم هذه الاجابة إلى ثلاثة أقسام:

(١) الكلمة "هكذا" (٢) الفعل "يليق" (٣) العبارة الختامية "نكمل كل بر".

وندرسها فيما يلي بالتفصيل:

أولاً: الكلمة "هكذا" والتي تعني "بهذه الطريقة". فقد أسس يسوع بمثاله نمطاً لطريقة المعمودية. فلم يعتمد يسوع طفلاً. ففي طفولته "صعدوا (يوسف ومريم) به إلى أورشليم ليقدموه للرب" (لوقا ٢:٢٢). ولا ذكر هنا للمعمودية، فلم يعتمد يسوع إلا في سن الإدراك وهو يعرف تماماً ما يفعل ولماذا يفعله. بعد ذلك نقرأ في متى ١٦:٣:

فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء.

وبمنطقٍ بسيط، نستنتج من هذا أن يسوع عندما اعتمد، نزل أولاً تحت الماء ثم صعد منه. وبربط هذا مع المعنى الحرفي للفعل "baptizo" الذي ناقشناه سابقاً لا يمكننا إلا أن نستنتج بأن يسوع قد سمح بتغطيس جسمه بالكامل تحت مياه الأردن.

ثانياً: الفعل "يليق" وهو يشير إلى أن المعمودية أتباع المسيح هي شيء أسسه الله لا كوصية إجبارية تماماً، كذلك الوصايا المفروضة على إسرائيل في ناموس موسى، بل كتعبير تلقائي مخلص، يعبر به المؤمن عن صدق انتمائه كتلميذ للمسيح. وباستخدام صيغة الجمع "يليق بنا" يعبر يسوع سلفاً عن وحدته مع كل الذين سيتبعون مثاله من خلال المعمودية، هذه الممارسة التي تجسد الإيمان والطاعة.

ثالثاً: العبارة الختامية "نكمل كل بر". فكما أكدنا سابقاً، لم يعتمد يسوع كعلامة على الاعتراف والتوبة، إذ أنه لم يخطيء أبداً. لقد كان باراً تماماً كل الوقت. وهذا البر في الأصل هو حالة قلبية داخلية يمتلكها يسوع دائماً. إلا أن يسوع من خلال معموديته كمل هذا البر الداخلي بعمل الطاعة الخارجي لإرادة الأب السماوي. ومن

خلال هذا العمل الخارجي الدال على الطاعة والتكريس، دخل يسوع بالفعل إلى حياة الخدمة العملية التي حقق من خلالها خطة الله الأب.

وهذا ينطبق على المؤمنين الذين يعتمدون، فهم لا يعتمدون لمجرد أنهم خطاة اعترفوا وتابوا عن خطاياهم، فهذا المفهوم يؤدي إلى تراجع المعمودية المسيحية ووضعها على مستوى معمودية يوحنا. فصحیحُ أنَّ المؤمنين اعترفوا بخطاياهم وتابوا عنها وإلا لما أصبحوا مؤمنين أصلاً، لكنهم تقدموا إلى ما هو أعمق من ذلك، إلى ما هو أكمل وأعظم مما كان متوفراً لأولئك الذين عرفوا رسالة ومعمودية يوحنا فقط. ويصف بولس هذا الاختبار قائلاً:

فإذ قد تبررنا بالإيمان، لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح
(رومية ١: ٥).

فالمؤمنون المسيحيون لم يختبروا مجرد الاعتراف والتوبة، بل اختبروا هذا وأكثر. لقد تبرروا بالإيمان بموت يسوع المسيح الكفاري وقيامته، لقد نسب الله إليهم برَّ المسيح نفسه بحسب إيمانهم. لهذا السبب يعتمد المؤمنون، ليس كعلامة خارجية على اعترافهم وتوبتهم فحسب، بل ليكملوا أو ليتموا كل برّ. فبعمل الطاعة الخارجي يكملون البرَّ الداخلي الذي قبلوه في قلوبهم بالإيمان.

على ضوء هذا التفسير نرى كيف تختلف المعمودية المسيحية عن المعمودية التي كرّز بها يوحنا، ونعرف لماذا لم يقبل بولس المعمودية يوحنا في تلاميذ أفسس الذين أبدوا رغبتهم بأن يكونوا مؤمنين حقيقيين، لكنه شرح لهم حق الانجيل الكامل مركزاً على موت المسيح وقيامته، ثم أصرَّ على أن يعتمدوا ثانياً معموديةً مسيحيةً كاملة. فالمعمودية المسيحية هي فعل طاعةٍ خارجي يكمل به المؤمن البرَّ الداخلي الذي يتمتع به في قلبه من خلال إيمانه بموت المسيح الكفاري وقيامته.

شروط المعمودية المسيحية

سنقوم الآن ببحث الشروط التي يجب أن يحققها كل من يرغب بقبول المعمودية المسيحية.

التوبة

الشرط الأول نجده في أعمال ٢: ٣٧-٣٨ حيث نرى ردة فعل اليهود تجاه عظة بطرس يوم الخمسين وما أشاره بطرس عليهم:

فلما سمعوا نُخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل: ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة. فقال لهم بطرس: توبوا وليعتمد كل واحدٍ منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس.

وفي إجابته عن السؤال "ماذا نصنع؟" يقدم بطرس أمرين: أولاً توبوا ثم اعتمدوا. لقد سبق ورأينا (في الجزء الثاني) أنَّ التوبة هي التجاوب الأول الذي يطلبه الله من أي خاطيء يرغب في أن يخلص، فالتوبة يجب أن تسبق المعمودية، ثم تأتي المعمودية بعد ذلك ختماً أو تأكيداً على التغيير الداخلي الذي تنتجه التوبة.

الإيمان

يقدم المسيح نفسه الشرط الثاني للمعمودية المسيحية:

وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع، واکرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. من آمن واعتد خلس، ومن لم يؤمن يُدَن (مرقس ١٦: ١٥-١٦).

ويقول المسيح هنا أنه أينما يُكرز بالإنجيل، هناك متطلبان اثنان من أولئك الراغبين بقبول الخلاص وهما: الإيمان أولاً ثم المعمودية. وقد أخذت كنيسة العهد الجديد كلامه على محمل الجد، فما أن يؤمن أحدهم بيسوع كمخلص حتى كان يُعمدَ حالاً.

إنَّ اختبار سَجَّان فيلبي يقدِّم مثلاً مثيراً (انظر أعمال ١٦: ٢٥-٣٤). ففي منتصف تلك الليلة واستجابةً لصلوات بولس وسيلا "حدث بغتة زلزلة عظيمة حتى تزعزعت أساسات السجن" وانفتحت الأبواب كلها. عند ذلك قرَّر السجَّان أن ينتحر لأنه كان سيُعدم على أية حال لو هرب سجين واحد. إلَّا أنَّ بولس منعه قائلاً: "لا تفعل بنفسك شيئاً ردياً لأنَّ جميعنا ههنا." وتحت تأثير تبيكيت عميق سأل السجَّان: "ياسيدي ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟" فأجابا: "آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك." بعد ذلك قدَّم بولس وسيلا رسالة الإنجيل لأهل بيت السجَّان جميعاً، ومن الواضح أنَّ متطلبات المعمودية كانت ضمن تلك الرسالة التي تجاوب معها السجَّان وأهل بيته فتعمدوا حالاً. ولم يؤجلوا ذلك ولا حتى إلى طلوع الفجر.

هذا التجاوب هو النمط الاعتيادي في العهد الجديد، فلقد اعتبرت المعمودية إجراءً عاجلاً، إلَّا أنها كانت تُسبق دائماً بالإيمان.

إنَّ التوبة والإيمان - وهما أول متطلبات المعمودية - ينطبقان على التعاليم الأساسية الثلاثة المذكورة في عبرانيين ١: ٦-٢: (١) التوبة (٢) الإيمان (٣) تعليم المعموديات. فالتعليم والاختبار يتفقان على أنَّ المعمودية يجب أن تؤسس على التوبة والإيمان.

الضمير الصالح

الشرط الثالث للمعمودية المسيحية نجده في المقطع الكتابي الذي يشبه فيه بطرس ممارسة المعمودية المسيحية باختبار نوح وعائلته الذين نجوا من غضب ودينونة الله إذ دخلوا بالإيمان إلى الفلك، فاجتازوا مياه الطوفان بأمان بينما كانوا داخل الفلك. ويقول بطرس بصدد ذلك:

الذي مثاله يخلصنا نحن الآن، أي المعمودية. لا إزالة وسخ الجسد، بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح (١ بطرس ٣: ٢١).

وهنا يرفض بطرس تفسيراً ساذجاً يقترح أن المعمودية المسيحية هي شكل من أشكال الاغتسال أو التطهير الجسدي، موضحاً بأن الشرط الأساسي للمعمودية المسيحية يكمن في التجاوب الداخلي لقلب المؤمن (سؤال ضمير صالح عن الله)، وهذا التجاوب الداخلي للضمير الصالح تجاه الله ممكن - كما يشير بطرس - بالإيمان في قيامة يسوع المسيح.

ونستطيع أن نلخص كيفية تجاوب المؤمن عملياً مع الله بضمير صالح من خلال المعمودية بما يلي:

١- يُقرُّ المؤمن بخطايه بتواضع.

٢- يعترف بأنه يؤمن بموت المسيح وقيامته ككفارة ضرورية عن خطايه.

٣- يكمل المؤمن المتطلبات الإلهية النهائية لكي يتمتع بتأكيد خلاصه كتابياً، وذلك بالمعمودية التي هي عمل خارجي يدل على الطاعة.

وبإتمامه متطلبات الخلاص الإلهية هذه يكون الإنسان مستعداً للتجاوب مع الله بضمير صالح.

التلمذة

يمكن تلخيص الشروط الثلاثة الأولى للمعمودية وهي التوبة والإيمان والضمير الصالح، بالمتطلب الرابع وهو التلمذة. لقد فوّض المسيح أتباعه بحمل رسالة الإنجيل لكل الأمم قائلا:

فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به (متى ٢٨: ١٩-٢٠).

أما التلمذة التي تسبق المعمودية فهي تتضمن اجتياز الإنسان في المراحل الثلاث الأولى وهي التوبة والإيمان والضمير الصالح. إنَّ هذا يجعل المؤمنين الجدد مؤهلين للمعمودية التي يعلنون من خلالها استعدادهم للالتزام في حياة التلمذة. بعد هذا العمل العلني يحتاج الذين تعمّدوا إلى الحصول على المزيد من التعليم الشامل والمكثف لكي يصبحوا تلاميذ حقيقيين يتّسمون بالفهم والقوة وتحمل المسؤولية.

نستطيع الآن أن نلخص متطلبات المعمودية الكتابية: على الإنسان أن يسمع أولاً ما يكفي من رسالة الإنجيل لكي يفهم ما هو مقدّم على فعله، عليه أن يتوب عن خطايه وأن يعترف بايمانه في يسوع المسيح ابن الله، وعليه أن يكون مستعداً للتجاوب مع الله بضمير صالح. وأخيراً عليه أن يكرّس نفسه ملتزماً بحياة التلمذة.

نستنتج من هذا أن مقياس العهد الجديد لأهلية شخص ما للمعمودية المسيحية يتطلب من هذا الشخص أن يحقق تلك الشروط الأربعة، والعكس صحيح فإذا لم يتمكن أحدهم من تحقيق الشروط لا يكون مؤهلاً للمعمودية.

هل الأطفال مؤهلون؟

يمكن أن نلاحظ فوراً أنَّ الشروط المذكورة أعلاه بخصوص المعمودية تستثني الأطفال تلقائياً. فالطفل بطبيعته لا يستطيع أن يتوب أو أن يؤمن أو أن يتجاوب بضمير صالح مع الله عدا أنه لا يستطيع أن يكون تلميذاً. لذلك فإنَّ الأطفال غير مؤهلين للمعمودية. لكن بعض المفسرين يعتقدون بأنَّ العهد الجديد يحتوي على حوادث اعتمدت فيها عائلات بأكملها ومن المحتمل وجود أطفال في تلك العائلات اشتركوا في المعمودية. وبما أنَّ هذا الاعتقاد يتضمن تأثيراً مهماً على طبيعة المعمودية وهدفها فلا بدّ من التحقق منه وبحثه بعناية.

عائلة كرنيليوس في أعمال ١٠ وأهل بيت سجان فيلبي في أعمال ١٦ هما العائلتان اللتان تذكران عادة في هذا المجال. ولنبداً بعائلة كرنيليوس أولاً، حيث يخبرنا الكتاب بأنَّ كرنيليوس كان يتصف بالتقوى وخوف الله مع جميع بيته، أي أنَّ

جميع أعضاء عائلته كانوا أتقياء (انظر أعمال ١٠: ٢) وقبل أن يبدأ بطرس بالحديث اليهم قال كرنيليوس:

والآن نحن جميعاً حاضرون أمام الله لنسمع جميع ما أمرك به الله
(أعمال ١٠: ٣٣).

وهذا يشير إلى أن جميع الحاضرين كانوا قادرين على سماع رسالة بطرس، وبينما بطرس يتكلم:

... حلّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة فاندھش
المؤمنون الذين من أهل الختان كل من جاء مع بطرس لأنّ موهبة الروح
القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون باللسنة
ويعظمون الله (أعمال ١٠: ٤٤-٤٦).

وهذا يشير أيضاً إلى أن الحاضرين ليسوا قادرين على سماع الرسالة فحسب، بل
قادرين أيضاً على قبول الروح القدس بالإيمان تجاوباً مع تلك الرسالة، وعلى التكلّم
باللسنة أخرى. والواقع أن بطرس اعتبرهم مؤهلين للمعمودية بناءً على ذلك عندما
قال:

أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح
القدس كما نحن أيضاً؟ (أعمال ١٠: ٤٦-٤٧).

أيضاً عندما أخبر بطرس الرسل والاخوة في اورشليم بما حدث في بيت كرنيليوس
(انظر أعمال ١١) أضاف حقيقة مهمة أخرى تتعلّق بكل أعضاء بيت كرنيليوس
قائلاً:

وذهب معي أيضاً هؤلاء الإخوة الستة، فدخلنا بيت الرجل فأخبرنا كيف
رأى الملاك في بيته قائماً وقائلاً له: أرسل إلى يافا رجالاً واستدع
سمعان الملقّب بطرس، وهو يكلمك كلاماً به تخلص أنت وكل بيتك
(أعمال ١١: ١٢-١٤).

لاحظ العبارة "تخلص أنت وكل بيتك". إنها تعني أن كل أعضاء بيت كرنيليوس قد اختبروا الخلاص بسبب كلام بطرس.

فإذا دمجنا كل هذه الأجزاء من المعلومات التي جمعناها عن بيت كرنيليوس نجد أنها تتضمن الحقائق التالية عنهم: كلهم كانوا خائفين الله، وكلهم سمعوا رسالة بطرس، وكلهم قبلوا الروح القدس وتكلموا بالسنّة أخرى، وكلهم خلصوا. فمن الواضح إذاً بأنهم كانوا أشخاصاً قادرين على تحقيق شروط العهد الجديد بخصوص المعمودية ولم يكن بينهم أطفال أبداً.

أمّا بالنسبة لمعمودية أهل بيت سَجَّان فيلبي في أعمال ١٦ والتي كنا قد تطرقنا إليها في هذا الفصل، فإننا نجد الحقائق التالية:

١ - كلّم بولس وسيلا السجّان وجميع من في بيته بكلمة الرب (ع ٣٢).

٢ - اعتمد السجّان وكل بيته (ع ٣٣).

٣ - آمن السجّان هو وأهل بيته (ع ٣٤).

هذا يدل على أن كلّ واحدٍ منهم كان قادراً على تحقيق شروط العهد الجديد للمعمودية ولم يكن بينهم أطفال.

لم يُعتبر الأطفال مؤهلين للمعمودية لا في بيت كرنيليوس ولا في بيت سَجَّان فيلبي ولا في أي موضع آخر في العهد الجديد.

الإرشادات التمهيدية

ومع أنه من الضروري أن نؤكد على شروط المعمودية المسيحية، إلّا أننا يجب أن نتوخى الحذر بخصوص المبالغة بالحاجة إلى التعليم (قبل المعمودية) الذي قد يقود إلى نتائج غير كتابية. ففي بعض الأماكن (خاصة في بعض حقول الإرساليات الأجنبية) صار من المألوف أن نرى الإصرار على إخضاع من يطلبون المعمودية

إلى فترة مطوّلة من الإرشاد قد تمتد إلى عدة أسابيع أو شهور قبل أن يتم تعميدهم، ومرجعهم في ذلك هو كلمات المسيح في متى ٢٨: ١٩-٢٠:

فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس
وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به.

هذا التأكيد على التعليم التمهيدي يعود سببه جزئياً إلى أن ترجمة الملك جيمس لعام ١٦١١، تضع كلمات المسيح هكذا: "فاذهبوا وتلمذوا (بمعنى علّموا - teach) جميع الأمم" بينما تقول الترجمات الأحدث "فاذهبوا وتلمذوا (بمعنى اصنعوا تلاميذ - make disciples) جميع الأمم" وهي أدق.

على كل حال، لا بدّ لطالبي المعمودية أن يتعلموا أولاً. ولكن السؤال هو: كم ينبغي أن تستغرق هذه العملية التمهيدية؟ هل ينبغي قياسها بالشهور أم بالأسابيع أم بالأيام أم بالساعات؟ لقد لخصّ لوقا أحداث يوم الخمسين بهذه الكلمات:

فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا، وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس
(أعمال ٢: ٤١).

وقبل ساعات من ذلك كان أولئك الثلاثة آلاف الذين اعتمدوا بالماء غير مؤمنين ورافضين لحقيقة أن يسوع الناصري هو المسيحاً بالنسبة لشعب إسرائيل أو أنه ابن الله. ومن الواضح أن الفترة الزمنية بين عظة بطرس وممارسة المعمودية، وهي الفترة التي قدم فيها الرسل الإرشادات التمهيدية، لم تتعدى ساعات قليلة.

دعونا نرى كيف يتفق هذا مع حادثة تجاوب أهل السامرة مع كرازة فيلبس:

ولكن لما صدّقوا فيلبس وهو يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم
يسوع المسيح اعتمدوا رجالاً ونساء (أعمال ٨: ١٢).

لا تحدّد هنا أيضاً فترة معينة للإرشاد كما في يوم الخمسين، ولا يمكن لمثل هذه الفترة أن تكون قد تجاوزت بضعة أيام أو أسبوع أو - على الأكثر - أسبوعين. بعد ذلك

عمد فيلبس الوزير الحبشي في ذات اليوم الذي قابله وبشّره فيه بالإنجيل (أنظر أعمال ٨: ٣٦-٣٩) وهنا أيضاً لا يمكن لعملية التعليم أن تتجاوز بضع ساعات.

ثم هناك حالة حنانيا الذي قاده الله للذهاب إلى شاول الطرسوسي ليضع يديه عليه ويصلي من أجله:

فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد (أعمال ٩: ١٨).

يقول بولس فيما بعد بأن حنانيا في هذه الحادثة كان قد قال له:

والآن لماذا تتوانى؟ قم واعتمد... (أعمال ٢٢: ١٦).

فرى أنّ شاول الطرسوسي الذي دعي بولس فيما بعد اعتمد في يوم تجديده على الأغلب، أو خلال ثلاثة أيام على الأكثر من بعد ظهور يسوع المسيح له على طريق دمشق، أيضاً أمر بطرس كرنيليوس وأهل بيته بأن يعتمدوا في ذات اليوم الذي كرّز لهم فيه بالإنجيل (انظر أعمال ١٠: ٤٨). وفتح الرب قلب ليدية بائعة الأرجوان لرسالة الإنجيل التي اعتمدت وأهل بيتها بعد ذلك (انظر أعمال ١٦: ١٤-١٥). وهنا لا يذكر لنا الكتاب تفاصيل أخرى ولا يحدد فترة زمنية. وقد اعتمد سجان فيلبي وأهل بيته في الليلة نفسها التي سمع فيها الإنجيل لأول مرة (أعمال ١٦: ٣٣). في هذه الفقرات فحسنا سبع حالات لمعمودية مؤمنين جدد وفي كل مرة كان يقَدَّم مقداراً من التعليم، وفي أغلب الحالات، كانت المعمودية تأتي بعد بضع ساعات من التجديد بينما لا توجد حالة واحدة تمّ تأخير المعمودية فيها أكثر من بضعة أيام.

وهكذا فإننا نستطيع أن نكوّن صورة واضحة عن ممارسة المعمودية في الكنيسة الأولى. فقبل المعمودية تقدّم حقائق الإنجيل الأساسية التي تتمحور حول حياة المسيح وموته وقيامته، ويتم ربط هذه الحقائق بالمعمودية. بعد ذلك مباشرة تأتي المعمودية، بعد بضع ساعات عادة أو بضعة أيام على الأكثر. وبعد المعمودية تستمر عملية تعليم وإرشاد المؤمنين الجدد بكل ما هو ضروري من أجل تثبتهم في حياة

الإيمان بقوة. نجد عملية التعليم هذه في أعمال ٢:٢٤ بعد حادثة اعتماد المؤمنين الجدد يوم الخميس:

وكانوا (الذين اعتمدوا) يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات.

هذا هو نمط العهد الجديد في تأسيس المؤمنين الجدد في الإيمان بعد المعمودية.

الأهمية الروحية للمعمودية المسيحية

في هذا الفصل سنُعنَى بكشف جوانب الأهمية الروحية في ممارسة المعمودية المسيحية، كما يوردها العهد الجديد.

كيفية عمل نعمة الله

النص التالي من رومية هو مفتاحنا لفهم هذه الحقيقة:

فماذا نقول؟ أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟! حاشا! نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟! أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة؟ لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته عالمين هذا: أن إنساننا العتيق قد صلب ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية، لأنَّ الذي مات قد تبرأ من الخطية (رومية ٦: ١-٧).

في رومية ٥ يؤكد بولس على فيض نعمة الله التي تتناسب مع عمق خطية الإنسان.

...ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً (ع ٢٠).

وهذا يقود إلى السؤال الذي يطرحه بولس في رومية ٦: ١ "فماذا نقول؟ أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟!" فهو يتخيل أحدهم يسأل قائلاً: "ما دامت نعمة الله تزداد

بزيادة خطية الإنسان فهل يعني هذا أن نستمر في الخطية عن قصد، لكي تزداد نعمة الله من جهتنا؟ هل هذه هي الطريقة التي نستفيد بواسطتها من نعمة الله؟

في إجابته عن هذا السؤال الخطير يشير بولس إلى أنه مبني على سوء فهم كلي لكيفية عمل نعمة الله. فإذا أراد الإنسان أن ينتفع من نعمة الله، لا بدَّ له من تكوين علاقة شخصية مع الله بالإيمان، علاقة تُغيّر شخصية الإنسان. وهناك جانبان متعاكسان ومتكاملان للتغيير الذي تحدثه نعمة الله: أولاً: الموت عن الخطية وعن الحياة القديمة، ثانياً: الحياة التي نحيهاها لله وللبر.

على ضوء هذه الحقيقة نقف أمام احتمالين لا ثالث لهما: إمّا أن نستفيد من نعمة الله فنموت عن الخطية، أو أن نعيش في الخطية من دون أن نستفيد من نعمة الله. فمن غير المنطقي بل من المستحيل أن نتحدث عن الإفادة من نعمة الله وعن العيش في الخطية في الوقت نفسه، فهنا أمران لا يمكن أن يتلاقيا. ويشير بولس إلى ذلك في رومية ٦: ٢ بقوله: "حاشا! نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟!"

ماذا نفهم من العبارة "متنا عن الخطية"؟ دعونا نتخيل رجلاً شريراً، ولنفترض أنه شديد القسوة على زوجته وأولاده، وقد منع ذكر اسم الرب وكل ما يتعلق بالأمر الروحية في بيته، وأنه بذيء ومستعبد للكحول والتبغ. ولنفترض أيضاً أن هذا الرجل يموت بسبب نوبة قلبية مفاجئة بينما هو يجلس في بيته وأمامه لفافة من التبغ وقدر من الخمر. نستطيع أن نتخيل الآن تلك اللفافة وذلك الخمر ولم يعد لهما أي تأثير في الرجل، فلا رغبة داخلية تثيره، ولا حركة خارجية في ذراعه، لماذا؟ لأنه ميت، ميت عن الخمر وعن التبغ معاً.

بعد حين تعود زوجته وأولاده من اجتماع عام في كنيستهم المحلية وهم يرنمون. أمّا الرجل فلا يُبدي حراكاً، فلا غضب ولا كلمات تجديف. لماذا؟ لأنّ الرجل ميت عن الغضب وعن التجديف أيضاً. وبعبارة مختصرة فإنّ هذا الرجل "ميت عن الخطية" فهي لا تجذبه فيما بعد، ولا تنتج فيه ردود فعل فيما بعد، وليس لها قوة عليه.

الصلب والقيامة مع المسيح

إنَّ نعمة الله تجعل المؤمن الحقيقي مَيِّناً عن الخطية، هذه الحقيقة يؤكدُها العهد الجديد عدة مرات:

عالمين هذا أنَّ انساننا العتيق قد صلب معه (المسيح) ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية. لأنَّ الذي مات قد تبرأ (يتبرر) من الخطية (رومية ٦: ٦-٧).

والمعنى هنا واضح. فكل من قَبِلَ موت المسيح الكفَّاري بدلاً عنه، يُصَلَّب فيه الإنسان العتيق أي الطبيعة الخاطئة الفاسدة، وتبطل قوة جسد الخطية فيه، ويتبرأ (يتبرر) هذا الإنسان من الخطية بالموت، فلا حاجة لأن يُستعبد لها فيما بعد.

بعد ذلك وفي الأصحاح نفسه يكرر بولس هذا التعليم مؤكداً على جوانب جديدة:

- كذلك انتم ايضاً احسبوا انفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا. إذًا، لا تملكَنَّ الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته (رومية ٦: ١١-١٢).
- فَإِنَّ الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة (١٤ ع).

والمعنى واضح هنا أيضاً. فكمؤمنين علينا أن نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية بسبب نعمة الله بالمسيح يسوع. فلا يعود هناك سبب لأن تملك الخطية فينا أو أن تسيطر علينا. ويؤكد بولس هذه الحقيقة نفسها في موضع لاحق من رومية بأوضح الطرق وأكثرها حسماً فيقول:

وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية، وأمَّا الروح فحياة بسبب البرِّ (رومية ٨: ١٠).

فالكلمات التي يستخدمها بولس: "إن كان المسيح فيكم" تشير إلى أنَّ هذه الحقيقة تنطبق على كل مؤمن حقيقي يسكن المسيح في قلبه بالإيمان. إنَّ النتيجة المزدوجة لسكني المسيح في المؤمن هي موت الطبيعة الجسدية القديمة وبعث حياة جديدة للبرِّ بعمل الروح القدس. "أمَّا الروح فحياة بسبب البرِّ".

وبنفس الوضوح يقدم بطرس هذه الحقيقة، فيقول بخصوص موت المسيح على الصليب:

الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبرِّ، الذي بجلدته شُفِيتُم (١ بط ٢: ٢٤).

يقدِّم بطرس أيضاً الجانبين المتكاملين لعملية التغيير في حياة المؤمن، الذي قَبِلَ موت المسيح الكفَّاري: (١) الموت عن الخطية (٢) الحياة للبرِّ. والواقع أنَّ بطرس يعتبر هذه الحقائق هي الهدف الأعظم لموت المسيح على الصليب عندما يقول: "لكي نموت عن الخطايا ونحيا للبرِّ".

إنَّ اختبار الموت عن الخطايا والحياة للبرِّ هو أعمق جداً من مجرد غفران الخطايا السالفة. فهو ينقل المؤمن إلى عالم مختلف تماماً في تجربته الروحية. إنَّ إمكانية غفران خطايا الماضي هي حقيقة يعرفها كل المسيحيين في كل الطوائف تقريباً، وربما أنَّ الاعتراف والحصول على الغفران، هو السبب الأساسي لترددهم على الكنائس من دون أن يمتلكوا أدنى فكرة بخصوص اختبار التغيير الداخلي في طبيعتهم. والنتيجة أنهم يعترفون بخطاياهم ويخرجون من الكنيسة من دون تغيير ليوصلوا ارتكاب الخطايا التي اعترفوا بها. وهكذا يعتادون على الذهاب إلى الكنيسة من أجل الاعتراف بالخطايا نفسها دائماً. إنها ديانة من صنع الإنسان تتخللها بعض الأشكال السطحية للمسيحية الحقيقية. ديانة ذات صلة هامشية بالخلاص الذي يقدمه الله لكل من يؤمن بكفارة المسيح، أو ربما أنَّها لا تَمُتُ إلى الخلاص بصلَّة.

إنَّ مجرد غفران الخطايا السابقة ليس هو هدف الله الأساسي من ذبيحة المسيح، لكن هدفه هو الدخول إلى عالم جديد من التجربة الروحية بعد غفران الخطايا.

ومن تلك اللحظة فصاعداً، ينبغي أن يداوم المؤمن على الحياة لله وللبرِّ باعتباره ميتاً عن الخطية، فلا يُستعبد للخطية، ولا تملكن الخطية عليه فيما بعد.

لقد أصبح هذا ممكناً بسبب ذبيحة المسيح الكفَّارية، الذي لم يحتمل بنفسه ذنب خطايانا ولم يدفع كامل أجرتها فحسب، لكنه - فوق ذلك كله - اتحد في طبيعتنا الخاطئة الساقطة الفاسدة، وعندما مات على الصليب - كما يقول الكتاب - مات "إنساننا العتيق" أو "جسد الخطية"، مات في المسيح ومع المسيح. ولكي يتمكن المؤمن من أخذ موقعه المناسب في هذه الخطة الإلهية، هناك شرطان يضعهما بولس في رومية ٦ بترتيبٍ منطقي:

عالمين هذا: أنْ إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية (رومية ٦: ٦).

إنَّ صلب إنساننا العتيق مع المسيح كان حدثاً تاريخياً محدداً وقع في لحظة محددة في الماضي،

كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا (رومية ٦: ١١).

الكلمة الأولى "كذلك" تشير هنا إلى التطابق بين اختبار المسيح واختبار المؤمن وهذا يعني أنه كما مات المسيح ، احسب (اعتبر) أنك قد مُتَّ معه أيضاً. وباختصار: "إنَّ موت المسيح هو موتك أنت."

إذاً فالشرطان اللذان لهما لكي نكون أمواتاً عن الخطية وأحياء للبرِّ لله هما:

١- المعرفة "عالمين هذا ..."

٢- الاعتبار "احسبوا ..."

فعلينا أولاً أن نعرف ما تعلّمه كلمة الله عن الهدف المركزي لموت المسيح، وعلينا ثانياً أن نحسب (نعتبر) كلمة الله صادقة بالنسبة لنا شخصياً. وينبغي تطبيق هذه الحقيقة

الكتابية بالإيمان على الحالة الخاصة لكلِّ واحدٍ منّا. ويكون هذا الاختبار ملكاً لنا فقط عندما نعرف ونحسب أنّ ما تعلّمه كلمة الله بخصوص هدف كَفَّارة المسيح هو حق، ونستمر على موقفنا هذا.

فيما يتعلق بهذا الهدف المركزي لموت المسيح (أن نموت عن الخطية لنحيا للبرِّ) نستطيع أن نقرر أمرين لا يمكن الاعتراض عليهما:

١- لا توجد حقيقة في العهد الجديد لها أهمية عملية أعظم من هذه الحقيقة.

٢- لا توجد حقيقة تعرّضت للتجاهل واللامبالاة وعدم الإيمان أكثر مما تعرضت له هذه الحقيقة بين المؤمنين أنفسهم.

ويعود جذر هذه الحالة المزرية إلى "الجهل" أو ربما "التجاهل". ولسبب منطقي نستطيع أن نطبّق كلمات الرب في هوشع ٦:٤ على هذه الحالة حيث نقرأ:

قد هلك شعبي من عدم المعرفة.

فالمطلب الرئيس الذي يذكره بولس في بداية عرضه لهدف كَفَّارة المسيح هو "عالمين هذا..." فمن دون المعرفة لن يستطيع شعب الله أن يؤمن بهذه الحقيقة ومن دون الإيمان لا يستطيع أن يختبرها. إذًا فالحاجة العظمى الأولى هي إعلان هذه الحقيقة وإبقائها ماثلةً أمام الجميع بطريقة واضحة وجديّة وحاسمة.

أولاً الدفن ثم القيامة

ما هي العلاقة بين هذه الحقيقة المركزية المتعلقة بكَفَّارة المسيح وبين ممارسة المعمودية المسيحية؟ إنّ الإجابة سهلة وعملية: من الطبيعي أن يتبع الدفن الموت في أغلب الأحوال، وهذا ينطبق على العالم الروحي أيضاً حيث يأتي الموت أولاً ثم الدفن. ومن خلال الإيمان بكفارة المسيح نحسب أنفسنا أمواتاً معه كما تقول كلمة الله، إننا نحسب إنساننا العتيق "جسد الخطية" ميتاً. بعد ذلك تأتي عملية الدفن كما تقول الكلمة، دفن الإنسان العتيق الذي هو جسد الخطية الميت.

أما الممارسة التي نرى فيها هذا الدفن عملياً فهي المعمودية المسيحية. ففي كل مرة تقام فيها هذه المعمودية هناك مرحلتان متتاليتان: (١) الدفن (٢) القيامة. تصوّر هاتان المرحلتان جانبين من التغيير الداخلي في المؤمن الذي يقبل كفارة المسيح من أجله:

(١) الموت عن الخطية (٢) الحياة الجديدة للبرّ ولله.

فمعمودية الماء المسيحية هي أولاً عملية دفن نموذجية في قبرٍ مائي، ثم هي قيامة من هذا القبر إلى حياة جديدة نحيّاها لله وللبرّ. فالدفن هو التعبير الخارجي عن الموت عن الخطية وموت الإنسان العتيق، أما القيامة فهي تعبير خارجي عن الحياة للبرّ ولله. ويعلن العهد الجديد هذه الحقيقة باعتبارها هدف المعمودية المسيحية.

- أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدُفنا معه بالمعمودية للموت؟ حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة (رومية ٦: ٣-٤).
- مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتُم أيضاً معه بايمان عمل الله الذي أقامه من الأموات (كولوسي ٢: ١٢).

في كلا هذين المقطعين نرى بوضوح مرحلتي المعمودية المتتابعتين: (١) دُفنا مع المسيح في المعمودية (حرفياً: التغطيس - immersion) للموت (في موت المسيح). (٢) أقمنا معه بالإيمان في عمل قوة الله، لنسلك معه في حياة جديدة. عدا عن هذه الحقيقة الأساسية بخصوص الدفن والقيامة. هناك ثلاث حقائق مهمة أخرى في الأعداد التي قرأناها:

أولاً: بواسطة المعمودية المسيحية نحن نعتمد للمسيح "لنتحد في المسيح" (ت.ع.ج) وليس في كنيسة أو طائفة. يقول بولس:

لأنّ كلّم الذين اعتمدتم بالمسيح (في المسيح. ت.ع.ج) قد لبستم المسيح (غلاطية ٣: ٢٧).

فلا متَّسع في هذه الكلمات لأي شيء غير المسيح في موته الكفَّاري وفي قيامته الغالبة.

ثانياً: إنَّ تأثير المعمودية يعتمد على الإيمان الشخصي لمن يتقدم للمعمودية حيث نقرأ: "بايمان عمل الله" أي "عن طريق إيمانكم بقدرة الله" (كتاب الحياة) أو ببساطة: بالإيمان بما يعملُه الله، ومن دون هذا الإيمان فإنَّ طقس المعمودية المجرد يفتقر إلى أقلِّ تأثيرٍ أو فاعلية.

ثالثاً: إنَّ ذلك المؤمن الذي يُقام من قبر المعمودية المائي ليسلك في الحياة الجديدة، لا يفعل هذا بقوته بل بقوة "مجد الآب". إنها ذات القوة التي أقامت يسوع من قبره. ويقول بولس بأنَّ القوة التي أقامت يسوع من القبر هي "روح القداسة" (رومية ٤: ١) أي روح الله القدوس. فالمؤمن يكرِّس نفسه لحياة جديدة للبرِّ والله من خلال المعمودية. حياة تعتمد كلياً على الروح القدس. وهذا يتفق مع ما يقوله بولس في رومية ٨: ١٠:

وإن كان المسيح فيكم، فالجسد ميت بسبب الخطية، وأمَّا الروح فحياة بسبب البرِّ.

فروح الله وحده يستطيع أن يمنح المؤمن المعمَّد حاجته من القوة من أجل هذه الحياة الجديدة.

من المبادئ العامة في علم النفس التربوي أنَّ الاطفال يتذكرون ٤٠٪ تقريباً مما يسمعونَه و ٦٠٪ مما يرونَه ويسمعونه معاً و ٨٠٪ مما يرونَه ويسمعونه ويعملونه. وقد طَبَّقَ الله - في تأسيسه لفكرة المعمودية المسيحية - هذا المبدأ في تعليمه المختص بالهدف المركزي السامي لكفارة المسيح ألا وهو الموت عن الخطية والحياة للبرِّ. فبحسب نمط العهد الجديد، كلما انضمَّ مؤمنون جدد إلى الكنيسة فإنهم يصوِّرون بالمعمودية اتحادهم في المسيح بالإيمان ويجسِّدون اتحادهم بموته ودفنه عن الخطية وقيامته في حياة جديدة، وهكذا تعمل المعمودية على إبقاء هدف كفارة المسيح العظيم ماثلاً أمام الكنيسة بأكملها.

بناءً على ذلك نستنتج أنَّ الكنيسة لا تستطيع أن تستعيد تأثير الحقيقة الأساسية الناتجة عن كفارة المسيح، حتى تستعيد المعنى الحقيقي والأسلوب الصحيح للمعمودية المسيحية أولاً. فينبغي أن ترجع المعمودية لتكون تصويراً نموذجياً فعّالاً لهذه الحقيقة المزدوجة: (الموت عن الخطية والحياة للبر).

لاستكمال هذه الدراسة دعوني أُشير باختصار إلى أنَّ المعمودية المسيحية الحقيقية لا تنشيء بحد ذاتها حالة الموت من الخطية في داخل المؤمن، إلا أنها ختمٌ خارجي على أنَّ المؤمن قد دخل هذه الحالة فعلاً بالإيمان. لقد أكد بولس في الأعداد التي اقتبسناها من رومية ٦ بأننا أولاً مُتنا مع المسيح عن الخطية ثم اعتمدنا لموته. ومن هذه الناحية تشابه المعمودية المسيحية معمودية يوحنا، ففي معمودية يوحنا يتوب الشخص أولاً عن خطايه ثم يعتمد إلى "into" موت المسيح، وفي كلتا الحالتين فإن الممارسة الخارجية للمعمودية لا تخلق الحالة الروحية الداخلية، إلا أنها تمثل ختماً وتأكيداً على أنَّ الحالة الداخلية قد تحققت أصلاً، وذلك بالإيمان المسبق في قلب من يتقدم إلى المعمودية.

المعمودية في الروح القدس

منذ مطلع القرن العشرين وموضوع المعمودية في الروح القدس يحظى باهتمام شديد، ويثير جدلاً حاداً بين مختلف قطاعات الكنيسة المسيحية على اتساعها. واليوم ما زال هذا الموضوع موضع بحث ونقاش وجدل في كافة أوساط المسيحية. وعليه، فإننا سنحاول أن نتعرض إلى هذا الموضوع بحذر، وبأسلوبٍ كتابي شامل.

سبعة مراجع من العهد الجديد

سننظر أولاً في سبعة مقاطع من العهد الجديد تُستخدم فيها الكلمة "يعمّد" ومشتقاتها مقترنةً مع الروح القدس. ومن الملائم حقاً وجود سبعةٍ من هذه المقاطع الكتابية، خاصةً أن الرقم سبعة يتميز بكونه رقم الروح القدس.

أولاً: يقارن يوحنا المعمدان بين خدمته وخدمة المسيح، مبيناً الفرق بينهما بقوله:

أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه، هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار (متى ٣: ١١).

ومع أن ترجمة الملك جيمس الانجليزية تستخدم حرف الجر "with" مع الفعل "baptize" (وهذا يتوافق مع استخدام الترجمات العربية لحرف الجر "الباء")، إلا أن حرف الجر المستخدم في الأصل اليوناني يترجم "في"، "in" والواقع أن حرفي الجر الوحيدين

الذين استُخدِمَا مع الفعل "يعمّد" هما [في، إلى (داخل) - in, into]. وللأسف فإنّ ترجمة الملك جيمس قد جعلت التعليم الواضح للنص الاصلّي مُبهماً بسبب استخدامها لحروف جرٍ مختلفة. كذلك في مرقس ٨:١ يقول يوحنا المعمدان بخصوص المسيح:

أنا عمّدتكم بالماء وأمّا هو فسيعمّدكم بالروح القدس.

هنا أيضاً حرف الجر المستخدم في الاصل هو "في"، وفي لوقا ٣:١٦ يقول يوحنا المعمدان:

أنا اعمّدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه، هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار.

وهنا أيضاً الترجمة الحرفية هي "في الروح القدس".

وفي يوحنا ٣:٣٣ يقدّم يوحنا المعمدان شهادته عن المسيح - قائلاً:

وأنا لم أكن اعرفه لكن الذي أرسلني لأعمّد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمّد بالروح القدس.

أيضاً - وفي الحالات كلها - يستخدم النص الاصلّي حرف الجر "في". ففي أعمال ١:٥ وقبيل صعوده إلى السماء، قال يسوع لتلاميذه:

يوحنا عمّد بالماء وأمّا أنتم فستعمدون بـ (في) الروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير.

وفي أعمال ١٦:١١ يصف بطرس ما حدث في بيت كرنيليوس وهو يقتبس كلمات يسوع المذكورة في أعمال ١:٥، يقول بطرس:

فتذكّرت كلام الرب كيف قال: إنّ يوحنا عمّد بماءٍ وأمّا أنتم فستعمدون بـ (في) الروح القدس.

وأخيراً، يقول بولس في ١ كورنثوس ١٢:١٣:

لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنّا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.

وتستخدم ترجمة فاندايك هنا حرف الجر "الباء" بمعنى "by" في العبارة "بروح واحد..." ولمزيد من الدقة نشير إلى أنّ حرف الجر المستخدم في الاصل اليوناني هو "في - in" "لأننا جميعنا (في) روح واحد أيضاً اعتمدنا إلى "into" جسد واحد." وهكذا فإنّ مفردات بولس تنسجم تماماً مع مفردات سفر الأعمال والأنجيل. وللأسف فإنّ ترجمات الكتاب المقدس المختلفة، ومن ضمنها ترجمة الملك جيمس الانجليزية، قد استخدمت حرف الجر "الباء - by" في هذا النص مما تسبب في تكوين بعض العقائد الغريبة. فاعتقد بعض المفسرين بأنّ بولس يشير إلى اختبار خاص مختلف عن ذلك المُشار إليه في الأنجيل وفي أعمال الرسل، حيث أنّ الروح القدس نفسه في هذا الاختبار الخاص هو الشخص الذي يعمّد كما يعتقدون. ولو أنّ مؤسسي هذه العقائد تمهلوا وقتاً كافياً لمراجعة النص اليوناني الأصلي لما وجدوا أساساً لعقيدتهم هذه. والحقيقة أنّ كل تعاليم العهد الجديد تتفق تماماً وتعلن بوضوح وحسم بأنّ يسوع المسيح - وحده وليس سواه - هو الشخص الذي يعمّد في الروح القدس.

ومن الضروري هنا أن نضيف بأنّ استخدام بولس للعبارة "اعتمدنا إلى (into)" ... بالارتباط مع المعمودية في الروح القدس، يتفق مع استخدامات ذات العبارة مع المعمودية يوحنا والمعمودية المسيحية في الماء، فقد أشرنا في هاتين الحالتين ألى أنّ ممارسة المعمودية بأنواعها هو ختم خارجي وتأكيدٌ على حالة روحية داخلية. وهذا ينطبق على كلمات بولس التي تبين العلاقة بين المعمودية في الروح القدس وبين العضوية في جسد المسيح. فالمعمودية في الروح القدس لا تجعل المؤمن عضواً في جسد المسيح إلا أنها ختم فوق طبيعي يُقرّ بأنّ ذلك المؤمن قد أصبح فعلاً في جسد المسيح بالإيمان.

نلخص الآن الدروس التي يمكن أن نتعلمها من تلك المقاطع الكتابية السبعة التي ذُكرت فيها المعمودية في الروح القدس:

في ستة مقاطع منها نجد مقارنة وتمييزاً بين اختبار المعمودية في الروح القدس والمعمودية في الماء. وفي مقطعين من السبعة تُذكر الكلمة "نار" مرتبطة مع الروح القدس، وتوصف هذه الحالة "بالمعمودية في الروح القدس ونار".

الفعل الوحيد الآخر الذي استُخدم مرتبطاً بالروح القدس، بالإضافة للفعل "يَعْمَدُ" هو الفعل المشتق من "سَقِيَ". يقول بولس في ١ كورنثوس ١٢: ١٣:

وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.

واستخدام هذا الفعل يوافق ما قاله يسوع نفسه بخصوص الروح القدس في يوحنا ٧: ٣٧-٣٩:

إن عطش أحدٌ فليقبل إلي ويشرب، مَنْ آمَن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه انهار ماءٍ حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه، لأنَّ الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد، لأنَّ يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد.

فيشبه يسوع عطية الروح القدس بشرب الماء، وهذا بدوره ينسجم مع الفقرة الكتابية في أعمال ٢: ٤. فعندما كان التلاميذ في العلنية يوم الخمسين، يقول الكتاب بأنهم امتلأوا جميعاً من الروح القدس. كما ينسجم هذا أيضاً مع عدة مقاطع أخرى في سفر أعمال الرسل تتحدث عن قبول الروح القدس. مثلاً عندما آمن أهل السامرة متجاوبين مع كرازة فيلبس، نقرأ بأن الكنيسة في اورشليم أرسلت بطرس ويوحنا إليهم،

الذين لمَّا نزلوا صلياً لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس... حينئذٍ وضعوا الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس (أعمال ٨: ١٥، ١٧).

ويقول بطرس عن أولئك الذين اجتمعوا في بيت كرنيليوس بعد أن انسكب عليهم الروح القدس:

أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً؟ (أعمال ١٠: ٤٧).

وسأل بولس (التلاميذ) الذين وجدهم في أفسس:

هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟ (أعمال ١٩: ٢).

في الفقرات السابقة تم استخدام عبارات تشير إلى "شرب الروح القدس" و "الامتلاء من الروح القدس" و "قبول الروح القدس" وهي جميعها تتحدث عن اختبارٍ يقبل المؤمن بواسطته ملء الروح القدس.

التغطيس من الأعالى

لقد سبق وعرفنا جذر المعنى الحرفي للفعل "يعمّد" في أصله اليوناني، وهو "أن تجعل شيئاً ما ينغمس أو يغطس". لذلك فإنّ العبارة "المعمودية في الروح القدس" تدل على أنّ كيان المؤمن بأسره يُغطّس ويُغمّر في حضور وفي قوة الروح القدس الذي ينزل عليه من الأعالى ويحيط به كلياً.

وعليّنا أن نتذكر بأنّ التغطيس في الماء يمكن أن يتم بطريقتين على حد ما تعلمناه من الطبيعة: فيمكن أن يغطس شخص ما بأن ينزل تحت سطح الماء ثم يخرج، ويمكن أيضاً أن يسير ذلك الشخص تحت شلال مائي تاركاً المياه لتغمره من الأعلى. هذه الطريقة الثانية للتغطيس تناظر روحياً المعمودية في الروح القدس. وفي كل المواضع التي وُصفت فيها المعمودية في الروح القدس في سفر أعمال الرسل، تُستخدم لغةٌ تشير إلى أنّ الروح القدس يأتي على المؤمن من فوق أو ينسكب عليه. ففي يوم الخمسين مثلاً:

صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين (أعمال ٢: ٢).

وهذا يبين أنّ الروح القدس جاء من الأعلى على التلاميذ وغطّسهم كلياً من كل جانب

حتى أنه "ملأ كل البيت حيث كانوا جالسين." ويؤكد بطرس فيما بعد صحة تفسيرنا لذلك الاختبار مرتين: أولاً بإعلانه بأن ذلك الاختبار كان تنميماً لوعده الله:

ويكون في الأيام الاخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر
(أعمال ٢: ١٧).

ثم بقوله عن المسيح:

وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي
أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه (أعمال ٢: ٣٣).

والصورة واحدة في كلا المقطعين، حيث يُسكب الروح القدس على المؤمنين من فوق. أمّا في أعمال ٨: ١٦ فتُستخدم الكلمة "حلّ"، والحلول يشير هنا إلى مجيء الروح القدس على المؤمنين من فوق. ففي اختبار بيت كرنيليوس (أعمال ١٠) تُستخدم هاتان العبارتان بالتتابع. ففي عدد ٤٤ نقرأ: "حلّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة"، وفي عدد ٤٥: "لأنّ موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً." وهذا يدل على أنّ الكلمتين "حلّ" أو "انسكب" تُستخدمان بالتبادل. وعندما يصف بطرس هذا الحدث نفسه في بيت كرنيليوس فإنه يقول:

حلّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداية (أعمال ١١: ١٥).

والعبارة "كما علينا في البداية" تشير إلى أنّ اختبار كرنيليوس وأهل بيته مواز تماماً لاختبار التلاميذ يوم الخمسين في العلّة. وقد قرأنا عن تلاميذ أفسس بعد أن اعتمدوا بالماء:

ولما وضع بولس يديه عليهم حلّ الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون
بلغاتٍ ويتنبأون (أعمال ١٩: ٦).

فإذا أردنا الآن أن نجمّع الصور المتنوعة التي تشير إليها كلمات العهد الجديد المختلفة بخصوص المعمودية في الروح القدس، فإننا نستنتج ما يلي:

- ١- إن اختبار المعمودية في الروح القدس يتضمن جانبين متميزين متكاملين: الأول داخلي والثاني خارجي.
 - ٢- الجانب الخارجي هو جانب غير مرئي من حضور ومن قوة الروح القدس، يأتي من الأعالي، ويحل على المؤمن مُغَطَّساً إياه ومحيطاً به من كل جانب.
 - ٣- الجانب الداخلي يتمثل بقبول المؤمن لقوة وحضور الروح القدس في داخله كما يشرب الماء، ثم يفيض الروح بدوره في داخل المؤمن، ويتدفق كالنهر من أعماق كيانه. فأية لغة تستطيع أن تصف اختباراً فائقاً كهذا! على أية حال، فإن استخدام صورة استعارية من العهد القديم قد يوفر قدراً من الاستنارة.
- في أيام نوح غرق العالم كله بالطوفان. وفي تنفيذه لهذه الديونة، استخدم الله عمليتين متميزتين ومتكاملتين في الوقت نفسه حيث نقرأ في سفر التكوين ما يلي:
- في سنة ست مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء (تكوين ٧: ١١).
- لقد جاءت المياه من مصدرين بحسب هذا النص: من الداخل "انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم"، أو "تفجرت المياه من اللجج العميقة في باطن الأرض" (كتاب الحياة). ثم من الأعالي أيضاً "انفتحت طاقات السماء" أي "هطلت أمطار السماء الغزيرة" (كتاب الحياة). ومع أن ذلك الطوفان كان تعبيراً عن غضب الله ودينونته، إلا أن الطوفان الذي يغمر مؤمني العهد الجديد فهو طوفان بركة الرب ونعمته ومجده. ورغم هذا الاختلاف بين الحالتين، إلا أن المؤمن في العهد الجديد، والذي يقبل ملء الروح القدس، يختبر الصورة عينها التي نجدها في طوفان نوح. فمن الداخل تنفجر الينابيع العميقة في شخصية المؤمن ويتدفق من أعماقه طوفانٌ جبارٌ من البركة والقوة، ومن فوق تنفتح

طاقات رحمة الله على المؤمن، وتنهمر عليه البركة وأمطارُ مجدٍ غامر، حتى أنَّ شخصيته تُغمَر كلياً (تُغَطَّس) تحت الانسكاب.

يجب التأكيد هنا على أننا لا نصف اختبارين منفصلين، بل جانبين مميزين ومتكاملين، يُحققان معاً اختباراً واحداً. فإذا اعترض أحدهم بحجة صعوبة فهم هذه العملية (الامتلاء الداخلي والغمَر الخارجي في الوقت نفسه)، فإنَّ هذا الاعتراض يساعدنا - في الواقع - على توضيح محدودية اللغة والفهم عند البشر. إذ يُمكن إثارة الاعتراض نفسه على عباراتٍ قالها المسيح، كقوله:

صدقوني أني في الآب والآب فيَّ (يوحنا ١٤: ١١).

ويمكن الاعتراض على الحقيقة القائلة بأنَّ المسيح في المؤمن والمؤمن في المسيح. فإذا استمر بعض الناس بإثارة مثل هذه الاعتراضات السطحية على اختباراتٍ فوق طبيعة كهذه، معتمدين على محدودية الإنسان في اللغة والفهم، فإنَّ أقصر إجابة تقدِّمها لمثل أولئك هي أنَّ "الأفعال أبلغ من الأقوال والتجربة هي خير دليل!"

العلامة الخارجية

لقد عالجتُ فيما سبق موضوع المعمودية في الروح القدس من جهة الطبيعة الداخلية الخفية لهذا الاختبار. ننتقل الآن إلى دراسة الإظهارات الخارجية المرافقة لهذا الاختبار الداخلي. وأول ما يجب أن نُشير إليه في هذا المجال، هو أنَّ استخدام الكلمة "إظهارات - manifestations" بالارتباط مع الروح القدس هو استخدام كتابي. فنحن نُقرُّ بالطبع بأنَّ الروح القدس غير مرئي بطبيعته، لذلك شبَّه يسوع عمل الروح القدس بعمل الريح، فقال:

الريح تهبُّ حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من ولد من الروح (يوحنا ٣: ٨).

إنَّ الريح غير مرئية، إلَّا أنَّ تأثيرات حركتها تكون مرئيةً ومسموعةً في أحيانٍ كثيرة. فمثلاً عندما تهب الريح يتحرك الغبار، وتتمايل الأشجار فتصدر أغصانها

حفيفاً، وتهدر أمواج البحر، وتندفع الغيوم في السماء. هذه وغيرها من التأثيرات التي تصنعها الرياح يمكن أن تُرى أو أن تُسمع.

فما أراد يسوع أن يقوله، هو أن للروح القدس تأثيرات معينة عندما يتحرك، ورغم أنه غير مرئي بطبيعته، إلا أن هذه التأثيرات يمكن أن تُرى أو أن تُسمع. وتؤكد لغة العهد الجديد هذه الحقيقة في عدة أماكن. ففي الوصف الذي استخدمه بطرس يوم الخمسين مثلاً:

وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعون (أعمال ٢: ٣٣).

لقد كانت تأثيرات حلول الروح القدس مرئية ومسموعة معاً. ويصف بولس عمل الروح القدس في خدمته الخاصة بهذه الكلمات:

وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة (١ كورنثوس ٢: ٤).

ويقول بأن كل مؤمن يستطيع اختبار تأثيرات الروح.

لكنه (الله) لكل واحد يعطي إظهار الروح للمنفعة (١ كورنثوس ١٢: ٧).

لاحظ المصطلحات التي يستخدمها بولس: "برهان - demonstration" الروح القدس، "إظهار - manifestation" الروح. فالروح القدس يمكن أن يحدث تأثيراً تتركه الحواس الطبيعية.

على ضوء هذه الحقيقة، سنتأمل في المقاطع الكتابية التي تصف المعمودية في الروح القدس، وتصف ما حدث لأولئك الذين قبلوا هذا الاختبار، ملاحظين الإظهارات التي رافقت عمل الروح القدس. ففي ثلاث مناسبات يذكر العهد الجديد ما حصل مع المؤمنين الذين اعتمدوا في الروح القدس، ولنبداً بما حدث يوم الخمسين:

وصار بغثة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم، وامتألاً الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بالسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا (أعمال ٢: ٢-٤).

وننتقل إلى ما حدث بينما كان بطرس يقدم رسالة الإنجيل لكرنيليوس ولأهل بيته:

فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حلَّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة، فاندھش المؤمنون الذين من أهل الختان كل من جاء مع بطرس لأنَّ موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً، لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بالسنة ويعظمون الله (أعمال ١٠: ٤٤-٤٦).

ثم ننظر في اختبار أول المؤمنين الذين بشرهم بولس في أفسس:

ولما وضع بولس يديه عليهم حلَّ الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغاتٍ ويتنبأون (أعمال ١٩: ٦).

فإذا قارناً بتدقيق بين هذه الفقرات نلاحظ أنَّ هناك إظهاراً واحداً مشتركاً فيها، فالكتاب يذكر بوضوح بأنَّ الجميع اختبروا "التكلم بالسنة" أو "التكلم بلغات أخرى"، وقد وردت إظهارات فوق طبيعية أخرى، لكن من دون أن تتكرر.

ففي يوم الخمسين نقرأ عن "صوتٍ كما من هبوب ريح عاصفة" وعن ظهور "السنة منقسمة كأنها من نار." إلا أنَّ هذه الإظهارات لم تُذكر في مناسبةٍ مشابهةٍ أخرى. أيضاً في أفسس لم يتكلم الجميع بالسنة فقط لكنهم تنبأوا أيضاً، بينما لم تُذكر النبوة في يوم الخمسين ولا في بيت كرنيليوس. أمَّا التكلم بالسنةٍ أخرى، فهو الإظهار الوحيد المشترك في المناسبات الثلاثة.

ونقرأ أنَّ بطرس واليهود الذين معه، وهم عالمين بما حدث يوم الخمسين، ذهبوا إلى بيت كرنيليوس رغم أنَّ إرادتهم لم تكن لتدفعهم لعمل ذلك لولا قيادة الله

الواضحة والتي لم تتوافق مع ميولهم الشخصية. ففي ذلك الوقت لم يكن اليهود يدركون بأن رسالة الإنجيل هي للأمم أيضاً. وعندما سمع بطرس ومن معه الأمميّين يتكلمون باللسنة، أقرّوا وأدركوا فوراً بأنهم قبلوا الروح القدس ولم يطالبوا بالمزيد من الأدلة، إذ يقول الكتاب:

فاندھش المؤمنون الذين من أهل الختان كلُّ من جاء، مع بطرس لأنَّ موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً، لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون باللسنة ويعظمون الله (أعمال ١٠: ٤٥-٤٦).

لقد كان التكلّم باللسنة بالنسبة لبطرس ورفاقه من اليهود دليلاً كافياً بحد ذاته لقبول الأمم للروح القدس.

وفي أعمال ١١ دُعي بطرس ليُحاسَب من القادة في كنيسة أورشليم، بسبب زيارته للأمم وكرازته لهم. وفي معرض دفاعه ذكر ما حدث في بيت كرنيليوس: فلما ابتدأت أتكلّم، حلَّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداية (أعمال ١١: ١٥).

وهكذا يقارن بطرس مباشرةً بين اختبار بيت كرنيليوس وبين ما اعتبره التلاميذ يوم الخمسين قائلاً: "كما علينا أيضاً في البداية"، رغم أن الكتاب لا يذكر صوت الريح العاصف أو السنة النار المنقسمة في اختبار بيت كرنيليوس. لقد كان التكلّم باللسنة هو الإظهار الوحيد الكافي الذي اعتبره بطرس ختماً إلهياً على ذلك الاختبار.

من هنا نستنتج أن الإظهار الذي يسميه الكتاب "التكلّم باللسنة كما يعطي الروح" هو الدليل المقبول في العهد الجديد على أن شخصاً ما قد قبل المعمودية في الروح القدس. ولتأكيد هذا الاستنتاج سنرتب ملاحظاتنا كما يلي:

١- لقد كان التكلّم باللسنة هو العلامة التي رافقت اختبار الرسل أنفسهم.

٢- لقد قبل الرسل هذه العلامة في اختبارات الآخرين.

٣- لم يطالب الرسل بعلامة أخرى.

٤- لم يُقدّم العهد الجديد دليلاً أو علامةً أخرى في أي موضع.

في الفصل التالي نتوسّع في إثبات استنتاجنا هذا، ونتعرّض إلى بعض الاعتراضات والانتقادات التي تحاول تفنيده.

اقبلوا الروح القدس

التكلم بالسنة هو علامة المعمودية في الروح القدس. ويتعرض استنتاجنا هذا إلى عدة اعتراضات. فيما يلي سنلقي نظرة على أكثر هذه الاعتراضات شيوعاً، وذلك لتحري المزيد من الوضوح والدقة.

أحد هذه الاعتراضات يقول: "كل مؤمن يقبل الروح القدس تلقائياً عندما يولد ولادة ثانية، وهو لا يحتاج إلى أي اختبار مميز آخر أو دليل آخر يؤكد قبوله الروح القدس". ونحن بدورنا سنحاول أن نتجنب الكثير من الارتباك والجدل، وذلك بأن نؤكد على حقيقة كتابية مهمة، وهي أن العهد الجديد يصور لنا اختبارين مميزين، ويصف كليهما بالعبارة "قبول الروح القدس". فيمكن للمؤمن أن يختبر "قبول الروح القدس" بمعناه الأول من دون أن يختبره بمعناه الآخر.

ما اختبره الرسل

ومن أسهل الأساليب للتمييز بين الاختبارين أن نقارن بين أحدين: أحد قيامة المسيح وأحد يوم الخمسين. يتميز كلٌّ من هذين اليومين بأهمية خاصة في تاريخ الكنيسة المسيحية. ففي أحد القيامة، وعندما ظهر يسوع أول مرة للتلاميذ وهم مجتمعين،

...نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس (يوحنا ٢٠: ٢٢).

تأتي نفخة يسوع في توافق مع الكلمات التي تبعتها: "اقبلوا الروح القدس"، والكلمة اليونانية "pneuma" تعني "روح" أو "نفخة"، وهكذا نستطيع أن نترجم كلمات يسوع

بهذه الطريقة: "اقبلوا النفخة المقدسة." ثم أن فعل الأمر "اقبل" يشير إلى أن عملية القبول قد تمت بعد أن نطق يسوع بتلك الكلمات. إنها حقيقة كتابية غير قابلة للجدل، لقد قبل الرسل الروح القدس فعلاً في تلك اللحظة. فانتقلوا بعد لقائهم الأول مع المسيح المقام، من نمط (خلاص العهد القديم)، إلى (خلاص العهد الجديد)، وكان مؤمنوا العهد القديم - حتى ذلك الوقت - يتطلعون بايمان إلى المستقبل، وذلك عن طريق النبؤات والطقوس والظلال، متوقعين فداءً لم يكن قد تحقق بعد. أمّا أولئك الذين دخلوا في (خلاص العهد الجديد) فإنهم ينظرون إلى حدث تاريخي تمّ في الماضي، هو موت المسيح وقيامته، فهناك متطلبان لنيل الخلاص في العهد الجديد:

لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت (رومية ١٠: ٩).

فالمتطلب الأول هو أن تعترف بيسوع ربّاً، وهذا ما فعله الرسل قبل أحد القيامة. أمّا المتطلب الثاني وهو أن تؤمن بأنّ الله أقامه من الأموات، وهو ما فعله الرسل لأول مرة في أحد القيامة بالذات: وهكذا اكتمل خلاصهم بحسب مفهوم العهد الجديد، وكانت تلك اللحظة هي لحظة الولادة الثانية بالنسبة إليهم، فقد نفخ يسوع الروح القدس فيهم مانحاً إياهم شكلاً فريداً من الحياة (الحياة الأبدية) التي انتصرت على الخطية وعلى الشيطان وعلى الموت أيضاً.

يصلح اختبار الرسل هذا كنمطٍ لاختبار الولادة الثانية، إذ يحتوي على عنصرين هما: الإعلان الشخصي المباشر لشخص المسيح المقام، وقبول الروح القدس لبعث الحياة الأبدية الإلهية. وهذا يتفق مع ما قاله بولس: "أمّا الروح فحياة بسبب البرّ" وهذا يعني أن البرّ يُنسب إلى كل من يؤمن بموت المسيح وقيامته (أنظر رومية ٨: ١٠).

وبعد ذلك اللقاء الرائع بين يسوع والرسل نجد أنه يؤكد لهم بوضوح بأنّ اختبارهم بخصوص الروح القدس لم يكتمل بعد. ففي كلماته الأخيرة لهم قبيل صعوده، أمرهم أن لا يذهبوا للكراسة مباشرة، بل أن يمكثوا في اورشليم منتظرين أن يعتمدوا في

الروح القدس، فيلبسوا قوةً من الأعالي من أجل شهادةٍ قويةٍ وخدمةٍ فعّالةٍ:

- وها أنا أرسل إليكم موعد أبي فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي (لوقا ٢٤: ٤٩).
- لأنّ يوحنا عمّد بالماء وأمّا أنتم فستعتمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير (أعمال ١: ٥).
- لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً... (أعمال ١: ٨).

ويُجمع مفسري الكتاب المقدس على أن الوعد بالمعمودية في الروح القدس قد تحقق يوم أحد الخمسين:

وامتلاً الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا (أعمال ٢: ٤).

ففي أحد القيامة قبل الرسل الروح الذي نفخه المسيح وهكذا دخلوا في الخلاص والولادة الثانية. إلّا أنهم لم يعتمدوا أو يمتلئوا بالروح القدس إلّا بعد سبعة أسابيع من ذلك (يوم أحد الخمسين).

هذا يدل على أنّ الخلاص أو الولادة الجديدة، هو اختبار مختلف عن اختبار المعمودية في الروح القدس، مع أنّ كلا الاختبارين وُصفاً بالعبارَة " قبول الروح القدس." وقد قال بطرس يوم الخمسين بأنّ المسيح سكب الروح القدس على التلاميذ بعد صعوده:

وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه (أعمال ٢: ٣٣).

نستطيع الآن أن نلخص الفرق بين اختباري "قبول الروح القدس" كما يلي:

في يوم أحد القيامة نرى:

- المسيح المقام
- نفخة الروح القدس
- والنتيجة هي الحياة

في يوم أحد الخمسين نرى:

- المسيح قد أُصعد إلى السماء
- انسكاب الروح القدس
- والنتيجة هي القوة

ويؤكد اختبار الرسل بأنَّ الخلاص أو الولادة الجديدة من جهة والمعمودية في الروح القدس من جهة أخرى، هما اختباران مميزان ومنفصلان. فقد قبل الرسل الاختبار الأول في أحد القيامة، وبعد ذلك بسبعة أسابيع، وفي يوم الخمسين بالتحديد قبلوا الاختبار الثاني. المزيد من الدراسة في سفر أعمال الرسل تكشف ذلك بوضوح. ومن الجدير بالملاحظة أنَّ العبارة "قبول الروح القدس" قد استُخدمت منذ يوم الخمسين للإشارة إلى المعمودية في الروح القدس فقط ولم تعد تُستخدم لوصف الولادة الثانية.

المزيد من انسكاب الروح

هناك ثلاث مناسبات أخرى بعد يوم الخمسين يصف فيها الكتاب ما حدث لأناسٍ تعمّدوا في الروح القدس: في السامرة، وفي أفسس، وفي بيت كرنيليوس. وسندرس كلاً منها بدوره.

نبدأ بخدمة فيلبس في السامرة، والتي يستهل الكتاب المقدس حديثه عنها في أعمال ٨: ٥:

فانحدر فيلبس إلى مدينة من السامرة وكان يكرز لهم بالمسيح.

ثم نقرأ في أعمال ٨: ١٢:

ولكن لَمَّا صدقوا فيلبس وهو يبشِّرُ بالأُمور المختصة بملِكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالاً ونساءً.

لقد سمع الناس في السامرة عن حق المسيح بسبب كرازة فيلبس، فأمنوا واعتمدوا. فلا مجال لإنكار حقيقة خلاصهم. أنظر إلى كلمات يسوع وهو يُكَلِّفُ تلاميذه بالكرازة بالإنجيل:

اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يُدَنِّ (مرقس ١٦: ١٥-١٦).

لقد سمع أهل السامرة رسالة الإنجيل فأمنوا واعتمدوا. وبناءً على سلطان كلمات المسيح نفسه نعرف أنهم خَلَّصُوا، ومع ذلك فَإِنَّ القرينة تؤكد بأنهم لم يكونوا قد قبلوا الروح القدس بعد:

ولما سمع الرسل الذين في أورشليم أَنَّ السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا، الذين لما نزلوا صلباً لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس، لأنه لم يكن قد حلَّ بعد على أحد منهم، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع، حينئذٍ وضعوا الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس (أعمال ٨: ١٤-١٧).

فنرى أَنَّ أهل السامرة قد قبلوا الخلاص عن طريق كرازة فيلبس، بينما قبلوا الروح القدس من خلال خدمة بطرس ويوحنا. لقد كان قبولهم للروح القدس اختباراً منفصلاً جاء بعد قبولهم الخلاص، وهو مثال كتابي آخر يشير إلى امكانية أن يصير الناس مؤمنين حقيقيين من دون أن يكونوا قد "قبلوا الروح القدس" بالمفهوم المُستخدم لهذه العبارة منذ يوم الخمسين.

ومن الجدير بالملاحظة أننا نجد في هذا النص من أعمال الرسل ٨ صيغتين مختلفتين من الكلام، الأولى تتحدث عن "قبول الروح القدس" والثانية عن "حلول

الروح القدس" إلا أن محتوى النص يبين أن الكتاب لا يتحدث عن اختبارين مختلفين، بل عن طريقتين مختلفتين لوصف اختبار واحد.

وعندما ذهب بولس إلى أفسس وقابل بضعة أشخاص وُصفوا بأنهم "تلاميذ"، كان سؤاله الأول لهم:

هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟ (أعمال ١٩: ٢).

من الواضح أن بولس اعتقد أنهم تلاميذ للمسيح، إذ أنه لو عرف أنهم لم يكونوا مؤمنين، لما كان هناك داع لسؤاله عن قبولهم الروح القدس، ذلك الاختبار الذي لا يمكن قبوله من دون الإيمان بالمسيح أولاً. لكن بولس وبمزيد من التحقق، اكتشف أنهم ليسوا تلاميذ المسيح على الإطلاق بل تلاميذ يوحنا المعمدان، فقدم لهم رسالة الانجيل الكامل.

تتلخص الحقيقة التي توضح حتى الآن من هذه الحادثة فيما يلي: لو أن الناس يقبلون الروح القدس تلقائياً كنتيجة فورية لايمانهم بالمسيح، لكان سؤال بولس: "هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟" سؤالاً غيبياً وغير منطقي. إلا أن الواضح هنا أن بولس يُقر بإمكانية أن يصبح الناس تلاميذاً أو مؤمنين في المسيح من دون أن يقبلوا الروح القدس. وما يؤكد هذا أن بولس قدم إنجيل المسيح لأولئك الناس، فماذا حدث بعد ذلك؟

فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع (أعمال ١٩: ٥).

لقد سمعوا الانجيل وآمنوا فيه واعتمدوا في الماء. وكما سبق وأشرنا في حديثنا عن أهل السامرة، فإن تلاميذ أفسس أيضاً نالوا الخلاص عندما آمنوا واعتمدوا، وذلك بناءً على سلطان كلمات المسيح بأن من يحقق هذين الشرطين يخلص. وكما في السامرة أيضاً لم يكن أولئك الأفسسيون قد قبلوا الروح القدس بعد. فكما في السامرة كذلك في أفسس، جاء اختبار قبول الروح القدس مستقلاً وتابعاً لاختبار الخلاص.

ولما وضع بولس يديه عليهم، حلَّ الروح القدس عليهم، فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون (أعمال ١٩: ٦).

إنه مثال كتابي ثالث يشير إلى إمكانية تحوُّل الناس إلى الإيمان في المسيح من دون أن يقبلوا الروح القدس مباشرةً.

إنَّ ما توصلنا إليه من دراستنا لهذه النصوص من سفر أعمال الرسل، هو نفسه ما يؤكد بولس فيما بعد في رسالته إلى أهل أفسس. وعلينا أن نتذكر أن أولئك الإثني عشر رجلاً الذين كرّز لهم بولس في أفسس، كانوا ضمن مؤمني كنيسة أفسس الذين وجّه إليهم هذه الرسالة، والتي يذكّرهم فيها بالمرحلة المتتالية بخصوص إيمانهم وقبولهم للروح القدس. فيقول:

الذي فيه (المسيح) أيضاً أنتم، إذ سمعتم كلمة الحق، إنجيل خلاصكم.
الذي فيه أيضاً إذ آمنتم، خُتِمتم بروح الموعد القدوس (أفسس ١: ١٣).

ويتحدث بولس هنا عن ثلاث مراحل متتالية:

- ١- لقد سمعوا الإنجيل
- ٢- آمنوا بالمسيح
- ٣- خُتِموا بالروح القدس

وهذا ينطبق تماماً على ما حدث في أعمال ١٩، حيث سمعوا أولاً رسالة الانجيل، ثم آمنوا واعتمدوا، وأخيراً حلَّ عليهم الروح القدس بوضع يدي بولس.

في كلا النصين، في أعمال الرسل وفي الرسالة إلى أهل أفسس، نرى بوضوح أنَّ الناس لم يقبلوا الروح القدس في لحظة ولادتهم الثانية، بل كاختبارٍ منفصل يلي الولادة الثانية.

وكمثالٍ رابع، لكن من نوع آخر، سننظر الآن باختصار في عظة بطرس في بيت كرنيليوس وفي نتائجها (انظر أعمال ١٠: ٣٤-٤٨). فالظاهر في هذه القصة هو أنَّ كرنيليوس وأهل بيته قد قبلوا الروح القدس وتكلموا بالسنة في اللحظة ذاتها التي سمعوا فيها الإنجيل وآمنوا بالمسيح. وهنا علينا أن نضيف بأنَّ حدوث هذين الاختبارين في اللحظة ذاتها لا يؤثر على كونهما منفصلين تماماً. ثم أنَّ الدليل المذكور للإشارة

إلى قبولهم الروح القدس في هذا النص، ليس هو الإيمان في المسيح (المفهوم ضمناً في اختبارهم)، بل التكلم بالسنة الجديدة تحت تأثير الروح القدس.

لقد استخدم الكتاب، في عرضه لما حدث في بيت كرنيليوس، ثلاث عبارات مختلفة لوصف اختبار واحد، وهي: "حلَّ الروح القدس" عليهم، "موهبة الروح القدس قد انسكبت" عليهم، "اَقْبِلُوا الروح القدس". وعندما يصف بطرس هذه الحادثة نفسها مرةً أخرى يستخدم العبارات التالية: "حلَّ الروح القدس عليهم"، "الله قد أعطاهم الموهبة (عطية الروح القدس)"، وأشار أيضاً إلى أن ما حدث معهم هو "المعمودية في الروح القدس" (انظر أعمال ١١: ١٥-١٧). وقبل ذلك استخدم الكتاب المقدس عبارتين في حادثة السامرة، هما: "(الروح القدس) لم يكن قد حلَّ بعد على أحد منهم"، "اَقْبِلُوا الروح القدس" (انظر أعمال ٨: ١٦-١٧).

في هذه الفقرات معاً، نجد ما مجموعه خمس عبارات مختلفة يمكن استخدامها لوصف الاختبار نفسه، هذه العبارات هي: "حلَّ الروح القدس" عليهم، "موهبة الروح القدس قد انسكبت" عليهم، "اَقْبِلُوا الروح القدس"، "اعتمدوا بالروح (في الروح) القدس"، "الله قد أعطاهم الموهبة (عطية الروح القدس)". ويعتقد بعض المفسرين المعاصرين بأنَّ هذه العبارات المختلفة تصف اختباراتٍ مختلفة، إلا أنَّ هذا لا يتفق مع طريقة استخدام الرسل لهذه العبارات في العهد الجديد. فبالنسبة إلى الرسل، تشير كل هذه العبارات إلى اختبار واحد من مناهيز مختلفة. فأن يقبل شخص ما الروح القدس، أو موهبة الروح القدس، أو أن يتعمد في الروح القدس، أو أن يحلَّ الروح القدس أو أن ينسكب عليه. كلها عباراتٍ تحمل ذات المعنى.

لقد تعرضنا لغاية الآن إلى أربع مجموعاتٍ من الناس وصفها الكتاب المقدس:

(١) الرسل (٢) أهل السامرة (٣) تلاميذ أفسس (٤) كرنيليوس وأهل بيته

ورأينا أنَّ الناس قد اختبروا الولادة الثانية قبل قبولهم للروح القدس في الحالات الثلاث الأوائل. لقد اَقْبَلُوا الروح القدس كاختبارٍ منفصل بعد ولادتهم الثانية. وباستثناء ما

حدث مع كرنيليوس وأهل بيته، لا توجد حادثة أخرى في الكتاب يقبل فيها الناس الروح القدس في لحظة إيمانهم في المسيح، الأمر الذي يعطينا الحق بأن نستنتج بأن اختبار بيت كرنيليوس ليس هو القاعدة بل الاستثناء.

والآن وبناءً على هذه الدراسة الدقيقة لسجلات العهد الجديد، نستطيع أن نرتب ما توصلنا إليه كما يلي:

- ١- من الطبيعي أن يقبل الإنسان الروح القدس كاختبارٍ منفصلٍ يتبع الإيمان الحقيقي في المسيح.
- ٢- في حالة قبول أحدهم للروح القدس في لحظة الولادة الثانية، فإن قبوله للروح القدس يظل اختباراً منفصلاً عن الولادة الثانية.
- ٣- عندما يقبل مؤمن ما الروح القدس (وقت الولادة الثانية أو بعد ذلك) فإن العلامة التي تؤكد صحة اختباره هي نفسها دائماً، وهي أنه يتكلم بالسنة أخرى كما يعطيه الروح أن ينطق.
- ٤- كون أحدهم قد آمن وتغير بالفعل، ليس دليلاً في حد ذاته على أنه قد قبل الروح القدس.

تعليم الرب يسوع

لقد اعتمدنا بشكلٍ أساسي على سفر أعمال الرسل في تحديد العلاقة بين الولادة الثانية وقبول الروح القدس. وتعليم هذا السفر يتفق تماماً مع تعليم الرب يسوع في الأنجيل. قال يسوع لتلاميذه:

فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تُعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالبحري الأب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه (لوقا ١١: ١٣).

هذا العدد، مُسنداً بالأمثلة التي تسبقه عن ابن يطلب من أبيه خبزاً أو سمكةً أو بيضة، يشير إلى أن الأب السماوي يريد أن يعطي الروح القدس لكل من يطلب ذلك

من أولاده المؤمنين. وبطبيعة الحال، فإنَّ أحداً لا يصبح ابناً لله إلا بعد أن يؤمن في المسيح. وهكذا فإنَّ المسيح لا يُعَلِّمُ بأنَّ قبول الروح القدس يرافق الولادة الثانية تلقائياً، بل يُعَلِّمُ بأنه عطية يحق لكل مؤمن أن يطالب بها كابنٍ من أبيه. ونلاحظ أيضاً أنَّ يسوع يؤكد أهمية التزام أولاد الله بدورهم في أن يسألوا الله وأن يطالبوه بعطية الروح القدس بطلبية محددة. فمن غير الكتابي إذاً أن يؤكد مؤمن ما، أو أن يفترض، بأنه قبل الروح القدس في لحظة ميلاده الثاني من دون أن يطلب ذلك. أيضاً في يوحنا ٣٨:٧ يقول المسيح:

من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي.

وفي العدد الذي يليه يفسّر يوحنا العبارة "أنهار ماء حي" على أنها تشير إلى الروح القدس. فيقول:

قال هذا عن الروح القدس الذي كان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه (يوحنا ٣٩:٧).

يدل هذان العدداً على أنَّ عطية الروح القدس التي تجري بسببها أنهار الماء الحي من الأعماق، يمكن أن يقبلها من هم مؤمنون في المسيح أصلاً. إنه اختبار يسعى إليه من آمن في المسيح أولاً. يُعَلِّمُ يسوع هذه الحقيقة نفسها في يوحنا ١٥:١٤-١٧ أيضاً، فيقول:

إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطىكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكثٌ معكم ويكون فيكم.

إنَّ "المعزي" و"روح الحق" في هذه الفقرة هما تسميتان للروح القدس. ويُعَلِّمُ المسيح هنا بأنَّ عطية الروح القدس ليست لغير المؤمنين الذين في هذا العالم، بل لتلاميذه الذين يحبونه ويطيعونه. وهذا يؤكد بأنَّ هذه العطية هي امتيازٌ لأولاد الله المؤمنين، لتلاميذ

المسيح الذين يحققون شروط الله لنيلها. وهذه الشروط يمكن اختصارها بمطلب الهي مهم واحد، هو محبة المسيح وطاعته.

أَلْعَلَّ الْجَمِيعُ يَتَكَلَّمُونَ بِالسَّنَةِ؟!

نتابع الآن النظر في بعض الاعتراضات فيما يتعلق باختبار التكلم بالسنة.

موهبة "أنواع السنة"

لقد نشأ سوء فهم أو اعتراض مألوف، بناءً على السؤال الاستنكاري الذي يطرحه بولس:

أَلْعَلَّ الْجَمِيعُ يَتَكَلَّمُونَ بِالسَّنَةِ؟! (١ كورنثوس ١٢: ٣٠).

وبالرجوع إلى النص الذي أخذت منه هذه العبارة نعرف أن بولس لا يقصد أن تكون الإجابة عن هذا السؤال بالإيجاب، فالإجابة هي: "لا بالطبع! الجميع لا يتكلمون بالسنة." فهل هذا يعني بأن هناك مؤمنين قد قبلوا المعمودية في الروح القدس من دون أن يتكلموا بالسنة؟

الإجابة عن هذا السؤال هي: "لا" أيضاً. فبولس لا يتحدث هنا أصلاً عن المعمودية في الروح القدس، بل عن إظهاراتٍ مختلفة فوق طبيعية يعملها الروح، ويمكن أن يمارسها المؤمن في الكنيسة بعد أن يختبر المعمودية في الروح القدس. وهذا يتفق مع ما قاله بولس قبل أن يسأل هذا السؤال بعددين:

وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً، فوضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء أعواناً تدابير وأنواع السنة (١ كورنثوس ١٢: ٢٧-٢٨).

فبولس يتحدث عن خدمات مختلفة يمكن أن يمارسها أعضاء كثيرون في الكنيسة.

ويذكر فيما يذكر "أنواع ألسنة" وهي العبارة نفسها التي استخدمها بولس قبل ذلك في تعداده لمواهب الروح القدس التسعة:

ولكنه لكل واحد يعطي إظهار الروح للمنفعة، فإنه لو احد يعطي بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء (١ كورنثوس ١٢: ٧-١١).

وهنا يذكر بولس مواهب الروح القدس التي يمكن للمؤمنين أن يمارسوها بعد اختبارهم المعمودية في الروح القدس. هذا ما يؤكد العدد ١٣: "لأننا جميعنا ب (في) روح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد." حيث يشير إلى المعمودية في الروح القدس معتبراً أن الذين يكتب إليهم قد قبلوها أصلاً، ويمكن ممارسة هذه المواهب الروحية التسع بعد المعمودية في الروح القدس.

ورغم أن المعمودية في الروح القدس هي لكل المؤمنين، إلا أن مواهب الروح تقسم بين المؤمنين بحسب مشيئة الروح نفسه. فبينما يتمتع أحد المؤمنين بموهبة ما، يتمتع الآخر بغيرها، ولا يأخذ كل المؤمنين كل المواهب معاً. و"أنواع الألسنة" هي واحدة من ضمن قائمة مواهب الروح التي يذكرها بولس، فهو يستخدم هذه العبارة أكثر من مرة باعتبارها موهبة روحية من دون الإشارة إلى المعمودية في الروح القدس.

إن الحديث عن موهبة التكلم بألسنة بالتفصيل هو خارج مجال هذا الكتاب، إنما يكفي أن نؤكد بأن بولس في ١ كورنثوس ١٢: ١٠، ٢٨ لا يتحدث عن المعمودية في الروح القدس بل عن إحدى المواهب الروحية التسع التي يمارسها بعض المؤمنين كموهبة وليس جميعهم، فعندما يقول بولس: "ألعل الجميع يتكلمون بألسنة؟!" (١ كورنثوس ١٢: ٣٠)، فهو لا يقصد: "هل تكلم الجميع بألسنة عندما اعتمدوا في

الروح القدس؟" لكنه يتساءل: "أَلْعَلَّ جميع الذين اعتمدوا في الروح القدس يمارسون موهبة التكلم بألسنة؟" والإجابة هي: "لا" بالتأكيد، سواءً كان ذلك في الماضي أو في الحاضر. وعليه فإنَّ ما يحدث مع المؤمنين الذين يتكلمون بألسنة عندما يتعمدون في الروح القدس، يتوافق تماماً مع تعليم العهد الجديد.

إنَّ هذا التمييز بين العطية المبدئية للروح القدس (المعمودية في الروح القدس) التي تتميز بعلامة التكلم بألسنة، وبين موهبة أنواع الألسنة، هو تمييز صائب يؤكد القالب اللغوي المستخدم في العهد الجديد. فالكلمة اليونانية التي تترجم "موهبة" هي "dorea" عندما يتعلق النص بقبول المعمودية في الروح القدس، بينما الكلمة "موهبة" التي تشير إلى أي من مواهب وإظهارات الروح القدس التسعة (بما فيها موهبة أنواع ألسنة) فهي الكلمة "charisma". ولم تُستخدم إحدى الكلمتين في موقع الكلمة الأخرى أبداً، فلم تُستخدم "charism" لتشير إلى عطية الروح القدس والتي هي المعمودية في الروح القدس، ولا استخدمت "dorea" للإشارة إلى إحدى مواهب الروح القدس التسع التي تظهر في حياة المؤمنين الذين اعتمدوا في الروح القدس. إنه تمييز يؤكد تعليم ولغة واختبارات العهد الجديد معاً.

هل الثمر هو العلامة؟

أمَّا من يعتقد بأنَّ التكلم بألسنة هو ليس بالضرورة علامة قبول الروح القدس، فهو ملتزمٌ منطقياً بتقديم بدائل أخرى نستطيع من خلالها أن نعرف أنَّ شخصاً ما قد قبل الروح القدس. إحدى هذه العلامات البديلة التي يقترحها بعضهم هي ثمر الروح. فيُقال مثلاً: "إن لم يبرهن المؤمن على وجود ثمر الروح القدس في حياته بطريقة واضحة لا يمكن اعتباره معمّداً في الروح القدس."

قبل الخوض في هذا الافتراض، من الأولى أن نلقي الضوء على ماهية ثمر الروح القدس الذي يتحدث عنه بولس في غلاطية ٥: ٢٢-٢٣:

وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف.

وأماننا هنا فقرة تبين أنَّ الثمر الأصلي للروح هو المحبة ومنها ينتج ما تبقى. وأعتقد أنه من السطحية وضيق الأفق أن ينكر أحد المؤمنين الأهمية العظمى لثمر الروح القدس بشكل عام، أو المحبة على وجه الخصوص. إلا أنَّ هذا لا يعني أنَّ ثمر الروح القدس هو علامة المعمودية في الروح القدس. بل إنَّ مثل هذا الرأي يجب رفضه لأنه يخالف الكتاب على وجهين:

١- لم يكن ثمر الروح هو المعيار الذي قيس عليه اختبار التلاميذ أنفسهم.

٢- يتجاهل هذا الرأي التمييز الكتابي الواضح بين الموهبة والثمر.

أمَّا بالنسبة للمعيار الذي قبله التلاميذ في اختبارهم الشخصي فلم يكن أكثر من علامة التكلم باللسنة، فعندما قبل الـ (١٢٠) تلميذاً المعمودية في الروح القدس يوم الخمسين وتكلموا باللسنة أخرى، لم ينتظر بطرس عدة أسابيع أو شهور ليرى إن كان هذا الاختبار سينتج في حياته أو في حياة التلاميذ الآخرين مقداراً أعظم من الثمر الروحي الذي كان فيهم أصلاً، لكنه وقف في تلك الساعة عيناها وقال من دون تردد:

بل هذا ما قيل بيوثيل النبي، يقول الله: ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر (أعمال ٢: ١٦-١٧).

ما هو الدليل أو العلامة التي جعلت بطرس يدلي بهذا التصريح؟ إنها الألسنة الأخرى التي ابتدأ الجميع يتكلمون بها. فلم يعوزه دليل آخر.

ومرة أخرى عندما آمن الكثيرون من أهل السامرة بسبب كرازة فيلبس، نزل بطرس ويوحنا إلى السامرة ليصلُّوا من أجلهم لكي يقبلوا الروح القدس، ويقول الكتاب:

ولما سمع الرسل الذين في أورشليم أنَّ السامرة قبلت كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا، الذين لمَّا نزلوا صلياً لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس، لأنه لم يكن قد حلَّ بعد على أحد منهم، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع، حينئذٍ وضعوا الأيدي عليهم فقبلوا الروح القدس.

ولما رأى سيمون أنه بوضع أيدي الرسل يُعطى الروح القدس قَدَّمَ لهما دراهم (أعمال ٨: ١٤-٢٠).

نفهم من هذا أنَّ بضعة أيام فقط قد انقضت على أهل السامرة قبل وصول بطرس ويوحنا، ولتكن بضعة أسابيع على الأكثر. إلّا أنهم قبلوا الروح القدس من خلال وضع أيدي الرسل كاختبار مستقل، ولم يكن هناك داعٍ في هذه الحادثة أيضاً للانتظار أسابيع أو شهور أخرى لمراقبة ظهور ثمر الروح في حياة أولئك المؤمنين الجدد، لاثبات صحة اختبارهم. حيث أنَّ اختبارهم كان تاماً فلم يعوز أحداً المزيد من البرهان.

والاعتراض هنا هو أنَّ الكتاب لا يصرّح بأنَّ أهل السامرة قد تكلموا بالسنة عندما قبلوا الروح القدس، وهذا صحيح. إلّا أنَّ الكتاب يصرّح أنه بوضع أيدي الرسل كان هناك برهان واضح على وجود قوة فوق طبيعية محسوسة، حتى أنَّ ساحراً محترفاً كسيمون كان مستعداً لدفع المال مقابل الحصول على تلك القوة التي تجعله يعمل أعمالاً مشابهة في كل من يضع يده عليه.

فإذا تقبلنا أنَّ أهل السامرة قد تكلموا بالسنة جديدة بعد وضع أيدي الرسل، فإنَّ هذا يتلاءم تماماً مع تفاصيل القصة المسجلة في أعمال الرسل. فضلاً عن ملائمة لكل الحالات الأخرى المذكورة في سفر الأعمال عن الذين قبلوا المعمودية في الروح القدس. أما إذا فضّل أحدهم فكرة وجود إظهار فوق طبيعي آخر غير التكلم بالسنة في هذه القصة، فعليه على الأقل أن يعترف بأنه لا توجد طريقة لمعرفة طبيعة ذلك الإظهار. وعليه، فإنَّ أحداً لا يستطيع أن يقول بأنه تعمّد في الروح القدس بطريقة مشابهة لما حدث مع أهل السامرة، ومع ذلك لم يتكلم بالسنة. لأنه لا يملك أدنى فكرة تمكّنه من معرفة ما حدث معهم، فهذا الرأي إذاً لن يقودنا إلّا إلى استنتاجات سلبية وعقيمة، فضلاً عن أنها لا تنقض - في الوقت نفسه - ما توصلنا إليه من استنتاج إيجابي مبني على أمثلة العهد الجديد الأخرى التي عرفنا منها أنَّ الناس تكلموا فعلاً بالسنة عندما تعمّدوا في الروح القدس.

أمّا حالة شاول الطرسوسي (بولس الرسول فيما بعد)، فهي حالة أخرى تُستخدم أحياناً لتفنيد ما توصلنا إليه:

فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع عليه يديه وقال: أيها الأخ شاول قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جنّت فيه، لكي تبصر وتمتليء من الروح القدس، فلوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد (أعمال ٩: ١٧-١٨).

ولو كانت الكنيسة الأولى قد استخدمت معيار الثمر لإثبات المعمودية في الروح القدس، لكانت هذه الحادثة هي أنسب فرصة لإثبات ذلك. فحتى ذلك الوقت كان شاول - وباعترافه الشخصي - من أشد خصوم الانجيل مرارةً واضطهاداً للكنيسة. ونراه في دمشق يقبل الروح القدس باختبارٍ لحظي بوضع يدي حنانيا ومن دون أدنى إشارة إلى وجود معيارٍ ما من ثمر الروح ظاهر في حياته.

أيضاً هناك الاعتراض بأن شاول الطرسوسي لم يتكلم باللسنة عندما وضع حنانيا يديه عليه. ولا اعتراض منا على أن الكتاب لا يقدّم كل التفاصيل التي حدثت مع بولس لكننا نضع أعمال الرسل ٩ جنباً إلى جنب مع ما شاهده بولس عن نفسه في ١ كورنثوس ١٤: ٨:

أشكر الهي أنني أتكلم باللسنة أكثر من جميعكم.

فعندما نقرن شهادة بولس بأمثلة أعمال الرسل، يصير من المعقول أن نستنتج بأن بولس تكلم باللسنة عندما امتلأ بالروح القدس بوضع يدي حنانيا، وهذا الاستنتاج يمكن تدعيمه بما حدث عندما وضع بولس بدوره يديه على المؤمنين الجدد في أفسس حيث نقرأ:

ولمّا وضع بولس يديه عليهم حلّ الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون (أعمال ٦: ١٩).

فمن غير الطبيعي أن نفترض أن بولس وضع يديه على أولئك المؤمنين لينقل إليهم اختباراً لم يحصل عليه هو نفسه.

وهناك حالة أخرى قاطعة تتعلق بهذا الموضوع، وهي حالة كرنيليوس وأهل بيته المذكورة في أعمال ١٠. لقد ذهب بطرس ومن معه من المؤمنين من أصل يهودي إلى بيت كرنيليوس الأُمِّي بتثاقل، إذ أنَّ هذا لا يتوافق مع ميولهم الشخصية، لكن الله كان قد قادهم إلى ذلك بوضوح. وبعد أن ابتدأ بطرس بالكراسة لهم لفترة ما، حلَّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة. فاندھش بطرس ومن معه من اليهود لأنهم سمعوا أولئك الأُمِّين يتكلمون بالسَّنة أخرى.

لم يكن بطرس ومن معه - حتى هذه اللحظة - يتصورون إمكانية أن يخلص الأُمِّيون أمثال كرنيليوس وأن يصيروا مؤمنين. إلا أنَّ هذا الإظهار الروحي الوحيد (التكلم بالسَّنة) أقتنعهم حالاً بأنَّ أولئك الأُمِّين أصبحوا مؤمنين، تماماً كأولئك الذين آمنوا من أصل يهودي. ولم يقترح بطرس أبداً أن يخضع كرنيليوس وأهل بيته لأي اختبار آخر، بل أمر حالاً بتعميدهم في الماء، الأمر الذي يؤكد بأنه قَبَلَهُم بلا تردد، وصادق على أنهم مؤمنين بلا أدنى شك. وقد قدَّم بطرس فيما بعد تقريراً حول هذه الحادثة لقادة كنيسة اورشليم فقال:

فلما ابتدأت أتكلّم حلَّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداية، فتذكّرت كلام الرب كيف قال: إنَّ يوحنا عمَّد بماء أمّا أنتم فستتعمدون بالروح القدس، فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسوية مؤمنين بالرب يسوع المسيح فمن أنا؟ أقادرُ أن أمنع الله؟! (أعمال ١١: ١٥-١٧).

ونحن نعرف بأنَّ كرنيليوس وجميع أهل بيته تكلموا بالسَّنة، إلاَّ أنَّ بطرس في تقريره هذا لا يجد ضرورة لذكر ذلك الإظهار الروحي القاطع، فيكتفي بالقول: حلَّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداية... الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا.

وهذا يعني أنَّ إظهار التكلم بالسَّنة كان مقبولاً في ذلك الوقت عند الجميع كعلامة على

قبول الروح القدس، حتى أن بطرس لم يكن مضطراً لذكره معتبراً إياه أمراً مسلماً به. أما بقية القادة في أورشليم،

فلما سمعوا ذلك سكتوا وكانوا يمجدون الله قائلين: إذا أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة! (أعمال ١١: ١٨).

فما الذي أقنع بطرس وباقي الرسل بأن الأمم اختبروا الخلاص بالإيمان في المسيح تماماً كاليهود؟ أنه شيء واحد وواحد فقط، وهو أن بطرس ومن معه سمعوا أولئك الأمميين يتكلمون باللسنة أخرى. ولا ذكر لما يشير بأن بطرس أو غيره قد بحث عن دليل إضافي من أي نوع في اختبار كرنيليوس وأهل بيته. فإذا وضعنا جانباً حقيقة أنهم تكلموا باللسنة، فإننا لا نجد - على أية حال - دليلاً على أن الرسل انتظروا ظهور ثمر الروح القدس للبرهنة على صحة ذلك الاختبار، وقد كانوا محققين بذلك. ليس لأن الثمر غير مهم، بل لأنه مختلف بطبيعته تماماً عن العطية (الموهبة).

يقبل المؤمن العطية بالإيمان كاختبار مستقل، أما الثمر فهو نتاج عملية متأنية وتدرجية، تتضمن الزرع ثم الرعاية والعناية المستمرتين. أما المعمودية في الروح القدس فهي عطية، إنها اختبار مستقل يُقبل بالإيمان. وعلامة قبول المؤمن لهذه العطية هي أن يتكلم باللسنة أخرى. والهدف الأساسي الوحيد الذي من أجله يعطي الله العطايا والهبات للمؤمن هو أن يمكّنه من إنتاج ثمرٍ روحي أفضل وأكثر مما كان بإمكانه قبل العطية. فليس الخطأ في التأكيد على أهمية الثمر بل في خلط مفهوم الثمر بمفهوم العطية، فهو خلط بين علامة قبول العطية وبين الهدف من منحها.

في الفصل التالي نتعرض لدراسة عدد آخر من القضايا التي يُساء فهمها بخصوص كون الألسنة هي العلامة الخارجية أو الدليل على قبول المعمودية في الروح القدس.

ردود الفعل الجسمية والعاطفية

من أحد الآراء الشائعة هذه الأيام، أنَّ المعمودية في الروح القدس هي اختبار عاطفي مكثَّف! يستخدم بعضهم الكلمة "نشوة - ecstasy" للدلالة عليها. وقد حظيت هذه النظرة إلى المعمودية في الروح القدس بالتأييد من مصدرين أساسيين:

أولاً: من بعض اللاهوتيين الذين لم يختبروا فعلياً المعمودية في الروح القدس، لكنهم يقدِّمون تفسيراتهم الخاصة اعتماداً على العهد الجديد أو على كتابات آباء الكنيسة الأولى. ولسببٍ ما، اختار أولئك اللاهوتيين كلماتٍ مثل "نشوة" أو "عاطفة غامرة" لوصف طبيعة هذا الاختبار فوق الطبيعي.

ثانياً: من المؤمنين الذين قبلوا هذا الاختبار، لكنهم يركزون على ردود فعلهم العاطفية الذاتية، عندما يشهدون عن ما حدث معهم، فيكوّنون - من دون قصد - انطباعاً عند الآخرين بأنَّ جوهر الاختبار هو العاطفة، والفرح هو ما يُشار إليه في أغلب الأحيان.

مكانة العاطفة

في دراستنا للعلاقة بين العاطفة والمعمودية في الروح القدس، نبدأ أولاً بالتعرُّف على حقيقتين مهمتين:

أولاً: الإنسان كائن عاطفي، وعواطفه جزء مهم ومكمل لتكوينه الكلي. لذلك فإنَّ للعاطفة دوراً مهماً في عبادته وخدمته للرب. ولا يكبت الإيمان الحقيقي العواطف ولا يلغيها، لكنه يحررها ثم يوجهها. فإذا لم تخضع عواطف المؤمن لسيطرة الروح القدس فهذا يعني أنَّ الهدف من التحوُّل إلى حياة الإيمان لم يتحقق على أكمل وجه.

ثانياً: إنَّ الكلمة "فرح" في الكتاب المقدس كثيراً ما ترتبط بالروح القدس بصلّة وثيقة. ففي غلاطية ٢٢:٥ مثلاً، يأتي الفرح بعد المحبة التي هي الأساس في ثمر الروح القدس. ونقرأ أيضاً عن أوائل المؤمنين في أنطاكية:

وأما التلاميذ فكانوا يمثلون من الفرح والروح القدس (أعمال ١٣:٥٢).

فالفرح في العهد الجديد يرتبط مع الروح القدس برابطة قوية، إلا أنَّ التعليم بأنَّ الفرح الغامر أو أية عاطفة شديدة أخرى هي علامة للمعمودية في الروح القدس، هو تعليم لا يمكن توفيقه مع تعليم العهد الجديد، وذلك لسببين رئيسيين:

السبب الأول هو عدم وجود إشارة مباشرة إلى العاطفة في الفقرات التي تصف اختبارات المعمودية في الروح القدس. كما لا يوجد وصفٌ مباشرٌ للعاطفة باعتبارها علامة أو نتيجة مباشرة لقبول الروح القدس ولا حتى مرة واحدة. فلا أساس في الكتاب المقدس لتعليم يساوي بين قبول الروح القدس وبين تجربة شعورية عاطفية. وقد تفاجيء هذه الحقيقة الشخص المتدين العادي الذي لم يعتمد في بناء آراءه على كلمة الله، حتى أنَّ بعض المؤمنين ممن حصلوا على هذا الاختبار بطريقة كتابية واضحة، واختبروا التكلم بالسنة كعلامة خارجية، يشعرون بعد فترة بعدم الاكتفاء وعدم الاقتناع بما حدث معهم، والسبب ببساطة هو أنهم لم يختبروا عاطفةً غامرةً كثيفةً، كذلك التي تعلموا أن يتوقعوها.

هذا ما يحدث عندما يطلب طفلٌ من والديه أن يشتريا له كلباً صغيراً متموّج الشعر في عيد ميلاده. وعندما تأتي الهدية ويقدموا له كلباً جميلاً أشقر من ذات النوع الأصيل الذي طلبه، يندesh الوالدين من ردة فعل ولدهم، فهو غير راضٍ عن الهدية. وعندما يستفسران عن السبب، يكتشفان بأنه كان يسمع من اصدقائه دائماً بأنَّ لون هذا النوع من الكلاب أسود. لقد سمع هذا لعدة أسابيع مما كوّن لديه توقّعاً قوياً بأنَّ لون ذلك الكلب سيكون أسوداً بالتأكيد. فلا يمكن لذلك الكلب الأشقر مهما كان جماله أن يرضي ذلك الطفل لأنه لم يحقق توقّعه من جهة اللون، رغم أنَّ هذا التوقع ليس له

أساس من الصحة، بل تكوّن بسبب آراء أصدقائه الذين لا يعرفون عن هذه الكلاب أكثر مما يعرف هو نفسه.

وهكذا بالنسبة إلى المؤمنين الذين يسألون أباهم السماوي من أجل عطية الروح القدس، فيستجيب لصلواتهم، ويبدأون بالتكلم باللسنة، الأمر الذي يتوافق تماماً مع تعليم واختبارات العهد الجديد. ومع ذلك فهم غير راضين عن هذه الاستجابة المنسجمة مع كلمة الله، لأنهم ببساطة لم يختبروا قدراً كبيراً من العاطفة. إنَّ توقعهم لعلامة عاطفية غامرة مبني أصلاً على آراء غير مدروسة، ينادي بها إخوة مؤمنون تعلموا تعليماً غير مؤسس على التعليم الواضح للعهد الجديد.

السبب الثاني لعدم قبولنا للعواطف القوية، كالفرح الغامر مثلاً، كعلامة لقبول الروح القدس، هو أنَّ العهد الجديد يحدثنا عن مؤمنين اختبروا إحساساً رائعاً من الفرح، مع أنهم لم يكونوا قد قبلوا الروح القدس بعد. من أمثلة ذلك ردة فعل التلاميذ بعد صعود المسيح:

فسجدوا ورجعوا إلى اورشليم بفرح عظيم، وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله (لوقا ٢٤: ٥٢-٥٣).

نرى هنا التلاميذ قبل يوم الخمسين، وقد اختبروا فرحاً عظيماً في سجودهم للرب، لكننا نعرف أنهم لم يتعمدوا في الروح القدس إلا يوم الخمسين. ومثال آخر عن أهل السامرة الذين اختبروا هذا الفرح بعد أن سمعوا انجيل المسيح بواسطة فيلبس، فكان فرح عظيم في تلك المدينة (أعمال ٨: ٨).

لقد غمرهم الإيمان القلبي في الانجيل بفرح عظيم، لكنهم قبلوا الروح القدس فيما بعد بسبب خدمة بطرس ويوحنا كما هو واضح في الأصحاح نفسه.

هذان مثالان تثبت بواسطتهما بأن الاختبار العاطفي الغامر، كالفرح العظيم مثلاً، ليس جزءاً أساسياً من المعمودية في الروح القدس، ولا يمكن قبوله كعلامة لقبول هذه المعمودية.

ردود الفعل الجسمية

من الأمور الأخرى التي تُربط أحياناً بالمعمودية في الروح القدس، نوع من الانفعال الحسيّ القوي المتعلق بالجسد. وقد سألت الكثيرين عبر السنوات عن الأرضية التي يبنون عليها اعتقادهم بأنهم تعمدوا في الروح القدس، وكثيراً ما كانت اجوبتهم تشير إلى إحساسٍ مثيرٍ أو ردة فعلٍ قويةٍ في أجسادهم. فيما يلي بعض تلك الاختبارات التي سمعتها منهم: إحساس بتيارٍ كهربائي قوي، الإحساس بما يشبه النار أو الحرارة الكثيفة، الانطراح أرضاً بقوة، رجفة أو اهتزازٍ شديد في الجسم، رؤية نورٍ مُشِع جداً، سماع صوت الله بطريقة حسّية، التمتع برؤيا سماوية مجيدة، وهكذا.

ومرة أخرى أود أن أؤكد أن مثل هذه الاختبارات فيها قدرٌ كبيرٌ من الحقيقة. ففي الكتاب المقدس الكثير من المواقف التي يؤدي حضور الله الكلي القدرة فيها إلى حدوث ردود أفعال حسّية في أولئك الذين حُسبوا مستأهلين للوجود في محضره. فعندما ظهر الرب لإبراهيم وكلمه، سقط إبراهيم على وجهه (أنظر تكوين ١٧: ١-٣). وكثيراً ما نقرأ في أسفار العدد واللاويين، كيف أن حضور ومجد الله كانا يظهران بطريقة مرئية في وسط شعبه. فموسى وهرون وغيرهم اختبروا الانطراح أرضاً. وعندما نزلت النار على ذبيحة إيليا ورأى الجميع ذلك، سقطوا على وجوههم (أنظر ملوك الاول ١٨: ٣٩). وفي يوم تدشين هيكل سليمان:

...بيت الرب امتلأ سحاباً. ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأنّ مجد الرب ملأ بيت الله (أخبار الايام الثاني ٥: ١٣-١٤).

وهناك مقطعين يصف فيهما إرميا النبي اختباره الشخصي بخصوص التأثيرات الحسّية التي شعر بها بسبب قوة كلمة الله وحضوره:

فقلت: لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه

فكان في قلبي كنارٍ محرقةٍ محصورةٍ في عظامي

فمللت من الإمساك ولم أستطع (إرميا ٢٠: ٩).

يشهد إرميا بأن رسالة الرب النبوية التي هي في قلبه قد ولدت إحساسا بالنار المحرقة في عظامه. ثم يقول في موضع آخر:

...انسحق قلبي في وسطي

ارتخت كل عظامي

صرت كإنسانٍ سكران، ومثل رجل غلبته الخمر

من أجل الرب ومن أجل كلام قدسه (إرميا ٩:٢٣).

ويشير إرميا هنا أيضاً إلى ردة فعل حسية قوية بسبب حضور الله.

أيضاً حدث ما يشبه هذا مع دانيال ورفاقه بعد أن رأوا الرب بطريقة مباشرة.

فرايت أنا دانيال الرؤيا وحدي، والرجال كانوا معي لم يروا الرؤيا، لكن

وقع عليهم ارتعاد عظيم فهربوا ليختبئوا. فبقيت أنا وحدي، ورأيت هذه

الرؤيا العظيمة ولم تبق فيَّ قوة، ونصارتي تحولت فيَّ إلى فساد، ولم

اضبط قوةً (دانيال ١٠:٧-٨).

ففي الحضور الفوري للرب اختبر دانيال ومن كان معه ردة فعل حسية قوية وغير عادية، كما حدث مع إرميا.

إنَّ مثل تلك الاختبارات ليست مقتصرة على العهد القديم. فمن الأمثلة في

العهد الجديد تلك الرؤيا التي شاهدها شاول الطرسوسي على طريق دمشق. رأى

شاول نوراً شديداً التوهج، وسمع صوتاً يكلمه من السماء، فسقط على الأرض وارتجف

جسمه (انظر أعمال ٩:٣-٦). وعندما يصف يوحنا كيف رأى الرب في جزيرة

بطمس، يختتم قائلاً:

فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت (رؤيا ١٧:١).

وهنا أيضاً نرى ردة فعل حسية قوية ومؤثرة بسبب حضور الله.

وهناك ميلٌ في بعض الأوساط المسيحية لرفض مثل هذه الإظهارات الحسية

على اعتبار أنها ضربٌ من "العاطفة" أو "التعصب"، وهذا الرأي يناقض بوضوح رأي

الكتاب المقدس. فرغم أنه من الممكن وجود إظهارات ذات مصدر عاطفي صرف أو تميل إلى التطرّف أو إظهار الذات. لكن من يجرؤ على اتهام أنبياء كموسى وإرميا ودانيال أو رسل كبولس ويوحنا بمثل هذا الاتهام؟ فالغالب أنّ الميل لرفض هذه الاختبارات الحسّية لحضور الله، مبني على تقاليد بشرية خاطئة بشأن مفهوم القداسة الحقيقية أو بشأن سلوكيات محدّدة في العبادة، يعتقدون بأنّ الله لا يقبل غيرها.

نرى إذاً بأنّ كلمة الله تسمح بحدوث ردود أفعال غير عادية في أجساد المؤمنين، وذلك بسبب حضور الله وقوته المباغته أحياناً. لكن لا يوجد موضع واحد في الكتاب يذكر بأنّ أيّاً من هذه الإظهارات هو علامة على قبول المعمودية في الروح القدس.

ففي حالة أنبياء العهد القديم، نحن نعرف أنّ أحداً منهم لم يعتمد في الروح القدس، لأنّ هذا الاختبار أُعطي لأول مرة يوم الخمسين. أمّا بالنسبة ليوحنا وبولس فمن الواضح أيضاً أنّ ما اختبروه لم يكن دليلاً على قبولهم للروح القدس. ففي الوقت الذي رأى فيه يوحنا الرؤيا في جزيرة بطمس كان قد مضى على اختباره لمعمودية الروح القدس أكثر من خمسين عاماً، بينما لم يكن بولس قد امتلأ بالروح القدس أصلاً عندما رأى الرب على طريق دمشق، لكنه امتلأ بعد ثلاثة أيام في اختبارٍ منفصل عندما وضع حنايا يديه عليه في دمشق.

فكيفما نظرنا إلى هذا الموضوع، نصل دائماً إلى تلك النتيجة نفسها، وهي أنّ هناك إظهاراً حسّياً واحداً، وواحداً فقط، يمكن اعتباره دليلاً على أنّ المؤمن قد قبل الروح القدس. هذا الإظهار هو أن يتكلم بالسنة أخرى كما يعطيه الروح أن ينطق.

ثلاثة مبادئ كتابية

في ختام هذه الدراسة نتطرّق باختصارٍ إلى ثلاثة مبادئ كتابية في مجالاتٍ مختلفة، لكنها تشترك في التأكيد على أنّ التكلم بالسنة أخرى هو العلامة المناسبة لتأكيد قبول أحدهم للروح القدس:

أولاً: يقول يسوع:

...من فضلة القلب يتكلم الفم (متى ١٢: ٣٤).

هذا يعني: عندما يمتليء قلب الإنسان حتى الفيض، فإنه يعبر عن هذا الفيض بالنطق. فإذا طبقنا هذا المبدأ على المعمودية في الروح القدس نقول: عندما يمتليء قلب الإنسان من الروح القدس حتى الفيض، يعبر عن هذا الفيض بكلام الفم، وبما أن الامتلاء في هذه الحالة هو امتلاءً فوق طبيعي، يكون الفيض الكلامي فوق طبيعي أيضاً فيبدأ الشخص بالتكلم بلغة لم يتعلمها ولا يفهمها، إلا أنه يعظم بها الله.

ثانياً: يحثنا بولس كمؤمنين قائلاً:

...قدّموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات برّ لله (رومية ٦: ١٣).

إنّ متطلبات الله تذهب إلى ما هو أبعد من مجرد تسليم أنفسنا أي إرادتنا له. إنه يطالب بتسليم أعضائنا الجسدية أيضاً ليسيّطروا عليها كآلات للبرّ حسب إرادته. وهناك عضو واحد في الجسد لا يستطيع أن يسيّطروا عليه إنسان:

وأما اللسان فلا يستطيع أحد أن يُذله (يسيّطروا عليه). هو شرٌّ لا يُضبط، مملوء سماً مميتاً (يعقوب ٣: ٨).

وهكذا فإنّ الروح يسيّطروا على ذلك العضو الذي لا يستطيع أحد أن يسيّطروا عليه، كعلامة وختم أخيرين على أننا قدّمنا أعضائنا بالكلية إلى الله. ثم يستخدم الروح القدس هذا اللسان بطريقة فوق طبيعية لمجد الله.

ثالثاً: المبدأ الثالث الذي يؤكد على العلاقة بين الألسنة وبين المعمودية في الروح القدس نستنتجه من طبيعة الروح القدس نفسه. ففي مواضع مختلفة أكد الرب يسوع على أنّ الروح هو أقنوم حقيقي تماماً كما أنّ الآب والابن حقيقيين.

وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمرٍ آتية (يوحنا ١٦: ١٣).

ويؤكد يسوع هنا على أقنومية الروح القدس بطريقتين:

١- يتحدث عن الروح بلغة تشير بوضوح إلى أنه شخصٌ حي "فهو يرشدكم..."

٢- ينسب القدرة على الكلام إلى الروح. ومن المعروف أنَّ القدرة على الاتصال بواسطة الكلمات هي إحدى العلامات القاطعة التي تميز الشخصية المستقلة. فنحن نستطيع أن ننسب مفهوم (الشخص) إلى أي كائن له القدرة الذاتية على الاتصال مع الآخرين بواسطة اللغة، بينما لا نعتبر من يفتقر لهذه الإمكانية شخصاً ناضجاً. وحقيقة أنَّ الروح القدس يتكلم مباشرةً عن نفسه، هي من إحدى أعظم العلامات على كونه شخصاً إلهياً (أقنوماً). إلى جانب هذا نضع كلمات بولس الرسول عندما قال:

أم لستم تعلمون أنَّ جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم؟ (١ كورنثوس ٦: ١٩).

فبولس يعلمُ هنا بأنَّ الجسد الطبيعي للمؤمن المفدي هو الهيكل الذي يرغب الروح القدس بأن يسكن فيه. وبما أنَّ الروح القدس هو شخصٌ اتخذ له مَسْكناً في هيكلٍ مادي (جسد المؤمن)، فمن الملائمُ إذاً أن نستنتج أنه يستطيع أن يتكلم من داخل هذا المؤمن مستخدماً لسانه وشفتيه بكلامٍ مسموع. وهذا يشبه خيمة الاجتماع التي صنعها موسى. فعندما كان موسى يدخل إلى الخيمة ليتصل مع الله،

كان يسمع الصوت يكلمه من على الغطاء الذي على تابوت الشهادة (عدد ٧: ٨٩).

ولأنَّ موسى سمع الصوت (الذي هو علامة الكيان الشخصي) عرف بأنَّ شخص الرب حاضرٌ في الخيمة. ونحن أيضاً نعرف أنَّ شخص الروح القدس نفسه، الأقنوم الثالث من اللاهوت، يسكن في المؤمن عندما نسمع صوته المسموع (الألسنة) الخارج من أعماق الهيكل (جسد المؤمن).

إذاً فقد وجدنا أنَّ كون التكلم باللسنة هو علامة المعمودية في الروح القدس يتوافق تماماً مع ثلاثة مبادئ كتابية عظيمة:

- ١- قلب المؤمن الذي يمتليء بطريقة فوق طبيعة بالروح القدس، يفيض بطريقة فوق طبيعية من خلال النطق بالفم.
- ٢- علامة تسليم المؤمن لأعضاء جسده إلى الله هي أن يسيطر روح الله على اللسان. ذلك العضو الذي لا يستطيع المؤمن التحكم به بنفسه.
- ٣- عندما يتكلم الروح القدس من هيكله (جسد المؤمن الطبيعي) يؤكد أنه يسكن في ذلك الجسد.

موعد الروح

كنا قد حللنا في الفصول الأربعة السابقة بالتفصيل تعليم العهد الجديد عن المعمودية في الروح القدس بالتفصيل. وقد تضمن تحليلنا المواضيع التالية: - طبيعة هذا الاختبار، وعلامته الخارجية، وكيف تختلف هذه العلامة عن موهبة (أنواع الألسنة)، ومكانة ردود الفعل الحسية والعاطفية.

وهذا يقودنا إلى سؤال عملي: "ما هي الشروط التي يجب أن يحققها من يريد أن يعتمد في الروح القدس؟" وهناك طريقتان لمعالجة هذا السؤال: الطريقة الأولى من وجهة نظر الله باعتباره المعطي، والثانية من وجهة نظر الإنسان الذي يقبل العطية. ونتعرض في هذا الفصل إلى الطريقة الأولى المختصة بالجانب الإلهي، أما الجانب البشري ففي الفصل الذي يليه.

ينبغي أن ندرك أولاً بأن هذا السؤال يتضمن قدراً كبيراً من الرهبة والحساسية، فهو يعني: "على أي أساس يقدم الإله القدوس الكلي القدرة عطية روحه ليسكن في أجساد أفراد من جبهة بشرية ساقطة وواقعة تحت لعنة الخطية؟ وأي إحسان ذلك الذي يصنعه الله، فيضع جسراً فوق تلك الهاوية السحيقة التي تفصل الإنسان عن حضرته؟"

والإجابة تكمن في خطة الفداء والتي هي حاضرة في فكر الله قبل الدهور. ومركز تنفيذ هذه الخطة هو موت المسيح كذبيحة على الصليب، ثم قيامته الغالبة وصعوده الفائق إلى السماء. وبعد صعوده بعشرة أيام سكب المسيح الروح القدس على تلاميذه الذين كانوا ينتظرون في أورشليم. وهكذا كان الصليب هو الباب الذي فتح الطريق أمام يوم الخمسين، فجعل اختبار المعمودية في الروح القدس ممكناً.

سُكْنِي، شَخْصِيَّةً، دَائِمَةً

إنَّ الارتباط المباشر بين صعود المسيح وانسكاب الروح القدس يوم الخمسين واضحٌ في يوحنا ٧: ٣٧-٣٩ حيثُ نقرأ:

وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عطش أحدٌ فليقبل إلي ويشرب. من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماءٍ حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه. لأنَّ الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد، لأنَّ يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد.

يحتوي العددان الأول والثاني من هذه الفقرة على الوعد الذي قدَّمه يسوع بأن يروي كل نفسٍ عطِشَةً تأتي إليه، وأن يجعلها قنَّاءً تتدفق منها أنهار ماءٍ حي. أمَّا العدد الأخير في هذه الفقرة فهو تفسير للعديدين السابقين أضافه يوحنا كاتب السفر، حيث ينبهنا في تفسيره هذا إلى أمرين:

- ١- الوعد بأنهار الماء الحي، هو إشارة إلى عطية الروح القدس.
- ٢- لم يكن من الممكن منح هذه العطية أثناء وجود يسوع في جسده على الأرض. إلا أنها تُعطى للمؤمنين، فقط بعد أن يصعد يسوع إلى السماء مسترداً مجده وجالساً عن يمين الآب.

لماذا لم يكن ممكناً أن يُعطى الروح القدس في ذلك الوقت؟ من الواضح أنَّ سبب ذلك ليس هو عجز الروح القدس عن أن يكون عاملاً وحاضراً على الأرض قبل صعود المسيح. فالروح القدس يعمل في العالم منذ البداية كما يطالعنا الكتاب المقدس في ثاني أعداد سفر التكوين:

...وروح الله يرف على وجه المياه (تكوين ١: ٢).

ومنذ ذلك الحين مروراً بزمان العهد القديم كلّهُ وحتى أيام خدمة يسوع على الأرض،

نقرأ باستمرار عن تحركات وعمل الروح القدس في العالم وبخاصة في وسط شعب الله المؤمن. فما الفرق إذاً بين عمل الروح القدس قبل صعود المسيح وبين عطية الروح القدس التي حُفِظَت للمؤمنين بعد صعوده، وأعطيت أول مرة للتلاميذ في اورشليم يوم الخمسين؟

هناك ثلاث سمات نستطيع أن نصف بها عطية الروح القدس وأن نميزها عن ما سبقها من أعمال الروح القدس. ونضع هذه السمات في ثلاث كلمات هي: "سكنى"، "شخصية"، "دائمة". فلننظر (من دون ترتيب) في أهمية كلٍّ منها باختصار.

أولاً: عطية الروح القدس هي عطية شخصية. لقد أشار يسوع في خطبته الوداعية أمام التلاميذ إلى عملية تبادلٍ بين الأقانيم الإلهية فقال:

لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم (يوحنا ١٦: ٧).

لقد أراد يسوع بكلامه هذا أن يقول: "لن يعود لي فيما بعد حضورٌ شخصي فيما بينكم، فأنا على وشك العودة إلى السماء، لكنني سأرسل إليكم شخصاً آخر هو الروح القدس. الأمر الذي سيكون خيراً لكم."

وقد تمَّ الوعد بإرسال شخص الروح القدس يوم الخمسين. ومنذ ذلك اليوم والروح القدس يسعى إلى المقابلة الشخصية مع كل مؤمنٍ على انفراد، فلا يمكننا أن نتحدث فيما بعد عن مجرد تأثيرٍ أو عملٍ أو إظهارٍ أو قوةٍ لا ترتبط بالأفراد، فالروح القدس هو شخصيةٌ أقنوميةٌ. كالأب والابن تماماً، وهو يسعى في هذا العصر إلى التعامل مع كل مؤمن بطريقةٍ فرديةٍ شخصية.

ففي اختبار الخلاص أو الولادة الثانية، يقبل الإنسان المسيح ابن الله، الأقنوم (الشخص) الثاني في الثالوث. وفي المعمودية في الروح القدس يقبل المؤمن الأقنوم (الشخص) الثالث في الثالوث وهو الروح القدس، وفي كلا الاختبارين هناك تعامل مباشر وحقيقي مع شخص.

ثانياً: في عصر ما بعد يوم الخمسين، يأتي الروح القدس ويسكن في المؤمن. فبينما توصف تحركات الروح القدس في العهد القديم بعبارات مثل: "كان عليه روح الرب"، "جاء الروح عليه"، "حلَّ عليه روح الرب"، "يكلمه الروح"، "رفعه الروح وأتى به إلى..." وكلها عبارات تشير إلى أنَّ جانباً من كيان المؤمن أو شخصيته وقع تحت سيطرة الروح القدس. لكننا لا نقرأ في العهد القديم أبداً، أنَّ الروح القدس اتخذ من جسد المؤمن هيكلًا يسكن فيه، مسيطراً على كامل شخصيته من الداخل.

ثالثاً: إنَّ سكنى الروح القدس في المؤمن هي سكنى دائمة. لقد اختبر مؤمنوا العهد القديم زيارات الروح القدس بطرائق كثيرة ومتنوعة وعلى فتراتٍ زمنيةٍ مختلفة، إلاَّ أنَّ الروح القدس كان زائراً في كل تلك الحالات ولم يكن مقيماً. أمَّا يسوع فقد وعد تلاميذه بأنَّ الروح القدس سيأتي ليُمكث معهم إلى الابد عندما قال:

وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر ليُمكث معكم إلى الأبد
(يوحنا ١٤: ١٦).

وهكذا نستطيع أن نميز خصائص عطية الروح القدس الموعود بها في العهد الجديد بثلاث مميزات رئيسة: إنها علاقةٌ شخصية، وهي سكنى داخلية، وهي إقامة دائمة. هذه الخصائص تقدِّم لنا سببين لعدم إمكانية منح عطية الروح القدس ما دام المسيح موجوداً على الأرض.

أولاً: لقد كان المسيح اثناء وجوده على الأرض هو الممثل الشخصي للثالوث الإلهي الأقدس، لذلك لم يكن هناك داعٍ لوجود شخصي للروح القدس على الأرض في الوقت نفسه. وبعد صعود المسيح إلى السماء صارت الطريق مفتوحة للروح القدس ليأتي بدوره إلى الأرض كشخص، وهو الآن الممثل الشخصي للآهوت على الأرض.

ثانياً: لا يمكن أن يُعطى الروح القدس إلا بعد صعود المسيح، لأنَّ أحداً من المؤمنين لا يستطيع أن يدَّعي إمكانية قبول هذه العطية بناءً على استحقاقه الشخصي.

لكنه يستطيع قبولها بناءً على استحقاق موت المسيح وقيامته فقط. لذلك لا يمكن لأحد أن يقبل عطية الروح القدس إلا بعد أن يكتمل عمل المسيح الكفاري.

موعد الآب

يربط بولس مباشرة بين موعد الروح وكفارة المسيح قائلاً:

المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب: ملعون كل من عُلّق على خشبة. لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح (غلاطية ٣: ١٣-١٤).

ويؤكد يولس هنا على حقيقتين على قدر كبيرٍ من الأهمية بخصوص عطية الروح القدس للمؤمن:

أولاً: لا يستطيع المؤمن أن يقبل موعد الروح إلا من خلال فداء المسيح الذي تمّ على الصليب. هذه الحقيقة هي هدفٌ من الأهداف الرئيسة من آلام المسيح وموته على الصليب. لقد مات وسُفِكَ دمه لكي يشتري حقاً شرعياً ذو شقين: الأول هو حقه الشخصي في أن يعطي، والثاني هو حق المؤمن في قبول عطية الروح القدس الثمينة. فقبول الروح القدس لا يعتمد على استحقاقات المؤمن الشخصية على الإطلاق، بل يعتمد كلياً على كفارة المسيح التي فيها كل الكفاية. ويتم ذلك بالإيمان وليس بالأعمال.

ثانياً: نلاحظ أنّ بولس يستخدم العبارة "موعد الروح" فيقول: "لننال بالإيمان موعد الروح" وهذا يتوافق مع تعليمات يسوع الأخيرة لتلاميذه قبيل صعوده إلى السماء حيث قال:

وها أنا أرسل اليكم موعد أبي، فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي (لوقا ٢٤: ٤٩).

وهو يتحدث هنا عن المعمودية في الروح القدس التي قبلها تلاميذه فيما بعد يوم الخمسين. ويستخدم يسوع عبارتين لوصف هذا الاختبار، فيقول: "أن تلبسوا قوة من

الأعالي" و "موعد الآب" وهذه العبارة الأخيرة تقدّم لنا بصيرة رائعة ننفذ بها إلى فكر الله الآب وإلى هدفه بخصوص عطية الروح القدس. لقد قدّر أحدهم بأنّ الكتاب المقدس يحتوي على سبعة آلاف وعدٍ إلهي متميز، غير أنّ يسوع ينتقي واحداً من بين هذه كلها ويعتبره - بكيفية فريدة - "موعد الآب" الخاص لكل من أولاده المؤمنين. فما هو هذا الوعد الفريد الخاص؟ إنه ما يسميه بولس "موعد الروح" أي "الوعد بعطية الروح القدس". وفي يوم الخميس، ذلك اليوم الذي تحقق فيه هذا الوعد، استخدم بطرس عباراتٍ مشابهة عندما قال:

توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا
فتقبلوا عطية الروح القدس. لأنّ الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين
على بُعد، كل من يدعو الرب إلينا (أعمال ٢: ٣٨-٣٩).

فيربط بطرس هنا بين الكلمتين "عطية" و "موعد". فإلى أيّ موعدٍ يُشير؟ إنه يُشير بالطبع إلى "موعد الروح" كما سماه بولس، أو "موعد الآب" كما أعلن المسيح، ذلك الموعد الذي أعدّه الآب منذ الأزل، وحفظه عبر الأجيال لكي يُنعم به على أولاده المؤمنين في عصرنا الحاضر باستحقاق دم الرب يسوع المسيح.

أيضاً يسمي بولس هذا الموعد "بركة إبراهيم" (غلاطية ٣: ١٤) فيربطه بهدف الله السامي من اختياره لإبراهيم. لقد قال الله لإبراهيم عندما دعاه من أور الكلدانيين: وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركك ولاعنك ألعنه، وتبَارِك فيك جميع قبائل الأرض (تكوين ١٢: ٢-٣).

وفي تعاملاته اللاحقة مع إبراهيم، أكّد الله مراراً على إرادته بمنح البركة للجميع قائلاً: أباركك مباركةً وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض (تكوين ٢٢: ١٧-١٨).

فإلى أية بركةٍ تشير هذه الوعود الالهية؟ إنها بركة "موعد الروح" (غلاطية ١٣: ١٤) كما يُبين بولس. لقد اشترى يسوع بدمه المسفوك على الصليب هذه البركة التي وعد بها الله نسل إبراهيم (المؤمنين).

ختم السماء على كفارة المسيح

لقد أكمل عمل المسيح الكفاري تماماً في السماء لا على الأرض:

وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنهٍ للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيدٍ أي الذي ليس من هذه الخليقة وليس بدم تيوسٍ وعجولٍ بل بدم نفسه دخل مرةً وأحدةً إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً (عبرانيين ٩: ١١-١٢).

وكمؤمنين في العهد الجديد فقد اتينا إلى ...

وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دمٍ رشٍ يتكلم أفضل من هابيل (عبرانيين ١٢: ٢٤).

هذه المقاطع من الرسالة إلى العبرانيين تُظهر أنّ عمل المسيح الكفاري لم يكتمل نهائياً بسفك دمه على الصليب، بل بدخوله بهذا الدم إلى محضر الآب، حيث قدّمه هناك باعتباره تكفيراً نهائياً كافياً لكل خطية. إنه دم المسيح المرشوش في السماء الآن والذي يتكلم أفضل من هابيل.

ويمكن مقارنة دم المسيح بدم هابيل على وجهين: الأول أنّ دم هابيل تُرك مرشوشاً على الأرض، بينما قدّم دم المسيح ورُش في السماء. والثاني أنّ دم هابيل صرخ إلى الله طالباً الانتقام من القاتل، بينما يتكلم دم المسيح لله في السماء طالباً الرحمة والغفران لسافكيه.

إنّ إعلان الرسالة إلى العبرانيين عن حقيقة دخول المسيح بدمه إلى حضرة الآب، متمماً بذلك عمله الكفاري، هو إعلانٌ مهمٌ يمكننا من فهم السبب في عدم إمكانية

إرسال الروح القدس قبل أن يتمجد المسيح. فالروح القدس لا يُعطى على أساس استحقاق المؤمن الشخصي بل على أساس كَفَّارة المسيح. وهذه الكَفَّارة تَمَّت فقط عندما قُدِّم دم المسيح في السماء، فأعلن الله الآب - عند ذلك - رضاه المطلق واكتفائه بالذبيحة المقدَّمة، وأرسل الروح القدس إلى أولئك المؤمنين في المسيح كشهادةٍ علنية من مجلس السماء الأعلى، بأنَّ دم المسيح قُبِلَ ككَفَّارة كافية تماماً لكل خطيةٍ وإلى الأبد.

هذا هو الذي أتى بماءٍ ودم، يسوع المسيح. لا بالماء فقط، بل بالماء والدم (١ يوحنا ٥: ٦).

ونرى هنا أنَّ الروح القدس يشهد لدم يسوع. أي أنَّ عطية الروح القدس للمؤمنين في يسوع، هي شهادة موحدة من الآب والروح معاً، يعلنان فيها كفاية دم يسوع المسيح في تطهير المؤمن من كل خطية.

هذا ينسجم أيضاً مع تعليم بطرس في يوم الخمسين فيما يتعلق بانسكاب الروح القدس، فبعد أن تكلم أولاً عن موت المسيح وقيامته تابع قائلاً:

وإذ ارتفع (يسوع) بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه (أعمال ٢: ٣٣).

لقد دفع المسيح أولاً فدية الإنسان بموته وقيامته، ثم صعد إلى الآب في السماء، وقُدِّم الدم الذي هو علامةُ الفداء وختمه. وبناءً على قبول الآب لهذا الدم الطاهر، أخذ المسيح عطية الروح القدس من الآب ليسكبها على من آمنوا فيه.

ونستطيع الآن أن نلخص إعلان الكتاب بخصوص خطة الله المتعلقة بعطية الروح القدس. فاختبار الله لإبراهيم يتضمن الوعد ببركة الروح القدس لكل الامم من خلال المسيح. وقد اشترى المسيح بدمه المسفوك الحق الشرعي لكل مؤمن لنوال هذه البركة. وبعد أن قُدِّم دمه في السماء، أخذ المسيح عطية الروح القدس من الآب، وفي يوم الخمسين انسكب الروح القدس من السماء على المؤمنين المنتظرين على الأرض.

وهكذا نرى أنَّ الآب والابن والروح القدس اشتركوا معاً في تخطيط وفي شراء وفي تنفيذ هذا الوعد الفائق، وفي منح هذه العطية العظمى لكل شعب الله المؤمن.

في الفصل القادم سننظر في عطية الروح القدس نفسها من منظور بشري، وسندرس الشروط التي يجب أن تتحقق في حياة كل مؤمن يرغب بقبول هذه العطية.

كيفية قبول الروح القدس

ما هي الشروط التي ينبغي تحقيقها في حياة شخصٍ يرغب بقبول الروح القدس؟

النعمة والإيمان

عندما ندرس تعليم الكتاب المقدس عن هذا الموضوع نجد مبدأً واحداً أساسياً ينطبق على كل عطايا نعمة الله للإنسان:

فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال وإلا فليست النعمة بعد نعمة، وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة (رومية ١١: ٦).

في هذه الفقرة كما في غيرها من الرسائل، يوضّح بولس الفرق بين مفهومي "النعمة" و "الأعمال". ويقصد بولس بالنعمة: "إحسان وبركة الله المجانية التي يهبها لغير المستحقين". ويقصد بالأعمال: "أي شيء يعملُه الإنسان بقدرته الشخصية، بهدف الحصول على بركة الله وإحساناته". ويقول بولس بأنه لا يمكن الدمج بين هاتين الطريقتين، فهما مستقلتان ومتناقضتان. وكل ما يحصل عليه الإنسان من الله بالنعمة فهو ليس بالأعمال، وكل ما يحصل عليه بالأعمال فهو ليس بالنعمة. وحينما تعمل النعمة لا فائدة من الأعمال، وحينما توجد الأعمال، لا مكان للنعمة. وهذا يقودنا إلى مزيدٍ من التأكيد على الفرق بين النعمة والناموس،

لأنَّ الناموس بموسى أعطي أمَّا النعمة والحق فبيسوع المسيح صاراً (يوحنا ١: ١٧).

لقد سعى الناس تحت الناموس إلى الحصول على بركات الله من خلال ما

عملوه لأنفسهم. أمّا نعمة الله المجانية فإنها مقدّمة الآن لكل البشر غير المستحقين، لا بسبب ما يعملها الإنسان من أجل نفسه، بل بسبب ما عمله المسيح من أجل الإنسان. هذه هي النعمة. وكل ما نقبله من الله بهذه الطريقة فهو بالنعمة ومن خلال يسوع، والوسيلة لقبول هذه النعمة هي الإيمان وليست الأعمال.

لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم، هو عطية الله، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد (أفسس ٢: ٨-٩).

إنّ المبدأ الأساسي الذي يضعه بولس في هذه الفقرة، يمكن أن يلخص بهذه العبارات الثلاث: "بالنعمة"، "بالإيمان"، "ليس من أعمال". وتنطبق هذه السمات على جميع العطايا التي توفرها نعمة الله ويقبلها الإنسان. ويطبق بولس هذا المبدأ على عطية الروح القدس بالتحديد عندما يقول:

المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب: ملعون كل من علّق على خشبة. لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح (غلاطية ٣: ١٣-١٤).

فهو يذكر هنا حقيقتين مترابطتين وعلى قدر كبير من الأهمية:

١- إنّ عطية الروح القدس التي وهبها الله للإنسان من خلال فداء المسيح على الصليب، هي جزء من الهبة الكاملة التي أعدّها الله للإنسان بالمسيح يسوع.

٢- هذه العطية كغيرها من عطايا الله، تقبل بالإيمان لا بالأعمال.

إنّ السؤال حول كيفية قبول عطية الروح القدس كان مطروحاً في كنائس غلاطية على ما يبدو، مما جعل بولس يُشير إلى هذا الموضوع عدة مرات في رسالته إلى الغلاطيين:

• أريد أن أتعلّم هذا منكم فقط بأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان؟ (غلاطية ٣: ٢).

- فالذي يمنحك الروح ويعمل قوات فيكم بأعمال الناموس أم بخبر الإيمان؟ (غلاطية ٥: ٣).
- لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح (غلاطية ٣: ١٤).

يؤكد بولس هنا ثلاث مرات على أنَّ قبول الروح القدس يتم بالإيمان. فأول ما ينبغي على المؤمن أن يعرفه، هو أنَّ الكتاب المقدس يكشف خصائص عطايا الله، وأهمها أنَّ هذه العطايا لا يمكن أن نمتلكها إلاَّ بالإيمان وباستحقاق عمل المسيح على الصليب. إنَّ معرفة هذه الحقيقة والإيمان فيها هما أمران ضروريان لكل من يرغب بقبول عطية الروح القدس، فيكون بذلك مستعداً لنيل العطية، ويوفر الكثير من الوقت ومن الجهد.

تؤكد رسالة بولس إلى أهل غلاطية على أنَّ المؤمنين هناك قد قبلوا رسالة الانجيل وعطية الروح القدس ودخلوا إلى ملء بركة الله. إلا أنهم ضلُّوا فيما بعد بسبب تعاليم غريبة، فانخرطوا في نظام ناموسي فرض نفسه بقوة، مما جعلهم يفقدون رؤيتهم الأولى بخصوص قبول عطايا الله بالنعمة وبالإيمان. لذلك استهدفت الرسالة تحذيرهم من خطورة ما هم فيه، وحثَّهم على الرجوع إلى بساطة الإيمان.

وما زال هذا الخطأ نفسه يهدد الكثيرين من المؤمنين في كل مكان. فهناك ميلٌ هذه الأيام إلى فرض أنواع من الأنظمة أو النواميس على أولئك الذين يطلبون عطية الروح القدس. وتختلف نوعية هذه الأنظمة التي تفرض من جماعةٍ إلى أخرى، فهناك من يركِّز على بعض المواقف أو الأوضاع المحددة، بينما يركز آخرون على استخدام تعابير خاصة أو صلواتٍ مُحددة أو تكرار كلماتٍ بطريقةٍ معينة.

والتعليم الذي يقدَّم في مثل هذه الحالات ليس بالضرورة منافياً للكتاب، لكن الخطر يكمن في أنَّ هذه المواقف والكلمات التي ينبغي أن تُستخدم لدعم الإيمان أصلاً، يمكن أن تصبح بديلاً عنه، عندها ستفش كل هذه الأساليب. وبدلاً من أن تُساعد المؤمن على قبول الروح القدس فإنها تعيقه عن ذلك.

ونتيجة لمثل هذه الأساليب، كثيراً ما نلتقي مع أولئك الذين أفرطوا باستخدامها، فيقول أحدهم: "لقد جرّبت كل شيء، جرّبت أن أسبّح، وقلت: "هللوا،" رفعت يداي في الهواء وصرخت. لقد عملت كل شيء من دون نتيجة." إنهم لا يدركون بأنهم ينزلقون في خطأ أهل غلاطية، فيستبدلون بالأعمال إيمانهم. بدلاً من الالتزام بسماع كلمة الله ببساطة.

ما هو العلاج لهذه المشكلة؟ إنه تماماً ما يعرضه بولس على الغلاطيين، أي العودة إلى سماع كلمة الله. فمثل أولئك الباحثين عن العطية، لا يحتاجون إلى المزيد من التسبيح أو الصراخ أو رفع الأيدي، بل يحتاجون إلى تعليم حي من كلمة الله عن عطايا الله المجانية.

وكمبدأ عام نقول أنه لا بدّ من تقديم بعض التعليم للأشخاص الذين يسعون إلى الحصول على عطية الروح القدس قبل الصلاة معهم. فلو أُعطيت أنا مثلاً نصف ساعة لكي أساعد بعض المؤمنين على قبول الروح القدس، لاستخدمت نصف ذلك الوقت على الأقل في شرح تعليم الكتاب وكرّست الوقت الباقي للصلاة. وسيحقق هذا نتائج أكثر ايجابية من تكريس كل الوقت للصلاة من دون تقديم التعليم الكتابي المناسب.

فالشرط الأول لقبول عطية الروح القدس كما رأينا هو ما يصفه بولس بخبر الإيمان، أي سماع كلمة الله بالإيمان. وعلينا هنا أن نكون حذرين تجاه التفسير الخاطيء لمعنى الكلمة "إيمان" فالإيمان ليس بديلاً عن الطاعة، لكن الطاعة هي التعبير الأمثل عن الإيمان الحقيقي. فالطاعة هي امتحان الإيمان كما هي الدليل على وجوده. وهذا ينطبق على قبول الروح القدس كما ينطبق على أية ناحية أخرى تتعلق بنعمة الله. ففي دفاعه أمام مجلس اليهود، ركّز بطرس على الطاعة باعتبارها التعبير المناسب عن الإيمان فقال:

ونحن شهودٌ له بهذه الأمور، والروح القدس أيضاً الذي أعطاه الله للذين يطيعونه (أعمال ٥: ٣٢).

فبينما يشدد بولس على الإيمان في حديثه عن عطية الروح القدس، يشدد بطرس على الطاعة. ولا خلاف بين الاثنين، فالإيمان الحقيقي مرتبط دائماً بالطاعة الحقيقية والإيمان الكامل يُنتج طاعةً كاملة. وعندما تكتمل طاعتنا ننال عطية الروح القدس. هذا ما يقوله بطرس هنا.

ست خطوات إيمان

كيف أُعبر عن الطاعة الكاملة أثناء السعى إلى قبول عطية الروح القدس؟ في الكتاب المقدس ست خطواتٍ تُميّز طريق الطاعة التي تقود إلى عطية الروح القدس:

- التوبة والمعمودية

الخطوتان الأولى والثانية يذكرهما بطرس:

توبوا وليعتمد كل واحدٍ منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس (أعمال ٢: ٣٨).

فالتوبة هي تغيير داخلي في قلب الإنسان وفي موقفه من نحو الله، مما يُتيح المجال للمصالحة بين الله وبين الإنسان، وبعد ذلك تأتي المعمودية المسيحية (في الماء) كعملٍ خارجي، يشهد المؤمن بواسطته عن التغيير الداخلي الذي أحدثته نعمة الله في قلبه.

- العطش

الخطوة الثالثة يشير إليها الرب يسوع قائلاً:

إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب، من آمن بي كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي (يوحنا ٧: ٣٧-٣٨).

وفي العدد الذي يلي ذلك مباشرةً يشرح يوحنا بأن هذا الوعد هو إشارة إلى عطية الروح القدس. وهذا يتفق مع ما قاله الرب يسوع أيضاً:

طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ لأنهم يُشبعون (متى ٥: ٦).

فالعطش والجوع هما من الشروط الأساسية لقبول ملء الروح القدس. فانه لا يبذل عطايه على من لا يشعرون بالحاجة اليها. الكثيرون من المؤمنين الذين يتمتعون بحياة طيبة ومحترمة، لم يتمكنوا من قبول ملء الروح القدس لأنهم لا يدركون حاجتهم إلى ذلك، بل هم مكتفون بما هم فيه، ولا يرغبون بالحصول على هذه البركة، وعلى حالتهم هذه يبقينهم الله.

ويبدو من وجهة نظر بشرية أن من يقبلون عطية الروح القدس هم الأقل استحقاقاً لها، بينما لا يقبلها أولئك الذين يبذلون أكثر استحقاقاً. هذا ما يفسره الكتاب قائلاً:

أشبع الجياع خيراتٍ والأغنياء أرسلهم فارغين (لوقا ١: ٥٣).

إن الله يتجاوب مع اشتياقنا الداخلي المخلص، لكنه لا يتأثر بتديننا الشكلي الظاهر.

- الطلب (السؤال)

يقدم الرب يسوع أيضاً الخطوة الرابعة لقبول الروح القدس:

فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه (لوقا ١١: ١٣).

يطالب يسوع أولاد الله بأن يسألوا الآب السماوي كي يعطيهم عطية الروح القدس. نسمع أحياناً بعض المؤمنين الذين يقولون: "إن كان الله يريدني أن آخذ الروح القدس فإنه سيعطيني إياه، ولا حاجة بي لأن أطلب ذلك" وهو موقف غير كتابي إذ أن يسوع يعلم بوضوح بضرورة أن يسأل أولاد الله أباهم السماوي من أجل الحصول على هذه العطية الخاصة.

- الشرب

بعد الطلب تأتي خطوة القبول، التي يسميها يسوع "الشرب" حيث يقول: "إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب" (يوحنا ٧: ٣٧). ويمثل "الشرب" عملية قبول

فعالة، فملء الروح القدس لا يمكن أن يتم بناءً على موقف سلبي جامد. فما من أحد يشرب رغماً عنه، بل بملء إرادته. وما من أحد يشرب وهو مصرٌّ على أغلاق فمه. هذا المنطق الطبيعي يوافق الكتاب أيضاً فيقول الرب: "افغر فاك فأملأه" (مزمو ٨١: ١٠). فالله لا يملأ فماً مغلقاً، ومع بساطة هذه الفكرة حسب الظاهر، إلا أن كثيرين يفشلون في قبول ملء الروح القدس لأنهم ببساطة لا يفتحون أفواههم.

– التسليم

الخطوة السادسة والأخيرة بعد الشرب هي التسليم. يتحدث بولس للمؤمنين عن تسليم الله من شقين:

ولا تقدموا أعضاءكم الآت إثم للخطية، بل قدّموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم الآت برّ الله (رومية ٦: ١٣).

نجد هنا مرحلتين متابعتين: الأولى هي تسليم "ذواتكم" أي تسليم الإرادة والشخصية، وهذا ليس كل شيء، بل هناك مرحلة أخرى من التسليم هي تسليم الأعضاء الجسدية أيضاً.

إن تسليم أعضائنا الجسدية يتطلّب قدراً كبيراً من الثقة بالرب. ربما يتضمن تسليم ذواتنا واراوتنا طاعة لأرادة الله، إلا أننا نستمر باتباع فهمنا الخاص. فنحن نرغب بأن نعمل ما يطلبه الله منا على شرط أن نفهم أولاً ما يطلبه.

أمّا تسليم أعضائنا الجسدية فإنه يذهب بنا إلى ما هو أبعد من ذلك، حتى أننا لا نسعى فيما بعد لفهم ما يطلبه الله ذهنياً، بل نسلم أعضائنا من دون تحفّظ، ونسمح لله بأن يستخدمها بحسب ارادته وقصده من دون أن نشترط فهم ما يعملّه الله، وهكذا نحقق التسليم الكامل وغير المشروط فيأتي الروح القدس بملئه ليسيّطر على أعضائنا، وبشكل خاص على ذلك العضو العنيد الذي لا يستطيع أحد أن يسيطر عليه إلا وهو اللسان. لذلك يُعتبر تسليم اللسان للروح القدس علامةً لذروة التسليم ولاكتمال الطاعة التي يتم عندها قبول عطية الروح القدس.

لقد تحدثنا بايجازٍ حول الخطوات الست المتتالية لقبول ملء الروح القدس وهي:

(١) التوبة (٢) المعمودية (٣) العطش (٤) الطلب (٥) الشرب - ويعني القبول العملي. (٦) التسليم - ويعني تسليم السيطرة على أعضائنا الجسدية من دون الحاجة إلى ممارسة فهمنا العقلي.

السؤال المطروح الآن: "هل يجتاز كلُّ من يقبل عطية الروح القدس في كل هذه الخطوات بالضرورة؟" والإجابة: "لا!" إنَّ نعمة الله فائقةً ومهيمنة، والله له مطلق الحرية في أن يصل بنعمته إلى النفوس المحتاجة عندما يرى ذلك مناسباً رغم الشروط التي تعلنها الكلمة. إنَّ نعمة الله لا تُحدُّ بالشروط التي يفرضها الله، لكن إذا حدث وتحققت هذه الشروط بأكملها فإنَّ أمانة الله لا تمنع البركة التي وعد بها.

وقد تمَّ تجاوز بعض هذه الخطوات الست في اختبارات بعض المؤمنين، ومع ذلك فقد قبلوا عطية الروح القدس، فمنهم من قبل العطية من دون أن يعتمد في الماء أو حتى من دون أن يطلب هذه العطية بالتحديد. وهذا ما حدث في اختباري الخاص، فقد قبلت عطية الروح القدس قبل أن اعتمد في الماء وقبل أن اطلب ذلك بشكلٍ مُحدد. لقد وصل الله إليَّ بنعمته الفائقة متجاوزاً الشروط المفروضة في كلمته، مما جعلني أدرك بأنني مديونٌ أكثر لنعمة الله. فما حدث لا يترك لي مجالاً للافتخار أو اللامبالاة أو عدم الطاعة.

وقبل أن نتجاوز هذه الفكرة ينبغي أن نؤكد أولاً بأنَّ الله - على أية حال - لم يمنح هذه العطية في حالة عدم تحقق شروط كلمته (عدا المعمودية والطلب)، فانه لم يمنح أحداً عطية الروح القدس من دون توفُّر التوبة أولاً ثم العطش الروحي والاستعداد للقبول والتسليم.

في ختام هذه الدراسة حول المعمودية في الروح القدس، لا بأس من أن نؤكد ثانيةً على العلاقة الوطيدة بين ملء الروح القدس والطاعة، فعطية الروح القدس هي لأولئك الذين يطيعون الله كما يقول بطرس. فمع أنه يمنح العطية بنعمته حتى لأولئك

الذين لم يحققوا بعد شروط كلمته، إلا أن هذا لا يعطي أحداً المجال للمبالاة أو لعدم الطاعة. فبينما كان بطرس يتكلم في بيت كرنيليوس حلَّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون (انظر أعمال ١٠) ومن الواضح أننا لا نستطيع تفسير عمل نعمة الله هذه كبديل عن طاعة كلمة الله لأننا نقرأ:

وأمر (بطرس) أن يعتمدوا باسم الرب (أعمال ١٠: ٤٨).

فحتى لأولئك الذين قبلوا عطية الروح القدس من دون أن يعتمدوا في الماء، تبقى ممارسة المعمودية وصيةً إلهية لا يمكن تجاهلها.

فوق هذا كله علينا أن نحرص من الكبرياء الروحي باستمرار، خاصةً عندما ندخل في مجال المواهب الروحية. فكلما أخذنا بغنى أكثر من مواهب نعمة الله، كلما احتجنا إلى أن نكون أكثر التزاماً بالطاعة والأمانة في ممارسة وتوظيف هذه المواهب. يقول يسوع:

فكل من أُعطي كثيراً يُطلب منه كثيرٌ، ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر (لوقا ١٢: ٤٨).

فكلما قبلنا مواهب الله ونعمته بفيض أكبر، كلما وجب علينا أن نلتزم بالتواضع والتكريس والطاعة المستمرة بجديّة أكثر.

أنماط العهد القديم عن خلاص العهد الجديد

في هذا الجزء من الكتاب درسنا ذلك الجانب من العقيدة المسيحية الذي يسمى "تعليم المعموديات" (عبرانيين ٦: ٢). وقلنا أنَّ العهد الجديد يشير إلى أربعة أنواع من المعموديات: (١) المعمودية يوحنا المعمدان (٢) المعمودية المسيحية (في الماء) (٣) المعمودية الآلام (٤) المعمودية في الروح القدس. من ضمن هذه الأربع تعتبر الثانية والرابعة هما الأكثر ارتباطاً باختبارات كل المؤمنين في هذا العصر، وهذا ما جعلنا نركز عليهما. والآن حان الوقت كي نرى كيف ترتبط كل منهما مع الأخرى ومع تفاصيل خطة الله وعطاياه للمؤمنين. ويمكن التعبير عن ذلك بهذا السؤال: "ما هو الدور الذي تلعبه المعمودية في الماء والمعمودية في الروح القدس في خطة الله الشاملة من نحو كل مؤمني العهد الجديد؟"

سنحاول معالجة هذا السؤال بالطريقة نفسها التي استخدمها كتبة العهد الجديد باستمرار. حيث سندرس حادثة تحرير الله لشعبه من أرض مصر كنمطٍ للتحرير الأعظم من عبودية الخطية والشیطان. ذلك التحرير الذي قدمه الله للبشرية بأسرها بالمسيح يسوع. وسنركز على ثلاثة جوانب مركزية في تحرير الشعب القديم من مصر ونستخدمها لتوضيح ثلاثة عناصر تقابلها في الخلاص المعد للبشر في المسيح.

الخلاص بالدم

في البداية أرسل الله المخلص (موسى) الذي اختاره لتحرير شعبه، أرسله إلى مصر، حيث كان الشعب يزرع تحت نير البؤس والعبودية. ومن هناك، خلَّصهم من

غضبه ومن دينونته من خلال ايمانهم بدم الذبيحة التي طلبها وهي حمل الفصح.

في العهد الجديد جاء يوحنا المعمدان ممهداً الطريق أمام المسيح، وقد عرّف عنه بهذه الكلمات: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا ١: ٢٩) فأعلن بذلك أن يسوع هو المخلص الذي عينه الله، وهو من سيققق بذبيحته على الصليب، وبدمه المسفوك، ما كان يرمز إليه حمل الفصح. فيقول بولس مشيراً إلى موت المسيح وقيامته:

لأنّ فصحنا أيضاً المسيح، قد ذُبِح لأجلنا (١ كورنثوس ٥: ٧).

فبينما قدّم حمل الفصح خلاصاً مؤقتاً من العبودية المادية المؤقتة، نجد أن ذبيحة المسيح تقدّم خلاصاً أبدياً لكل من يؤمن بالدم المسفوك ككفارة مقبولة عن خطاياهم.

ومن وجوه المقارنة الأخرى أن الله لم يكن يريد لشعبه أن يمكث في مصر بعد خلاصه، ففي الليلة ذاتها التي ذُبِحت فيها ذبائح الفصح، بدأ الشعب بالخروج من مصر، فلم يعودوا مجرد حشدٍ من العبيد فيما بعد بل أصبحوا جيشاً منظماً. لقد حدث كل شيء بسرعة خاطفة حتى أنهم حملوا عجينهم قبل أن يختمر وخرجوا مسرعين وأحقاؤهم مشدودة وعصيهم في أيديهم. هكذا أيضاً يأتي الله إلى الإنسان أينما كان في العالم. فيخلصه بينما هو يرزح تحت أقسى القيود، ولا يتركه الله هناك بل يدعوه حالاً إلى حياةٍ جديدةٍ تماماً: حياة القداسة.

معمودية مزدوجة

يقدم بولس المزيد من التشابه بين نمطي الخلاص في العهدين في وصفه لمرحلتين جديدتين في اختبار تحرير الشعب القديم من مصر:

فإني لست أريد ايها الاخوة أن تجهلوا أنّ آبائنا جميعهم كانوا تحت السحابة، وجميعهم اجتازوا في البحر، وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر، وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم

شربوا شراباً واحداً روحياً. لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح (١ كورنثوس ١٠: ٤-٤).

بعد ذلك بقليل يربط بولس بين تلك الاختبارات في العهد القديم واختبارات تقابلها في العهد الجديد فيقول:

- وهذه الأمور حدثت مثلاً لنا (١ كورنثوس ١٠: ٦).
- فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثلاً وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور (١ كورنثوس ١٠: ١١).

وهو يعني أن اختبارات شعب العهد القديم، ليست مجرد أحداث تاريخية مثيرة. لكنها تحتوي أيضاً على رسالة عاجلة ومهمة للمؤمنين في هذه الأيام. فلكل الأحداث كُتبت لنا بإرشاد إلهي باعتبارها مثلاً يريد الله لنا أن نجد فيها نوراً نسترشد به في اختبارنا الخاص. على هذا الأساس، سندرس بعناية هذه الدروس والأمثلة التي يضعها بولس أمامنا في ١ كورنثوس ١٠: ٤-٤.

نلاحظ أولاً الكلمة "جميعهم" التي تتكرر خمس مرات في هذا النص. يقول بولس:

آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة، وجميعهم اجتازوا في البحر، وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر، وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً (١ كورنثوس ١٠: ٤-٤).

وهذا يعني أن المؤمنين بلا استثناء مطالبين باتباع تلك الأمثلة والأنماط. ويذكر بولس في هذا النص أربعة منها:

- ١- جميعهم كانوا تحت السحابة.
- ٢- جميعهم اجتازوا في البحر.
- ٣- جميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً.
- ٤- جميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً.

وينبغي أن يجتاز شعب الله اليوم أيضاً في هذه الاختبارات الأربعة. فكيف يكون هذا؟ ما هي الدروس التي نتعلمها اليوم كمؤمنين من هذه الأمثلة؟

نلاحظ أولاً أنَّ هذه الاختبارات الأربعة تنقسم إلى قسمين مزدوجين: الأول يتضمن الاجتياز تحت السحابة وفي البحر، وهما اختباران حدثا مرة واحدة فقط. والقسم الثاني يتضمن الطعام والشراب الروحيين، وهما اختباران تكررنا عبر فترة زمنية طويلة.

فلنبداً بالقسم الأول حيث يقدّم بولس مفتاح فهمنا لهذين الاختبارين بقوله: "وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر" (٢ ع). فالحديث إذاً يدور حول شكلين من المعمودية، أحدهما الله للمؤمنين في هذا العصر. وعلى ضوء دراستنا السابقة نفهم أنَّ المعمودية في السحابة بالنسبة إلى شعب إسرائيل تقابل المعمودية في الروح القدس بالنسبة إلينا اليوم. والمعمودية في البحر بالنسبة إليهم تقابل المعمودية المسيحية في الماء. إنَّ المقارنة بين هذه الاختبارات وتفاصيلها تكشف مدى التوافق بين ما حدث مع الشعب القديم وبين ما يقابله في اختبار المؤمنين في العهد الجديد.

في سفر الخروج نجد تسجيلاً تاريخياً لعبور الشعب القديم تحت السحابة وعبر البحر. فقد بدأ الشعب خروجه من مصر بعد ذبيحة الفصح، وفي الليلة نفسها، وصل إلى البحر الأحمر واجتازه بطريقة معجزية.

المعمودية في السحابة

نقرأ عن الاجتياز تحت السحابة لأول مرة في خروج ١٣: ٢٠-٢١:
وارتحلوا من سكّوت ونزلوا في ايثام في طرف البرية، وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهاراً وليلاً.

ويقول بولس:

...آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة، وجميعهم اجتازوا في البحر،

وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة (١ كورنثوس ١٠: ١).

فأثناء رحلة الشعب في البرية بعد الخروج من مصر، وفي لحظة ما، جاءت تلك السحابة الفريدة والعجيبة، وظلّت الجميع من فوق وبقيت فوقهم. ومن الواضح أنهم كانوا يرون تلك السحابة بعيونهم، حيث كانت تظهر في شكلين مختلفين: في النهار كانت سحابةً توفّر الظل والحماية من حرارة الشمس، وفي الليل البارد المظلم كانت عموداً من النار يوفّر النور والدفع. وكان الله يقود الشعب ليلاً ونهاراً من السحابة.

المزيد عن تلك السحابة الرائعة في هاتين الحقيقتين: الأولى، أن الله نفسه (يهوه) كان حاضراً بشخصه في السحابة. والثانية، أن هذه السحابة كانت تعمل على فصل الشعب عن المصريين وعلى حمايتهم في الوقت نفسه:

- فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم، وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم، فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل وصار السحاب والظلام وأضاء الليل. فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل (خروج ١٤: ١٩-٢٠).
- وكان في هزيع الصُّبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين (خروج ١٤: ٢٤).

وهكذا نرى الرب نفسه (يهوه) يتحرك ويوجد في السحابة. ففي السحابة كان يتحرك من أمام عسكر إسرائيل إلى ورائهم، وفي السحابة كان يدخل بين عسكر إسرائيل وعسكر المصريين، ليفصل شعبه عن أعدائه ويحميه.

ومن المذهل أن تلك السحابة كانت تعني للمصريين شيئاً آخر، وكان لها تأثير آخر عليهم حيث نقرأ: "صار السحاب والظلام" للمصريين، أمّا لشعب الله فقد "أضاء الليل" (انظر خروج ١٤: ٢٠). لقد كانت السحابة ظلاماً للمصريين الذين يمثلون أهل الخطية، وكانت نوراً لشعب الله. وعندما جاء النهار صارت السحابة مصدر رعب للمصريين كما قرأنا سابقاً:

وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين (خروج ١٤: ٢٤).

لقد قلنا بأن السحابة هي رمز أو صورةً للمعمودية في الروح القدس. فلنراجع الآن باختصار بعض الحقائق التي عرفناها عن هذه السحابة، ولنرى كيف تنطبق كل هذه الحقائق على المعمودية في الروح القدس:

- ١- حَلَّتْ السحابة على شعب الله من فوق، من السماء.
- ٢- لم تكن مجرد تأثير خفي لكنها كانت مدركةً بالحواس.
- ٣- وفّرت الظل والحماية من حرارة النهار، ووفّرت النور والدفء في الليل.
- ٤- وفّرت قيادة إلهية لشعب الله خلال تجوالهم.
- ٥- كان الرب (يهوه) حاضراً في السحابة، ومن هناك كان يأتي شخصياً لينقذ شعبه من الأعداء.
- ٦- لقد وفّرت السحابة نوراً لشعب الله، بينما كانت ظلاماً ورعباً للمصريين.
- ٧- كانت السحابة تعزل شعب الله عن أعدائه وتحميه.

كيف تنطبق هذه الحقائق على المعمودية في الروح القدس؟ أو ما الذي يعنيه اختبار السحابة بالنسبة لمؤمني العهد الجديد؟

- ١- المعمودية في الروح القدس هي حضور الله نفسه آتياً من فوق، من السماء، مُظِللاً وغامراً شعبه.
- ٢- المعمودية في الروح القدس تُدرك حسياً لأن تأثيراتها تُرى وتُسمع.
- ٣- الروح القدس الذي يحل في المعمودية، هو المعزي لشعب الله، فهو يوفر الظل في الحر، والنور والدفء في وسط البرد والظلام.
- ٤- يوفر الروح القدس القيادة الإلهية والتوجيه لشعب الله في رحلتهم عبر الحياة.

٥- في هذا الاختبار (المعمودية في الروح القدس) هناك حضورٌ حقيقي للرب نفسه، لأنَّ يسوع يقول:

لا اترككم يتامى، إني (أنا بنفسي) آتي إليكم
(يوحنا ١٤: ١٨).

٦- توفر المعمودية في الروح القدس استنارةً روحيةً لشعب الله، أمّا بالنسبة إلى العالم فإنَّ هذا الاختبار فوق الطبيعي يبقى مظلماً وغير مفهوم، بل ومخيفاً أيضاً. وكما يقول بولس:

الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة،
ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً
(١ كورنثوس ٢: ١٤).

٧- تعتبر المعمودية في الروح القدس علامةً قاطعةً تميّز بين المؤمنين وأهل العالم الحاضر. إنها (المعمودية في الروح القدس) تفصل شعب الله عن هذا العالم الفاسد وتحميه من تأثيراته.

المعمودية في البحر

ومدَّ موسى يده على البحر، فأجرى الرب البحر بريحٍ شرقيةٍ شديدةٍ كل الليل وجعل البحر يابسةً وانشقَّ الماء. فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يسارهم
(خروج ١٤: ٢١-٢٢).

بعد هذا نقرأ كيف حاول المصريون أن يدخلوا وراء الشعب عبر البحر الأحمر،

فمدَّ موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة والمصريون هاربون إلى لقائه. فدفع الرب المصريين في وسط البحر
(خروج ١٤: ٢٧).

ولا بدّ من أن نقرأ تعليق العهد الجديد على تلك الحادثة:

بالإيمان اجتازوا (الشعب القديم) في البحر الأحمر كما في اليابسة، الأمر الذي لما شرع فيه المصريون غرقوا (عبرانيين ١١: ٢٩).

على ضوء هذه الفقرات نستطيع أن نُحدد الحقائق الأساسية المعلنة في اجتياز إسرائيل للبحر الأحمر ونرى كيف تنطبق هذه الحقائق تماماً على المعمودية المسيحية في الماء:

- ١- لم يكن اجتياز الشعب في البحر ممكناً لولا تدخل الله المعجزي.
 - ٢- لقد استفاد الشعب من تلك النعمة الالهية بالإيمان، فقد انشقّ البحر ثم أُغلق بناءً على عمل الإيمان الذي قام به موسى، واستطاع الشعب أن يعبر على اليابسة بالإيمان فقط.
 - ٣- عندما حاول المصريون تقليد الشعب غرقوا وماتوا بدلاً من أن يعبروا، ذلك لأنهم تقدّموا من دون إيمان.
 - ٤- دخل شعب الله في المياه واجتاز فيها ثم خرج منها.
 - ٥- انفصل الشعب عن مصر بعد اجتياز البحر، وانتهى ما كان يتهدهم من سيطرة المصريين عليهم.
 - ٦- خرج الشعب من المياه ليتبع قائداً جديداً، ويحيا تحت ظل شرائع جديدة، ويسعى نحو مصيرٍ جديد.
- كيف تنطبق هذه الحقائق على المعمودية المسيحية في الماء؟ أو ما الذي يعنيه اختبار البحر بالنسبة لمؤمني العهد الجديد؟

- ١- المعمودية المسيحية في الماء صارت ممكنة للمؤمن بسبب موت يسوع المسيح وقيامته المعجزية.
- ٢- يكون للمعمودية المسيحية معنى وتأثيراً من خلال الإيمان الشخصي فقط:

من آمن واعتمد خلص (مرقس ١٦: ١٦).

- ٣- أولئك الذين يلتزمون بممارسة المعمودية المسيحية من دون ايمان شخصي، يُشبهون المصريين الذين دخلوا البحر الحمر. فعملهم هذا لا يخلصهم لكنه يدمّرهم.
 - ٤- في كل حالات المعمودية في الماء المذكورة في الكتاب المقدس. ينزل الشخص المعمّد في داخل الماء فيغمره الماء (يُغَطَّس) ثم يخرج ثانيةً.
 - ٥- هدف المعمودية هو فصل المؤمنين عن العالم وعن سيطرة العالم المستمرة عليهم.
 - ٦- يقود الله المؤمن بعد المعمودية في حياةٍ جديدةٍ وراء قائدٍ جديد، وتحت ظلّ شريعةٍ جديدةٍ نحو مصيرٍ جديد:
- دفننا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة (رومية ٤: ٦).

نمط الخلاص في العهد القديم

لقد رأينا كيف اختبر شعب الله بأكمله في العهد القديم اختبارين مميزين في حادثة تحريره من مصر. فجميعهم اجتازوا تحت السحابة وفي البحر وجميعهم اعتمدوا في السحابة وفي البحر. فلنرى موقع هذين الاختبارين في خطة الله الشاملة لخلاص شعبه.

لقد خلّص الله شعبه، فأرسل إليهم المخلّص حيث كانوا، وتمتعوا بالحرية بسبب ايمانهم بدم ذبيحة الفصح. وعندما خلّصهم لم يسمح لهم الله بالبقاء هناك، بل دعاهم في ليلة تحريرهم ذاتها إلى الخروج من مصر بسرعة، فخرجوا بمنطقين أحقاءهم، لا كمجرد شردمةٍ من العبيد فيما بعد، بل كجيشٍ مُجهّزٍ للقتال. وعندما أسرع المصريون خلفهم بنية إرجاعهم إلى العبودية من جديد، أدخلهم الله تحت السحابة

وأجازهم عبر البحر، كمرحلتين تابعتين من مراحل التحرير. وقد حقق الله بهذا هدفين رئيسين:

- ١- كَمَلْ خلاصهم من عبودية مصر.
- ٢- وفَّرْ لهم العطايا الضرورية من أجل الحياة التي كان يقودهم إلى التمتع فيها.

وهذه كلها صوراً لخطة الله في تحرير وتخليص الناس في الحاضر. فانه يدعو الإنسان اليوم إلى الخروج من عالمه القديم بعد أن يختبر المرحلة الاولى من الخلاص مباشرة. إنه يدعو إلى ترك عاداته القديمة وارتباطاته العالمية القديمة. هذه الدعوة واضحة لنا اليوم كما كانت دعوة الله لشعبه للخروج من مصر. ويحثُّ بولس المؤمنين قائلاً:

اخرجوا من وسطهم

واعزلوا يقول الرب

ولا تمسُّوا نَجَساً

فاقبلكم

وأكون لكم أباً

وأنتم تكونون لي بنين وبنات

يقول الرب القادر على كل شيء (٢ كورنثوس ٦: ١٧-١٨).

واليوم ما زال الشيطان (إله هذا العالم) يسعى لملاحقة المؤمنين الذين يخرجون من تحت سيطرته لكي يعيدهم إلى العبودية، تماماً كما فعل فرعون. لذلك وفَّرْ الله لأولاده في هذه الأيام إحساناً مزدوجاً يتطابق مع المعمودية المزدوجة لشعبه القديم. وذلك بأن يعتمدوا في الماء وفي الروح القدس، وبهذه المعمودية المزدوجة يُظهر الله رغبته بتحرير شعبه نهائياً من سيطرة هذا العالم، وبإغلاق الباب الذي يؤدي إلى الحياة القديمة. ويوفر الله في الوقت نفسه كل ما هو لازمٌ للحياة الجديدة التي يريدها لأولاده جميعاً.

طعامٌ وشرابٌ روحيّان

لننظر الآن باختصار في القسم المزدوج الثاني من اختبارات شعب الله في العهد القديم: لقد أكلوا طعاماً روحياً واحداً وشرّبوا شراباً روحياً واحداً. وبعكس المعمودية المزدوجة التي لم تتكرر مطلقاً، فإنّ الطعام والشراب يمثلان عطايا الله المستمرة التي ينبغي أن يشترك فيها المؤمنون دائماً إلى أن تأتي رحلتهم على الأرض إلى نهايتها.

المن

أمّا الطعام الروحي الذي أعدّه الله لشعبه فهو المن الذي كان ينزل إليهم كل صباح. لقد عاش الشعب القديم على طعام غير عادي خلال غربتهم أربعين سنة في البرية. ويصف بولس هذا الطعام في العهد الجديد بكونه طعاماً روحياً. أي أنّ ذلك الطعام لا يُشير إلى الطعام الطبيعي الذي نُغذّي به أجسادنا، بل إلى الطعام الروحي فوق الطبيعي الذي نُغذّي به نفوسنا. فما هو هذا الطعام الروحي فوق الطبيعي بالنسبة للمؤمنين؟ يقول المسيح:

مكتوب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمةٍ تخرج من فم الله (متى ٤: ٤).

إنّ الغذاء الروحي الذي أعدّه الله للمؤمنين في عصرنا هذا هو كلمة الله. وبينما نتغذى بالإيمان على كلمة الله المكتوبة، نقبل في أعماقنا الكلمة الالهية الشخصية الحيّة الذي هو يسوع المسيح. يقول يسوع عن نفسه:

أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء (يوحنا ٦: ٥١).

فمن خلال الكلمة المكتوبة تأتي الكلمة الشخصية التي هي الخبز الحي النازل من السماء لتغذية نفس المؤمن.

إنّ طقوس جمّع المن في خروج ١٦ تتضمن ثلاث نقاطٍ رئيسية:

- ١- كان المَن يُجمع بانتظام.
 - ٢- كان يجمع فردياً (كل شخص يجمع بمفرده ما يحتاج).
 - ٣- كان يجمع باكراً في الصباح.
- وهذه المبادئ الثلاثة تنطبق على المؤمن اليوم، فعلى كل مؤمن أن يتغذى على كلمة الله بانتظام، وبمنفسه شخصياً، وباكراً كل يوم (في أفضل وقت من اليوم).

ماء من الصخرة

وأخيراً الشراب الروحي. فبالنسبة إلى شعب العهد القديم كان هذا الشراب هو الماء المتدفق من صخرة، ويقول بولس لنا بأن:

الصخرة كانت المسيح (١ كورنثوس ١٠: ٤).

أما لمؤمني هذا العهد فإن الشراب الروحي هو الروح القدس الذي يجري من بطونهم. يقول يسوع عن الروح القدس:

إن عطش أحدٌ فليقبل إلي ويشرب، من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي (يوحنا ٣٧: ٧-٣٨).

بالنسبة إلى الشعب القديم كان النهر يتدفق من صخرة ضربها موسى، أما بالنسبة إلى المؤمنين اليوم فإن هذا النهر يتدفق من جنب المخلص المطعون، لأن موته الكفاري على الصليب هو الذي إشتري للمؤمنين إمكانية سكنى الروح القدس فيهم بكل ملئه.

وتحدث المعمودية في الروح القدس مرة واحدة فقط، ولا حاجة لتكرارها، لكن الشرب من نهر الروح القدس الذي يتدفق من الداخل، هو حاجة ضرورية باستمرار لكل مؤمن كما هي حاجة الشعب القديم للشرب المستمر من الصخرة في البرية. وهذا ما جعل بولس يستخدم صيغة الفعل المستمر عندما قال:

امتثلوا (أي باستمرار) بالروح (أفسس ٥: ١٨).

والشرب المستمر من الروح يقود إلى تلك الإظهارات الخارجية التي يصفها بولس بعد ذلك قائلاً:

مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب. شاكرين كل حين على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب (أفسس ٥: ١٩-٢٠).

إنَّ التَغَذِّي المستمر على كلمة الله والشرب من روح الله هما أمران ضروريان للحياة المنتصرة المثمرة. فلولا المَن من السماء والماء من الصخرة كل يوم، لهلك الشعب القديم في البرية. والمؤمن اليوم ليس أقل حاجة من الشعب القديم إلى مَن كلمة الله اليومي وشراب الامتلاء المستمر من روح الله.

لنطبِّق الآن النمط الكامل للخلاص على اختبار مؤمني العهد الجديد: لقد أسس الله لكل مؤمن في هذا العهد خمسة اختبارات يعكس كلُّ منها صورة من اختبار شعب إسرائيل في العهد القديم:

- ١- الخلاص بالإيمان من خلال دم يسوع المسيح
- ٢- المعمودية في الروح القدس
- ٣- المعمودية المسيحية في الماء
- ٤- الغذاء اليومي من كلمة الله
- ٥- الشراب (الامتلاء) اليومي من الروح القدس الساكن فينا

الاختبارات الثلاثة الأولى تحدث مرة واحدة من دون الحاجة إلى تكرارها. أمَّا الغذاء والشراب فينبغي أن يستمر المؤمن بالاعتماد عليهما يومياً وبانتظام ما دام على الأرض.

الجزء الرابع

أهداف يوم الخميس

... لكل واحدٍ يُعطى إظهار الروح للمنفعة.

١ كورنثوس ١٢: ٧

مقدّمة وتحذير

في الفصل السادس والعشرين درسنا الخطوات العملية للإيمان والطاعة والتي تقود إلى قبول المعمودية في الروح القدس، وهذا يقودنا إلى سؤالٍ عمليٍّ آخر: ما هو الهدف من المعمودية في الروح القدس؟ أو ما هي النتائج التي يريد الله أن يراها في حياة المؤمن من خلال المعمودية في الروح القدس؟ وقبل أن نقدّم الإجابة الكتابية عن هذا السؤال، من الضروري أولاً أن نعالج سوء الفهم الشائع الذي كثيراً ما يُربك أولئك الذين قبلوا المعمودية في الروح القدس، ويمنعهم من التمتع بالفوائد والبركات الكاملة التي يقدمها لهم الله من خلال هذا الاختبار.

الروح القدس ليس ديكتاتوراً

النقطة الأولى التي ينبغي تأكيدها هي أنّ الروح القدس لا يقوم بدور المتسلط أو الديكتاتور في حياة المؤمن. فعندما وعد يسوع تلاميذه بعطية الروح القدس، استخدم كلماتٍ مثل "المعزي" و "يرشد" و "يعلم" عن الروح القدس. والروح القدس بدوره يُبقي نفسه ضمن هذا الإطار، فهو لا يغتصب ارادة أو شخصية المؤمن، ولا يجبره أبداً على عمل ما لا يريد أن يعمل. ويُسمّى الروح القدس أيضاً "روح النعمة" (عبرانيين ١٠: ٢٩). فهو منعمٌ إلى الحد الذي لا يفرض به نفسه على المؤمن، أو يقحم نفسه في أي جانبٍ من جوانب شخصية المؤمن، بطريقةٍ تجعل منه (الروح القدس) ضعيفاً غير مرغوبٍ فيه. ويؤكد بولس على الحرية التي تنبثق عن الروح القدس.

وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية

(٢ كورنثوس ٣: ١٧).

ويبين بولس وجه الاختلاف بين حرية المؤمن المعمد في الروح وعبودية إسرائيل تحت ناموس موسى، فيذكر المؤمنين قائلاً:

إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف (رومية ٨: ١٥).

وعليه، فإنّ الحدّ الذي يسيطر فيه الروح القدس على المؤمن يعتمد على الحد الذي يستسلم فيه المؤمن طوعاً للروح القدس، ويقبل قيادته وسيطرته. يقول يوحنا المعمدان:

لأنه ليس بكيلٍ يعطي الله الروح (يوحنا ٣: ٣٤).

فليس هناك كيلٌ أو مقياسٌ في عطاء الله ولكن المقياس هو في قبولنا، فنحن نستطيع أن نقبل مقداراً من سيطرة الروح القدس يناسب مع ارادتنا، ولكي نقبله علينا أن نسلم أنفسنا له طوعاً وأن نقبل قيادته، فهو لن يجبرنا على عمل ما هو منافٍ لارادتنا أبداً.

بعض المؤمنين يقتربون هذا الخطأ في سعيهم وراء المعمودية في الروح القدس فيتخيّلون أنّ الروح سيحركهم بقوةٍ ويجبرهم على التكلّم بالسنة أخرى من دون أن يكون لارادتهم دورٌ في ذلك، إنّ هذا لن يحدث أبداً. ولنلقي نظرةً على اختبار التلاميذ الأوائل يوم الخمسين كما هو في أعمال ٢: ٤.

وامتأل الجميع من الروح القدس، وابتدأوا (هم) يتكلمون بالسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا.

لقد ابتدأ التلاميذ بأنفسهم يتكلمون بالسنة ثم أعطاهم الروح أن يستمروا بالكلام، ولو لم يفعلوا ذلك طوعاً لما أعطاهم الروح أن ينطقوا. إنّ الروح لم يُجبر أحداً منهم على النطق من دون تعاونه الطوعي، فمسألة التكلّم بالسنة تتطلب تعاوناً من جانب المؤمن مع الروح القدس، وقد لخص أحدهم هذه العلاقة التعاونية بين الروح القدس والمؤمن بهذه العبارة: "لا يستطيع المؤمن أن يعمل شيئاً من دون الروح القدس، ولا يعمل الروح القدس في المؤمن رغماً عنه".

هذا التعاون مع الروح القدس يبقى ضرورياً حتى بعد قبول المعمودية في الروح القدس. وهنا يُخطيء بعض المؤمنين أيضاً، إذ يفترضون بأن الروح القدس يسيطر عليهم كلياً وبطريقة تلقائية بعد أن يتعمدوا في الروح القدس. وما أبعد هذا عن الحقيقة فالروح القدس لن يسيطر عليهم من دون تجاوبٍ وتعاونٍ من جانبهم.

لقد سبق لنا واقتبسنا كلمات بولس:

وأما الرب فهو الروح (٢ كورنثوس ٣: ١٧).

فالروح القدس هو الرب فعلاً، تماماً كالآب والابن. وكالآب والابن هو يتوقع أيضاً اعتراف المؤمن بأنه رب. ويكون لربوبية الروح القدس فاعلية حقيقية في حياة المؤمن اليومية، فقط إذا ثابر على تسليم كل نواحي شخصيته وأجزاء حياته للروح. قال أحدهم: "تتطلب المحافظة على الملء بالروح القدس مقداراً من الإيمان والتكريس والصلاة، لا يقل عن مقدار ما يتطلبه اختبار المعمودية في الروح القدس نفسه." فالمعمودية في الروح القدس ليست الهدف النهائي في اختبار المؤمن، إنما هي الباب الذي يقود إلى بُعد آخر من حياة الإيمان. بعد اجتياز هذا الباب، هناك مسؤولية شخصية على كل مؤمن بأن يُثابر بالإيمان التصميم، وأن يكتشف بنفسه كل الامكانيات الرائعة المتوفرة في هذا البعد الجديد الذي دخل إليه.

إنّ المؤمن الذي يفشل في فهم أو في تطبيق هذه الحقيقة، لن يختبر إلا القليل من بركات وفوائد المعمودية في الروح القدس، هذا إذا اختبر منها شيئاً على الإطلاق. وفي كل الاحوال سيتحول مثل هذا المؤمن إلى حجر عثرةٍ ومصدر فشلٍ للآخرين ولنفسه أيضاً.

الانتفاع بكل ما يوفره الله

هذا يقودنا إلى جانب آخر من سوء الفهم الذي ينبغي توضيحه. فالدراسة المتأنية للعهد الجديد توضح أن الله قد وفر ما يكفي من العطاء لسد كل احتياجات المؤمن في كل مجالات وجوده وحياته اليومية. للدلالة على ذلك نستشهد بعددين من

العهد الجديد على قدر كبيرٍ من القوة والحسم:

والله قادرٌ أن يزيدكم كل نعمة، لكي تكونوا ولكم كل اكتفاءٍ كل حينٍ في كل شيء، تزدادون في كل عملٍ صالح (٢ كورنثوس ٨:٩).

وفي ترجمةٍ أخرى:

... حتى يكون لكم اكتفاءٌ كلي في كل شيء وكل حين...
(كتاب الحياة).

أما العدد الآخر فهو:

كما أنَّ قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة (٢ بطرس ١:٣).

هذان العددان يظهران نعمة الله وقوّته معاً وقد وفّرنا سداداً كاملاً لكل احتياجات المؤمن بفضل معرفة المسيح يسوع. فلا احتياج أبداً لا يستطيع الله أن يسدّه في المسيح.

أما مجالات هذا العطاء الإلهي الكامل فهي متعددة وكثيرة، ولا يصلح أحدها لأن يكون بديلاً للآخر. وهنا يقترب الكثيرون من المؤمنين خطأً خطيراً إذ يحاولون أن يستفيدوا من إحدى عطايا الله في أن تكون بديلاً لعطيةٍ أخرى. وهذه الطريقة تفشل بالطبع لأنها ليست طريقة الله. لنأخذ - على سبيل المثال - قائمة الاسلحة الروحية التي يذكرها بولس.

البسوا سلاح الله الكامل (أفسس ١١:٦).

ويقول ثانياً:

من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل (أفسس ١٣:٦).

وفي كلا هذين العددين يؤكد بولس على ضرورة حمل المؤمن للسلاح الكامل من أجل حماية كاملة، وعدم الاكتفاء بحمل أجزاءٍ فقط من السلاح. ويعدد بولس ستة أسلحةٍ في أفسس ٦:١٤-١٧ هي: منطقة الحق ودرع البر وحذاء استعداد الانجيل وترس الإيمان

وخوذة الخلاص وسيف الروح. فالمؤمن الذي يلبسها كلها، يتمتع بالحماية الكاملة من رأسه إلى أخمص قدميه، أما إذا أهمل قطعة واحدة من هذا السلاح فإن حمايته تفقد شموليتها.

فلو لبس أحدهم السلاح وأهمل الخوذة، يصبح احتمال إصابته في رأسه وارداً. وإذا أُصيب في رأسه، تختل قدرته على الاستفادة من باقي الأسلحة. وإذا لبس أحدهم الخوذة وكل القطع الأخرى ولم يلبس الحذاء فإن قدرته على السير في المناطق الوعرة تقل، وتنخفض بالتالي فعاليته العسكرية بشكل عام، وإذا لبس القطع الخمس الدفاعية وأهمل السيف فإنه لن يتمكن من منع تقدم عدوه، ولن يتمكن أيضاً من انجاز هجوم فعالٍ ضده.

نرى من هذا كله أنّ على المؤمن أن يلبس سلاح الله الكامل بقطعه الست لكي يضمن حماية كاملة. فلا يستطيع أن يستغني عن إحدى قطع السلاح متوقعاً أن تصلح قطعة أخرى كبديل عنها. لقد أعدّ الله مجموعة متكاملة من السلاح وهو يتوقع من المؤمن أن يلبس السلاح كاملاً.

ويمكن تطبيق هذا المبدأ على كل العطايا الالهية. لقد صُلّي ابفراس من أجل المؤمنين في كولوسي كي يثبتوا كاملين وممتلئين في كل مشيئة الله (أنظر كولوسي ١٢: ٤). ولكي يثبت المؤمن كاملاً وممتلئاً في كل مشيئة الله، عليه أن يستفيد من كل ما وفّره له الله في المسيح. فلا يستطيع أن يستغني عن أي جزء من عطية الله الشاملة، متوقعاً أن يسدّ هذا النقص بجزء آخر.

غير أن تفكير الكثيرين من المؤمنين ينحرف في هذه الناحية بالذات. فمنهم من يعتقد - بوعي أو من غير وعي - بأنه لا يحتاج لأن يهتم ببعض العطايا الالهية، لأنه يستطيع أن يستفيد من غيرها. فيركّز أحدهم مثلاً على الكرازة العلنية المسموعة، بينما يهمل بعض النواحي العملية في حياة الإيمان اليومية. وعلى العكس من ذلك، هناك من يُدقق في سلوكه، لكنه يُهمل الشهادة العلنية المباشرة للآخرين. وكلا هذين النوعين من المؤمنين ينتقد الآخر أو يستخف به، مع أنّ كليهما على خطأ. فالحياة

المسيحية الصالحة ليست بديلاً عن الشهادة للآخرين، ولا الكرازة بديلاً عن الحياة المدققة، فالله يريد هذه وتلك. أمّا المؤمن الذي يستعني عن أحد هذين الجانبين فلا يمكنه أن يثبت كاملاً وممتلئاً في كل مشيئة الله.

ويمكن اكتشاف الكثير من الحالات المشابهة لذلك. فبعض المؤمنين مثلاً يشددون على مواهب الروح القدس ويهملون ثمر الروح، بينما يشدد غيرهم على الثمر من دون أن يبدي أيّ حماسٍ للسعي للمواهب الروحية. بينما يقول بولس:

اتبعوا المحبة (ثمر الروح) ولكن جدّوا للمواهب الروحية
(١ كورنثوس ١٤: ١).

فالله يطلب المواهب الروحية وثمر الروح معاً. والمواهب ليست بديلاً عن الثمر، ولا الثمر بديلٌ عن المواهب.

مثالٌ آخر عن الكرازة بالإنجيل: هناك من يركّز فقط على حقيقة إرادة الله المحددة مسبقاً ومعرفته المطلقة الأزلية، بينما يركّز آخر على تلك المقاطع الكتابية التي تُعلن حرية الإرادة الإنسانية في التجاوب. وعادةً ما يقود هذا إلى نوع من الخلاف العقائدي، مع أنّ كل اتجاهٍ من هذين الاتجاهين يمكن اعتباره ناقصاً ومضلاً من دون الآخر. ففي خطة الله للخلاص متّسع لعمل الله بحسب قصده واختياره المُسبقين، ولحرية الإنسان في الاختيار في الوقت نفسه، ومن الخطأ أن نؤكد على أحد الجانبين على حساب الآخر.

هذا المبدأ العام ينطبق أيضاً على المعمودية في الروح القدس. وأقول لكل أولئك المؤمنين المخلصين والراغبين بالتمتع بملء حياة الإيمان المنتصرة المثمرة، بأنّ المعمودية في الروح القدس هي أعظم سندٍ أعدّه الله لمثل هذه الحياة. ومع ذلك فهي ليست بديلاً عن أي جزءٍ من الأجزاء الرئيسية في حياة المؤمن أو واجباته. فالمعمودية في الروح القدس ليست بديلاً عن الدراسة الشخصية المنتظمة للكتاب المقدس أو عن حياة التكريس اليومية وإنكار الذات، وهي ليست بديلاً أيضاً عن المشاركة الفعّالة في

الجسد المتمثل بالكنيسة الروحية المحلية. والمؤمن الأمين في هذه الأمور كلّها من دون المعمودية في الروح القدس قد يكون أكثر فاعلية ممن يهمل هذه الأمور وهو معمدٌ في الروح القدس. لكن إذا اختبر ذلك المؤمن الأمين المعمودية في الروح القدس، فإنه يكتشف حالاً أنّ فائدة وفاعلية كل أنشطته الأخرى تنمو وتزدهر بطريقة رائعة بسبب هذا الاختبار الجديد.

سنوضح هذه النقطة باعطاء مثلٍ عن رجلين: السيد (ل) والسيد (م). ويريد كل منهما أن يسقي حديقته. السيد (ل) له امتياز استخدام خرطوم مياهٍ مثبت في حنفية، أما السيد (م) فيستخدم وعاءً يملؤه بالماء من الحنفية ثم يحمله إلى المكان الذي يريد. من الواضح أنّ السيد (ل) بدأ بامتيازٍ كبير حيث أنّ كل ما يفعله هو إمساك طرف الخرطوم بيده وتوجيهه حيث يشاء، بينما يضطر السيد (م) إلى حمل الوعاء ذهاباً وإياباً كل الوقت.

لنفترض الآن أنّ شخصية السيد (م) تتفوق كثيراً على شخصية السيد (ل)، فالسيد (ل) كسولٌ ولا يُعتمد عليه، فهو ينسى أحياناً أن يسقي الحديقة، وأحياناً يسقي بعض الأجزاء ويهمل الأخرى التي تحتاج إلى الماء أكثر من غيرها. وكثيراً ما يهدر الماء بعدم توجيهه الصحيح للخرطوم، فيذهب الماء إلى مواضع لا تحتاج إليها. أما السيد (م) فهو رجلٌ نشيط ودقيقٌ في عمله ويمكن الاعتماد عليه، فهو لا ينسى أن يسقي أبداً، ولا يهمل المناطق الأكثر احتياجاً للماء، ولا يهدر شيئاً بل يضع كل قطرة في مكانها الأنسب.

فما هي نتيجة عمل هذين الرجلين؟ من الواضح أنّ عمل السيد (م) سيؤدي إلى حديقة أكثر ثمرًا وجمالاً من الحديقة الأخرى. لكن هذا لا يعطينا الحق بأن نستنتج أنّ وعاء الماء أكثر فاعليةً من الخرطوم. إنّ التفوق لا يكمن في استخدام الوعاء بل في شخصية السيد (م)، ونستطيع أن نثبت ذلك إذا استخدم السيد (م) خرطوم مياه بدلاً من الوعاء، ثم استمر في عمله بالإخلاص نفسه. ألن يحقق باستخدام الخرطوم أكثر جدّاً مما حققه بالوعاء؟ فضلاً عن أنّه سيوفر الكثير من الجهد والوقت، ليستخدمها في أهداف أخرى.

دعونا نطبّق الآن هذا المثل على المعمودية في الروح القدس. فالسيد (ل) مع خرطوم المياه يمثّل المؤمن الذي اختبر المعمودية في الروح القدس لكنه كسول لا يمكن الاعتماد عليه في كثيرٍ من الواجبات الروحية، والسيد (م) بوعاء المياه الذي يستخدمه يمثّل المؤمن الذي لم يتعمّد بعد في الروح القدس إلّا أنه نشيطٌ ويُعتمد عليه في كثيرٍ من جوانب الحياة الروحية الأخرى. ولا بدّ أنّ السيد (م) سيثبت بلا شك أنه مؤمنٌ أكثر فاعليّة وإثماراً من السيد (ل)، لكن من غير المنطقي أن نستنتج هنا، أنّ هناك خطأ ما في المعمودية في الروح القدس نفسها فالخطأ ليس في الاختبار نفسه، بل في فشل السيد (ل) باستخدام ذلك الاختبار في حياته اليومية.

من ناحيةٍ أخرى فإنّ السيد (م) رغم أنّ أمانته جعلته مؤمناً مؤثراً ومثمراً، إلّا أنّ تلك الأمانة نفسها، إذا امتزجت بالقوّة والغنى اللذان توفرهما المعمودية في الروح القدس، ستمكنه من أن يكون أكثر ثمراً وأشدّ فاعليّة مما كان عليه سابقاً. فبالقدر الذي نُعجب فيه بأمانة السيد (م)، لا نستطيع أن ننكر أنه مُخطيءٌ بعدم سعيه إلى قبول المعمودية في الروح. إنه مُخطيءٌ تماماً بعدم استبدال وعاء السقاية بخرطوم المياه.

إذاً، فالمعمودية في الروح القدس ليست مجرد ظاهرة غريبة ومعزولة يمكن فصلها عن مجمل التجربة الروحية في العهد الجديد. فالمعمودية في الروح القدس لن تؤتي أكلها من الفوائد والبركات الإلهية، إلّا إذا ارتبطت بالخدمة الروحية النشيطة. وب عزلها عن باقي فعاليات الحياة والخدمة المسيحية تفقد المعمودية في الروح القدس أهميتها الحقيقية، وتخرج عن مسار هدفها الحقيقي. بل أنّ السعي وراء المعمودية في الروح القدس من دون الاستعداد لاستخدام القوة في خدمة المسيح، يمكن أن يكون توجهاً مُضراً وخطيراً.

بعدُ آخر للحرب الروحية

إنّ السبب في خطورة المعمودية في الروح القدس عند إهمال استخدام القوة الروحية بشكلٍ فعّال، هو أنّ المعمودية في الروح القدس لا تقود إلى بعدٍ جديد للبركات

الروحية فحسب، لكنها تقود أيضاً إلى بعدٍ جديد للحرب الروحية. فزيادة القوة الممنوحة من الله تؤدي منطقياً إلى زيادة مقاومة الشيطان. فإذا استخدم المؤمن القوة التي قبلها في المعمودية بطريقة كتابية عملية ملموسة، يمكنه أن يواجه مقاومة الشيطان المتزايدة والتغلب عليها، أما إذا قبل المعمودية في الروح القدس وأهمل جوانب أخرى من مهامه الروحية، فإنه يجد نفسه في وضع خطير للغاية. حيث أن الاختبار قد أدخله في نطاق أنماط جديدة تماماً من الهجوم الشيطاني والاضطهاد الروحي، بينما هو يهمل الوسائل التي تمكنه من تمييز طبيعة هذه المحاربات الشيطانية ومواجهتها.

مثل هذا المؤمن، غالباً ما يجد ذهنه عُرضَةً لتقلباتٍ غريبةٍ من الشك والخوف والكآبة، أو يتعرض إلى تجارب أخلاقية أو روحية لم يختبرها قبل المعمودية في الروح القدس. فإن لم يتنبه إلى ذلك مسبقاً ويتسلح لمواجهة هذه المحاربات، فإنه يستسلم بسهولة لهجوم العدو ومكره، ويسقط إلى مستوى روحي أقل مما كان عليه قبل أن يدخل هذا الصراع الجديد.

تقدّم لنا حياة يسوع مثلاً حياً عن هذه الحقيقة. ففي معموديته في ماء الأردن، نزل عليه الروح بهيئة حمامة، ومن هناك قاده الروح حالاً إلى المواجهة الشخصية مع الشيطان:

أما يسوع فرجع من الاردن ممثلاً من الروح القدس، وكان يُقتاد بالروح في البرية أربعين يوماً يُجرب من إبليس (لوقا ٤: ١-٢).

يؤكد لوقا أن سبب دفع المسيح نحو المواجهة والحرب المباشرة مع إبليس في هذه المرحلة من خدمته، هو أنه كان "ممتلئاً من الروح القدس". ويسجل لوقا في الأعداد ٣-١٤ كيف واجه يسوع تجارب إبليس الثلاث وانتصر عليها، ثم يختم قائلاً:

ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل (لوقا ٤: ١٤).

لاحظ العبارة الجديدة التي يستخدمها لوقا: "بقوة الروح"، فعندما ذهب يسوع إلى البرية كان "ممتلئاً من الروح"، لكن عندما خرج من البرية رجع "بقوة الروح". تصور

هذه العبارة مستوى أعلى من الاختبار الروحي، فقد صارت قوة الروح القدس متاحة له الآن في خدمته التي جاء من أجلها. فكيف دخل يسوع إلى هذا المستوى الأعلى من الاختبار؟ طبعاً بمواجهة الشيطان وجهاً لوجه والانتصار عليه.

لقد استخدم يسوع في انتصاره على إبليس سلاحاً واحداً فقط هو. "سيف الروح الذي هو كلمة الله" (أفسس ٦: ١٧). ففي كل مرة جرّبه فيها الشيطان كان يسوع يبدأ أجابته بالكلمة "مكتوب" أي أنّه واجه الشيطان بالافتباس المباشر من الكلمة المكتوبة. إنه السلاح الذي لا يمتلك الشيطان دفاعاً أمامه.

هذا الجانب من اختبار يسوع هو مثال لكل من يتبعه في الحياة الممتلئة من الروح، وفي الخدمة الروحية الفعّالة. إنّ ارتباط ملء الروح القدس بالاستخدام المستمر الفعّال لكلمة الله هو هدف الله الثابت في حياة كل مؤمن، وهو الوسيلة الوحيدة التي يستطيع من يستخدمها أن يتوقّع الانتصار في معركته الروحية الجديدة. تلك المعركة التي سيخوضها حتماً بعد المعمودية في الروح القدس.

وبما أنّ كلمة الله تُسمّى "سيف الروح" فإنّ المؤمن الذي لا يستخدم كلمة الله يجرّد الروح القدس من سلاحه الأساسي الذي يستخدمه في حماية المؤمن، وهكذا تتعرض الحماية الروحية في حياة ذلك المؤمن إلى الخلل. أمّا المؤمن الذي يدرس ويطبّق الكلمة، فسيجد أنّ هذا السلاح يعمل الآن (بعد المعمودية في الروح القدس) بقوة وحكمة أعظم جداً من قوّته الشخصية وحكمته الطبيعية، إنها قوة وحكمة الروح نفسه.

القسم الأول



المؤمن الممتلىء من الروح

القوة والمجد

لقد سبق وعرفنا أن الروح القدس ليس ديكتاتوراً، فهو لن يعمل فينا أو بواسطتنا إلا بقدر ما نعطيه مجالاً لذلك. وهناك ثلاثة مجالات رئيسية يمكن تطبيق هذا المبدأ عليها:

١- حياة المؤمن الشخصية

٢- العبادة والخدمة الجماعية

٣- خدمة الكرازة بالإنجيل

في هذا القسم سندرس أولاً هذه المجالات. فما هي النتائج الأساسية التي يمكن أن تحققها المعمودية في الروح القدس في الحياة الشخصية للمؤمن؟ للإجابة عن هذا السؤال سننظر في ثمانٍ من هذه النتائج المتوقعة.

قوة للشهادة

يشير المسيح إلى أولى هذه النتائج في موقعين من العهد الجديد، حيث يقدم إرشاداته الأخيرة لتلاميذه، قبيل صعوده إلى السماء:

- وها أنا أرسل إليكم موعد أبي، فأقيموا في اورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعلي (لوقا ٢٤: ٤٩).
- لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في اورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض (أعمال ١: ٨).

يضع المسيح هنا الخطوط العريضة لخطته في انتشار الإنجيل، وهي خطة بسيطة للغاية، تتكوّن من ثلاث مراحل متتابعة:

- ١- يُجهّز كل مؤمن شخصياً بقوة الروح القدس.
- ٢- على المؤمن المجهّز بقوة الروح القدس، أن يربح الآخرين عن طريق الشهادة للمسيح.
- ٣- يُجهّز كل مؤمن جديد بقوة الروح القدس لكي يأخذ مكانه في ربح الآخرين للمسيح.

بهذه الطريقة، تنتشر شهادة المسيح ابتداءً من أورشليم، وتنتسح دوائر القوة حتى تصل الشهادة إلى أقصى الأرض، إلى كل الشعوب والأمم.

هذه الخطة عملية وبسيطة في آن واحد، وتنجح دائماً حينما تطبّق. إنها خطة تجعل مهمة تبشير العالم كله ممكنة، إذا بدأت الكنيسة بتنفيذها عملياً. ولا توجد خطة أخرى تستطيع تحقيق النتيجة نفسها.

إنّ مفتاح فهم الأعداد التي قرأناها هو الكلمة "قوة - power" وهي "dunamis" باليونانية. ومنها أخذت الكلمات الانجليزية "dynamo, dynamic, dynamite"، وهي كلمات تُعطي انطباعاً عن تأثيرٍ ذو فاعليةٍ وقوةٍ مفجّرة. ومن هنا يميّز العهد الجديد بين النتيجة الأساسية للولادة الجديدة، والنتيجة الأساسية للمعمودية في الروح القدس. فالمفهوم الأساسي المرتبط بالولادة الجديدة هو السلطان:

وأما كل الذين قبلوه (المسيح) فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله (يوحنا ١: ١٢).

هذه الفقرة تصف الولادة الجديدة، فالعدد ١٣ يبين أنّ أولئك الذين قبلوا المسيح قد "ولدوا من الله". والكلمة اليونانية المترجمة هنا (سلطان) هي "exousia" وهي

^١ تعني هذه الكلمات (من اليسار إلى اليمين): (محرك)، (ديناميكي) أي فعّال أو متحرك، (ديناميت) وهو نوع من المتفجرات.

تشير إلى طبيعة أو كيانٍ منبثقٍ من مصدرٍ خارجي، أي أن الشخص الذي يقبل المسيح مخلصاً يقبل أيضاً - في المسيح - كيان وطبيعة الله نفسه. وقبل هذه الحياة أو الطبيعة الجديدة من الله هو جوهر الولادة الجديدة داخل المؤمن.

تترجم الكلمة اليونانية "exousia" بالكلمة "سلطان" غالباً. والسلطان هو العلامة المميزة للابن المولود من الله. فهو ليس عبداً للشيطان فيما بعد، بل هو ابنُ الله، وهذا يُكسبه سلطاناً جديداً فلا يخضع للتجربة أو يُهزم أمام مقاومة الشيطان، بل يواجهه وينتصر عليه بفضل الحياة الجديدة التي انبثقت في أعماقه. إنه غالبٌ وذو سلطان.

إلا أن السلطان ليس هو نفسه القوة، لقد كان للتلاميذ سلطانٌ أولاد الله منذ القيامة فصاعداً، وكانوا يعيشون بانتصارٍ وتقوى، فلم يكونوا عبيداً للخطية. مع هذا فإن أولئك التلاميذ لم يؤثرُوا كما ينبغي في الأغلبية العظمى من أهل اورشليم قبل يوم الخمسين، ولم تؤثر حقيقة القيامة في الناس هناك خلال تلك الفترة إلا قليلاً. وقد تغير هذا الوضع فجأةً وبطريقة مذهلة بحلول الروح القدس يوم الخمسين، فما أن تعمّد التلاميذ المئة والعشرون في الروح القدس، حتى تأثرت اورشليم كلها بما حدث. وخلال ساعة أو ساعتين احتشد الألوف من الناس، وآمن - قبل نهاية ذلك اليوم - ثلاثة آلاف رجل بطريقةٍ مجيدة، وتعمّدوا بالماء، وانضموا إلى الكنيسة. فما الذي جعل هذا كله يحدث؟ إنها القوة التي أُضيفت إلى السلطان. فقبل يوم الخمسين كان التلاميذ يمتلكون السلطان، أما بعد يوم الخمسين فقد امتلكوا القوة والسلطان معاً. لقد امتلكوا القوة التي تجعل السلطان كامل الفاعلية والتأثير.

وفي الأصحاحات التي تلي ذلك في أعمال الرسل نرى بوضوح الدليل على فاعلية هذه القوة فوق الطبيعية، ونرى كيفية عملها:

- وامتلاً الجميع من الروح القدس، وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة (أعمال ٤: ٣١).
- وبقوةٍ عظيمةٍ كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع (أعمال ٤: ٣٣).

وقد تذرَّ رئيس الكهنة من الرسل قائلاً:

قد ملأتم أورشليم بتعليمكم (أعمال ٥: ٢٨).

واستمر هذا التأثير الذي هزَّ المدينة كلها، ورافق المؤمنين الذين يشهدون بقوة الروح عن قيامة المسيح في كل مكانٍ بعد ذلك. فنقرأ مثلاً ما حدث في السامرة:

فكان فرحٌ عظيمٌ في تلك المدينة (أعمال ٨: ٨).

وعن أنطاكية ببسيدة يقول الكتاب:

وفي السبت التالي اجتمعت كل المدينة تقريباً لتسمع كلمة الله
(أعمال ١٣: ٤٤).

وفي فيلبّي قال مقاوموا الإنجيل متذمرين من بولس وسيلا:

هذان الرجلان يبلبلان مدينتنا (أعمال ١٦: ٢٠).

أمّا في تسالونيكي فقد قال المعارضون عنهما:

هؤلاء الذين فتنوا المسكونة حضروا إلى ههنا أيضاً (أعمال ١٧: ٦).

ونتيجةً لمقاومة كرازة بولس في أفسس،

امتألت المدينة كلها اضطراباً (أعمال ١٩: ٢٩).

فالعلامة المشتركة التي تميز شهادة أولئك المؤمنين في كل مكان، هي التأثير الروحي، الجبّار في كل المجتمع. في بعض الأماكن حدث انتعاشٌ كبير بينما حدث شغبٌ في أماكن أخرى، وغالباً ما كان الانتعاش والشغب يترافقان. أمّا التجاهل واللامبالاة، فلم يكن لهما مجالٌ للظهور أو للوقوف أمام ذلك التأثير.

واليوم نجد أنّ سلوك واختبار المسيحيين مختلفٌ تماماً، بما فيهم بعض الفرق التي يتمتع أصحابها باختبارٍ حقيقي للولادة الجديدة. إنهم يجتمعون دورياً في قاعة الكنيسة للعبادة، ويعيشون حياةً لائقةً وجديرةً بالاحترام، فلا يسبّبون المشاكل لأحدٍ ولا

يُثيرون الشغب ولا يتعرضون لمقاومة أحد، لكنهم - للأسف - لا يُحدثون أي تأثير! ويستمر تجاهل المجتمع من حولهم للأمور الروحية، وتنتشر اللامبالاة من دون أن تجد ما يغيّرُها أو يتحداها. فغالبية الناس لا يعيرون اهتماماً لما يؤمن به هؤلاء المسيحيون، ولا تُلفت الكنيسة نظرهم.

ما هي الحلقة المفقودة والتي تسببت بانفصال الكنيسة عن المجتمع؟ إنَّ الإجابة تكمن في كلمةٍ واحدةٍ هي "القوة". لقد فقد المؤمنون قوة الروح القدس الديناميكية المفجّرة، ولا شيء يستطيع أن يحلّ محلّها. وعلى الكنيسة ككلّ أن ترتقي إلى مستوى المواجهة والتحدّي الذي نجده في كلمات بولس في ١ كورنثوس ٤: ٢٠: "لأنّ ملكوت الله ليس بكلامٍ بل بقوة".

وهنا يستخدم بولس الكلمة اليونانية "dunamis" أي (القوة المفجّرة). فالموضوع ليس موضوع الكلمات التي نقولها، بل القوة التي تجعل كلماتنا ذات فاعلية. ومفتاح هذه القوة هو المعمودية في الروح القدس ولا بديل عنها.

رأينا إذاً أنّ النتيجة الأساسية للمعمودية في الروح القدس بحسب العهد الجديد، هي أن نلبس قوةً من الأعالي، من أجل الشهادة الفعّالة للمسيح.

تمجيد المسيح

النتيجة الثانية للمعمودية في الروح القدس، يُشير إليها بطرس في خطابه يوم الخمسين:

وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذي أنتم تبصرونه وتسمعون (أعمال ٢: ٣٣).

إنَّ المعمودية في الروح القدس، التي كان بطرس وباقي التلاميذ قد قبلوها للتو، تُعتبر دليلاً مباشراً بالنسبة إلى كل واحدٍ منهم، على أنّ الربّ المُقام من الأموات قد ارتفع وتمجد عن يمين الآب. فقبل ذلك بعشرة أيام كان بعضهم يقف على جبل

الزيتون وهم يراقبون يسوع يغيب عن أنظارهم صاعداً إلى السماء، وأخذته سحابة عن أعينهم (أعمال ١: ٩).

لقد كان هذا هو الاتصال الحسي الأخير بين يسوع والتلاميذ. وبعد مرور الأيام العشرة، قدّم الروح القدس بمجيئه نوعاً جديداً من الاتصال الشخصي المباشر مع المسيح، وعرف كل منهم - بتأكيد جديد - بأن المخلص الذي ازدري به العالم ورفضه وصلبه، قد ارتفع وتمجد إلى الأبد عن يمين الله الآب. فعطية رائعة كعطية الروح القدس، لا يمكن أن يكون يسوع قد أخذها إلا من محضر الآب نفسه، ثم قدّمها بدوره إلى تلاميذه المنتظرين الذين تيقنوا تماماً بأن يسوع كان بالفعل في مجد حضرة الآب، وقد أعطاه الآب سلطاناً وقوة على الكون بأسره،

- ... إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده، ملء الذي يملأ الكل في الكل (أفسس ١: ٢٠-٢٣).

- لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم (فيلبي ٢: ٩).

- بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم (عبرانيين ١: ٣-٤).

ويقول بطرس عن المسيح بعد قيامته:

الذي هو في يمين الله، إذ قد مضى إلى السماء، وملائكة وسلاطين وقوات مُخضعة له (١ بطرس ٣: ٢٢).

من هذه الأعداد الكتابية وغيرها، يفهم كل مؤمن بأن يسوع المسيح لم يقم من الموت

فحسب لكنه رُفِع وتمجّد عن يمين الآب. فالمؤمن الذي يقبل المعمودية في الروح القدس يقبل معها نوعاً جديداً من التأكيد الشخصي المباشر على أن يسوع رُفِع إلى عرش الآب بالمجد والقوة.

وكما يحدث عندما يفارقنا شخصٌ نحبه إلى مكانٍ بعيد، فنؤكد عليه أن يرسل خبراً من هناك، لنعرف بأنه وصل سالمًا. وعندما يصل الخبر في رسالة كتبها ذلك الشخص بخط يده وعليها ختم المدينة التي ذهب إليها، نعرف بكل تأكيد أنه موجود في ذلك المكان الذي قال بأنه ذاهبٌ إليه. هكذا أيضاً تكون المعمودية في الروح القدس بمثابة رسالة شخصية من المسيح للتلاميذ يوم الخمسين ولكل مؤمنٍ يقبل الاختبار نفسه. إنها رسالة مختومة بخاتم (المجد) يقول فيها المسيح: "أنا وصلت إلى المكان الذي سبق واخبرتكم عنه، إلى عرش السلطان والقوة."

أذكر حديثاً دار بيني وبين خادمٍ من إحدى الكنائس عندما كنت رئيساً لكلية لاهوتٍ في شرق أفريقيا. كان هذا الخادم يسألني عن اختباري الشخصي بقبول الروح القدس، وكان يُشير إلى الاختبار باسم "الخمسينية - Pentacostalism". كان من الواضح أنه ينظر إلى الموضوع كلّ شيءٍ من الشك، على اعتبار أن هذا الاختبار هو من ابتداع طائفةٍ دينيةٍ منحرفة، فقال لي: "لقد بدأ هذا كلّهُ في أمريكا أولاً، أليس كذلك؟ ألم يأتِ هذا التعليم من الولايات المتحدة؟" فأجبته: "لا، لا! أنت مخطيء تماماً! فقد بدأ هذا في فلسطين، وقد أتى من السماء!"

يُمثّل هذا الاختبار لكل المؤمنين الذين قبلوه، كما مثّل للتلاميذ يوم الخمسين، نوعاً جديداً من الاتصال يظهر في جانبين: الأول اتصالٌ مع المسيح الممجّد عن يمين الآب في السماء، والثاني اتصالٌ مع كنيسة العهد الجديد التي نشأت في أورشليم أولاً والتي صوّرها سفر أعمال الرسل فيما بعد. فالمعمودية في الروح القدس تقدّم معنىً جديداً وتأكيداً جديداً على تمجيد المسيح وعلى حياة وفاعلية كنيسة العهد الجديد، الأمور التي كانت مجرد حقائق تاريخية وعقائدية فاصبحت بالإيمان حقائق اختبارية مؤثرة في حياة كلّ مؤمنٍ ممتليء من الروح. وهذا يتناغم مع تلك العبارة التي قالها يوحنا عن

أيام خدمة المسيح على الأرض:

لأنَّ الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد. لأنَّ يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد (يوحنا ٧: ٣٩).

فالروح القدس لم يكن يُعطى للكنيسة قبل أن يتمجد المسيح، والمسيح الممجّد وحده له الحق بممارسة امتيازاته الممنوح من الآب باعطاء هذه العطية الرائعة. لهذا فإن تقديم هذه العطية للتلاميذ يوم الخمسين كان بحد ذاته دليلاً على تمجيد المسيح.

إنَّ الانسجام والتعاون الكامل بين أقانيم اللاهوت الثلاثة هو حقيقة ثابتة في كل العهد الجديد. فيسوع المسيح (الاقنوم الثاني) جاء إلى الأرض وله السلطان بأن يمثّل الله الآب شخصياً، فلم يطلب مجد نفسه، بل كان ينسب كلماته وأعماله وحكمته ومعجزاته إلى الآب الساكن والعامل فيه وليس إلى نفسه على الإطلاق. وعندما أكمل يسوع مهمته على الأرض وعاد إلى الآب، أرسل الروح القدس (الاقنوم الثالث) كعطية شخصية وكممثّل له أمام الكنيسة. لقد جاء الروح القدس ممثلاً للاقنوم الثاني فلم يطلب مجد نفسه أبداً بل إنَّ خدمته كلها على الأرض وفي الكنيسة تهدف إلى رفع وتمجيد شخص الرب يسوع المسيح الذي يمثله. وقد قال يسوع نفسه بخصوص خدمة الروح القدس:

ذاك (الروح القدس) يمجّدي لأنه يأخذ ممّا لي ويخبركم، كلّ ما للآب هو لي. لهذا قلت إنه يأخذ ممّا لي ويخبركم (يوحنا ١٦: ١٤-١٥).

نرى هنا العلاقة بين أقانيم الثالوث واضحة. الآب يعطي سلطانه وقوّته ومجده للابن، والابن بدوره يعيّن الروح القدس ممثلاً عنه ليعلن للكنيسة ويفسّر لها كل ما اخذه الابن من الآب. والروح القدس هو اقنوم الهي لا يقل عن الآب أو الابن، إذًا فالمسيح له ممثّل شخصي واحد فقط في هذا العصر يمثّله بسلطانٍ أمام الكنيسة وعلى الأرض، ألا وهو الروح القدس ولا أحد سواه.

يوفر لنا هذا الإعلان بخصوص خدمة الروح القدس طريقة بسيطة لامتحان أي شيء يُنسب إلى إلهام الروح القدس. تتلخص هذه الطريقة بالسؤال التالي: هل هذا يمجّد المسيح؟ فإذا لم تكن الاجابة بكلّ وضوح هي "نعم"، لنا الحق أن نضع علامات استفهام حول حقيقة انتساب ذلك الأمر إلى عمل وإظهار الروح القدس.

ونستطيع أن نرى بوضوح نوعاً من الغيرة الالهية المتبادلة بين الروح القدس والمسيح. فمن جهةٍ، يغار الروح القدس على المسيح من أيّ تعليمٍ أو اتجاهٍ ينتقص من مجد المسيح كرأسٍ للكنيسة، بينما يرفض المسيح - من جهةٍ أخرى - أن يطلق سلطانه ليعمل في أيّة خدمةٍ أو حركةٍ لا تعترف بتفرّد الروح القدس كممثلٍ للمسيح في الكنيسة. إنّ مجد المسيح وخدمة الروح القدس هما أمران لا يمكن الفصل بينهما.

البعد فوق الطبيعي في خطة الله

نتابع في هذا الفصل دراسة نتائج المعمودية في الروح القدس التي يريد الله أن يحققها في حياة كل مؤمن.

بداية البعد فوق الطبيعي

دعونا نلقي نظرة على عبرانيين ٦: ٤-٥ في بداية حديثنا عن النتيجة الثالثة لاختبار قبول الروح القدس. حيث يتحدث الكاتب عن المؤمنين الذين: ... صاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي.

هذا يشير إلى أن الذين صاروا شركاء الروح القدس قد ذاقوا أيضاً قوات الدهر الآتي. فالمعمودية في الروح القدس تعطي المؤمن أن يتذوق نوعاً مختلفاً من القوة فوق الطبيعية التي تنتمي بشكلها الكامل إلى الدهر الآتي. لذلك يصف بولس ختم الروح القدس على أنه "عربون" ميراثنا عندما يقول:

الذي فيه أيضاً أنتم، إذ سمعتم كلمة الحق، إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس، الذي هو عربون ميراثنا، لفداء المقتنى، لمدح مجده (أفسس ١: ١٣-١٤).

إن الكلمة اليونانية "arrabon" والتي تعني (عربون) مأخوذة من أصلٍ عبري. وهي

من الكلمات المثيرة التي عرفتھا، فهي ترد - مع اختلافٍ طفيف - في اللغات العبرية واليونانية والعربية والسواحيلية. لقد أدركت معنى هذه الكلمة بطريقة جميلة قبل سنواتٍ كثيرة في القدس. كنت وزوجتي نريد شراء حوالي ١٨ متراً من قماش الستائر، لأننا انتقلنا مع الأطفال إلى بيتٍ جديد، فذهبنا إلى القدس القديمة حيث وجدنا ما نريد، واتفقنا مع البائع على أن ندفع أربعة دولارات ونصف للمتر الواحد، فكان المجموع واحداً وثمانين دولاراً. فأعطيت التاجر عشرين منها كدفعةٍ أولى وعرفت أن ذلك يدعى بالعربية "عربون". ثم وعدت التاجر بأن أعود بباقي المبلغ خلال اسبوع. لكنني ذكرته بأنني اعتبر القماش ملكي الآن، فعليه أن يفرزه جانباً حتى أعود وليس له الحق بأن يعرضه للشراء على شخصٍ آخر.

هكذا أيضاً يقدّم لنا الرب بالروح القدس عربوناً، نتدوَّق من خلاله قوة الدهر الآتي ومجده. وهذا يفرزنا ملكاً خاصاً لمن اشترانا، ولن يستطيع غيره أن يشترينا. لقد وعد الرب بأنه سيأتي في الوقت المعين ليكمّل العربون، ويأخذنا إلى بيته لنكون معه إلى الأبد. لذلك يسمي بولس عطية الروح القدس "عربون ميراثنا (ضمان ميراثنا) لفداء المقتنى" أو "...إلى أن يتم فداء (شراء) ما قد اقتني" (كتاب الحياة).

يوجد توضيح جميل لما قبلناه في المعمودية في الروح القدس في قصة شفاء برص نعمان السرياني (ملوك الثاني ٥). فبعد شفائه عرف نعمان أن الرب (يهوه) إله اسرائيل هو الاله الحقيقي وحده، وكان يدرك بأنه سيعود عما قريب إلى أرضه الوثنية النجسة وإلى العبادات الصنمية في المعبد الوثني، لذلك كان لنعمان طلبٌ واحدٌ قبل أن يغادر:

فقال نعمان: أما يُعطى لعبدك حمل بغلين من التراب لأنه لا يقربُ بعد عبدك محرقةً ولا ذبيحةً لآلهةٍ أخرى، بل للرب؟
(ملوك الثاني ٥: ١٧).

فلماذا اراد نعمان أن يحمل إلى وطنه تراباً من تلك الارض؟ لقد أدرك قداسة الرب بالمقارنة مع نجاسة أرضه وشعبه، فصمّم أن لا يقدم العبادة فيما بعد على أرضٍ

نجسة. لقد كانت قداسة الله، بالنسبة إلى نعمان، تقتضي أن يقف ويعبده على تراب من أرض الله، وبما أن بقاءه في تلك الأرض كان مؤقتاً، فقد قرّر أن يحمل من تراب أرض الإله الحقيقي معه لكي يصنع مكانه الخاص للعبادة. هكذا أيضاً بالنسبة إلى المؤمن المعمّد في الروح القدس، فهو يصل إلى فهم جديد لمعنى كلمات يسوع:

الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا
(يوحنا ٤: ٢٤).

هذا المؤمن لا يكتفي بأنماط العبادة التي اعتاد عليها البشر، إذ أنه وقف على أرض سماوية، وحصل على ومضات من مجد السماء وقداسة الله، وعاد ببعض التراب المقدس. فمهما كانت الظروف، هو يعبد الله الآن لا على أرض نجسة فيما بعد بل على أرض مقدسة. إنه يسجد بالروح القدس والحق. وما هو صحيح بالنسبة لعبادة المؤمن الممتلئ بالروح، صحيح بالنسبة لكل نواحي حياته حيث أنه دخل بواسطة المعمودية في الروح القدس إلى حياة فوق طبيعية جديدة. لقد صار ما هو فوق طبيعي طبيعياً بالنسبة له.

إذا درسنا العهد الجديد بذهن مفتوح لا نستطيع إلا أن نعترف بأن الصبغة فوق الطبيعية كانت تتخلل مجمل حياة وتجربة المؤمنين الأوائل، ولم يكن ذلك مجرد إضافة، بل جزءاً جوهرياً يكمل حياتهم كمؤمنين. لقد كانوا ينفادون بطريقة فوق طبيعية ويمتلئون بالقوة بطريقة فوق طبيعية ويتمتعون بالحماية بطريقة فوق طبيعية. فقط انزع الصبغة فوق الطبيعية من سفر أعمال الرسل لتحصل على شيء لا معنى له ولا ترابط فيه، فمنذ حلول الروح القدس في أعمال ٢ يستحيل أن تجد أصحاباً واحداً لا تلعب الصبغة فوق الطبيعية دوراً مهماً فيه.

ونقرأ في معرض الحديث عن خدمة بولس في أفسس تعبيراً ملفتاً للنظر ومثيراً للتفكير:

وكان الله يصنع على يدي بولس قوَّاتٍ غير المعتادة (أعمال ١٩: ١١).

ويمكن ترجمة الأصل اليوناني للعبارة "غير المعتادة" بحريّة أكثر لتعني "قواتٍ ليست من النوع المعتاد الذي يحدث كل يوم"، فالمعجزات كانت أمراً معتاداً ويوماً في الكنيسة الأولى حتى أنه لم يعد وجودها يثير الاستغراب. أمّا المعجزات التي حدثت بسبب خدمة بولس في أفسس فقد كانت مختلفة، حتى أنّ الكنيسة الأولى وجدها مستحقة لتوثيق خاص. فهل نجد في كنائس اليوم مناسبة لاستخدام العبارة "قواتٍ ليست من النوع المعتاد الذي يحدث كل يوم؟" بل كم عدد الكنائس التي فيها قوَّاتٍ أصلاً - بغض النظر عن (كل يوم)؟

والحقيقة أننا لا نرى أو نختبر الحياة فوق الطبيعية، وليس لنا الحق أن نتكلم عن مسيحية العهد الجديد لأن مسيحية العهد الجديد والقوة فوق الطبيعية منسوجتان معاً، ومن دون هذه القوة، قد نحصل على تعليم العهد الجديد إلا أنه يكون مجرد تعليم عقيم من دون اختبار، ومثل هذا التعليم المنفصل عن العمل فوق الطبيعي للروح القدس هو ما يصفه بولس بقوله:

الحرف يقتل ولكن الروح يُحيي (٢ كورنثوس ٦: ٣).

فالروح القدس وحده يستطيع أن يعطي حياةً لحرف العهد الجديد وتعليمه، وأن يجسّد هذا التعليم في حياةٍ فائقةٍ للطبيعة يتمتع بها كل مؤمن. إنّ هذا أحد أهم أهداف المعمودية في الروح القدس.

الصلاة المتقدمة بالروح

الهدف الرابع للمعمودية في الروح القدس هو حياة الصلاة:

وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفائنا، لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأناتٍ لا يُنطق بها. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين (رومية ٨: ٢٦-٢٧).

ويذكر بولس هنا نوعاً من الضعف المألوف عند كل المؤمنين في حالتهم الطبيعية وبعيداً عن الروح القدس، ويصفه بولس بهذه الكلمات: "لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي." إنه ضعفٌ في الصلاة بحسب مشيئة الله. والوحيد الذي نستطيع أن نلجأ إليه في حل هذه المشكلة هو الروح القدس. يقول بولس:

الروح أيضاً يعين ضعفاتنا... الروح نفسه يشفع فينا... لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين (رومية ٨: ٢٦-٢٧).

يتحدث بولس هنا عن الروح القدس باعتباره شخص الله نفسه الذي يسكن في المؤمن جاعلاً منه قناةً يفيض من خلالها بالصلاة والتشفع. إنها صلاةٌ غير عادية، ترتفع فوق كل مستويات الفهم البشري والقدرة الإنسانية. وفي مثل هذا النوع من الصلاة لا يعتمد المؤمن على فهمه أو على مشاعره، بل يسلم جسده ليكون هيكلًا للروح القدس، فيبعث الروح فيه قوة الصلاة، ويسلم المؤمن أعضائه كأدواتٍ يسيطر عليها الروح من أجل صلاة التشفع فوق الطبيعية. فالعهد الجديد يضع مقياساً للصلاة لا يستطيع مؤمنٌ أن يحققه بقدرته الشخصية. وقد قصد الله أن يضع المؤمن في الزاوية، فإما أن ينحدر مستواه تحت المقياس الإلهي، أو أن يعتمد على المساعدة فوق الطبيعية للروح القدس. يقول بولس:

... مصلين بكل صلاةٍ وطلبٍ كل وقت في الروح (أفسس ٦: ١٨).

ويقول أيضاً:

صلُّوا بلا انقطاع... لا تطفئوا الروح (١ تسالونيكي ٥: ١٧، ١٩).

ولا يستطيع أحد، باستخدام قوَّته الذاتية فقط أو فهمه المستقل، أن يحقق هذه الوصايا. لا يستطيع أحدٌ أن يصلي كل وقت وبلا انقطاع. وهذا المستحيل بالطبيعة يصبح ممكناً بالامتلاء فوق الطبيعي بالروح القدس، لذلك حرص بولس على تأكيد اعتماد المؤمن على الروح القدس فقال: "مصلين... كل وقت في الروح" و "صلُّوا بلا انقطاع... لا تطفئوا الروح."

في العهد القديم، هناك صورة مطابقة لصورة سكنى الروح القدس في المؤمن، وهي صورة النار التي تتقد بطريقة فوق طبيعية على مذبح خيمة الاجتماع. يقول الله بخصوص تلك النار:

والنار على المذبح تتقد عليه، لا تطفأ (لاويين ٦: ١٣).

ويقابل ذلك في العهد الجديد قول بولس "صلوا بلا انقطاع... لا تطفئوا الروح". فعندما يسلم المؤمن المعمد في الروح القدس للسيطرة الكاملة للروح الذي فيه، من دون أن يطفئ الروح بأعمال الجسد أو اللامبالاة، تتقد نار الصلاة والعبادة فوق الطبيعية التي لا تطفأ في جسد ذلك المؤمن الذي هو هيكل الروح. فالقليلون فقط يدركون الامكانيات غير المحدودة للصلاة في الروح القدس، والتي تظهر عندما يسلم المؤمن جسده للروح الذي يسكن فيه.

قبل عدة سنوات أقيمت اجتماعات دورية في الهواء الطلق في لندن وقد آمنت فتاة إيرلندية من خلفية كاثوليكية وتعمدت في الروح القدس. كانت هذه الفتاة تعمل نادلة في إحدى فنادق لندن وكان لها زميلة من عمرها وخلفتها تشاركها غرفتها. ويوماً جاءت إليها زميلتها قائلة: "أخبريني ما هي هذه اللغات الغريبة التي تتكلمين بها كل ليلة؟" فأجابت الفتاة: "لا اعرف حتى أنني اتكلم بأية لغات!" لقد دهشت عندما علمت أنها كانت تتكلم بالأسنة أخرى كما يعطيها الروح أن تنطق، وأن ذلك يحدث كل ليلة بعد أن تذهب إلى النوم ومن دون وعي منها.

هذا ما نعنيه بأن نمثليء أو نسلم للروح القدس، وهو أن نصل إلى نهاية قوتنا وفهمنا الطبيعيين. عندها يستطيع الروح القدس أن يسيطر على أعضائنا وأن يبت عبادته وصلاته فينا ومن خلالنا. إنها الصورة نفسها التي نراها في عروس المسيح في سفر نشيد الأنشاد وهي تقول:

أنا نائمة وقلبي مستيقظ (٢: ٥).

فيمكن أن تنام العروس ويمكن أن تكون مرهقة جسدياً وذهنياً، لكن في أعماقها يسكن

ذاك الذي لا ينعس ولا ينام. إنه الروح القدس نفسه الذي يشعل النار على مذبح قلبها حتى في ساعات الظلمة، فتوقد نار السجود والصلاة التي لا تنطفئ، إذ أنها نار حياة الروح القدس في داخلها.

هذا هو نمط الكتاب المقدس المطلوب لحياة الصلاة في كل مؤمن، وهذه الحياة ممكنة من خلال حضور الروح القدس فوق الطبيعي الذي يسكن فينا.

إعلان وتفسير الكتاب المقدس

هدفٌ عظيمٌ آخر للمعمودية في الروح القدس، هو أن الروح يصبح قائداً لنا ومعلماً بما يختص بالكتاب المقدس. لقد وعد يسوع تلاميذه بهذا مرتين في إنجيل يوحنا.

وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيءٍ ويذكركم بكل ما قلته لكم (يوحنا: ١٤: ٢٦).

كان يسوع قد علم تلاميذه الكثير أثناء خدمته بينهم على الأرض، خاصةً حول موته وقيامته، الأمور التي لم يكونوا قادرين على فهمها ولا على تذكرها. إلا أن يسوع أكد لهم بأن الروح القدس عندما يأتي ليسكن فيهم، سيمكّنهم من فهم كل ما قاله لهم يسوع فهماً صحيحاً. ولن يحصر الروح القدس نفسه بتفسير ما علمه يسوع على الأرض فقط لكنه سيقود التلاميذ إلى فهمٍ أعمق لاعلان الله الشامل للإنسان.

وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمرٍ آتية (يوحنا ١٦: ١٣).

والعبارة "جميع الحق" هنا يمكن تفسيرها بالرجوع إلى كلمات يسوع في صلاته للآب: كلامك هو حق (يوحنا ١٧: ١٧).

لقد وعد يسوع تلاميذه بأن الروح القدس سيقودهم إلى فهمٍ صحيحٍ لمجمل الإعلان

الإلهي للإنسان من خلال الكلمة. وهذا يتضمن كتب العهد القديم، وتعاليم يسوع أثناء خدمته على الأرض، بالإضافة للإعلان المُعطى للكنيسة بعد يوم الخمسين من خلال بولس و باقي الرسل. لقد منح الروح القدس الكنيسة أن تكون المُعلن والمفسّر والمعلّم لكل دائرة الإعلان الإلهي في الكتب المقدسة.

وتحقيق وعد المسيح بأنّ الروح القدس سيفسّر الكلمة للتلاميذ، يتوضّح بصورة رائعة في أحداث يوم الخمسين، فما أن انسكب الروح القدس وبدأ التلاميذ يتكلمون بالسنة، حتى بدأ هذا السؤال يراود الجميع: ما الذي يحدث هنا؟ وأجاب بطرس:

هذا ما قيل بيوئيل النبي:

يقول الله: ويكون في الأيام الأخيرة

أني أسكب من روحي على كل بشر (أعمال ٢: ١٦-١٧).

فقد اقتبس بطرس هذه النبوة عن الأيام الأخيرة من يونيل ٢ وفسّرها بلا تردد. وفي عظته التي تلي ذلك، نجد أنّ نصف كلام بطرس تقريباً هو اقتباسات مباشرة من كتب العهد القديم. لقد كانت هذه الاقتباسات متوافقة بطريقة واضحة وقوية مع أحداث موت المسيح وقيامته وانسكاب الروح القدس.

ومن أعجب ما تكشفه هذه الحادثة، تلك المفارقة التي جسّدها بطرس. فهو يفسّر الآن ويشرح مقاطع من العهد القديم بطريقة رائعة، بينما لم يكن قادراً على استيعاب مثل هذه النبؤات اثناء حياة المسيح على الأرض. من الواضح أنّ هذا التغيير الكبير في فهم الكلمة المكتوبة لم يكن تدريجياً، بل جاء لحظياً بمجيء الروح القدس، فما أن حلّ الروح القدس على التلاميذ حتى حصلوا على استنارة فوق طبيعية بخصوص كلمة الله، وتبدّلت شكوكهم وحيرتهم بفهم واضح للكلمة وبتطبيق قوي لها. وقد استمر هذا التغيير المذهل كعلامة تميز كل مؤمنٍ ممتلئٍ من الروح منذ يوم الخمسين وحتى يومنا هذا.

مثال آخر على ذلك في حياة شاول الطرسوسي الذي تربّى على معرفة كتب العهد القديم، على يد أشهر المعلمين في أيامه (غمالائيل). إلا أنّ شاول كان يفتقر

رغم ذلك إلى الاستنارة والفهم بخصوص تطبيق هذه الكتب. وبعد أن وضع حنانيا يديه على شاول في دمشق وصلّى من أجله لكي يمتلئ من الروح القدس، صار بولس قادراً على فهم وتطبيق الكلمة،

وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أنّ هذا هو ابن الله
(أعمال ٩: ٢٠).

لاحظ الكلمة "الوقت"، فلم تكن هناك عملية كفاح تدريجي للحصول على الفهم، بل استنارة لحظية بحلول روح الله. لقد ألقى الروح القدس ضوءاً جديداً على الكتب التي عرّفها شاول لعدة سنوات، فاكتشف أنه لم يكن يعرفها حقاً.

وما عمله الروح القدس في بطرس وشاول (بولس الرسول فيما بعد) ومؤمني العهد الجديد جميعاً، يقدر ويريد أن يعمل اليوم في حياة كل مؤمن يقبله في المعمودية في الروح القدس، فيكون له قائداً عظيماً ومعلماً أميناً ومفسراً رائعاً.

قيادة متواصلة وحياة فيّاضة

سندرس الآن تأثيرين آخرين لعمل الروح القدس في حياة المؤمن وهما: القيادة اليومية في طريق إرادة الله والحياة الصحيحة التي يبعثها الروح في جسد المؤمن.

القيادة اليومية

أول هذين التأثيرين هو ما يصفه بولس بقوله:

لأنّ كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله (رومية ٨: ١٤).

من المهم أن نلاحظ أنّ بولس هنا يستخدم فعلاً مضارعاً مستمراً: "لأنّ كل الذين ينقادون (باستمرار) بروح الله." إنه لا يتحدث عن بعض الاختبارات هنا وهناك، بل عن أسلوب حياة متواصل.

كثيرون من المؤمنين لا يولون هذه الحقيقة اهتماماً كافياً، بل يركّزون على اختبارٍ محدّدٍ غير متكرر كالميلاد الثاني أو المعمودية في الروح القدس، ويعتمدون على هذه الاختبارات في فهمهم لحياة الإيمان. ومع أنّ التأكيد على مثل هذه الاختبارات ليس خطأ في حد ذاته، لكن ليس لدرجة إهمال ضرورة الاتكال اليومي على نعمة الله. فلكي يصبح الإنسان مؤمناً حقيقياً ينبغي أن يولد ثانيةً من روح الله، ولكي يكون شاهداً فعّالاً للمسيح ينبغي أن يتعمّد في روح الله. لكن عمل الروح القدس لا ينتهي عند هذا الحد، فلكي يعيش المؤمن حياة الإيمان اليومية ينبغي أن ينقاد بروح الله. إنّ الولادة الجديدة تحوّل الخطاة إلى أولاد الله، لكن قيادة الروح القدس اليومية هي التي تصنع منهم رجالاً ناضجين.

في رومية ٨: ١٤ يسلّم بولس ضمناً بوجود الاختبارين الأساسيين: الولادة الجديدة والمعمودية في الروح القدس. إلا أنه يشير إلى أنّ الطريقة الوحيدة لتحقيق النضوج الروحي والنجاح في حياة الإيمان اليومية، هي الاعتماد على قيادة الروح القدس لحظة بلحظة وفي كل نواحي الحياة. ويستطيع الروح القدس - بهذه الطريقة فقط - أن يحقق كل الأهداف التي جاء ليسكن في المؤمن من أجلها، وهذا ينسجم مع قول بولس:

لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها (أفسس ٢: ١٠).

يعلّم بولس بأننا قد خُلِقنا ثانياً من خلال إيماننا في المسيح، وذلك لنسلك في حياة الإيمان. ولسنا نحن الذين نخطط لأعمالنا الصالحة، لكن الله نفسه، الذي عرفنا أولاً ثم خلقنا من جديد في المسيح، قد أعدّ من البدء الأعمال الصالحة التي يريد منا أن نسلك فيها، وهنا تكمن ضرورة قيادة الروح القدس لكل مؤمن، لأن الروح يُظهر لنا خطة الله ويقودنا لنسلك فيها.

وقد عكس الكثيرون من المؤمنين اليوم هذه العملية، فهم يخططون أولاً طرقيهم ونشاطاتهم، ثم يرددون صلوات روتينية طالبين من الله أن يبارك ما عملوه. ولن يقمّ الله موافقته أو بركاته هكذا كأنما هو مجرد ختم يصادق على خطط وأنشطة لم تُطلب مشورته فيها. والواقع أنّ هذا الخطأ ليس شائعاً في حياة المؤمنين الأفراد فحسب، بل في خدمة الكنائس وغيرها من المنظمات المسيحية، حيث تضع الساعات الطويلة من العمل وتبذّر الأموال الكثيرة من دون ثمر حقيقي. وذلك ببساطة، لأنّ مشورة الله لم تؤخذ بعين الاعتبار قبل البدء بهذه الأنشطة المختلفة. إنّ العدو الأعظم للحياة الروحية المثمرة في الكثير من الكنائس، هو تلك النشاطات الحلوة التي تقتل الوقت، والتي توصف بأنها (روحية)، رغم أنها لا تمت إلى الروح القدس بصلة. وتكون النتيجة "خشباً، عشباً، قشاً" يحترق كلّ في نار دينونة الله على أعمال شعبه (انظر ١ كورنثوس ٣: ١٢).

بالمقابل نجد أن إحدى العلامات المميّزة للكنيسة الأولى، هي قيادة الروح القدس فوق الطبيعية والمتواصلة في كل التحركات. من الأمثلة الكثيرة في سفر أعمال الرسل، اخترنا حادثة مميزة من رحلة بولس الرسول التبشيرية الثانية والتي رافقه فيها سيلا، حيث نقرأ:

وبعدما اجتازوا في فريجيّة وكورة غلاطيّة، منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة في أسيّا. فلما اتوا إلى ميسيّا حاولوا أن يذهبوا إلى بثينية، فلم يدعهم الروح، فمروا على ميسيّا وانحدروا إلى ترواس، وظهرت لبولس رؤيا في الليل رجلٌ مكدوني قائمٌ يطلب إليه ويقول: أعبّر إلى مكدونيّة وأعنا. فلما رأى الرؤيا للوقت طلبنا أن نخرج إلى مكدونية متحققين أنّ الرب قد دعانا لنبشرهم (أعمال ١٦: ٦-١٠).

علينا أن ندرك أولاً بأنّ ذهاب بولس وسيلا في هذه الرحلة التبشيرية، يأتي في إطار تنفيذهم وطاعتهم لوصية المسيح:

- فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم (متى ٢٨: ١٩).
- اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلّها (مرقس ١٦: ١٥).

لاحظ شمولية هذه المهمة "جميع الأمم... الخليقة كلّها". وكتتميم لهذه الأمورية كان بولس وسيلا يكرزان في فريجيّة وغلاطيّة في وسط آسيا الصغرى، وكانت خطوتهم المنطقية التالية هي مقاطعة أسيّا على الحافة الغربية لآسيا الصغرى، إلا أنّ الكتاب يقول: "منعهم الروح أن يتكلموا بالكلمة في أسيّا" فتحركوا إلى ميسيّا في الشمال وأرادوا أن يذهبوا إلى بثينية في الشمال الشرقي حيث يقول الكتاب: "حاولوا أن يذهبوا إلى بثينية فلم يدعهم الروح" (أعمال ١٦: ٧). لقد أغلق الروح القدس بطريقة حاسمة بابين للتبشير أمام بولس وسيلا: أولاً للدخول إلى أسيّا ثم إلى بثينية.

وهنا لا بدَّ أنَّ بولس وسيلا أخذًا يتسائلان ما عسى أن تكون خطة الله لسفرهم. واثناء ذلك ظهرت لبولس رؤيا في الليل، رجلٌ مكدوني قائمٌ يطلب اليه ويقول: "أعبر إلى مكدونيَّة وأعنا" (ع ٩) فتأكَّد الجميع أنَّ الرب يدعوهم للذهاب إلى مكدونية في شمال اليونان في الجانب الجنوبي من أوروبا. وبهذه الطريقة انتقلت رسالة الإنجيل من آسيا إلى أوروبا لأول مرة.

إذا نظرنا الآن إلى القرون التسعة عشر الماضية من تاريخ الكنيسة، سندرك الدور الحاسم الذي لعبته الكنيسة في أوروبا، فقد حافظت الكنيسة هناك على الحق الالهي لرسالة الانجيل، ثم نشرت هذا الحق في أنحاء العالم. وهكذا ندرك كيف أنَّ الله، بمعرفته المسبقة وحكمته الفائقة، قد رأى الأهمية الملحة لدخول الانجيل إلى أوروبا في وقتٍ مبكرٍ، ومن خلال بولس نفسه باعتباره رسول الأمم. أمَّا بولس وسيلا فلم يكونا على علمٍ بأنَّ التاريخ سيجري على تلك الحال، وما كانوا ليأخذوا هذه الخطوة التاريخية لولا قيادة الروح القدس وإعلانه فوق الطبيعي المذهل. ولو أنهم كانوا مغلقين أمام إرشاد الروح القدس، لفاتهم جانبٌ كبيرٌ من خطة الله.

وعندما ندرس المزيد عن نشاط بولس التبشيري بعد هذه الحادثة، نرى أكثر فأكثر كم كان إرشاد الروح القدس في هذه المسألة مذهباً. فهنا في أعمال ١٦ نقرأ أنَّ الروح منع بولس من التبشير في مقاطعة أسيَّا فعبّر عنها إلى أوروبا، ثم نقرأ في أعمال ١٩ كيف عاد بولس فيما بعد إلى أفسس التي هي المدينة الرئيسة في مقاطعة أسيَّا، وكيف كانت كرازته هناك سبباً في أكبر وأطول انتعاشٍ ذكره التاريخ في خدمة بولس.

وكان ذلك مدَّة سنتين حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين في أسيَّا من يهودٍ ويونانيين (أعمال ١٩: ١٠).

ويستحق هذا بالتأكيد اهتمامنا، فبولس كان قد منعه الروح حتى من دخول أسيَّا، فلم يبشِّر نفساً واحدةً فيها. والآن ها هو يعود في توقيت الله المعين وتحت قيادة

الروح القدس، ويشهد بالانجيل بقوة فائقة حتى أن "جميع الساكنين في أسبيا" قد سمعوا كلمة الرب يسوع. بناءً على ذلك نستنتج ما يلي:

١- لو دخل بولس أسبيا في زيارته الاولى مخالفاً قيادة الروح القدس، لما حقق إلا الفشل والاحباط.

٢- لو دخل بولس أسبيا قبل الوقت المعين، وقبل أن يقوده الروح القدس إلى هناك، لكان أعاق، أو ربما منع تماماً، ذلك العمل الجبار الذي عمله الروح القدس في أفسس لاحقاً.

يا له من درسٍ ينبغي أن يتعلمه كل كارزٍ بالانجيل! وهو أن الزمان والمكان عاملين مهمين لا يمكن فصلهما في أي خدمة. ويتضمن هذا الإعلان الكتابي مفهوم النظرية النسبية في العلم الحديث، وهو أننا لا نستطيع أن نحدد المكان بدقة إلا إذا حددنا الزمان أيضاً. فهما (الزمان والمكان) مرتبطان ومتداخلان. وقد أكد سليمان هذه الحقيقة قبل ذلك بعدة قرون عندما قال:

لكل شيء زمان

ولكل أمر تحت السموات وقت (جامعة ١: ٣).

فلا يكفي أن نعمل الأشياء المناسبة أو نضع الأهداف الصحيحة. بل ينبغي أن نعمل الأشياء المناسبة في أوقاتها المناسبة، وأن نحقق الأهداف المناسبة في الأزمنة المناسبة. فعندما يقول الله: "الآن" فلا فائدة من أن يقول أحدهم: "فيما بعد"، وعندما يقول الله: "فيما بعد" لا فائدة من أن يقول أحدهم: "الآن".

إن خدمة الروح القدس لا تنحصر في كشف الخطط والأهداف، لكنها تمتد إلى كشف الأزمنة والأوقات أيضاً. لذلك يواجه الكثيرون من المؤمنين إحباطاً مستمراً، وهم يحاولون أن يفعلوا الأشياء المناسبة في الأوقات غير المناسبة، وأن يحققوا الأهداف الصحيحة في غير أزماتها. فهم لم يتعلموا أن يعطوا مجالاً لقيادة الروح القدس. بهذا الخصوص يطرح النبي إشعياء سؤالاً ثاقباً.

من قاس روح الرب ومن مشيرهُ يُعَلِّمهُ؟ (إشعياء ٤٠: ١٣).

وفي ترجمةٍ أخرى:

من أرشد روح الرب، أو كمشيرٍ له علَّمه (ت.ع.ج).

وهو تماماً ما يفعله الكثيرون من المؤمنين اليوم، فهم يرشدون روح الرب ويشيرون عليه. إنهم يخططون نشاطاتهم ويسيرّون خدمتهم ثم يقولون للروح القدس كيف ومتى يتوقعون بركته. فكم هي عدد الكنائس الباقية اليوم والتي تعطي مجالاً حقيقياً للروح القدس لكي يتدخل ويقود؟ ونتيجة هذه الحالة يمكن اختصارها بكلمةٍ واحدة: "الإحباط." فرغم أنّ مثل أولئك المؤمنين يتمتعون باختبار ولادةٍ جديدةٍ حقيقي أو حتى بالمعمودية في الروح القدس، إلا أنهم يفتقرون لحياةٍ مثمرةٍ منتصرةٍ لأنهم أهملوا هذه الحقيقة الأساسية في حياة الإيمان:

لأنّ كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله (رومية ٨: ١٤).

حياة لكلّ الجسد

إنّ قيادة الله المستمرة في حياة المؤمن، تفتح الطريق لعطيةٍ أخرى من روح الله، ألا وهي الحياة الفيّاضة في شخصيته بمجملها. إنّ الصلة بين القيادة الإلهية وحياة الشبع والارتواء موصوفةٌ في سفر إشعياء بطريقةٍ رائعة:

ويقودك الرب على الدوام

ويشبع في الجذوب نفسك

وينشّط عضامك

فتصير كجنةٍ ربّياً

وكنبع مياه لا تنقطع مياهه (إشعياء ٥٨: ١١).

يرسم إشعياء صورة شخصٍ يقوده الرب على الدوام، حتى أنّ فيه نبعاً من الماء الحي فيفيض عبر كيانه كله، فيشبع نفسه وينشّط عضامه (جسده). أمّا بولس فإنه يكشف

أصل هذه الحياة الفيآضة. إنه الروح القدس الساكن في المؤمن:

وتعيّن (يسوع المسيح) ابن الله بقوة من جهة روح القداسة، بالقيامة من الأموات (رومية ١: ٤).

إنه "روح القداسة" (تعبير عبري للدلالة على الروح القدس) الذي أقام جسد يسوع من القبر مبرهنًا على أنّ المسيح هو ابن الله. وهو الروح نفسه الذي يستطيع أن يحقق النتيجة نفسها في أجساد المؤمنين.

وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنًا فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم (رومية ٨: ١١).

وسيتّم هذا نهائيًا في القيامة الأولى. حيث يقيم الروح القدس الأبرار الراقدين، ويعطيهم أجسادًا لا تفسد كجسد يسوع.

عالمين أنّ الذي أقام الرب يسوع سيقمنا نحن أيضًا بيسوع ويحضرنا معكم (٢ كورنثوس ٤: ١٤).

ورغم أنّ عمل الروح القدس هذا في أجساد المؤمنين هو أمرٌ مستقبلي، إلا أنه يتداخل جزئيًا في هذا الدهر. فالروح القدس الساكن في المؤمن يستطيع أن يمنح الجسد قدرًا من الصحة الإلهية الكافية لكبح انتهاكات الشيطان، والتخلص من تأثيراته المَرَضِيَّة. لقد قال يسوع عن هدف مجيئه إلى الأرض:

أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل (يوحنا ١٠: ١٠).

وفي ترجمة أخرى:

... لتكون لهم حياة، وتكون لهم (هذه الحياة) فيآضة! (كتاب الحياة).

قال أحدهم: "إنّ أول نصيب من الحياة الإلهية يأتي من خلال الولادة الجديدة، الله في هذا الدهر، هو أن تفي هذه الحياة الفيآضة، لا بالحاجات الروحية للإنسان

الباطن فحسب (أي لطبيعته الروحية)، بل أيضاً بالحاجات الطبيعية الملموسة للإنسان الخارجي (أي جسده).

ورغم أن المؤمن لم يتمتع بعد بقيامة الجسد، إلا أنه يتمتع بحياة القيامة في جسده المائت. ويصوّر بولس معجزة حياة القيامة في الجسد المعرّض للموت أمام خلفية من الضغوطات الجسدية والروحية الهائلة حين يقول:

مكتئبين في كل شيء لكن غير متضايقين، متحيرين لكن غير يائسين، مضطهدين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير هالكين، حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تُظهِر حياة يسوع أيضاً في جسدنا. لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت (٢ كورنثوس ٤: ٨-١١).

يا لها من كلمات رائعة! فحياة يسوع "تُظهِر"، أي أن حضور هذه الحياة يُرى في التأثيرات التي تبعثها "في جسدنا". ويكرر بولس هذا مرتين للتوكيد. لكنه يستخدم في المرة الثانية العبارة "جسدنا المائت" أي القابل للموت، وبهذا يمنع اللبس في تفسير هذا النص، فالمقصود هو الجسد الطبيعي في دهرنا الحاضر، وليس جسد القيامة في الدهر الآتي. ففي وسط كل الضغوط الطبيعية والشيطانية التي تواجهها، هناك حياة داخلية لا تُهزم، تبعث القوة في جسدنا المائت. إنها حياة يسوع.

إن إظهار فعالية حياة المسيح المقام في جسدنا المائت هو المبدأ الكتابي الاساسي للشفاء الإلهي. هذه المعجزة المستمرة في حياتنا تتضمن مفارقة نراها على امتداد الكتاب المقدس كله، وهي أن الموت هو بداية الحياة. فأينما كان بولس يشهد عن إظهار حياة المسيح، كان يتحدث عن مشاركة المسيح في موته أيضاً، "حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع" وموت المسيح لم يكن طبيعياً إذ أنه مات مصلوباً، والاشتراك في موته يعني أن نُصلب معه. لكن الصليب تتبعه القيامة، والتي هي بعث حياة جديدة غير مديونة بشيء لا للخطية ولا للإبليس، لا للجسد ولا للعالم. ويكتب بولس عن الجانبين السلبي والإيجابي لهذه المقايضة فيقول:

مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياء الآن في الجسد فإنما أحياء في الإيمان، ايمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي (غلاطية ٢: ٢٠).

إنَّ عملية الصلب التي تضع حدًا لحياتنا الضعيفة العابرة في هذا العالم، هي ذاتها التي تفتح أمامنا الطريق نحو الحياة الجديدة: حياة الله تسكن في إناءٍ خزفي. فالإناء ضعيفٌ وهش كما هو دائماً، أمّا الحياة الجديدة التي فيه فهي لا تُهزم ولا تزول. يبقى الصراع مستمراً بين هشاشة هذا الجسد وبين الحياة الجديدة في الروح، ما دام هذا العالم الشرير قائماً، ويشجعنا بولس قائلاً:

لذلك لا نفشل، بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً (٢ كورنثوس ٤: ١٦).

فما زال الجسد الطبيعي خاضعاً للمرض وللفساد الخارجي، لكن حياة القيامة الداخلية فيها من القوة ما يعيق عمل المرض والفساد في جسد المؤمن، حتى يتم خدمته على الأرض. بعد ذلك كما يقول بولس:

... أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً (فيلبي ١: ٢٣).

محبة الله التي انسكبت

سنخصص هذا الفصل لدراسة النتيجة الأخيرة التي تحققها المعمودية في الروح القدس في المؤمن، وهي نتيجةً فائقة الأهمية، يصفها بولس في رسالته إلى أهل رومية قائلاً:

... محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا (٥:٥).

وعلىنا أن ندرك خصوصية العبارة "محبة الله"، حيث أن بولس لا يتحدث هنا عن محبة البشر أو عن محبة الإنسان لله، بل يتحدث عن محبة الله الخاصة به والتي يسكبها الروح القدس في قلب المؤمن، وهي محبةٌ ترتفع ارتفاع السماء عن الأرض على كل أشكال المحبة البشرية المجردة.

هناك أنماطٌ كثيرة من المحبة نختبرها في حياتنا منها ما هو جنسيٌّ مَحْضٍ إلا أننا نسميه "محبة"، ثم هناك المحبة بين الزوجين والمحبة بين الوالدين والأبناء. وخارج نطاق العائلة هناك محبة الأصدقاء بعضهم لبعض كذلك المحبة التي كانت بين داود ويونathan.

طبيعة محبة الله

كل هذه الأنماط وغيرها نراها - على درجاتٍ متفاوتة - في كل قطاعات الحياة الإنسانية، حتى في تلك الأماكن التي لم يُكرز فيها بإنجيل المسيح بعد. وفي اللغة اليونانية الغنية بالمفردات، هناك عدة كلماتٍ لوصف هذه الأشكال المختلفة من المحبة. إحدى هذه الكلمات تستخدم للتعبير عن المحبة الإلهية في جوهرها وفي طبيعتها، وهي الكلمة "agape - محبة" أو "agapao - يحب". وتشير هاتان الكلمتان

إلى المحبة الكاملة القائمة بين الأفانيم الثلاثة، ثم إلى محبة الله للإنسان. إنها المحبة التي دفعت الآب إلى بذل ابنه، ودفعت المسيح إلى بذل حياته من أجل فداء الإنسان من الخطية ومن نتائجها. وهي أيضاً المحبة التي سكبها الله بالروح القدس في قلوب المؤمنين في المسيح. هذا يساعدنا على فهم كلمات الرسول يوحنا:

أيها الأحباء، لنحب بعضنا بعضاً، لأنَّ المحبة هي من الله، وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله، ومن لا يحب لم يعرف الله، لأنَّ الله محبة (١ يوحنا ٤: ٧-٨).

ويستخدم يوحنا هنا الكلمات اليونانية "agapo , agape" مشيراً إلى أنَّ هذا النوع من المحبة لا يمكن أن يختبره إلاَّ من يولد من الله، لأنه نوعٌ يأتي من الله فقط. فأنت تعرف الله بمقدار المحبة التي تظهرها. بالمقابل، فإنَّ من لم يُظهر هذه المحبة مطلقاً فهو لم يعرف الله قط. فبمقدار ما يعرف الإنسان الله بمقدار ما تغيره محبة الله، ثم يبدأ هو باظهارها للآخرين.

إنَّ كلمات يوحنا هذه والتي تشير إلى أنَّ المحبة الإلهية تبدأ بالولادة الثانية، تجد ما ينسجم معها في ما يقوله بطرس:

طهّروا نفوسكم في طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء، فأحبوا بعضكم بعضاً من قلبٍ طاهرٍ بشدّة (١ بطرس ٢٢: ٢٣).

فعندما يقول بطرس: "أحبوا بعضكم بعضاً من قلبٍ طاهرٍ بشدّة" فهو يستخدم الفعل "agapao" وهو يربط بين القدرة على ممارسة هذه المحبة وبين الولادة الثانية من زرع كلمة الله الذي لا يفنى. إنَّ إمكانية المحبة الإلهية محتواة في زرع (بذار) كلمة الله الذي يُزرع في القلب لحظة الولادة الثانية، وإرادة الله هي أن تنمو هذه المحبة وأن تزداد بلا حدود من خلال المعمودية في الروح القدس. لذلك يقول بولس:

... محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا (رومية ٥: ٥).

هنا أيضاً يستخدم بولس الكلمة "agape" أمّا الفعل "انسكب" فهو في صيغة الماضي التام وهو يشير - في العربية كما في اليونانية - إلى الإتمام والاكتمال، أي أنّ الله قد سكب في قلب المؤمن ملء المحبة الإلهية في المعمودية في الروح القدس، من دون أن يمنع شيئاً منها. لذلك لا يحتاج المؤمن إلى طلب المزيد من المحبة الإلهية، لكنه يحتاج إلى قبول وإظهار هذه المحبة التي أخذها فعلاً من الله.

ويشبه المؤمن المعمّد في الروح والذي يطلب من الله مزيداً من المحبة، رجلاً يعيش على ضفاف نهر المسيسيي ويطلب المزيد من الماء. فبين يدي ذلك الرجل كمية هائلة من المياه أكبر جداً مما يمكن أن يحتاج إليه طوال حياته، وما عليه إلا أن ينتفع من هذه الوفرة. هذا هو حال المؤمن المعمّد في الروح القدس، فهو لا يملك نهراً واحداً في أعماقه، بل "أنهار ماء حي" على حد تعبير الرب يسوع. إنها أنهار النعمة والمحبة الكافية بلا حدود لسدّ أي احتياج وكل احتياج في حياة المؤمن (أنظر يوحنا ٣٨:٧-٣٩).

وفي رسالته إلى أهل رومية، يُعرّف بولس بدقة طبيعة هذه المحبة الإلهية التي انسكبت في المؤمن بالروح القدس:

لأنّ المسيح، إذ كنّا بعد ضعفاء، مات في الوقت المعين لأجل الفجار. فإنه بالجهد يموت أحدٌ لأجل بار، ربما لأجل الصالح يجسر أحدٌ أيضاً أن يموت، ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا (رومية ٥: ٦-٨).

يقول بولس بأنّ المحبة الطبيعية ومن دون نعمة الله، يمكن أن تدفع إنساناً لكي يموت من أجل صديقه، هذا إن كان صديقه صالحاً. وهذا يشبه دافع الأم التي يمكن أن تبذل حياتها من أجل طفلها. بعد ذلك يُظهر بولس أنّ محبة الله فوق الطبيعية ظهرت في موت المسيح من أجل الخطاة الذين لم يمارسوا ولو قدراً ضئيلاً من المحبة. إذ أنّ بولس يصفهم بهذه العبارات الثلاثة المتتالية: "ضعفاء... فجار... خطاة" وهذا يعني أنّ أولئك الذين مات المسيح من أجلهم كانوا عاجزين تماماً عن مساعدة انفسهم، ومتحولين

عن الله تماماً وفي حالة متقدمة من العصيان والتعدي. وموت المسيح من أجل أناسٍ هذا حالهم، هو إظهارٌ لمعنى المحبة الإلهية (agape) في تمام ملئها.

ويعرّف يوحنا المحبة الإلهية بطريقة مشابهة قائلاً:

بهذا أظهرت محبة (agape) الله فينا أنّ الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به (١ يوحنا ٤:٩).

إنّ المحبة الإلهية لا تعتمد على وجود الصلاح فيمن تقدّم إليه، ولا تنتظر أن يبادلها الطرف الثاني بالمثل قبل أن تعطي كل شيء، لكنها تعطي أولاً وبلا مقابل لأولئك العصاة الذين لا يُحبّون ولا يستحقّون المحبة. لقد عبّر يسوع عن هذه المحبة في صلاته من أجل صالبيه قائلاً:

يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون (لوقا ٢٣:٣٤).

وفي صلاة استفانوس لأجل راجميه:

يا رب، لا تقم لهم هذه الخطية (اعمال ٧:٦٠).

وفي ترجماتٍ أخرى:

لا تحسب عليهم هذه الخطية (ت.ع.ج)، (كتاب الحياة).

إنها المحبة التي عبّر عنها فيما بعد شاول الطرسوسي (بولس الرسول فيما بعد) الذي كان شاهداً متحمساً على رجم استفانوس. فيقول بولس بخصوص إخوته اليهود الذين طالما رفضوه واضطهدوه:

أقول الصدق في المسيح، لا أكذب، وضميري شاهدٌ لي بالروح القدس: إنّ لي حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع، فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد (رومية ٩:١-٣).

كان بولس يتوق إلى خلاص مضطهديه من إخوته اليهود، حتى أنه يود لو يكون

محروماً من كل بركات الخلاص، وأن يعود ثانية تحت لعنة عدم الغفران بكل نتائجها، إن كان ذلك سيأتي بإخوته إلى المسيح. وبولس هنا يُقر بأنه لا يمكن إدراك مثل هذه المحبة أو اختبارها من دون حضور الروح القدس في الداخل فيقول:

وضميري شاهدٌ لي بالروح القدس.

المحبة هي الأعظم

قلنا أنَّ من بين الأهداف التي أعطى الله الروح القدس لأجل تحقيقها هو انسكاب المحبة الإلهية في قلب المؤمن. وأنَّ هذا الهدف يحتل أهمية خاصة وفائقة. وسبب ذلك أنَّ كل النتائج الأخرى التي تتحقق في المعمودية في الروح القدس، تفقد أهميتها الحقيقية وتفشل في تحقيق أهدافها، إذا افتقرت لوجود تأثير المحبة الإلهية الذي يتخلل كل جوانب قلب المؤمن. ويستخدم بولس سلسلة من الأمثلة القوية ليؤكد الأهمية الفريدة للمحبة الإلهية (agape):

إن كنت اتكلم بالسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن، وإن كانت لي نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً (١ كورنثوس ١٣: ١-٢).

حيث يضع بولس نفسه بتواضع مكان مؤمنٍ يمارس المواهب الروحية ويفتقر إلى المحبة الإلهية. وكان بولس قد عدَّ في ١ كورنثوس ١٢ تسع مواهب للروح القدس، وهو يتخيل نفسه الآن كمن يمارس الكثير من هذه المواهب ولكن من دون محبة.

يتحدث بولس أولاً عن إمكانية ممارسة موهبة الألسنة بمستوى فائق حتى أنه لا يتكلم لغات البشر المعروفة فقط بل لغات الملائكة أيضاً. ويقول بأنه لو فعل ذلك وليس له محبة الهية، فهو ليس أفضل من جرس نحاسي أو صنج يصدر ضوضاء عالية لكنه فارغ من الداخل. ثم يذكر إمكانية ممارسة مواهب روحية أخرى بارزة، كالنبوة

وكلام الحكمة أو العلم أو موهبة الإيمان، لكنه يضيف بأن ممارسة أيٍّ منها بمعزلٍ عن المحبة الإلهية لن تنفعه على الإطلاق.

هذه الكلمات توفر الإجابة عن سؤال يُطرح على نطاقٍ واسعٍ اليوم وهو: هل من الممكن أن يُساء استخدام موهبة الألسنة؟ والجواب: "نعم"، فمن الممكن تماماً أن يُساء استخدام هذه الموهبة، فكل استخدام لموهبة الألسنة بعيداً عن المحبة الإلهية هو استخدامٌ خاطيء، لأنه يجعل المؤمن الذي يفعل ذلك مجرد جرسٍ نحاسيٍّ يطن أو صنجٍ يرن - على حد تعبير بولس - وبالتأكيد ليس هذا هو الهدف الإلهي من هذه الموهبة. وهذا ينطبق على باقي المواهب التي ذكرها بولس، كالنبوة وكلام الحكمة وكلام العلم والإيمان. إنَّ استخدام أيٍّ من هذه المواهب من دون محبة، هو خروج عن خطة الله وعن هدفه الشامل.

وتُثبت التجربة مرةً تلو الأخرى بأنَّ هناك خطراً يخص إساءة استخدام مواهب النطق الثلاث (أنواع الألسنة، ترجمة الألسنة، النبوة). لقد خصص بولس الجزء الأكبر من ١ كورنثوس ١٤ لتقديم التعليمات من أجل تنظيم استخدام هذه المواهب بالذات. وما كان بولس ليفعل ذلك لولا وجود الإمكانية لإساءة استخدام هذه المواهب، فوجود التعليمات والأنظمة هو دليلٌ على ضرورتها.

نعود الآن إلى ١ كورنثوس ١: ١٣، والتي ينبغي عند تفسيره أن نُعير انتباهاً شديداً للكلمات التي يستخدمها بولس.

إن كنت اتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن.

لاحظ العبارة "قد صرت" ففي اللحظة التي يتعمَّد فيها المؤمن في الروح القدس يكون متأكداً من غفران خطاياه ومن طهارة قلبه بالإيمان في يسوع المسيح ويكون مستعداً للتسليم لسيطرة الروح القدس بكل إرادته، ويتكلم بألسنة علامةً على أنَّ الروح القدس قد جاء ليسكن فيه ويسيطر على حياته. لكن التغيير الذي تُشير إليه العبارة "قد صرت"، يبين ذلك المؤمن - بعد انقضاء فترةٍ من الوقت - وهو يحتفظ بالإظهار الخارجي من

دون أن يحتفظ بالحالة الداخلية من الطهارة والتسليم للروح القدس. قد يكون السبب، هو عدم الطاعة واللامبالاة. لذلك فإنَّ عملية التكلم باللسنة بالنسبة إليه قد انحطَّت إلى مجرد إظهارٍ خارجي طبيعي ليس له أصلٌ روحي حقيقي في الداخل.

وكي نستطيع أن نرى هذه الحالة من منظورٍ مناسب، علينا أن نأخذ بعين الاعتبار حقيقتين يؤكدهما كلٌّ من الكتاب المقدس والتجربة:

أولاً: في لحظة المعمودية في الروح القدس، ينبغي على المؤمن أن يحقق شرطين، هما طهارة القلب بالإيمان في المسيح والرغبة في تسليم أعضائه كلياً - وخاصة لسانه - للروح القدس.

ثانياً: إنَّ حقيقة كون المؤمن في حالة من الطهارة والتسليم عندما يتعمَّد في الروح، لا تُعتبر ضماناً تلقائياً ببقائه على هذه الحالة، حتى وإن استمر بممارسة التكلم باللسنة. وهذا ما يثير استغراب الكثيرين فيقولون: "لا بدَّ أن الله ينزع الموهبة كلياً من المؤمن الذي يُسيء استخدامها!" وهو استنتاجٌ لا يسنده المنطق ولا يؤيده الكتاب المقدس. فالمنطق يقول أنَّ الموهبة أو العطية التي تقدَّم ثم يمكن أخذها ثانية، هي ليست عطية حقيقية في أصلها. ربما تكون قرضاً أو وديعة، لكنها بالتأكيد ليست عطية مجانية. أمَّا العطية المجانية فإنها لا تعود مُلكاً لمن أعطاهها فيما بعد، بل تصبح كلياً تحت سيطرة من قبلها. فهو حرٌّ في أن يستخدمها أو أن يُسيء استخدامها أو أن لا يستخدمها مطلقاً. ويؤكد الكتاب وجهة النظر المنطقية هذه قائلاً:

لأنَّ هبات الله ودعوته هي بلا ندامة (رومية ١١: ٢٩).

وفي ترجمةٍ أخرى:

فإنَّ الله لا يراجع أبداً عن هباته ودعوته (كتاب الحياة).

فالمسؤولية في استخدام الموهبة بطريقة مناسبة لا تقع على الله المعطي، بل على الإنسان المستقبل للعطية. هذا المبدأ المهم ينطبق على كل مجالات تعامل الله مع الإنسان بما فيها مواهب الروح القدس كلها.

وعلى كل من تعمّد في الروح القدس وتكلم بالسنّة أو يسعى إلى ذلك، أن يحسب حساباً لهذا الاستنتاج بكل جدية واهتمام. فالكتاب يبين أنّه من غير الممكن لمؤمن أن يقبل المعمودية في الروح القدس من دون الاظهار الخارجي، لكن من الممكن فيما بعد أن يحتفظ بالإظهار الخارجي من دون الاحتفاظ بملء الروح القدس. وهناك امتحان كتابي واحد يؤكد استمرار ملء الروح القدس هو امتحان المحبة، فبمقدار ملء الروح القدس بمقدار ما نمتليء بالمحبة الإلهية. ولا يمكن أن نمتليء بالروح أكثر مما نحن ممتلئون بالمحبة الإلهية. يذكر يوحنا هذا الامتحان بتعابير بسيطة واضحة قائلاً:

الله لم ينظره أحد قط. إن أحب بعضنا بعضاً فانه يثبت فينا ومحبة قد تكملت فينا، بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا إنه قد أعطانا من روحه... الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه (١ يوحنا ٤: ١٢-١٣، ١٦).

كذلك يعطي بولس مكانة فريدة للمحبة بين كل عطايا ونعمة الله عندما يقول:

أمّا الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة ولكن أعظمهنّ المحبة (١ كورنثوس ١٣: ١٣).

إنّ انسكاب المحبة الإلهية في قلب المؤمن هو الأعظم والأثبت بين كل أعمال الروح القدس.

في الفصول الأربعة الأخيرة تطرّقنا إلى ثمانية من أهم النتائج التي يريد الله أن يحققها في حياة كل مؤمن من خلال المعمودية في الروح القدس:

- ١- قوة الشهادة
- ٢- رفع وتمجيد المسيح
- ٣- تدنؤق قوات الدهر الآتي والدخول إلى بُعدٍ فوق طبيعي للحياة الروحية

-
- ٤- العون في الصلاة ورفع المؤمن فوق فهمه الطبيعي وقوته الذاتية
 - ٥- فهم جديد للكلمة المكتوبة
 - ٦- إرشاد وقيادة يومية في طريق إرادة الله
 - ٧- حياة وصحة لكل الجسد
 - ٨- انسكاب محبة الله في قلب المؤمن
- في القسم التالي سندرس النتائج التي يريد أن يحققها الله من خلال المعمودية في الروح القدس في حياة وفي عبادة جماعة المؤمنين.

القسم الثاني



الجماعة الممتلئة من الروح

حرية تحت القيادة

ننتقل الآن من حياة الفرد إلى الحياة العامة والخدمة الروحية الجماعية، ونحاول أن نجيب عن الأسئلة التالية:

١- ما الفرق الذي تحدثه المعمودية في الروح القدس في حياة واختبار الجماعة ككل؟

٢- ما هي المزايا الرئيسية التي تميّز جماعة (كنيسة)، جميع أفرادها أو معظمهم قد قبلوا الروح القدس ويستخدمون القوة التي أخذوها بحرية.

٣- كيف تختلف مثل هذه الجماعة عن أخرى لم يقبل أي من أفرادها المعمودية في الروح القدس؟

الإجابة عن هذه الأسئلة، سنتطرق إلى جانبين أساسيين تختلف فيهما جماعة المعمّدين في الروح القدس عن غيرها.

تحت ربوبية (Lordship) الروح

وأمّا الرب فهو روح وحيث روح الرب هناك حرية
(٢ كورنثوس ٣: ١٧).

يشير بولس هنا إلى حقيقتين جوهريتين بخصوص حضور وتأثير الروح القدس في وسط الجماعة. الحقيقة الأولى هي أنّ الروح القدس هو رب. إنّ الكلمة "رب" في العهد الجديد تنطبق في استخدامها وفي معناها على الاسم "يهوه" في العهد القديم،

وهي - بهذا المعنى - لقبٌ للاله الحقيقي الواحد لم يعط لمن هو أقل من الله. فאלله الأب والله الابن والله الروح القدس يمكن أن يلقب كل اقنوم منهم بالكلمة "رب". وعندما يقول بولس: "وأما الرب فهو الروح" فإنه يؤكد على سيادة الروح القدس في الكنيسة.

أما الحقيقة الأخرى فهي أنه حيثما يُعترف برؤية الروح تكون النتيجة هي حرية في وسط الجماعة. وقد حاول أحدهم أن يظهر عمق المقطع الثاني من ٢ كورنثوس ١٧:٣، فبدلاً من أن يقول: "وحيث روح الرب، هناك حرية"، قال: "وحيث الروح هو الرب، هناك حرية" فالحرية الحقيقية تنبعث في وسط الجماعة بمقدار ما يعترف أفرادها برؤية الروح القدس. والآن نستطيع أن نلخص أول خاصيتين تميزان اجتماع المعمدين في الروح القدس باستخدام هاتين الكلمتين معاً: الحرية والإدارة. وقد يبدو من غير الملائم أن نضع هاتين الكلمتين معاً، فقد يميل أحدهم إلى القول: "إن كان لنا الحرية فلسنا تحت الإدارة، وإن كنا تحت الإدارة، فليس لنا الحرية". فغالباً ما يشعر الناس بأن الحرية والإدارة تتناقضان. ولا ينطبق هذا على الأمور الروحية فحسب بل على السياسية أيضاً.

أذكر الآن الوضع السياسي في كينيا في شرق أفريقيا عندما كنت أخدم هناك كرئيسٍ لكلية لاهوت من ١٩٥٧-١٩٦١. فخلال تلك الفترة كان أهل كينيا يتطلعون بشوقٍ إلى اليوم الذي تحصل فيه بلادهم على الاستقلال الكامل أو على الحكم الذاتي، وكانوا يستخدمون الكلمة السواحيلية "uhuru" التي تعني (حرية)، فكانت هذه الكلمة على لسان الجميع، وقد تخيلها بعض الأفريقيين من غير المثقفين بصورة جميلةٍ فتراهم يقولون: "عندما تأتي (uhuru) سيكون بإمكاننا أن نقود دراجاتنا الهوائية على الجانب الذي نريد من الطريق، وسنتمكن من السفر أينما نريد من دون أن ندفع أجرة الباص، ولن نحتاج إلى دفع أية ضريبة للحكومة". إن مثل هذه العبارات تبدو طفولية وساذجة بالنسبة إلى الآخرين الأكثر تحضراً وثقافة، إذ أن هذه الصورة لا تمثل الحرية الحقيقية، بل الفوضى والتشويش بأبشع صورها. مع ذلك فإن ذلك الشعب

الأفريقي البسيط كان مخلصاً تماماً في تصوره الخاص لمعنى الحرية وقد عانى قادتهم السياسيون الكثير وهم يحاولون توعيتهم لفهم الصورة الحقيقية للحرية والاستقلال.

والمفارقة الطريفة هنا هي أنَّ أولئك المتعمقين وذوي الفكر المتحضر فيما يختص بفهمهم للحرية السياسية، يكونون أحياناً ساذجين في تصوراتهم عن الحرية الروحية. فهم يبتسمون ساخرين من أولئك الأفريقيين الذين يتخيلون أنَّ الحرية السياسية تعني إمكانية قيادة دراجاتهم الهوائية على أيِّ جانبٍ من الطريق، أو السفر من دون دفع الاجرة. لكنَّهم في الوقت نفسه يتصرفون في محضر الله بطريقةٍ لا تقل سذاجةً عن ذلك، ثم يبررون سلوكهم هذا باعتباره (الحرية الروحية) - من أمثلة ذلك أن يُطلب من أحدهم في اجتماعٍ روحي أن يصلي وأن يطلب طلباتٍ معينة بصوتٍ مسموع، فيبدأ آخرون بالتكلم بالأسنة بصوتٍ مرتفع، حتى يصبح من المستحيل على باقي الجماعة أن يسمعوا ما يقوله المصلِّي أو أن يقولوا (آمين). فكيف يعلنون إيمانهم وموافقتهم على صلاةٍ لم يسمعوها أصلاً؟ وهكذا يفقد الجميع بركة وتأثير التضرع الجماعي والطلبة الموحدة بسبب الاستخدام الخاطيء للأسنة.

والمثال الآخر: واعظٌ يقدِّم عظةً مدروسةً ومبنية على كلمة الله، هدفها جعل غير المخلصين يدركون حاجتهم للخلاص، وعندما يصل الواعظ إلى ذروة رسالته، يقفز أحدهم فجأةً ويبدأ - في الوقت الخطأ - بالتكلم بالأسنة، فيصرف انتباه الجميع عن رسالة الخلاص، وينتاب غير المؤمنين الاضطراب أو ربما الخوف من ذلك الذي يبدو احتياجاً عاطفياً غير مفهوم. وهكذا تضعف قوة الرسالة المعدة بعناية لنقل بشارة الإنجيل. وكثيراً ما يجيب المسؤول عن مثل هذه التصرفات الشاذة - إذا ما سُئل عنها - بعبارةٍ مثل: "لم أستطع أن أمتنع نفسي!" أو "الروح القدس أجبرني على ذلك!" أو "كان علي أن أطيع الروح." وعلى أية حال فإنَّ مثل هذه الإجابات لا يمكن قبولها لأنها تعاكس تماماً ما تعلَّمه كلمة الله:

ولكنَّه (الله) لكل واحدٍ يعطي إظهار الروح للمنفعة (١ كورنثوس ١٢: ٧).

ويمكننا أن نفهم هذا العدد كما يلي: "إنَّ إظهار الروح يُعطى دائماً لهدفٍ نافعٍ وعمليٍّ

ومفهوم" فإذا كان الإظهار موجَّهاً لتتبع هذا الغرض، يكون منسجماً مع هدف الخدمة أو الاجتماع بأكمله، ويكون طرفاً في تحقيق ذلك الهدف بطريقة إيجابية، فلا يكون مشوشاً أو مفتقراً إلى المعنى.

الله يصنع أبناء لا عبيداً

وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء، لأنَّ الله ليس إله تشويش بل إله سلام (١ كورنثوس ١٤: ٣٢-٣٣).

فأُيِّ تحركٌ روحي يقوده ويوجهه الله سينتج سلاماً وانسجاماً لا تشويشاً وعدم ترتيب. ومن يتسبب بأي تشويش لا يستطيع أن يبرِّر نفسه قائلاً: "لم أستطع أن اتمالك نفسي! لقد أجبرني الروح القدس على ذلك." فبولس يفنِّد هذا النوع من الدفاع بقوله: "أرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء" أي أنَّ الروح القدس لا يُلغي إرادة المؤمن ولا يجبره على عمل ما لا يريده، وحتى عندما يمارس المؤمن موهبةً روحيةً، فإنَّ روحه وإرادته تبقيان تحت سيطرته، وله الحرية بأن يمارس الموهبة أو أن لا يمارسها، وهكذا تكون مسؤولية ممارستها واقعةً عليه. وكما ذكرنا سابقاً، فإنَّ الروح القدس ليس ديكتاتوراً في حياة المؤمن.

هذا هو أحد الجوانب الأساسية التي تُميِّز إظهارات الروح القدس الحقيقية عن ظواهر الروحانية (spiritism) أو سكنى الأرواح الشريرة. ففي كثيرٍ من نواحي الروحانية أو السيطرة الشيطانية يكون الوسيط (الشخص الذي يُستخدم كإناءٍ لقوة الشيطان) مجبراً على تسليم كامل سيطرته على إرادته وعلى شخصيته للروح الذي يسكنه أو يعمل فيه، وكثيراً ما يكون مُجبراً على قول وفعل أشياء، لن يوافق على فعلها لو كان له الخيار. وبعضهم يقع تحت سيطرة الأرواح في الممارسات الروحانية أو الشيطانية، فيفقد إدراكه تماماً لما يقول ويعمل. وبعد فترةٍ زمنيةٍ تنتهي هذه الحالة ليعود الوسيط إلى نفسه من جديدٍ وسط محيطٍ غريبٍ تماماً ومن دون أن يعرف أو أن يتذكر شيئاً مما حدث، وهكذا تُلغى إرادة و شخصية الشخص الواقع تحت سيطرة الأرواح الشريرة.

أمّا الله الروح القدس، فإنّه لا يتصرف بهذه الطريقة مع المؤمن الحقيقي، فالإرادة والشخصية هما من العطايا الثمينة الممنوحة للانسان. ويتبع ذلك، أنّ الله لن يغتصب إرادة الإنسان أو شخصيته أبداً، لكنّه سيعمل فيهما إذا أُعطي المجال لذلك ولن يلغيهما أبداً. فالشيطان يصنع عبداً، أمّا الله فإنّه يصنع أبناء.

نرى إذاً كم هو خاطيء وغير كتابي أن يقول المعمّد في الروح القدس: "لم أستطع أن اتمالك نفسي! الروح القدس أجبرني على ذلك." فهو يجعل من الروح القدس حاكماً مستبداً ومن المؤمن عبداً مقيداً. إنّ المؤمنين الذين يتحدّثون بهذه الطريقة، لم يدركوا بعد امتيازاتهم ومسؤولياتهم كأولاد الله،

إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: يا أبا الآب. الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله (رومية ٨: ١٥-١٦).

وبهذا نجد أنفسنا - وجهاً لوجه - أمام مبدأ مهم يصلح في كل شؤون البشر الروحية منها والسياسية، وهو أنّ الحرية الحقيقية مستحيلاً من دون الإدارة الجيدة. أمّا الحرية التي تسعى إلى إقصاء الحكومة أو الإدارة بكافة أشكالها، فإنّها تنتهي بالفوضى والتشويش، وتكون النتيجة نوعاً آخر من العبودية أكثر قسوةً وتزمتاً مما كانت عليه الإدارة الملغاة. لقد راينا هذا يتكرر دائماً في التاريخ السياسي للحضارة الإنسانية، وهو مبدأ ينطبق على الحياة الروحية للكنيسة أيضاً، فالحرية الروحية الحقيقية ممكنة فقط بوجود الإدارة الروحية. والإدارة الروحية التي عيّنّها الله في الكنيسة هي إدارة الروح القدس. وهكذا نعود إلى كلمات بولس في ٢ كورنثوس ١٧: ٣:

وأمّا الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية.

فاذا رغبت بالتمتع بحريّة الروح، علينا أولاً أن نعترف بربوبية الروح. هذان الجانبان في عمل الروح القدس، لا يمكن فصلهما.

علينا أيضاً أن نتذكر حقيقةً أخرى عن الروح القدس كنّا قد تحدّثنا عنها سابقاً

في هذه الدراسة، وهي أن الروح القدس هو مؤلف الكلمة المكتوبة ومفسرها أيضاً. وهذا يعني بأنه لن يقود المؤمن في قول أو عمل يتناقض مع الكلمة. فلو فعل الروح القدس ذلك لكان مخالفاً ومتعارضاً مع نفسه، وهو أمرٌ مستحيل:

لكن أمينٌ هو الله إنَّ كلامنا لكم لم يكن نعم ولا، لأنَّ ابن الله يسوع المسيح الذي كُرِّز به بينكم بواسطتنا أنا وسلوانس وتيموثاوس لم يكن نعم ولا، بل قد كان فيه نعم (٢ كورنثوس ١: ١٨-١٩).

وفي ترجمة أخرى:

... لم يكن نعم ولا معاً، وإنما فيه نعم (كتاب الحياة).

فيولس يقول بأنَّ الله لا يتعارض مع نفسه في أي تعليم أو سلوك، فلا يقول الله: "نعم" ثم يغيّر رأيه ويقول: "لا"، لكنه ثابتٌ على ما يقول من دون تغييرٍ أو تناقضٍ مع نفسه.

ويمكن تطبيق هذا المبدأ على العلاقة بين الكلمة وبين إظهارات الروح القدس. فالروح القدس - باعتباره مؤلف الكلمة المكتوبة - يتفق معها دائماً وليس هناك احتمالٌ لوجود نعم ولا معاً، فعندما يقول الكتاب المقدس: "لا"، يقول الروح: "لا" أيضاً. ولا يمكن أن تكون موهبةٌ ما في الروح القدس أو إظهارٌ ما يسيطر عليه الروح القدس، متعارضاً مع تعليم ومثال كلمة الله. فالروح القدس - كما ذكرنا - لا يجبر المؤمن على الالتزام بكلمة الله، لكنه يفسّر الكلمة ويقدم القيادة والمشورة، وللمؤمن أن يقبل مشورته أو أن يرفضها، وله الحرية أن يُطيع أو أن لا يُطيع.

إنَّ هذه الحقيقة تضع مسؤوليةً هائلةً على عاتق كل مؤمنٍ معمّد في الروح القدس، فعليه أن يرتبط شخصياً بفكر الروح القدس المعلن في كلمة الله، ثم أن يوجه سلوكه بخصوص ممارسة المواهب والإظهارات الروحية - كما في الأمور الأخرى أيضاً - بحيث ينسجم مع مبادئ وأمثلة الكلمة، وإذا فشل المعمّد في الروح القدس في تحقيق هذا، بسبب الكسل أو اللامبالاة أو عدم الطاعة، ربما تكون النتيجة ممارسة خاطئة وغير كتابية للمواهب، والمسؤولية في هذا يتحملها المؤمن لا الروح القدس.

في هذا المجال لا بد من أن نذكر بأن مسؤولية كبيرة تقع على كل خادم يدعوه الله إلى قيادة العبادة والخدمة في وسط جماعة معمّدة في الروح القدس. فهو ليس مسؤولاً عن توجيه خدمته الروحية الشخصية بحسب مباديء كلمة الله فحسب، لكنه مسؤول أيضاً عن أن يضع نفسه كأداة في يد الله ليقود عبادة وخدمة الجماعة كلها بحسب مباديء الكلمة ذاتها. وللنجاح في هذا ينبغي توفر متطلبات خاصة على أعلى المستويات، أولها معرفة كلمة الله بطريقة عملية والتمكن منها، ثم الحكمة والسلطان والشجاعة. وعندما لا تتوفر هذه المتطلبات في القيادة، تكون الجماعة التي تسعى إلى ممارسة المواهب الروحية كسفينة تعصف بها رياح شديدة وسط البحر وتحيط بها المخاطر من كل جانب، ويقودها قبطانٌ عديم الخبرة. فلا عجب إذا كانت النهاية حُطاماً!

لقد أمضيت أكثر من خمسين سنةً حتى الآن، في مجال خدمة الإنجيل، لاحظت خلالها أمرين كانا هما الأكثر إعاقة لقبول شهادة الإنجيل الكامل. أول هذين المعطلين هو الفشل في السيطرة على إظهارات المواهب الروحية العلنية، خاصةً موهبة الألسنة. أمّا المعطل الثاني فهو النزاعات والانقسامات بين المؤمنين المعمّدين في الروح القدس، سواءً بين طوائفٍ مختلفة أو في الكنيسة الواحدة نفسها. هذين المعطلين لهما مصدرٌ واحد، وهو الفشل في إدراك ربوبية الروح القدس الفعّالة.

علينا الآن أن نقدّم تعريفاً للحرية الروحية الحقيقية. إنها تنحصر في إدراك ربوبية الروح القدس الفعّالة في الكنيسة، وعندما يكون الروح هو الرب، هناك حرية.

الأزمة والأوقات

يملك كثيرون من المعمّدين في الروح القدس مفاهيم الخاصة عن الحرية. بعضهم يتخيل أنّ الحرية عبارة عن ممارسة الصراخ! فلو استطعنا أن نصرخ بصوت أعلى أو فترة أطول، فإننا سنصنع الحرية. إلا أنّ الروح القدس لا يُصنع مطلقاً، لكنه يحلّ من الأعالي أو يفيض من الداخل، وفي كلتا الحالتين تكون اظهاراته حرّةً

وتلقائية، لا مُجهدَةً أو متعبة. ويركز آخرون على إظهاراتٍ أو أساليب أخرى في التعبير، كالترنيم والتصفيق والرقص، وعادةً ما يحدث هذا لأن الله كان قد باركهم من خلال مثل هذه الممارسات، فاعتقدوا أنَّ بركة الله لا تأتي إلا بهذه الطريقة. فقد باركهم الله مرةً بينما كانوا يصرخون، فصاروا يميلون دائماً إلى الصراخ. أو باركهم الله فيما هم يرقصون، فأرادوا أن يرقصوا دائماً. لقد صاروا محدودين جداً في نظرتهم وفي مفهومهم عن الروح القدس، فما عادوا يتصورون أنَّ الله يمكن أن يباركهم بطريقةٍ أخرى، بل إنهم يزدرون أيضاً بغيرهم من المؤمنين الذين لا يشاركونهم في صراخهم أو في رقصهم وتصفيقهم، بل ربما يتَّهمون الآخرين بأنهم ليسوا (أحراراً في الروح).

وأود في هذا المجال أن أؤكد بأنه ليس هناك بالضرورة خطأً كتابي في الصراخ والرقص والتصفيق. فالكتاب المقدس يقدِّم لنا امثلةً عن ممارسة شعب الله لهذه الامور في العبادة. لكن ما هو غير كتابي وغير معقول أيضاً، هو الاعتقاد بأنَّ هذه الممارسات ضرورية لوجود الحرية الروحية. فالمؤمن الذي يعتقد بأنَّ عليه دائماً أن يعبد الله بالصراخ والرقص والتصفيق، لن يعود قادراً على التمتع بالحرية الروحية، إذ أنه قد وضع نفسه تحت نوع من القيود الدينية التي صنعها بنفسه. ومثل ذلك المؤمن ليس أكثر حريةً من المسيحي التقليدي الذي لا يعرف كيف يعبد الله إلا بواسطة الصلوات المحفوظة والمكتوبة. ونجد مفتاحاً رائعاً لمعنى الحرية الروحية في كلمات سليمان:

لكل شيءٍ زمان

ولكل أمرٍ تحت السموات وقت:

للولادة وقت وللموت وقت

للغرس وقت وللقلع المغروس وقت

للقتل وقت وللشفاء وقت

للهدم وقت وللبناء وقت

للبكاء وقت وللضحك وقت

للنوح وقت وللرقص وقت
 لتفريق الحجارة وقت ولجمع الحجارة وقت
 للمعانقة وقت وللانفصال عن المعانقة وقت
 للكسب وقت وللخسارة وقت
 للصيانة وقت وللطرح وقت
 للتمزيق وقت وللتخييط وقت
 للسكوت وقت وللتكلم وقت
 للحب وقت وللبغضة وقت
 للحرب وقت وللصلح وقت (جامعة ٣: ١-٨).

يذكر سليمان هنا ثمانية وعشرين نشاطاً، يضعها في أربع عشرة مقابلةً شعرية. وفي كل منها تجد وقتاً لعمل شيءٍ ووقتاً آخر لعمل شيءٍ آخر يقابله. فلا نستطيع أن نقول بأن عمل شيءٍ ما هو صحيحٌ دائماً أو خطأً دائماً، فالزمان والوقت يحددان ذلك. ونلاحظ أن الكثير من هذه المتقابلات تتعلق بحياة وعبادة الجماعة: الغرس والقلع، القتل والشفاء، الهدم والبناء، البكاء والضحك، النوح والرقص، التفريق والجمع، السكوت والتكلم. وليس في هذه جميعها ما هو مطلق الصواب أو مطلق الخطأ، فأياً منها يكون صحيحاً في وقته وغير صحيحٍ في غير وقته. كيف نعرف إذاً متى نعمل وماذا نعمل؟ إن الإجابة تكمن في وظيفة الروح القدس السيادية، باعتباره الرب في الكنيسة. فهو يعلن ويقود إلى ما يجب عمله ويحدد التوقيت لذلك. والكنيسة التي يقودها الروح تعمل ما هو مناسبٌ في الوقت المناسب. هذا هو مصدر الحرية الروحية كلها. الحرية التي تتميز بالوحدة والانسجام. وبعيداً عن ذلك، هناك دائماً قدرٌ من العبودية والفوضى وعدم الوحدة.

في الفصل التالي سنتطرق لعلامةٍ مميزةٍ أخرى في حياة وعبادة الجماعة التي تعمّد أفرادها في الروح القدس، ويعيشون في حرية ممارسة قوة الروح القدس.

مشاركة كل الأعضاء

تنحصر الخدمات والأنشطة الأساسية في معظم كنائس اليوم، في أفرادٍ قليلين. أمّا باقي الأعضاء فيستطيعون المشاركة في أنشطةٍ مُعدّةٍ مُسبقاً، فيرثمون بعض الترانيم، أو يرددون بعض الصلوات. وربما تجد في الكنيسة فريقاً للترنيم مثلاً، وكل شيءٍ آخر يكون مسؤولية واحدٍ أو اثنين، بينما يكون الآخرون في حالةٍ من الجمود. فهناك شخص يقود الترنيم دائماً، وآخر يصلي، وآخر يعظ. وأحياناً تجد شخصاً واحداً يقوم بهذا كله، أمّا الباقون فلا يُطلب منهم أكثر من ترديد الكلمة "أمين" بطريقة تقليدية. فإذا عدنا لتفحص حياة وعبادة الكنيسة الأولى كما يصورها لنا العهد الجديد، نجد أنّ كل المؤمنين كانوا يشاركون بفعاليةٍ في كل الخدمات. لقد كان هذا نتيجةً لحضور الروح القدس ولقوّته العاملة في كل مؤمنٍ ومن خلال كل مؤمن.

السراج والمنازة

المزيد من الدراسة في تعليم العهد الجديد، يظهر أنّ مواهب وإظهارات الروح القدس فوق الطبيعي لا تُعطى للمؤمن مباشرةً في المقام الأول، لكنها تُعطى - من خلال إناء المؤمن للكنيسة ككل. لذلك فإنّ هذه المواهب والإظهارات لا تحقق هدفها، إلا إذا تمّت ممارستها وإعلانها في حياة الكنيسة. ويشير بولس إلى ذلك في ١ كورنثوس ١٢، حيث يعدد أولاً تسع مواهب للروح القدس، ثم يختتم بهذه الكلمات:

ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحدٍ بمفرده كما يشاء (١ كورنثوس ١٢: ١١).

والعبارة الأخيرة تشير إلى أنَّ هذه المواهب تُعطى أصلاً لكل مؤمنٍ على انفراد، إلّا أنَّ بولس لا يقف عند هذا الحد، ففي الأعداد ١٢-٢٧ يتابع بولس حديثه مشبّهاً الكنيسة بالجسد الواحد الذي فيه أعضاء كثيرون، وهذه الأعضاء تمثّل المؤمنين كأفراد، حيث يُنهي بولس حديثه بهذه الكلمات: "وأما انتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً" (ع ٢٧). فمع أنَّ المواهب الروحية تُعطى للأفراد المؤمنين، فإنها تُعطى لهم من أجل تمكينهم من أخذ دورهم المناسب في الكنيسة التي هي جسد المسيح. إذًا، هذه المواهب ليست معدّة بالأصل لمنفعة الأفراد، بل لحياة ولعبادة الجماعة ككل. يؤكد بولس هذه النقطة في العدد التالي مباشرةً:

فوضع الله أناساً في الكنيسة: أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين، ثم قوات، وبعد ذلك مواهب شفاء، أعواناً، تدابير، وأنواع السنة (١ كورنثوس ١٢: ٢٨).

يقول بولس بأنَّ هذه الخدمات والمواهب المختلفة كلها، قد وضعها الله في الكنيسة للإظهار العلني في وسط الجماعة لا للاستخدام الفردي فقط. ونجد توضيحاً جميلاً لهذه الحقيقة في أحد أمثال يسوع البسيطة:

ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت (متى ٥: ١٥).

الرمزان الأساسيان في هذا المثل هما السراج والمنارة. أمّا رمز المنارة فيمكن تفسيره بالرجوع إلى رؤيا ١: ٢٠:

...والمناير السبع التي رأيته هي السبع الكنائس.

ترمز المنارة في كل الكتاب إلى الكنيسة أو إلى جماعة المؤمنين، أمّا رمز السراج الموقد، فنفسره بالرجوع إلى أمثال ٢٠: ٢٧:

نفس الإنسان سراج الرب.

فالسراج الموقد يشير إلى نفس أو روح المؤمن المعمد في الروح القدس. تلك النفس التي تتوقد فيها وتشع منها نار الروح الساكن فيها. وكما ينبغي أن يوضع السراج على المنارة، كذلك ينبغي أن يوضع المؤمن المعمد في الروح القدس في وسط الجماعة في الكنيسة. أمّا إذا لم يمارس المعمد في الروح مواهب الروح في الخدمة العامة، فإنه يكون كسراج تحت المكيال، إذ أنه لا يحقق هدف الله من منحه هذه العطية.

وعندما تظهر قوة الله في وسط الجماعة من خلال الأفراد المختلفين، فإن حياة الكنيسة بأكملها تتغير، ولا تعود المسؤولية عن الخدمة وتسيير أمورها مقصورة على واحد أو اثنين بينما يتفرّج الآخرون، بل يبدأ كل فرد بالمشاركة الفعّالة في الخدمة، ويبدأ الأعضاء المختلفون بخدمة بعضهم بعضاً بدلاً من الاقتصار على عددٍ محدودٍ يخدم الجميع كل الوقت.

ويؤكد بطرس مثال الجسد والأعضاء الذي ذكره بولس.

ليكن كل واحدٍ بحسب ما أخذ موهبةً يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة، إن كان يتكلم أحدٌ فكأقوال الله وإن كان يخدم أحدٌ فكأنه من قوة يمنحها الله، لكي يتمجد الله في كل شيءٍ بيسوع المسيح (١ بطرس ٤: ١٠-١١).

يتحدث بطرس هنا عن نعمة الله المتنوعة والغنية، ويبين كثرة إظهارات النعمة التي يمكن أن تنبعث في عبادة شعب الله وفي خدمته من خلال كل مؤمنٍ بمفرده. وهكذا يكون لكل عضوٍ أن يقبل من الله خدمةً أو إظهاراً روحياً خاصاً يخدم به باقي الأعضاء. ويؤكد بطرس على مشاركة كل عضوٍ في الكنيسة بلا استثناء ومن دون أن يُترك أحدهم بلا خدمة أو بلا موهبة، فيقول: "ليكن كل واحدٍ بحسب ما أخذ موهبةً بخدم بها بعضكم بعضاً" (١ بطرس ٤: ١٠). ويقول أيضاً: "إن كان يتكلم أحدٌ (anyone) ... إن كان يخدم أحدٌ" (١ بطرس ٤: ١١). فلا ذكر هنا عن كنيسةٍ فيها خادمٌ أو اثنين يحترفون (الخدمة المتفرغة)، بينما يبقى الآخرون في حالةٍ من الجمود

والسلبية، فكل مؤمن له مكانة في خطة الله للكنيسة. فلكل واحدٍ موهبة، ولكل واحدٍ أن يخدم وأن يتكلم. إنها الصورة التي تؤكدُها كلمات بولس التالية:

فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل من هو بينكم أن لا يرتني فوق ما ينبغي أن يرتني، بل يرتني إلى التعقل كما قسم الله لكل واحدٍ مقداراً من الإيمان. فإنه كما في جسدٍ واحدٍ لنا أعضاء كثيرة، ولكن ليس جميع الأعضاء لها عملٌ واحد، هكذا نحن الكثيرون جسدٌ واحد في المسيح وأعضاءٌ بعضاً لبعض كل واحدٍ للآخر. ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا، أنبوةً فبالنسبة إلى الإيمان. أم خدمةٌ ففي الخدمة، أم المعلم ففي التعليم، أم الواعظ ففي الوعظ. المعطي فبسقاء، المدبر فباجتهاد، الراحم فبسرور (رومية ١٢: ٣-٨).

في هذه الأعداد، يشبّه بولس الكنيسة بالجسد مرةً أخرى، وأعضاء هذا الجسد هم المؤمنون كأفراد. لاحظ تكرار عباراتٍ مثل: "لكل واحدٍ"، "الأعضاء"، "كل واحدٍ للآخر"، فبولس يعلم بأن الله قد خصص عملاً ما وخدمةً خاصةً لكل مؤمن. بالإضافة إلى ذلك فقد وفر الله عطيةً مزدوجةً من أجل تمكين المؤمن من ممارسة تلك الخدمة بفعالية: (١) مقدار الإيمان، (٢) المواهب الخاصة التي تحتاج إليها الخدمة. وبهذه الطريقة يكون كل مؤمنٍ مجهّزاً لخدمته الخاصة. إذًا، فالعهد الجديد يصوّر الكنيسة كجسدٍ نشيطٍ فعّال، وكل عضوٍ فيه يقوم بعمله المناسب. أمّا الكنيسة التي يعمل بعض أعضائها فقط، فإنها - كما يراها العهد الجديد - جسدٌ فيه الرأس وذراعٌ واحدة ورجلٌ واحدة تعمل بقوة، بينما تكون باقي أعضاء الجسد مشلولة. فيمكن اعتبار هذا الجسد بأكمله في حالة لا تؤهله لإنجاز العمل المطلوب منه.

ويولي بولس أهميةً خاصةً للخدمة فوق الطبيعية التي يوفرها الروح القدس لكل مؤمنٍ في كنيسة العهد الجديد فيقول:

ولكنه لكل واحدٍ يعطي إظهار الروح للمنفعة (١ كورنثوس ١٢: ٧).

ثم يقول بخصوص مواهب الروح القدس فوق الطبيعية التسع:

ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحدٍ بمفرده كما يشاء (١ كورنثوس ١٢: ١١).

لاحظ ما يقوله بولس هنا: "ولكنه (الله) لكل واحدٍ (لكل عضوٍ في الكنيسة) يعطي إظهار الروح (الكشف أو الإظهار العلني للروح الساكن في المؤمن)" (١ كورنثوس ١٢: ٧). ثم يقول أن كل هذه المواهب التسع تقسم "لكل واحدٍ بمفرده (لكل عضو)" (١ كورنثوس ١٢: ١١).

ممارسة المواهب الروحية

يؤكد ما قرأناه أن إرادة الله المعلنة لكل عضوٍ في الكنيسة هي أن يمارس المواهب الروحية، أي الإظهارات فوق الطبيعية العلنية للروح الساكن في المؤمن. فإذا لم تكن هذه المواهب عاملةً في جميع المؤمنين فذلك ليس لأن الله يمنعها، بل لأن مثل أولئك المؤمنين فشلوا، بسبب الإهمال وعدم الإيمان، بالدخول في ملء إرادة الله المعلنة لشعبه. فهم قد أخفقوا في طاعة ما حضَّهم بولس عليه قائلاً: "جُدُّوا للمواهب الحسنى" (١ كورنثوس ١٢: ٣١)، "اتبعوا المحبة، ولكن جُدُّوا للمواهب الروحية، وبالأولى أن تتنبأوا" (١ كورنثوس ١٤: ١). ويذكر بولس ثلاث مواهب بأكثر تحديد وهي الألسنة وترجمة الألسنة والنبوة.

إنني أريد أن جميعكم تتكلموا بألسنة ولكن بالأولى أن تتنبأوا (١ كورنثوس ١٤: ٥).

وبما أن بولس يكتب هنا بوحى الروح القدس، فإن كلماته تتضمن إرادة الله، المعلنة للكنيسة، وهي أن يتكلم الجميع بألسنة وأن يتنبأوا، فإذا كان هناك من لا يتمتع بهاتين الموهبتين، فذلك ليس لأن الله منعهما، بل لأن مثل أولئك المؤمنين لم يدخلوا في ملء ميراثهم في المسيح. لقد قال الرب ليشوع ولشعبه في العهد القديم:

...بقيت أرض كثيرة جداً للامتلاك (يشوع ١٣: ١).

وهكذا بالنسبة لشعب الله في العهد الجديد اليوم حيث يقول بولس:

من يتكلم بلسانٍ فليصلِّ لكي يُترجم (١ كورنثوس ١٤: ١٣).

وكلمة الله لا تطلب منّا أن نصلي من أجل شيءٍ خارج إرادة الله، ومن هنا نعلم أنّ إرادة الله لكل من يتكلم بالسنة هي أن يترجم أيضاً، وبما أنّ بولس كان قد أشار إلى أنّ إرادة الله هي أنّ الجميع يتكلمون بالسنة، فإنّ إرادة الله أيضاً هي أنّ الجميع يترجمون،

لأنكم تقدرّون جميعكم أن تتنبأوا واحداً واحداً ليتعلّم الجميع ويتعزّى الجميع (١ كورنثوس ١٤: ٣١).

فلا شيء أوضح من هذا لتأكيد أنّ إرادة الله المعلنة لكل أعضاء الكنيسة، هي أن يتنبأوا. وينظّم بولس ذلك بقاعدتين فقط، أمّا الأولى فنجدها في هذا العدد نفسه حيث يقول بولس: "واحداً واحداً" فلا يصلح أن يتنبأ أكثر من واحدٍ في الوقت نفسه، والسبب في ذلك واضحٌ ويذكره بولس بعد ذلك ببضعة أعداد، وهو تجنب التشويش. أمّا القاعدة الثانية فنجدها في ١ كورنثوس ١٤: ٢٩:

أمّا الانبياء فليتكلم اثنان أو ثلاثة وليحكم الآخرون.

يحدد بولس هنا عدد الذين يتنبأون في اجتماع واحد باثنين أو ثلاثة، وذلك لمنع احتكار الخدمة كلها لإظهار روعي واحد، فكما أنّ للنبوة دورها في الخدمة، فإنّ أشكالاً أخرى كثيرة مطلوبة لاستكمال الخدمة. فالنبوة لا تصنع الخدمة كلها حيث أنّ عمل الروح القدس في وسط شعبه هو أكثر تنوعاً وتجّداً من أن ينحصر في موهبة واحدة.

يقول بولس في هذا العدد أيضاً بضرورة إخضاع النبوة للامتحان والحكم، فيقول بوضوح: "وليحكم الآخرون." إنّ الكلمة "آخرون" هنا تتضمن كل المعمّدين في

الروح القدس الحاضرين والمؤهلين للتعرف على حقيقة النبوة. ونلاحظ هنا أنَّ بولس يشمل كل الأعضاء أيضاً، فلا يحدد مسؤولية الحكم بخادمٍ متخصص، لكنه يحمل الجميع المسؤولية.

لا تطفنوا الروح، لا تحتقروا النبوات، امتحنوا كل شيء، تمسكوا بالحسن (١ تسالونيكي ٥: ١٩-٢١).

هذه الأعداد موجهة للمؤمنين على وجه العموم، ويجب أخذها بعين الاعتبار مجتمعةً. فمن الخطأ أن يُطفيء المؤمنون الروح برفضهم لعمل وإظهارات الروح القدس في وسطهم، ومن الخطأ أيضاً أن يحتقروا النبوات بلجوتهم إلى الانتقاد وعدم الاحترام والعصيان وعدم الإيمان. ثم هم مسؤولون عن امتحان النبوة بعد سماعها، وذلك حسب مقاييس كلمة الله، والتمسك بما هو صحيحٌ ومنسجمٌ مع الكلمة.

إنَّ بولس - كما نرى - شديد الحذر في مواجهة أي إظهار روحي زائف أو مثير للتشويش. إلا أنه يكرر مع ذلك ويؤكد على ضرورة ممارسة الجميع لإظهارات المواهب الروحية باستمرار. ويؤكد بشكلٍ خاص على مواهب الألسنة وترجمة الألسنة والنبوة.

ما الذي يحدث في الكنيسة عندما يمارس كل الأعضاء مواهب الروح القدس فوق الطبيعية بحرية وأمام الجميع؟ يصف بولس طبيعة الاجتماعات التي تنتج عن ذلك. فيقول:

فما هو إذاً ايها الاخوة ؟ متى اجتمعتم فكل واحدٍ منكم له زمور، له تعليم، له لسان، له إعلان، له ترجمة. فليكن كل شيءٍ للبنيان (١ كورنثوس ١٤: ٢٦).

والعبارة "كل واحد... له" تتضمن نمطاً كتابياً يشير إلى مشاركة كل الأعضاء بطريقة فعّالة. أمّا اليوم، فغالباً ما يجتمع المؤمنون لهدف الأخذ لا المشاركة. فهم يأتون للحصول على البركة والشفاء وللإستماع إلى الواعظ. وهو ليس نمط كنيسة العهد

الجديد، حيث لا يأتي الأعضاء للأخذ فقط بل للمشاركة أيضاً، فكل واحد منهم كان لديه شيء عهد به الروح القدس إليه، ويستطيع بدوره أن يشارك بما لديه في خدمة الكنيسة وعبادتها.

ويذكر بولس عدة أشكال ممكنة من المشاركة، فالمزمور يشير إلى شكل من أشكال المشاركة الموسيقية، وقد يكون ذلك موهبة طبيعية أو إظهاراً فوق طبيعي للروح القدس. والتعليم هو القدرة على توصيل بعض الحق من كلمة الله. أمّا اللسان والترجمة فتغطيان مواهب النطق الثلاثة: اللسان والترجمة والنبوة. والاعلان يغطي المواهب الاعلانية الرئيسة وهي: كلام الحكمة وكلام العلم وتمييز الأرواح. وهكذا يشارك الجميع - كل بما لديه - في خدمة الكنيسة العامة وفي عبادتها الجماعية من خلال عمل المواهب فوق الطبيعية في الأغلب. وهم يُتممون بذلك وصية بطرس عندما قال:

ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبةً يخدم بها بعضكم بعضاً
(١ بطرس ٤: ١٠).

ويؤكد بطرس هنا ما ذهب إليه بولس بأن قدرة الأعضاء على خدمة بعضهم بعضاً تعتمد بالأساس على قبولهم للمواهب الروحية فوق الطبيعية، مما ينقلهم من محدودية ثقافتهم ومواهبهم الطبيعية إلى بعد جديد من الحرية الروحية. ولو كانت مشاركتهم في الخدمة تعتمد فقط على ثقافتهم وقدراتهم الشخصية، لما وجد كثيرون منهم مكاناً للمشاركة. وهذا ما نراه في معظم كنائسنا اليوم، حيث يقع العبء الأكبر على أشخاص معدودين ويبقى الآخرون بلا فاعلية، ومن دون فرصة للتفاعل والنمو الروحيين.

لماذا يعاني الكثيرون من الخدام المتفرغين في كنائسنا اليوم من الانهيارات العقلية أو العصبية؟ إن الإجابة تكمن في أن شخصاً واحداً يكافح من أجل حمل عبء مسؤولية لم يضعها الله عليه وحده، بل أراد الله أن يوزعها على كل أعضاء الكنيسة، والنتيجة الحتمية لذلك هي الانهيار بشكلٍ ما. والحل الوحيد لمثل هذا الوضع المحبط،

هو خدمة الروح القدس فوق الطبيعية في الكنيسة، حيث يوزع الروح على الجميع كما يشاء، هذا يحرر المؤمنين من محدوديتهم ويدخلهم إلى بُعدٍ روحي جديد، يتحمل فيه الجميع معاً ثقل المسؤولية. فعندما يكون كل شخص جاهزاً لأخذ دوره في الخدمة، ستتم الكنيسة ككل رسالتها كجسد المسيح.

القسم الثالث



الكارز الممتلىء من الروح

التبكيث على الأمور الأبدية

في الفصلين السابقين درسنا تأثيرات المعمودية في الروح القدس على حياة وعبادة جماعة المؤمنين. أما الآن فسنركز اهتمامنا في خدمة الكارز، وهو المؤمن المدعو من الله لخدمة التبشير بكلمة الله، وسنسعى إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما هي النتائج الخاصة التي تحققها المعمودية في الروح القدس في حياة المبشر؟

٢- كيف تختلف خدمة المبشر المدعم بقوة الروح القدس عن غيره؟

ومن المناسب في هذا الصدد أن نبدأ بكلمات بطرس، حيث يذكر الكنيسة الأولى بالمبشرين الذين قدّموا لهم رسالة الانجيل وكانوا مثلاً لهم، فيقول:

... الذين بشروكم في الروح القدس المرسل من السماء
(١ بطرس ١: ١٢).

تظهر هذه الكلمات الطبيعة الأساسية التي تميز مبشري العهد الجديد، الذين لم يعتمدوا أساساً على التعليم أو الفصاحة أو المواهب الطبيعية، بل على الروح القدس المرسل من السماء. لقد اتكلوا واعتمدوا على الحضور الشخصي للروح القدس وعلى قوته العاملة فيهم وبهم ومن خلالهم، بينما كانت كل الوسائل والقدرات الأخرى تابعة لقوة الروح القدس وحضوره المسيطر. فما هي إذاً النتائج التي تتمخض عن الإقرار بتفوق وألوية الروح القدس في خدمة المبشر؟

الخطية والبرّ والدينونة

ومتى جاء ذاك (الروح القدس) يبكتّ العالم على خطية وعلى برّ وعلى دينونة (يوحنا ١٦: ٨).

والمعنى البديل للكلمة "يبكتّ" هو "يُقنع"، فالروح القدس سيقنع العالم بالخطية وبالبرّ وبالدينونة. فيمكن أن نقول أيضاً: "الروح القدس سيردّ انتباه العالم غير المؤمن ليدرك الخطية والبرّ والدينونة، بطريقة لا يمكن للعالم بعدها أن يتجاهل أو أن يُنكر هذه الأمور". إنّ الخطية والبرّ والدينونة، هي الحقائق الأبدية الثابتة، وهي قاعدة الإيمان الحقيقي كله.

ويذكر بولس أهل أثينا المتكبرين والعقلانيين، والذين يعتقدون بعدم حاجتهم إلى ما هو خارج ذواتهم، يذكرهم بحقيقة دينونة الله قائلاً:

لأنه (الله) أقام يوماً هو فيه مزعم أن يُدين المسكونة بالعدل (أعمال ١٧: ٣١).

لقد أقام الله الدينونة إذاً، فلا عذر ولا استثناء ولا هروب لأحد. وفي هذه الدينونة سيكون معيار الله هو البرّ: "يدين المسكونة بالعدل" أو "...بالبرّ" (KJV). فالله لن يدين الإنسان بناءً على ثروته أو ذكائه أو انتمائه الديني، بل بناءً على البرّ. والمفهوم البسيط للبرّ نجده في ١ يوحنا ٥: ١٧.

كل إثمٍ (عدم برّ - KJV unrighteousness) هو خطية.

فمن الناحية الأدبية، هناك معاكس واحد للبرّ هو الخطية. وينبغي تعريف الخطية باستخدام مفهوم البرّ، وذلك من باب تعريف ما هو سلبي باستخدام ما هو ايجابي. فإذا أردنا أن نشرح معنى الكلمة "أعوج" مثلاً، فإنّ أفضل ما نبدأ به تعريفنا هو أن نحدد معنى الكلمة "مستقيم". نستطيع أن نرسم خطأً مستقيماً بين نقطتين ونقول: "هذا مستقيم". ثم نقول: "كل خطٍ آخر يصل بين هاتين النقطتين ولا ينطبق

على هذا المستقيم هو خطُّ أعوج." إنَّ مقدار انحراف الخط الأعوج عن المستقيم هو أمرٌ ثانوي هنا، فلا فرق إن انحرف بمقدار درجةٍ واحدةٍ أو عدة درجات، فهو أعوج على كل حال. وهذا ينطبق على الخطية والبرّ، فكل ما هو ليس برّاً هو خطية، وكل سلوكٍ غير بارٍ هو خاطيء. إذ أنَّ الله قد وضع مقياساً إلهياً للبرّ، وكل ما ينحرف عن هذا المقياس هو خاطيء، بغض النظر عن صِغر درجة الانحراف أو كبرها.

والآن، ما هو مقياس البرّ الإلهي؟ نجد الإجابة في المقطع الثاني من العدد الذي اقتبسناه سابقاً من خطبة بولس في أثينا:

لأنه (الله) أقام يوماً هو مزعمٌ أن يدين المسكونة بالعدل برّجلٍ قد عيّنه مقدّماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات (أعمال ١٧: ٣١).

ما هو مقياس البرّ في هذا العدد؟ إنه ليس قاعدةً ذهبيةً أو قانوناً أخلاقياً، ولا هو حتى الوصايا العشر، لكنه ذلك المقياس الوحيد الذي يناسب البشر، وهو الرجل الذي قد عيّنه الله، وشهد له أمام الجميع إذ أقامه من الأموات. إنه الإنسان يسوع المسيح الذي هو مقياس البرّ الإلهي للإنسان. ولكي نفهم هذا المقياس، علينا أن ندرس حياة يسوع وشخصيته كما يصورها لنا العهد الجديد. وكل ما ينحرف عن مقياس يسوع ينحرف بالتالي عن مقياس البرّ.

يقدم بولس هذه الحقيقة نفسها بخصوص طبيعة البرّ والخطية إذ يقول:

الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله (رومية ٣: ٢٣).

فهو لا يحدد نوعاً من أنواع الخطية، كالكبرياء أو الشهوة أو القتل أو الكذب. لكنه يريد أن يؤكد على فكرةٍ واحدةٍ هي أنَّ الجميع مذنبون على حدٍّ سواء ويعوزهم مجد الله. وأنَّ الجميع فشلوا في أن يعيشوا بحسب المقياس الإلهي، بل كانوا جميعاً تحت معيار مجد الله. ومعيار المجد هذا يقودنا ثانيةً إلى يسوع الذي هو:

... بهاء مجده (الآب) ورسم جوهره... (عبرانيين ١: ٣).

فالإنسان يسوع المسيح هو الوحيد الذي عاش كل حياته محققاً معياراً واحداً ومثبتاً وجهه نحو هدفٍ واحد، وهو مجد الله الأب.

لقد رأينا هذه الأمور الثلاثة إذاً، الخطية والبرّ والدينونة. حيث تمّ تعريفها باعتبارها أساساً لمصير الإنسان الأبدي. ومع ذلك نجد أنّ الإنسان بطبيعته العتيقة الساقطة، لا يولي هذه القضايا أي اهتمام، إذ أنه عبدٌ لذنه الجسدي، ووسيلته الوحيدة للاتصال بالواقع هي طبيعته الجسدية وحواسه الطبيعية. فيتحرّك ويتأثر بتلك الأمور التي تُعلنها حواسه فقط، وهو لذلك مسجونٌ في نطاقٍ مادي جسدي يؤثر عليه ويسيطر على أفكاره، ويحتل كل وقته وطاقته.

أنصت إلى الناس في أحاديثهم اليومية في أي مكانٍ عام، ما هو موضوعهم المشترك؟ إنه المال بلا شك. لقد ثبت لي هذا بالتجربة بينما كنت أستمع لأحاديث الناس في عدة بلدان وبعده لغات. وتلي موضوع المال عدة مواضيع أخرى ترتبط بشكلٍ ما بطبيعة الإنسان وبكيانه المادي، فهناك أمورُ المتع الإنسانية والكماليات، وأكثر هذه المواضيع شيوعاً هي الرياضة والسياسة والتسلية والطعام والعمل والشؤون العائلية والسيارات والملابس والأثاث وغيرها. إنها الأمور التي تحتكر فكر الناس وتشكّل كل أحاديثهم. وبين هذه المواضيع كلها، لا تجد مكاناً للحديث عن الخطية والبرّ والدينونة. لماذا؟ لأنّ هذه الأمور الثلاثة لا تُدرك بحواس الإنسان الجسدية. فبالنسبة إلى الإنسان القابع في سجن حواسه الطبيعية وفهمه الجسدي، لا تشكل أمور الخطية والبرّ والدينونة أية أهمية على الإطلاق.

وهناك وسيلة واحدة تجعل هذه القضايا حقيقية بالنسبة إلى الإنسان، وهي عمل روح الله القدوس. فهو وحده يستطيع أن يقنع العالم بهذه الحقائق الأبدية الخفية. وبمقدار ما يعطى الروح مجالاً في قلب الإنسان وفي ذهنه، بمقدار ما يستطيع ذلك الإنسان أن يدرك الخطية والبرّ والدينونة ويهتم بها.

في مزمور ١٤: ٢-٣ صورةٌ موحى بها عن كيفية رؤية الله للبشر في حالتهم الطبيعية الساقطة، بعيداً عن تأثير نعمة الله وعمل روحه. يقول صاحب المزمور:

الرب من السماء أشرف على بني البشر
لينظر هل من فاهم طالب الله؟
الكل قد زاغوا،
معاً فسدوا
ليس من يعمل صلاحاً
ليس ولا واحد.

لاحظ ما يقوله الشاعر هنا عن حالة الإنسان الطبيعية، فهو لا يقول: "ليس من يعمل صلاحاً" فقط، بل إن انحراف الإنسان الروحي يذهب إلى ما هو أعمق من هذا، فليس هناك من هو فاهم أو من يطلب الله. ولا يصل الإنسان إلى حالة الفهم وطلب الله إلا إذا وصل الله بالروح القدس إلى الإنسان أولاً. فالإنسان من دون الله، لا يستطيع أن يصل إلى الله.

وأنتم إذ كنتم (وقد صرتم أحياء الآن) أموتاً بالذنوب والخطايا
(أفسس ٢: ١).

فبعيداً عن تأثير الروح القدس المحيي، يكون الإنسان ميتاً روحياً بالنسبة لله وبالنسبة للحقائق الروحية. لذلك، لا تعني الخطية والبر والدينونة شيئاً حقيقياً بالنسبة إليه. وهذا لا يعني بالضرورة أن الإنسان في هذه الحالة ليس له دين، بل - على العكس من ذلك - يمكن أن يكون للدين دور كبير في حياته، لكن الدين بعيداً عن عمل الروح القدس يمكن أن يكون من أكثر عوامل الخمود تأثيراً على الإنسان، حيث يخدره في إحساس من الأمان المزيف، ويقسّي قلبه من جهة تلك القضايا الروحية الأكثر أهمية، والتي يعتمد مصيره الأبدي عليها.

ويقدم بولس صورةً نبويةً عن المميزات الأخلاقية الرئيسة، والتي تشكّل شخصية الجنس البشري في أواخر دهرنا الحاضر:

ولكن أعلم هذا أنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة. لأن الناس

يكونون محبين لأنفسهم، محبين للمال، متعظمين مستكبرين مجذّفين غير طائعين لوالديهم، غير شاكرين دنسين بلا حنو بلا رضئاً ثالبيين عديمي النزاهة، شرسين غير محبين للصالح، خائنين مقتحمين متصلفين محبين للذات دون محبة الله، لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها. فاعرض عن هؤلاء (٢ تيموثاوس ٣: ١-٥).

يعدد بولس هنا ثمانى عشرة شائبة أخلاقية ستفسد حياة وسلوك الإنسان بينما يأتي هذا الدهر إلى نهايته. أولى هذه الشوائب هي "محبين لأنفسهم" ثم "محبين للمال" وآخرها "محبين للذات دون محبة الله". لقد أشار بولس من خلال بصيرة الروح القدس المعصومة إلى ثلاث علامات كبيرة تميز حضارتنا المعاصرة: "محبة النفس"، "محبة المال"، "محبة الذات". ويوجد في النص خمسة عشر شكلاً آخر من أشكال الانحراف الأخلاقي، جميعها ظهرت بوضوح في القرن العشرين أكثر من أي عصر مضى من التاريخ.

والموضوع الأكثر تحدياً لنا في وسط هذا كله، هو أنّ الدين ليس غائباً في هذا المشهد. فبعد أن يعدد بولس الشوائب الثمانى عشر، يضيف قائلاً: "لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها" (ع ٥). فهؤلاء الناس ليسوا بلا دين، بل لهم صورة من صور التقوى، وشكل من أشكال الدين. لكنه دين فارغ من حضور ومن قوة الروح القدس، فهو يفتقر إلى الحساسية الروحية، ولا يمنح إدراكاً للحقائق الروحية الأساسية، ولا يبيك على خطية أو على برّ أو على دينونة. ومن هنا نفهم بأنّ الكرازة بالانجيل من دون مرافقة تأثير الروح القدس هو مسعى لا فائدة فيه على الإطلاق، كتقديم علاج لمن لا يدرك حاجته إلى العلاج، أو دواء لمن لا يعرف بأنه مريض. فردة الفعل الطبيعية لمثل هذا المسعى هو اللامبالاة والازدراء.

إنّ عدو التبشير الأعظم ليس هو الشيوعية أو البدع، لكنه التفكير المادي واللامبالاة. والقوة الوحيدة التي تستطيع أن تحطم حصن المادية، هي قوة "الروح القدس الذي يبيك العالم على خطية وعلى برّ وعلى دينونة" (يوحنا ٨: ١٦). فالعالم

لا يحتاج إلى التبشير المجرد، بل إلى تبشيرٍ كذاك الذي مارسه الكنيسة الاولى بقوة الروح القدس.

الاستخدام البارع لسيف الروح

فلننظر باختصارٍ إلى أمثلةٍ عن طبيعة ونتائج ذلك النوع من التبشير الذي مارسه الكنيسة الاولى كما يسجلها لنا سفر أعمال الرسل.

في يوم الخمسين وقبل حلول الروح القدس، كان التلاميذ المئة والعشرون مجرد أقليةٍ ليس لها نفوذ. وبعد أن امتلأوا بالروح القدس، وقف بطرس وكرز لألوفٍ من اليهود الذين اجتمعوا، فماذا كانت النتيجة؟

فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟ (أعمال ٢: ٣٧).

لاحظ العبارة " نخسوا في قلوبهم." هذا هو عمل الروح القدس الذي سبق وأشار إليه يسوع قائلاً:

ومتى جاء ذاك (الروح القدس) يبكت العالم على خطية وعلى برٍّ وعلى دينونة (يوحنا ١٦: ٨).

ونتيجةً لهذا التبكيث، تاب ثلاثة آلاف من اليهود - قبل نهاية ذلك اليوم - معترفين بيسوع رباً ومخلصاً، ثم اعتمدوا في الماء. ومن الجدير بالملاحظة هنا، أن هذه النتيجة لم تُحقق بسبب الإظهار فوق الطبيعي للروح القدس فقط، بل بما تبع ذلك من كرازة بكلمة الله:

... استحسّن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة (١ كورنثوس ١: ٢١).

إنّ خطة الله ليست هي خلاص الإنسان من خلال مشاهدة المعجزات وسماع الإظهارات النبوية، فهذه الإظهارات فوق الطبيعية تعمل على شد انتباه الناس وعلى

فتح قلوبهم للحق. لكن فقط من خلال تبشيرهم بانجيل المسيح يخلصون. وهذا يؤكد الحقيقة التي أكدها بولس عندما قال بأن سيف الروح هو كلمة الله (أنظر أفسس ٦: ١٧). فلو لم يقف بطرس يوم الخميس ولم يعظ من كلمة الله، لما أثر ذلك على حضور الروح القدس في وسط التلاميذ، لكنه (الروح القدس) كان سيترك بلا سيف. ربما ينال غير المؤمنين هناك نصيباً من الدهشة والرغبة والإثارة، إلا أن أحداً منهم لن يولد ولادة ثانية. فما حدث يوم الخميس إذاً كان هو استخدام الروح القدس البارع لسيف كلمة الله ذي الحدين على فم بطرس، وهذا ما نخس قلوب السامعين ووضعهم تحت تأثير تبييت عميق. لقد كان نصف تلك العظة اقتباساً من العهد القديم. فما أعظم تأثير كلمة الله عندما تصل إلى قلب الإنسان بقوة الروح القدس!

في أعمال الرسل ٧ و٦ نقرأ كيف اتهم اليهود استفانوس بالتجديف، وأحضره ليحاكم أمام المجمع اليهودي. في بداية المحاكمة نرى أعضاء المجمع وهم يتهمون استفانوس ويدينونه، ولكن هذا المشهد ينعكس تماماً قبل أن تنتهي المحاكمة، إذ أن استفانوس، وقد بدأ يشرح لهم كلمة الله من العهد القديم بخصوص المسيح، جعل أعضاء المجمع أنفسهم موضع الإدانة والاتهام،

فلما سمعوا (أعضاء المجمع) هذا، حنقوا في قلوبهم وصرُّوا بأسنانهم عليه (أعمال ٧: ٥٤).

لقد اخترق سيف الكلمة قلوبهم. وكان شاب اسمُه شاول الطرسوسي شاهداً على محاكمة واستشهاد استفانوس. ولا بد أن هذه الحادثة كان لها تأثيرٌ عليه، إذ قال له يسوع عندما وقف أمامه على طريق دمشق:

صعبٌ عليك أن ترفض مناخس^١ (أعمال ٩: ٥).

فما الذي كان ينخس قلب شاول؟ إنها مناخس كلمة الله التي وصلت إلى قلبه بالروح القدس على فم استفانوس.

١ جمع منخس وهو أداة (من حديد غالباً) يُضرب بها جنب الدابة لدفعها إلى عمل شيء ما.

في أعمال ٢٤ نجد وصفاً لمحاكمةٍ أخرى، والمتهم الآن هو بولس. ها هو يقف ليحاكم أمام فيلكس الوالي الروماني بسبب إيمانه في المسيح، ومرةً أخرى يعكس الروح القدس الأدوار:

وبينما كان (بولس) يتكلم عن البرِّ والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون ارتعب فيلكس (أعمال ٢٤: ٢٥).

لقد وصل الروح القدس بحقائق البرِّ والدينونة إلى قلب فيلكس، هذا الوالي الذي اعتاد على أن يرتجف أمامه المتهمون، يجد نفسه هو الآن مرتعباً في حضرة قاضٍ غير مرئي، فيسارع إلى وقف المحاكمة من دون اتخاذ أي قرار.

هذه الأمثلة من سفر أعمال الرسل تعلن قوة الروح القدس فوق الطبيعية، وتبين عمله في تبكيّات الإنسان على الخطية والبرِّ والدينونة. ونفهم من هذه الأمثلة أيضاً، أنَّ التبكيّات لا يصاحبه الإيمان بالضرورة، لكن من المؤكد بأنَّ الروح القدس لا يترك للإنسان الذي يبيّته مجالاً للحياة. يقول يسوع:

من ليس معي فهو علي ومن لا يجمع معي فهو يفرِّق (متى ١٢: ٣٠).

فكل من يقع تحت تأثير قوة الروح المبكّنة، مضطر لاتخاذ موقفٍ محدد، إمّا مع المسيح أو عليه، إمّا أن يجمع أو أن يفرِّق. ولا مجال هنا للحياة أو المساومة.

لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً. فإني جئت لأفرِّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حمايتها (متى ١٠: ٣٤-٣٥).

يتحدث هنا يسوع عن سيف كلمة الله الذي يستخدم بقوة الروح القدس، إنه ماضٍ وخارق للدرجة التي ليس فيها مجالٌ للمساومة أو الحياة. هذا السيف يفرِّق بين أفراد العائلة الواحدة، بأنَّ يُجبر كل فردٍ على اتخاذ قراره الشخصي بأن يكون مع المسيح أو عليه.

إننا نعيش في حضارةٍ تتسم بالمادية واللامبالاة والمساومة، وتشوبها الانحرافات الروحية والأخلاقية. فما الذي يستطيع أن يوقف هذا المد؟ ما الذي يمكنه أن يعيد هذا الجيل إلى الله؟ إنَّ الإجابة تكمن في شيءٍ واحدٍ فقط، وهو قوة الروح القدس الذي يستخدم كلمة الله فيقنع العالم بالخطية والبرِّ والدينونة.

التأييد فوق الطبيعي

سندرس الآن تأثيراً مهماً آخر تنتجه المعمودية في الروح القدس في خدمة الكارز بالانجيل:

فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به ثم تثبَّت لنا من الذين سمعوا، شاهداً الله معهم بآياتٍ وعجائبٍ وقواتٍ متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته؟ (عبرانيين ٢: ٣-٤).

يضع الكاتب ثلاثة أسبابٍ ينبغي أن تجعل رسالة الانجيل موضع انتباهٍ شديد عند كل من يسمعها:

- ١- لأنَّ المسيح نفسه ابتدأ بالتكلم بها.
- ٢- لأنَّ هذه الرسالة وصلت إلينا من خلال أشخاصٍ رأوا وسمعوا كل ما حدث.
- ٣- لأنَّ هذه الرسالة قد تثبتت وتأيدت بطريقةٍ فوق طبيعية، بالآيات والمعجزات والعجائب ومواهب الروح القدس التي رافقتها. ومن هنا نكتشف بأنَّ إحدى مهام الروح القدس بالنسبة إلى التبشير، هي تثبيت الكلمة بالمواهب والمعجزات، وتأييد الحق والسلطان الإلهي الموجود في الرسالة.

بالآيات التابعة

وهذا ينسجم مع الأمورية التي أعطاها يسوع لتلاميذه عند نهاية خدمته على الأرض:

• اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها
(مرقس ١٦: ١٥).

• وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون
بالسنة الجديدة. يحملون حياتٍ وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم،
ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون (مرقس ١٦: ١٧-١٨).

يذكر يسوع في هذه الأعداد خمس آياتٍ أعدها الله لمرافقة الكرازة بالانجيل، ولتكون
بمثابة شهادة الهية للحق:

١- إخراج الشياطين

٢- التكلم بالسنة الجديدة

٣- المناعة ضد خطر الحيات

٤- المناعة ضد الطعام والشراب المسموم

٥- شفاء المرضى من خلال وضع الأيدي باسم يسوع

إنَّ الكلمة "باسمي" التي تنصدر هذه القائمة، تنطبق على البنود الخمسة كلها. إذ أنَّ
تأثير فاعلية هذه الآيات يتوقف على الإيمان في اسم الرب يسوع.

ونلاحظ أيضاً أنَّ هذه الآيات فوق الطبيعية ليست مقصورةً على فئةٍ محددةٍ
من الناس. فلم يقل يسوع: "هذه الآيات تتبع الوعَّاظ" أو "...تتبع الكنيسة الأولى" أو
"...تتبع الرسل"، لكنه قال: "هذه الآيات تتبع المؤمنين"، فكل المؤمنين لهم الحق أن
يتوقعوا أن ترافق هذه الآيات شهادتهم وتؤيدها، وذلك بينما هم يسعون لإعلان أخبار
الانجيل السارة لكل البشر، طاعةً منهم لوصية المسيح. هكذا فهم التلاميذ الأوائل تلك
الوصية وطبقوها.

ثم أنَّ الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله، وأمَّا هم
فخرجوا وكرزوا في كل مكانٍ والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات
التابعة (مرقس ١٦: ١٩-٢٠).

لقد تحقق هذا بصورته الوافية بعد أن صعد الرب يسوع إلى السماء، وأخذ مكانه عن يمين الآب. بعد ذلك عمل الرب مع تلاميذه وثبّت كلامهم، لا بحضوره الجسدي على الأرض، بل بحضور وقوة الروح القدس الذي انسكب عليهم يوم الخمسين. فالروح القدس كان هو المسؤول الفعلي عن التأييد فوق الطبيعي لشهادة التلاميذ، إذ أنّ من وظائفه المميزة أن يشهد لحق رسالة الله بطريقة فائقة.

ونجد ما يؤكد هذا في خدمة يسوع وتلاميذه على حد سواء. فقبل أن يعتمد يسوع من يوحنا في الأردن، لا يوجد ذكر لرسالة أو معجزة صنعها يسوع. ولمّا اعتمد من يوحنا، نزل الروح القدس عليه من السماء بهيئة حمامة، ثم اقتيد ليجرّب من إبليس في البرية أربعين يوماً، وفي نهاية تلك الأيام ابتدأ يسوع خدمته العلنية. وكانت المعجزات العظيمة والمواهب الفائقة ترافق رسالته باستمرار وطوال ثلاث سنوات ونصف. وقد أعلن يسوع أنّ هذا التأييد هو عمل الروح القدس، حين اقتبس هذه النبوة من سفر إشعياء:

روح الرب علي
لأنه مسحني لأبشّر المساكين
أرسلني لأشفي المنكسري القلوب
لأنادي للمأسورين بالإطلاق
وللعمي بالبصر
وأرسل المنسحقين في الحرية
وأكرز بنبوءة الرب المقبولة (لوقا ٤: ١٨-١٩).

ينسب يسوع كرازته وما رافقها من معجزات الرحمة والتحرير إلى مسحة الروح القدس التي عليه:

ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله
(متى ١٢: ٢٨).

ونراه هنا يعزو قدرته على إخراج الشياطين للروح القدس.

أيضاً يؤكد بطرس دور الروح القدس في خدمة المسيح، عندما يخاطب اليهود في سفر الأعمال قائلاً:

يسوع الناصري رجلٌ قد تبرهن لكم من قِبَل الله بقواتٍ وعجائب وآياتٍ صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون (أعمال ٢: ٢٢).

حيث يشير بطرس إلى أنَّ المعجزات والآيات هي تأكيدٌ وبرهان من الله، يؤكد بواسطتها أنَّ خدمة يسوع هي من مصدرٍ إلهي. وفي كلامه للأمميين في بيت كرنيليوس يصف بطرس خدمة يسوع بهذه الكلمات:

يسوع الذي من الناصرة، كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس لأنَّ الله كان معه (أعمال ١٠: ٣٨).

فالشفاء ينسب هنا إلى مسحة الروح القدس.

وكما في خدمة يسوع، كذلك الحال أيضاً في خدمة تلاميذه. فقبل يوم الخمسين كان التلاميذ يتمتعون بقدرٍ من الخدمة فوق الطبيعية، حيث يصف الكتاب المقدس الاثني عشر في إرساليتهم الأولى بهذه الكلمات:

فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا، وأخرجوا شياطين كثيرةً ودهنوا بزيتٍ مرضى كثيرين فشفوهم (مرقس ٦: ١٢-١٣).

نقرأ أيضاً عن التلاميذ السبعين الذين أرسلهم يسوع فيما بعد ما يلي:

فرجع السبعون بفرحٍ قائلين يا رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك (لوقا ١٠: ١٧).

لكن مشاركة التلاميذ في الإظهارات فوق الطبيعية كانت محدودة خلال وجود يسوع على الأرض. وكانت مجرد امتدادٍ لخدمة يسوع وحضوره. وبحلول الروح القدس يوم الخمسين نرى إظهاراً لحظياً لإحدى الآيات الموعود بها في مرقس ١٦: "وابتدأوا

(جميعاً) يتكلمون بالسنة" (أعمال ٤:٢). وفي الأصحاح الثالث من سفر الأعمال حادثة الشفاء المعجزي للأعرج على باب الجميل. أمّا بقية السفر فهو سجل حافل بتأييد الروح القدس المعجزي لرسالة وخدمة التلاميذ. هذا التأييد يمكن أن نلخصه في كلمات عبرانيين ٤:٢:

شاهداً الله معهم بآياتٍ وعجائبٍ وقواتٍ متنوعةٍ ومواهب الروح القدس حسب إرادته.

نجد في سفر أعمال الرسل أمثلةً على أربع آياتٍ من الخمس المذكورة في مرقس ١٦: التكلم بالسنة الذي ابتدأ في يوم الخمسين ثم ظهر في مناسباتٍ أخرى لاحقة، شفاء المرضى وإخراج الشياطين يظهران في خدمة فيلبس وبولس وباقي الرسل، المناعة ضد لدغة الثعبان في اختبار بولس في جزيرة مالطا (انظر أعمال ٢٨: ٣-٦). ويوجد سجلٌ حديثٌ لمثل هذه الآيات في كتيّب نُشر في النصف الأول من القرن العشرين تحت عنوان: "الآيات التابعة" لمؤلفه وليم بيرتن (William Burton) الذي خدم أكثر من أربعين سنة كمرسلٍ في الكونغو. ويذكر بيرتن في كتابه أمثلةً شاهدها أو اختبرها بنفسه، عن كل آيةٍ من الآيات الخمس على التوالي. ويذكر بشكلٍ خاص، اختباراتٍ عن المناعة ضد سموم الأفاعي وأنواعٍ أخرى من السموم التي كان يدسها بعض الأطباء السحرة الذين يقاومون انتشار الانجيل في طعام المرسلين والمبشرين. لقد وعد يسوع بأن هذه الآيات تتبع المؤمنين بلا استثناء، فلم يحدد لذلك زماناً أو مكاناً:

الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها لأنني ماضٍ إلى أبي (يوحنا ١٤: ١٢).

لاحظ الأساس في هذا الوعد: "من يؤمن بي، فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً." إنّ العبارة "من يؤمن بي" تتكرر كثيراً في العهد الجديد، وهي تفهم على وجه العموم، فتشير إلى أي مؤمنٍ حقيقي في أي مكان، وهي غير محددةٍ بفئةٍ أو عمرٍ أو نوعيةٍ خاصة من المؤمنين. لكن الامكانية من تحقيق هذا الوعد في حياة المؤمن

تتوقف على المقطع الأخير من يوحنا ١٤: ١٢، حيث يقول يسوع:

لأنني ماضٍ إلى أبي.

ويقول بعد هذا بقليل:

وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتُم فتعرفونه لأنه ماكثٌ معكم ويكون فيكم (يوحنا ١٤: ١٦-١٧).

فالروح القدس المرسل من محضر الآب، يمكن المؤمنين من أن يعمل أعمال يسوع، إذ أنه يمكث مع المؤمنين ويكون فيه. إنها ذات مسحة الروح القدس التي عملت في يسوع أولاً، وهي تعمل الآن في المؤمنين وتقودهم في خطى خدمة يسوع الفائقة، والتي ابتدأ بها بعد أن حلَّ الروح القدس عليه. فالخدمة فوق الطبيعية لا تعتمد على أية قوة طبيعية أو قدرة شخصية لدى المؤمن، بل على مسحة الروح القدس.

الاعلان الفائق يتطلب تأييداً فائقاً

إنَّ الدراسة الشاملة للكتاب المقدس، تظهر أنَّ التأييد فوق الطبيعي لرسالة الانجيل، هو حقيقةٌ تنسجم مع تعاملات الله مع شعبه عبر العصور. فعندما كان يعهد الله برسالته إلى انسانٍ ما، ويطيعه ذلك الإنسان، كان الله يشهد لتلك الرسالة بطريقةٍ معجزية.

نجد هذا في قصة تقدمتي قايين وهابيل في بدايات التاريخ البشري (انظر تكوين ٤: ٣-٨). فهما (التقدمتان) تمثلان نموذجين رئيسيين لكيفية ممارسة الإنسان للعبادة على امتداد التاريخ البشري كله. فقد قدَّم قايين من ثمر الأرض التي لعنها الله (انظر تكوين ٣: ١٧)، فكانت تقدمته نتاجاً لأعماله وتفكيره الخاص. فلا معرفة حقيقية بالله ولا إقرار بالخطية وما تبعها من لعنة، ولا إدراك للحاجة إلى الذبيحة من أجل مغفرة الخطايا.

أمّا هابيل فقد قدّم ذبيحةً من أبقار غنمه، معترفاً بحقيقة الخطية والحاجة إلى المغفرة بسفك دم الذبيحة. ولم يدرك هابيل ذلك بتفكيره الخاص، بل باعلان الهي. فعبادته كانت تعتمد على ايمانه في الله، لا على أعماله:

بالإيمان قدّم هابيل لله ذبيحةً أفضل من قايين. فيه شهد له أنه بار إذ شهد الله لقرايينه (عبرانيين ١١: ٤)

وكما سبق ووضحنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب، فإنّ "الإيمان بالخبر (السماع) والخبر بكلمة الله" (رومية ١٠: ١٧). أي أنّ الإيمان مبني على الإعلان الإلهي من خلال كلمة الله، وقد قبل هابيل هذا الإعلان وأطاعه، مما جعل الله يشهد لقرايينه بطريقة فوق طبيعية. ويُجمع معظم الباحثين في الكتاب المقدس بأنّ ناراً نزلت من السماء والتهمت ذبيحة هابيل، بينما رفض الله تقدمة قايين.

... فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر (تكوين ٤: ٤-٥).

منذ ذلك اليوم، والله يؤيد الحق الذي يعلنه للانسان بطريقةٍ معجزية.

في خروج ٤ نقرأ كيف أرسل الله موسى برسالة التحرير لشعبه في مصر، وقد أعطاه الله ثلاث آياتٍ فائقة كي ترافق رسالته وتؤيدها. وفي لاويين ٩: ٢٤ وعندما فرغ موسى وهرون من تقديم الذبائح في خيمة الاجتماع:

خرجت نارٌ من عند الرب وأحرقت على المذبح المحرقة والشحم، فرأى جميع الشعب وهتفوا وسقطوا على وجوههم (لاويين ٩: ٢٤).

وعندما انتهى سليمان من صلاته في تدشين الهيكل:

نزلت النار من السماء وأكلت المحرقة والذبائح وملأ مجد الرب البيت (أخبار الأيام الثاني ٧: ١).

وقد أيّد الرب رسالة إيليا وشهادته عندما تحدى أنبياء البعل،

فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التي في القناة. فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا: الرب هو الله (ملوك الاول ١٨: ٣٨-٣٩).

ولم تتوقف الشهادة الإلهية فوق الطبيعية لرسالة الأنبياء عند ايليا، بل استمرت في خدمة أليشع وإشعيا وحزقيال ودانيال وغيرهم كثيرون.

وباعلان رسالة الانجيل في العهد الجديد، لم يتوقف الله عن الشهادة لحق كلمته بطريقة معجزية، بل أن شهادته ازدادت وعظمت، سواءً كان ذلك في خدمة يسوع نفسه أو في خدمة الكنيسة الأولى كلها. فعمل الروح القدس الخاص بالشهادة للحق الالهي المعلن، وتأيد كلمات الرسل والأنبياء، هو عملٌ يمتد عبر العصور. وكلما انسكب الروح القدس على المؤمنين بفيض أكبر، كلما قويت وازدادت فرص شهادته فوق الطبيعية.

يعتقد بعض المؤمنين بأن المستوى العالي من التعليم بما يختص بخدمة الله. يجعل من شهادة الروح القدس المعجزية أمراً غير ضروري. إلا أن مثال بولس يبين خطأ هذه النظرية. فالتعليم الذهني - رغم فائدته العظمى في مجاله - لا يصلح كبديل لقوة الروح القدس الفائقة وخدمته المعجزية. لقد كان بولس على أعلى مستويات التعليم والثقافة في مجال الفلسفة والدين، لكنه لم يعتمد على قدراته هذه في كرازته بالانجيل ولم يلجأ لفنون الفلسفة والمنطق البشري فنراه يقول:

وأنا لما أتيت إليكم أيها الإخوة أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً لكم بشهادة الله، لأنني لم أعزم أن أعرف بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً، وأنا كنت عندكم في ضعفٍ وخوفٍ ورعدةٍ كثيرة، وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله (١ كورنثوس ٢: ١-٥).

لقد تعمد بولس ألا يلجأ لما سمّاه: "سمو الكلام أو الحكمة" أو "كلام الحكمة الإنسانية المقنع" مع أنه كان يستطيع استخدامها، لكنه رفض ذلك لأنه كان يعتمد في

تأييد رسالته على مصدرٍ مختلفٍ كلياً يسميه: "برهان الروح (القدس) والقوة". وتشير الكلمة "برهان - demonstration" إلى ما هو علني ومحسوس. فالروح القدس لم يعمل مع الرسول بولس بطريقة خفية وتأثير غير محسوس، لكن حضوره كان مؤكداً وقوته كانت مبرهنةً بطريقةً علنيةً صريحة.

لماذا اختار الله هذه الطريقة المعجزية لتأييد الحق؟ ولماذا ترك بولس كل المجال لهذه الطريقة؟ يجيبنا بولس قائلاً:

لكي يكون إيمانكم لا بحكمة الناس بل بقوة الله (١ كورنثوس ٢: ٥).

فلا يريد الله أن يُبنى إيمان أولاده على الجدل العقلي الذي لا يتجاوز مستوى الفهم البشري. إذ أن الأساس الوحيد للإيمان، هو الاختبار الشخصي المباشر لقوة الروح القدس في قلب الإنسان وفي حياته، يقول بولس:

لأنني لا أجسر أن أتكلم عن شيءٍ مما لم يفعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل بقوة وآياتٍ وعجائب بقوة روح الله (رومية ١٥: ١٨-١٩).

يرفض بولس هنا أن ينسب سلطان رسالة الإنجيل التي استأمنه الله عليها إلى مؤهلاته الشخصية، كتعليمه ومواهبه الطبيعية. بالمقابل يؤكد بولس أن طاعة الإنجيل لا يمكن أن تتحقق بناءً على هذه المؤهلات، بل على "قوة آياتٍ وعجائب" والتي هي عمل الروح القدس كما يشير.

هذه إذاً إحدى وظائف الروح القدس السامية والثابتة، وهي أن يشهد للحق الإلهي المعلن ببرهان القوة فوق الطبيعية. لقد ظهرت هذه الوظيفة لأول مرة في حياة هابيل أول مؤمن وأول شهيدٍ في تاريخ البشرية، ولن يتوقف الروح القدس عن ذلك ما دام هناك شعبٌ ينتمي إلى الله على هذه الأرض، ويؤمن بحق كلمة الله المعلن ويطيعه.

الجزء الخامس

وضع الأيدي

أذكرك أن تُضرم أيضاً موهبة الله التي فيك بوضع يديّ.

٢ تيموثاوس ١: ٦

نقل البركة والسلطان والشفاء

نحن ندرس عبر صفحات هذا الكتاب، الأسس التعليمية الستة التي أكَّدها المسيح والمذكورة في عبرانيين ٦: ١-٢. وهي:

١- التوبة من الأعمال الميتة

٢- الإيمان بالله

٣- تعليم المعموديات

٤- وضع الأيادي

٥- قيامة الأموات

٦- الدينونة الأبدية

في الأقسام الأربعة السابقة، تطرَّقنا لبحث البنود الثلاثة الأولى من هذه القائمة، أمَّا الآن فنحن بصدد الانتقال إلى رابع هذه التعاليم وهو "وضع الأيادي" ولو تُرك للإنسان أمر تحديد الأسس التعليمية الستة في المسيحية، لما أدرج ضمنها وضع الأيادي في أغلب الظن. لكن كلمة الله بذاتها وبكل سلطانها وضعت هذا التعليم ضمن أسس العقيدة المسيحية العظمى. وإذا وُجِدَتْ وثيقة هي الأفضل في شرح كلمة الله، فهي وثيقة الكلمة نفسها.

ماذا نفهم من العبارة "وضع الأيادي"؟ إنها تشير إلى أنَّ شخصاً ما يضع يديه على شخص آخر لهدف روحي محدد. وغالباً ما تقتصر هذه العملية بالصلاة أو بالنبوة أو بهما معاً. فإذا نظرنا إلى عملية وضع الأيادي بعيداً عن مفهومها الروحي، نجد أنها ليست غريبة أو شاذة بالنسبة إلى سلوك الإنسان الطبيعي. فمن الطبيعي في

بعض أنحاء العالم أن يضع أحدهم يده على كتف صديقه عندما يلتقيان، هذا يعبر عن الصداقة وفرح اللقاء. وعندما يشكو طفل من صداع أو حرارة مرتفعة، من المألوف أن تضع الأم يدها جبينه وعلى رأسه لكي تلاطفه وتهدي من ألمه. أمّا وضع الأيدي بالمفهوم الروحي، فيمكن اعتباره امتداداً لذلك السلوك الإنساني الطبيعي أصلاً .

ويمكن تقسيم الأهمية الروحية لوضع الأيدي إلى ثلاثة جوانب:

١- الشخص الذي يضع يديه ينقل بركة روحية أو سلطاناً إلى الشخص الآخر .

٢- الشخص الذي يضع يديه يُقر بطريقة علنية ببركة أو سلطان قد سبق فأعطيا للشخص الآخر.

٣- الشخص الذي يضع يديه يفرز بطريقة علنية شخصاً آخر لخدمة أو مهمة محددة من الله.

وقد تجتمع هذه الجوانب الثلاثة في عملية وضع أيادي واحدة.

ثلاثة مواقف من العهد القديم

لقد كان وضع الأيدي ممارسة مقبولة في أقدم سجل نعرفه عن شعب الله. فيوسف - على سبيل المثال - قدّم ولديه: أفرايم ومنسى، لأبيه يعقوب لكي يباركهما، فماذا حدث؟

فمَدَّ إسرائيل (يعقوب) يمينه ووضعها على رأس أفرايم وهو الصغير ويساره على رأس منسى. وضع يديه بفطنة فإن منسى كان البكر (تكوين ٤٨: ١٤).

فظن يوسف أن أباه قد أخطأ، وطلب منه أن يغيّر مواضع يديه، فيضع يمينه على رأس البكر الذي هو منسى، ويساره على رأس أفرايم الابن الأصغر. إلا أن يعقوب أشار

إلى وجود إرشادٍ إلهي خاص يقوده لوضع يديه بالطريقة التي فعل. وهكذا بارك يعقوب الولدين معطياً البركة الأعظم لأفرايم والأقل لمنسى.

هذه الفقرة تبين أنَّ عملية نقل بركة يعقوب إلى حفيديه بوضع يديه على رأسيهما هي ممارسة مقبولة آنذاك. ليس هذا فحسب، بل أنَّ البركة الأعظم كانت تنقل باليد اليمنى والبركة الأقل تنقل باليد اليسرى.

وعندما شارفت خدمة موسى على الانتهاء، طلب من الله أن يعيّن قائداً على الشعب ليكون خلفاً له، فقال الرب لموسى:

- خذ يشوع بن نون، رجلاً فيه روحٌ، وضع يدك عليه، وأوقفه قدام ألعازار الكاهن وقدام كل الجماعة، وأوصه أمام أعينهم، واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل (عدد ٢٧: ١٨ - ٢٠).

- ففعل موسى كما أمره الرب. أخذ يشوع وأوقفه قدام ألعازار الكاهن وقدام كل الجماعة ووضع يديه عليه، وأوصاه كما تكلم الرب عن يد موسى (عدد ٢٧: ٢٢ - ٢٣).

أمّا نتيجة ما عمله موسى فكانت هائلةً في حياة يشوع:

ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمةٍ إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى (تثنية ٣٤ : ٩).

لقد كان وضع يدي موسى أمراً بالغ الأهمية ليشوع ولجميع الشعب أيضاً، فقد حقق موسى هدفين رئيسيين من خلال هذه الممارسة:

١- نقل قدراً من الحكمة الروحية والهيبة التي أخذها هو أصلاً من الله.

٢- أعلن أمام الجميع إرادة الله بتعيين يشوع قائداً للشعب خلفاً له.

ومن المواقف الملفتة للنظر بخصوص وضع الأيدي، ما حدث عندما جاء يواش ملك

إسرائيل ليودع اليشع النبي الذي كان على فراش الموت. ودار الحديث التالي بينهما:

قال له أليشع: خذ قوساً وسهاماً، فأخذ لنفسه قوساً وسهاماً، ثم قال لملك إسرائيل: ركّب يدك على القوس، فركّب يده ثم وضع أليشع يده على يدي الملك، وقال: افتح الكوة لجهة الشرق، ففتحتها، فقال أليشع: ارم، فرمى، فقال: سهمُ خلاصٍ من آرام فإنك تضرب آرام في أفيق إلى الفناء (ملوك الثاني ١٣ : ١٥ - ١٧).

يرمز رمي السهم من الكوة بجهة الشرق إلى الانتصار الذي كان يوأش مزماً أن يحققه على آرام. بهذه الطريقة صادق اليشع على تعيين يوأش قائداً ومحوراً للشعب، وقد تمّ هذا الاختبار الإلهي عملياً عندما وضع اليشع يديه على يدي يوأش، فانتقلت الحكمة الإلهية والسلطان إلى يوأش لاعداده من أجل مهمة تحرير شعب الله.

تشبه هذه الحادثة ما فعله موسى ليشوع. ففي كلتا الحالتين، هناك إقرار ومصادقة على ميلاد قائد قد عينه الله لهدفٍ خاص. وفي كلا الموقفين، هناك عملية نقلٍ للحكمة والسلطان الإلهيين إلى القائد الذي وُضعت عليه الأيدي من أجل تجهيزه للدعوة الإلهية الخاصة به. ومن المثير للانتباه في مجال المقارنة بين يوأش و يشوع، أنَّ كليهما كان قد اختير كقائدٍ عسكري.

نمط العهد الجديد

للصلاة من أجل المرضى

دعونا الآن نعود إلى العهد الجديد. حيث نجد خمسة أهدافٍ محددة لاستخدام وضع الأيدي بحسب تعليم العهد الجديد وأمثله:

أول هذه الأهداف يرتبط مباشرةً بخدمة الشفاء. ففي مرقس ١٦ : ١٧-١٨، ذكر يسوع خمس آياتٍ معجزية ترافق الكرازة بالانجيل، ويمكن للمؤمنين أن يمارسوها من خلال الإيمان في اسمه. خامس هذه العلامات التي أعطى يسوع سلطان ممارستها للمؤمنين هي:

ويضعون أيديهم على المرضى (باسمي. ع ١٧) فيبرأون
(مرقس ١٦: ١٨)

فوضع الأيادي هنا هو ممارسة تُستخدم في شفاء المرضى. وهناك ممارسة أخرى تختلف قليلاً عن هذه فيما يتعلق بالشفاء بحسب العهد الجديد:

أمريضُ أحدُ بينكم؟ فليدعُ شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيتٍ
باسم الرب، وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه، وإن كان قد
فعل خطيئةً تُغفر له (يعقوب ٥: ١٤ - ١٥).

فكلا هاتين الممارستين (وضع الأيادي والدهن بالزيت) تكتسبان الفاعلية بالإيمان
باسم الرب يسوع. وفي حالة الدهن بالزيت، يذكر الكتاب ضرورة الصلاة المرافقة
لهذه العملية، بينما لا يأتي انجيل مرقس على ذكر الصلاة في المقطع الذي يشير فيه
إلى وضع الأيادي على المرضى. لكن من المؤلف أن ترافق الصلاة وضع الأيادي
في التعامل مع المرضى، كما أنه من المؤلف عند دهن المريض بالزيت أن تُمارس
خدمة وضع الأيادي أيضاً. وهكذا تتحدد الممارستان في خدمة واحدة مع أن هذا ليس
بالضرورة ما يطلبه الكتاب المقدس، إذ أن وضع الأيادي من دون الدهن بالزيت - أو
العكس - هو أمرٌ كتابي مُنة بالمئة.

فما الفرق إذاً بين الدهن بالزيت ووضع الأيادي على المرضى؟ هل لكل منهما غايةٌ
واستخدام يختلف من حالةٍ إلى أخرى؟ وإذا وُجد هذا الفرق، فما هي المبادئ الكتابية
التي تحدد استخدام هاتين الممارستين؟ تبدأ الفقرة المتعلقة بالدهن بالزيت في رسالة
يعقوب هكذا:

أمريضُ أحدُ بينكم؟ فليدعُ شيوخ الكنيسة (يعقوب ٥: ١٤).

وبما أن هذه الرسالة موجهة بالأصل إلى المؤمنين - وأن كانوا في مجتمع يهودي - فإنَّ
الكلمة "بينكم" تشير إلى المؤمنين أساساً. وهذا يتوافق مع بقية النص: "فليدعُ شيوخ
الكنيسة" فغير المؤمن وغير المرتبط بكنيسة مؤمنة لا تشملها الكلمة "بينكم"، ولا هو

يعرف من هم شيوخ الكنيسة لكي يدعواهم. من هنا نستنتج أنَّ ممارسة الدهن بالزيت تُستخدم مع المرضى من المؤمنين والمنتمين إلى كنيسة تدعو إلى الإيمان.

بحسب هذا التفسير، فإنَّ ممارسة الدهن بالزيت تعلمنا درسين على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية: أولهما أنَّ الله يتوقع من كل مؤمنٍ يداهمه المرض أن يلجأ إليه أولاً طالباً الشفاء بالإيمان وبوسائل روحية. وهذا لا يعني أنَّ طلب المساعدة الطبية هو أمرٌ خاطئ، لكن الخطأ هو أن يطلب المؤمن المريض مساعدةً طبية قبل أن يطلب المساعدة الإلهية المباشرة أولاً، وذلك من خلال شيوخ وقادة الكنيسة. فمن التفاني والمألوف هذه الأيام، أن يسعى أغلب المرضى من المؤمنين إلى استشارة الطبيب، من دون أدنى اهتمامٍ في طلب المساعدة الإلهية مباشرةً أو من خلال الكنيسة.

إنَّ هذا التوجه هو عصيانٌ مباشرٌ لإرادة الله المعلنة في العهد الجديد، لأنَّ الكتاب يقول بوضوح: "أمريضٌ أحدٌ (بلا استثناء) بينكم؟ فليدع شيوخ الكنيسة..." وعلى هذا، فإنَّ كل مؤمنٍ يدعو الطبيب من دون أن يدعو شيوخ الكنيسة يمارس عصياناً صريحاً، فكأنه يقول: "أنا لا احتاج إليك يارب! ولا اعتقد أنك تستطيع أن تساعدني وتشفيني وعلى أن أسعى للحصول على أفضل ما يمكن أن يقدمه الإنسان لي، لا أن أسعى للحصول على مساعدتك وإرشادك." إنَّ هذا الموقف المنتشر بين المؤمنين، هو من أحد الأسباب الرئيسية لانتشار الأمراض بينهم أيضاً، وبشكلٍ عام، فقد رفض كثيرون من المؤمنين اليوم حقيقة الشفاء الإلهي للجسد وأغلقوا أبواب كنائسهم في وجه المسيح الشافي.

أمَّا الدرس الثاني الذي نتعلمه من خلال دراستنا لذلك المقطع في رسالة يعقوب، فهو أنَّ الله يتوقع من المؤمنين أن ينتموا إلى كنيسة، وأنَّ شيوخ تلك الكنيسة ينبغي أن يكونوا مستعدين لخدمة المرضى في الكنيسة. فالبعبارة "ليدعُ شيوخ الكنيسة، فيصلوا عليه ويدهنوه بزيتٍ باسم الرب" (يعقوب ٥ : ١٤) تشير أولاً إلى ضرورة انتماء المؤمن إلى كنيسة مناسبة. يكون هو معروفٌ عند قادتها وهم معروفون عنده. وتشير أيضاً إلى أنَّ أولئك القادة ينبغي أن يكونوا مستعدين لخدمة

الشفاء بالإيمان، كما يحددها الكتاب المقدس. وهناك نقطتين ينبغي الإشارة إليهما ما دمنا بصدد الحديث عن ممارسة دهن المرضى بالزيت:

أولاً: لا يشير الكتاب من بعيدٍ أو من قريب، إلى أن الزيت يُستخدم لما فيه من امكانياتٍ طبية طبيعية، لكن الزيت يشير إلى الروح القدس كما في الكثير من مواضع الكتاب المقدس الأخرى. فوضع الزيت على المريض يجسّد الإيمان بقدرة الروح القدس على بعث الحياة والشفاء في جسد المريض، وهذا مؤسسٌ على وعدٍ الهي واضحٍ وصريح:

إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم (رومية ٨: ١١).

إنّ العبارة "يحيي أجسادكم المائتة" تعني أن يبعث الحياة والقوة في الجسد الطبيعي المعرّض للموت، والذي هو هيكلاً للروح القدس الأقنوم الإلهي الثالث ومانح الحياة الإلهية.

ثانياً: إنّ دهن المؤمن بالزيت بحسب العهد الجديد، لا يمثّل إعداداً للموت، بل هو بعثٌ للحياة الإلهية والصحة والقوة في المؤمن. لذلك فإنّ الدهن بالزيت بنية تهيئة المريض للموت هو ممارسةٌ تقلب المعنى الحقيقي لهذه الممارسة، وتتجاهل التحذير الإلهي لأولئك "الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً، الجاعلين المرّ حلوّاً والحلو مرّاً" (إشعياء ٥: ٢٠). أولئك الذين يفضلون ظلام ومرارة المرض والموت على نور وحلاوة الصحة والحياة. فممارسة الدهن بالزيت إذًا، هي عملٌ إيماني أسسه الله، يعلن المصلّي بواسطته بعث الحياة الإلهية والصحة في جسد المؤمن المريض، وذلك من خلال عمل الروح القدس.

فإذا عدنا إلى وضع الأيدي على المرضى كما هي في مرقس ١٦، نجد أنّ القرينة تربط بين هذه الممارسة وبين الكرازة بالانجيل لغير المؤمنين، فوضع

الأيادي يكون على المرضى من غير المؤمنين أو الذين تجاوبوا حديثاً مع كلمة الله. نستنتج هذا لأن هذه الممارسة والآيات التابعة الأخرى المذكورة في النص، جاءت فوراً بعد وصية المسيح الخاصة بالكراسة للعالم أجمع:

وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليفة كلها. من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدن، وهذه الآيات تتبع المؤمنين (مرقس ١٦: ١٥-١٧)

فبعد ذلك مباشرةً يعدد يسوع الآيات الخمس التابعة التي آخرها وضع الأيدي على المرضى، وهذا يدل على أنَّ هدف الله من هذه الآيات هو أن يشهد للحق الإلهي وأن يؤيد سلطان رسالة الانجيل في الأماكن التي لم يُكرز فيها بعد ولم يؤمن فيها أحدٌ بعد. وبقيّة النص تؤكد هذا:

أمّا هم فخرجوا وكرزوا في كل مكانٍ والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة (مرقس ١٦: ٢٠).

هذا يعني أنَّ هذه الآيات، بما فيها وضع الأيدي على المرضى، تهدف إلى تأييد حق رسالة الانجيل بين أولئك الذين يسمعونها لأول مرة. إذاً فممارسة وضع الأيدي من أجل الشفاء باسم يسوع، ليست للاستخدام مع المؤمنين المنتمين إلى الكنيسة محلية، لكن للمؤمنين الجدد أو لغير المؤمنين.

كيفية تحقيق الشفاء

كيف يتحقق الشفاء بوضع الأيدي؟ إنَّ الكتاب المقدس لا يقدم جواباً محدداً عن هذا السؤال، فيسوع يقول: "يضعون أيديهم على المرضى فيبرأون." إنَّ هذه الكلمات تترك المجال لسيادة الله وإرادته من جهتين:

١- من جهة الطريقة التي يتم بها الشفاء

٢- من جهة الفترة الزمنية التي يستغرقها الشفاء

وهذا ما يقوله بولس أيضاً:

وأَنواع أعمال موجودةٌ ولكن الله واحدٌ الذي يعمل الكل في الكل
(١كورنثوس ١٢: ٦).

ففي وضع الأيادي، هناك ما يسميه بولس "أنواع أعمال"، فعملية الشفاء لا تتحقق بالطريقة نفسها دائماً. أحياناً يكون وضع الأيادي قناةً تعمل من خلالها موهبة الشفاء الفوق طبيعية، فتنتقل قوة الشفاء من الشخص الذي يضع يديه إلى الشخص الآخر الذي قد يشعر بقوة الله في جسده، وقد لا يشعر بها، إذ أنَّ وضع الأيادي هو عملٌ يعبر عن الطاعة والإيمان الخالصين لكلمة الله، والشفاء يتبع الإيمان الحقيقي حتى وإن لم يترافق هذا مع شعورٍ غير عادي.

أما الفترة الزمنية التي يحدث الشفاء خلالها، فلم يحددها المسيح أيضاً. فيمكن أن تتم العملية فوراً عند وضع الأيادي، أو بطريقةٍ تدريجيةٍ تتطلب من المريض أن يستمر في ممارسة إيمانه إلى أن يتم الشفاء. ومن الممكن أن يحصل المريض على قدرٍ من التحرير بدلاً من التمتع بالشفاء الكامل، والسبب في ذلك يكمن عادةً في أنَّ المريض لم يمارس الإيمان العملي بالقدر الكافي. فمن الممكن إعاقة عملية الشفاء عندما يتراخى المؤمن في ممارسة إيمانه، لذلك ينبغي إعطاء إرشادات الكتابية اللازمة للمريض قبل الصلاة، ويجب تشجيعه على ضرورة التمسك بإيمانه حتى وإن كانت عملية الشفاء بطيئة. لقد أقنعتني التجربة بأنَّ عملية الشفاء تبدأ بوضع الأيادي عندما يتوفر الإيمان الحقيقي. فإذا فتر إيمان المريض تتوقف عملية الشفاء.

وهناك طريقتان أساسيتان لممارسة الإيمان في هذا المجال: الأولى هي أن يشكر المريض الله باستمرار على أي قدرٍ من التحسن. والثانية هي المحافظة على الشهادة الثابتة عن الإيمان بحق كلمة الله، حتى وإن كانت أعراض المرض تحاول أن تفرض شيئاً آخر. وهنا ينبغي مراعاة الاتزان بين الإيمان وبين حقيقة الوضع. فإذا كان المريض مازال يعاني من أعراض المرض بعد الصلاة ووضع الأيادي، فليس الإيمان هو التظاهر بعدم وجود الأعراض، أو الاعلان بأنَّ الشفاء قد تم وهو لم يتم

فعلاً. والأفضل أن يقرَّ المريض بحقيقة وجود الأعراض، لكن أن يركز على كلمة الله، فيمكنه أن يقول: "أنا أعترف بأنَّ أعراض المرض لا تزال موجودة، لكنني أوْمَنُ بأنَّ الله بدأ بشفائي الذي أطلبه بناءً على إيماني وطاعتي لكلمة الله، واثقٌ بأنَّ الله سيكمل ما ابتدأه." ولا بأس بطلب المزيد من الصلاة بعد ذلك.

هذه المبادئ الكتابية للشفاء الإلهي، كانت سبباً في تمتع الآلاف من الناس بالقوة بالحياة الصحيحة.

إعطاء الروح القدس ومنح المواهب الروحية

إنَّ مساعدة أولئك الراغبين في قبول المعمودية في الروح القدس، هو هدفٌ آخر من أهداف وضع الأيادي. للإحاطة بدور وضع الأيادي في هذا المجال، سندرس باختصارٍ كل المواضع الكتابية التي قبل فيها الناس المعمودية في الروح القدس، وهي الخمسة التالية:

١- التلاميذ الأوائل في العليّة يوم الخمسين (انظر أعمال ٢: ١-٤)

٢- المؤمنون الجدد في السامرة (انظر أعمال ٨: ١٤-٢٠)

٣- شاؤل الطرسوسي (بولس الرسول) في دمشق (انظر

أعمال ٩: ١٧)

٤- كرنيليوس وأهل بيته (انظر أعمال ١٠: ٤٤-٤٦)

٥- تلاميذ أفسس الذين كرّز لهم بولس (انظر أعمال ١٩: ١-٦)

في ثلاث حالاتٍ من هذه، قبل المؤمنون المعمودية في الروح القدس بوضع أيادي مؤمنين آخرين.

خدمة إعطاء الروح القدس

لقد وضع الرسولان بطرس ويوحنا أيديهما على المؤمنين الجدد في السامرة وصلياً من أجلهم. ونقرأ في سفر الأعمال أنه:

... بوضع أيدي الرسل يعطى الروح القدس... (أعمال ٨: ١٨).

وفي دمشق وضع حنانيا يديه على شاول الطرسوسي لكي يبصر ويمتلىء من الروح القدس، ونرى هنا الشفاء الجسدي والمعمودية في الروح القدس يحدثان معاً بوضع يدي حنانيا. كذلك قبل تلاميذ أفسس الروح القدس عندما وضع بولس يديه عليهم. فاذا استخدمنا لغة الأرقام، نستطيع أن نقدر بأن ٥٠٪ ممن قبلوا الروح القدس بحسب سفر الأعمال، قد اختبروا ذلك عن طريق وضع الأيادي. غير أن هذه ليست الطريقة الوحيدة التي يقبل بها الناس المعمودية في الروح القدس حيث نقرأ أن المؤمنين في العلّة في أورشليم وأهل بيت كرنيليوس قبلوا المعمودية في الروح القدس مباشرةً من دون وضع الأيادي عليهم. ولكننا، بناءً على الحالات المذكورة، نستطيع أن نقول بأن قبول بعض المؤمنين معمودية الروح القدس بوضع أيادي الآخرين عليهم هو أمر كتابي بلا شك.

يعتقد بعض المفسرين بأنّ الرسل فقط، أو فئة خاصة من الخدام، هم فقط المخوّلين لممارسة خدمة وضع الأيادي لقبول الروح القدس. إلّا أنه اعتقاد لا يؤيده الكتاب المقدس، فحنانيا الذي وضع يديه على شاول، وُصف بأنه "تلميذ" (أعمال ٩: ١٠) من دون الإشارة إلى كونه مفروزاً لخدمة خاصة في الكنيسة، مع هذا فقد أرسله الله نفسه ليضع يديه على ذلك الرجل الذي قُدّر له أن يكون رسول الأمم العظيم بولس. وهذه الحقيقة تتفق مع ما قاله يسوع:

وهذه الآيات تتبع المؤمنين: يخرجون الشياطين باسمي: ويتكلمون
بالسنة الجديدة: يحملون حيّات: وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم:
ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون (مرقس ١٦: ١٧-١٨).

فهو يضع التكلم بالسنة ووضع الأيادي على المرضى معاً، ويقول أنّ كليهما يتبع (يرافق) المؤمنين الذين يخرجون للشهادة. فممارسة هذه الآيات ليست مقصورة على فئة خاصة من المؤمنين كالرسل أو الأساقفة أو الرعاة أو المبشرين، بل هي لكل المؤمنين. وكما أنّ الكتاب المقدس يترك المجال مفتوحاً لكل المؤمنين لممارسة

وضع الأيادي على المرضى، فإنه قياساً على ذلك يفتح المجال لهم لوضع الأيادي على من يرغب بقبول الروح القدس.

من جهةٍ أخرى، يحذرنا الكتاب من ممارسة وضع الأيادي بطريقةٍ عشوائية، إذ يقول بولس لتيموثاوس:

لا تضع يداً على أحدٍ بالعجلة ولا تشترك في خطايا الآخرين. احفظ نفسك طاهراً (١ تيموثاوس ٥: ٢٢).

يقدم بولس ثلاثة تحذيراتٍ لتيموثاوس في هذا العدد : (١) لا تضع يداً على أحدٍ بالعجلة. (٢) لا تشترك في خطايا الآخرين. (٣) احفظ نفسك طاهراً. وليس من قبيل المصادفة أن يأتي التحذيران الثاني والثالث بعد التحذير من وضع الأيادي على الآخرين بتسرع. فلكي يكون لوضع الأيادي (خاصةً من أجل المعمودية في الروح القدس) تأثيراً روحياً حقيقياً، ينبغي أن يتحقق نوعٌ من الاتصال الروحي المباشر بين شخصين، وإلا فإن العملية لا تتعدى كونها طقساً دينياً فارغاً. وفي مثل هذا الاتصال بين روحين، هناك دائماً إمكانيةً لحدوث ضررٍ روحي لأحدٍ أو لكلا الشخصين وذلك في حالة وجود عدم طهارةٍ في أحد الطرفين، كأن يكون ملوثاً بخطيةٍ ما أو بأي علاقةٍ شريرة، فيكون ذلك مؤذياً للطرف الآخر. لقد أشار بولس بوضوح إلى هذا الخطر من خلال هذين التحذيرين: "لا تشترك في خطايا الآخرين" و "احفظ نفسك طاهراً"، فكيف نحصن أنفسنا ضد هذا الخطر عند ممارسة وضع الأيادي؟

إنَّ الإجابة عن هذا السؤال تأتي في اتجاهاتٍ وقائيةٍ أربعة، ينبغي على المؤمن الذي يريد أن يمارس خدمة وضع الأيادي أن ينتبه إليها:

١- ينبغي أن يمارس هذه الخدمة في روح الصلاة والتواضع، من دون استخفاف أو لامبالاة.

٢- ينبغي أن يعتمد على قيادة الروح القدس في كل خطوة، حيث يرشده الروح القدس إلى من ومتى وكيف يصلي.

٣- ينبغي أن يعتمد على قوة دم المسيح من أجل المحافظة على طهارته باستمرار.

٤- ينبغي أن يكون هو نفسه مؤيداً وممتلئاً بقوة الروح القدس، لكي يتمكن من مجابهة أي تأثيرٍ روحي شرير يصل إليه من خلال الشخص الآخر.

أمّا إذا لم يتنبه المؤمن إلى هذه الأمور الأربعة، فإنَّ خطراً روحياً حقيقياً يمكن أن يرافق خدمة وضع الأيدي، وذلك في أحد الطرفين أو في كليهما. والخطر وارداً في جميع حالات وضع الأيدي، لكنه أعظم عندما يتعلق الامر بالمعمودية في الروح القدس. يمكن أن نتخيل ذلك باعتبار الروح القدس هو طاقة السماء الكهربائية، فكلما ازدادت قوة هذه الطاقة (كما هو الحال في الكهرباء) كلما احتجنا إلى حماية أكبر.

منح المواهب الروحية

هدفٌ آخر من خدمة وضع الأيدي هو منح المواهب الروحية. فإذا درسنا ما يقوله العهد الجديد عن هذه الخدمة، نجد بأنَّ وضع الأيدي يرتبط عادةً بممارسة موهبة النبوة. وهنا لا بد من أن نشير أولاً إلى أنَّ كلمة الله تعطي السلطان للمؤمن، كي يمنح الآخرين المواهب الروحية. قال بولس:

لأنني مشتاقٌ أن أراكم لكي أمنحكم هبةً روحيةً لثباتكم. أي لنتعزّى بينكم بالإيمان الذي فينا جميعاً إيمانكم وإيماني (رومية ١: ١١-١٢).

فيحدد بولس هدفه الأساسي من رغبته بزيارة مؤمني رومية، وهو أن يمنحهم "هبةً روحية". ثم يتابع مشيراً إلى النتيجة التي يتوقعها من ذلك وهي: "لثباتكم". فمنح المواهب الروحية إذًا، هو أحد الطرائق الكتابية من أجل تثبيت المؤمنين وتشيدهم. وفي العدد ١٢ يضع بولس هدفه بوضوح أكثر. فإظهار المواهب الروحية بين المؤمنين في رومية وعمل تلك المواهب فيهم سيقود إلى التعزية والتشجيع:

أي لنتعزّى بينكم بالإيمان الذي فينا جميعاً إيمانكم وإيماني
(رومية ١: ١٢).

وبهذه الطريقة تكون التعزية متبادلةً بين بولس الخادم المبشّر، وبين شعب الكنيسة المؤمنين، ويخدم الجميع بعضهم بعضاً.

إنَّ عمل المواهب الروحية وتأثيرها في وسط جماعة المؤمنين، واردٌ أيضاً
في ١ كورنثوس ١: ٤-٨:

أشكر إلهي في كل حينٍ من جهتكم على نعمة الله المعطاة لكم في يسوع
المسيح، إنكم في كل شيءٍ استغنيتم فيه في كل كلمةٍ وكل علمٍ كما
تُبَيَّنَت فيكم شهادة المسيح حتى أنكم لستم ناقصين في موهبةٍ ما وأنتم
متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح.

يشكر بولس الله من أجل المواهب الروحية العاملة في مؤمني كورنثوس، ويخص
بالذكر مواهب النطق والمعرفة "في كل كلمةٍ وكل علمٍ" (ع ٥). ويذكر بولس نتيجتين
تتبعان ذلك: ثبات شهادة المسيح فيهم، وثباتهم هم أنفسهم من خلال هذه المواهب. ثم
يشير بولس إلى أنَّ استمرارية عمل هذه المواهب في الكنيسة هو هدفُ الله المعلن إلى
أن يُستعلن المسيح (يعود ثانيةً). حيث أنَّ العبارتين:

- حتى أنكم لستم ناقصين في موهبةٍ ما وأنتم متوقعين استعلان ربنا
يسوع المسيح (١ كورنثوس ١: ٧).
- ... سيثبتكم أيضاً إلى النهاية بلا لومٍ في يوم ربنا يسوع المسيح
(١ كورنثوس ١: ٨).

تحملان نفس المدلول، فتشيران معاً إلى أنَّ الله لن يرى الكنيسة في آخر الأيام بلا لومٍ،
إلاَّ إذا كانت مجهزةً بمواهب الروح القدس فوق الطبيعية.

يميل الكثيرون من المؤمنين في هذه الأيام إلى اعتبار هذه المواهب مجرد
إضافاتٍ جميلةٍ كتلك التي يضعونها في سياراتهم. فإذا دفعت المزيد، تستطيع أن

تضيف إلى سيارتك بعض المحسنات، لكن السيارة ستؤدي الغرض على أية حال. وهذا ما يعتقد المؤمنون غالباً من جهة المواهب الروحية، فهي بالنسبة إليهم إضافات غير أساسية، يمكن أن يسعى إليها أحدهم إذا رغب، إلا أنَّ الكنيسة ستؤدي الغرض بهذه المواهب أو من دونها على حدٍ سواء. أمّا كلمة الله فلها رأيٌ آخر. فالعهد الجديد يجعل من المواهب الروحية فوق الطبيعية جزءاً لا يتجزأ من خطة الله الشاملة من نحو الكنيسة. ومن دون هذه المواهب لا يمكن للكنيسة أن تعمل في المستوى الذي يريده الله من القوة والكفاءة.

مثال تيموثاوس

إذا أدركنا أهمية المواهب الروحية في الكنيسة، فلننتبه إلى ما يعلمه بولس بخصوص الطريقة التي تُمنح بها هذه المواهب. وهو هنا يخاطب شريكه في الخدمة تيموثاوس قائلاً:

لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنيوة مع وضع أيدي المشيخة
(١ تيموثاوس ٤: ١٤).

وفي رسالة أخرى يشير بولس إلى ذات الموضوع المتعلق باختبار تيموثاوس. فلهذا السبب (إيمان تيموثاوس) اذكرُك أن تضرم أيضاً موهبة الله التي فيك بوضع يديّ (٢ تيموثاوس ١: ٦).

لاستكمال هذه الصورة في حياة تيموثاوس، ينبغي لنا أن ننظر في هذا العدد أيضاً:

هذه الوصية أيها الابن تيموثاوس استودعك أيّاه حسب النبوءات التي سبقت عليك لكي تحارب فيها المحاربة الحسنة (١ تيموثاوس ١: ١٨).

وفي ترجمة أوضح يقول الكتاب:

...بمقتضى النبوءات السابقة المختصة بك... (كتاب الحياة).

بدراسة هذه المقاطع الثلاثة معاً. نستطيع أن نكتشف بعض الحقائق المحددة بخصوص ما يحاول بولس أن يصفه هنا. الحقيقة الأولى هي أن تيموثاوس قد حصل على موهبة روحية ما، ولم يحدد بولس طبيعة هذه الموهبة، الأمر الذي لا يؤثر في مجال دراستنا هذه.

الحقيقة الثانية هي أن تيموثاوس حصل على هذه الموهبة الروحية بوضع الأيادي. يقول بولس: "بوضع يدي المشيخة" (١ تيموثاوس ٤: ١٤)، ويقول: "بوضع يدي" (٢ تيموثاوس ١: ٦). إن الكلمة "مشيخة - presbytery" المستخدمة في العهد الجديد هي ببساطة صيغة الجمع التي تشير إلى شيوخ (elders) الكنيسة المحلية. وربما يقصد بولس شيوخ كنيسة لسترة حيث بدأ تيموثاوس خدمته.

وكان (تيموثاوس) مشهوداً له من الاخوة الذين في لسترة وأيقونية (أعمال ١٦: ٢).

أو ربما كان يقصد شيوخ كنيسة أفسس المذكورين في أعمال ١٧: ٢٠، فتيموثاوس كان في أفسس عندما كتب إليه بولس الرسالة الأولى.

ومن ميليتس أرسل (بولس) إلى أفسس واستدعى قسوس (elders) الكنيسة (أعمال ١٧: ٢٠).

فإذا عدنا إلى رسائل بولس إلى تيموثاوس، نجد أن بولس يذكر أنه هو وضع يديه على تيموثاوس وفي مكان آخر يقول أن شيوخ الكنيسة فعلوا ذلك، وأغلب الظن أن بولس والشيوخ اشتركوا معاً في هذه الخدمة.

أما الحقيقة الهامة الثالثة في هذه الفقرات من رسائل بولس إلى تيموثاوس، فهي أن عملية منح الموهبة الروحية لتيموثاوس بوضع الأيادي، قد ارتبطت بالنبوة. ففي ١ تيموثاوس ٤: ١٤ يقول بولس بأن الموهبة معطاة "بالنبوة"، أي أن الله قد أعلن إرادته بمنح تيموثاوس تلك الموهبة من خلال موهبة النبوة، وبعد ذلك تم إرادته بوضع يدي بولس والمشيخة، فكان وضع الأيادي هو الوسيلة التي حقق الله فيها إرادته المعلنة

في حياة تيموثاوس. أمّا في ١ تيموثاوس ١: ١٨ فإنّ بولس يقدّم المزيد من التوضيح بخصوص الإعلان النبوي لارادة الله:

هذه التوصيات، يا تيموثاوس ولدي، أسلمها لك، بمقتضى النبوءات السابقة المختصة بك، وغايتي أن تحسن الجهاد في حربك الروحية (كتاب الحياة)

والوصية أو التوصيات هنا هي الخدمة الخاصة التي أوكلها الله إلى تيموثاوس، وهي الهدف الذي وضعه نصب عينيه. ويبدو أنّ طبيعة هذه الخدمة قد أعلنت له سابقاً عدة مرات من خلال موهبة النطق النبوي، وفي مرة من هذه المرات تضمنت النبوءات ضرورة وجود موهبة معيّنة عند تيموثاوس تمكنه من إنجاز خدمته على أفضل وجه، وقد حصل على تلك الموهبة آنذاك من خلال ممارسة وضع الأيادي.

وهنا نؤكد مرة أخرى بأنّ استخدام المواهب الروحية في هذه الحالة لم يكن مجرد إضافة غير ضرورية، بل كان أمراً أساسياً في نجاح خدمة تيموثاوس. ويقول بولس بأنّ غاية هذه النبوءات هو أن يحارب فيها تيموثاوس المحاربة الحسنة (أنظر ١ تيموثاوس ١: ١٨). إنّ الحياة الروحية، خاصة حياة الخادم، هي حرب مستمرة ضد قوّات الشر والظلمة،

فإنّ مصارعنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء مع السلاطين، مع ولادة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات (أفسس ٦: ١٢).

وتستخدم هذه القوات الشريرة سلاحين رئيسيين هما الشك والخوف. لقد واجه تيموثاوس بلا شك، الكثير من المعارضة والإعاقة والإحباط، وفي مثل تلك الحالات كان يجرب في الشك في حقيقة دعوته الإلهية. لذلك يذكره بولس بالنبوءات التي سبق وحددت الرؤيا الإلهية في حياته، ويحثه على أن يتشجّع ويتقوّى بهذه النبوءات لكي يتمكن من إنجاز المهمة الإلهية الموكلة إليه. بعد هذا التشجيع، يحذّر بولس

تيموثاوس من الاستسلام للخوف قائلاً:

لأنَّ الله لم يعطنا روح الفشل (الخوف.ت.ع.ج، الجبن. كتاب الحياة) بل
روح القوة والمحبة والنصح (الفتنة. ت.ع.ج، البصيرة. كتاب الحياة)
(٢ تيموثاوس ١: ٧).

فما هو العلاج الذي يصفه بولس لمواجهة هجوم روح الخوف الغادر؟ يقدّم بولس
جواباً ذا شقين: (١) أن يضرّم تيموثاوس الموهبة التي قبلها بوضع الأيدي. (٢) أن
يستذكر تيموثاوس النبوءات التي سبق وحددت له مسار حياته وخدمته، فيتشجع بها.
وما زال العلاج الذي تقدمه كلمة الله من أجل التشجيع والتشديد متوفراً اليوم
لشعب الله ولخدامه المختارين، الذين ليسوا أقل حاجةً إلى التشجيع من المؤمنين
الذين عاشوا أيام تيموثاوس وبولس.

تفويض الخدام

هناك هدفٌ آخر لوضع الأيادي يختص بالخدمة الإرسالية، أي إرسال الرسل من الكنيسة المحلية إلى العالم.

الكنيسة المحلية في أنطاكية

تقدم كنيسة أنطاكية التي تأسست في سوريا، المثال الأوضح عن هذه الخدمة:

وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياءٌ ومعلمون: برنابا وسمعان الذي يدعى نيجر ولوكيوس القيرواني ومناين الذي تربى مع هيرودس رئيس الربع وشاول، وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس: افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه، فصاموا حينئذٍ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما. فهذان إذ أرسلا من الروح القدس انحذرا إلى سلوكية ومن هناك سافرا في البحر إلى قبرس (أعمال ١٣: ١-٤).

تحتوي هذه الفقرة على قدرٍ كبيرٍ من المعلومات التي تصلح كنموذج عن كيفية تسيير الكنيسة المحلية لشؤونها.

نلاحظ أولاً وجود فئتين من الخدام في كنيسة أنطاكية هما الانبياء والمعلمون. ونرى في المشهد خمسةً منهم، يقدمهم النص حسب اسمائهم وخدماتهم المعروفة في الكنيسة. ثم نلاحظ أنَّ أولئك القادة لم يصلوا فقط بل صاموا أيضاً، والأكثر من هذا أنهم صاموا معاً، أي على شكل مجموعةٍ وليس أفراداً. وينطبق هذا على النصيحة النبوية التي قدمها يوثيل بخصوص الأيام الأخيرة حيث نقرأ:

• قدسوا صوماً

نادوا باعتكافٍ

اجمعوا الشيوخ

جميع سكاَن الأرض

إلى بيت الرب إلهكم

واصرخوا إلى الرب (يوئيل ١: ١٤).

• اضربوا بالبوق في صهيون

قدسوا صوماً

نادوا باعتكافٍ (يوئيل ٢: ١٥).

وبعد هذا الحدث على الوحدة والصوم، يأتي الوعد بانسكاب الروح القدس:

ويكون بعد ذلك أني أسكب روعي على كل بشرٍ (يوئيل ٢: ٢٨).

لقد بدأ تحقيق النبوة يوم الخميس في اختبار الكنيسة الأولى. وهذه الأيام هناك انسكابٌ مشابه للروح القدس على كل بشرٍ في العالم وعلى نطاقٍ واسع. فبينما حصلت الكنيسة الأولى على "المطر المبكر" للروح القدس، نحصل نحن اليوم على "المطر المتأخر".

هذا الوعد نجده في يوئيل ٢: ٢٣. وبما أن الوعد هو لنا كما هو للكنيسة الأولى، فلا بدّ لنا أن ندرك أيضاً بأنّ تلك الوصية المختصة بالوحدة والصوم في النبوة نفسها هي لنا أيضاً، فمن غير المنطقي أن ننسب الصوم الى عصرٍ ما في الماضي أو في المستقبل، بينما ننسب انسكاب الروح القدس الى عصرنا الحاضر. خاصةً وأنّ نص نبوة يوئيل في مجمله يوضح أنّ الصلاة والصوم بروحٍ واحدة، هما أمران ضروريان لتحقيق انسكاب الروح القدس على كل بشرٍ في الأيام الاخيرة.

وتؤكد نبوة يوئيل على الدور الريادي لقادة شعب الله: "الشيوخ" (يوئيل ١: ١٤)، "الكهنة خدام الرب" (يوئيل ٢: ١٧). فالقادة الروحيين ينبغي أن يكونوا أمثلةً للشعب في

الصوم والصلاة، ومن الواضح أنَّ قادة كنيسة أنطاكية قد فهموا هذا الأمر جيداً، فنقرأ أنهم كانوا: "يخدمون الرب ويصومون..." (أعمال ١٣: ٢).

إرسالية بولس وبرنابا

لقد كان الإرشاد الإلهي بالروح القدس، هو محصلة انتظار قادة أنطاكية أمام الرب بالصوم والصلاة.

قال الروح القدس: افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه (أعمال ١٣: ٢).

لقد تجاوب الروح القدس معهم، فكلمهم بطريقة مباشرة معلناً فكر وقصد الله، وهو أنه يريد أن يستخدمهم على نطاقٍ أوسع. إنَّ العبارة "قال الروح القدس" تعني أنَّ الكلمات التي تلتها وهي "افرزوا لي برنابا وشاول..." هي كلمات الروح القدس نفسه. وفي ضوء ما نعرفه، من تعليم العهد الجديد عن عمل مواهب الروح القدس، نجد أنه من المعقول ومن الكتابي أيضاً أن نقول بأنَّ الروح القدس قد تكلم مستخدماً أداةً بشرية من خلال موهبة النبوة أو الالسنة وترجمة الالسنة. فلننظر الآن في الكلمات نفسها التي قالها الروح القدس:

افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه (أعمال ١٣: ٢).

إنَّ العبارة "دعوتهما" هي في صيغة الفعل الماضي التام، أي أنَّ الله سبق ودعا كلاً منهما على انفرادٍ قبل أن يعلن ذلك أمام قادة الكنيسة. فكلمات الروح القدس، كانت إعلاناً جديداً وفي الوقت نفسه هي تأييدٌ لما قبله بولس وبرنابا من الله سابقاً. وبما أنَّ نص الإعلان يتضمن اسمي بولس وبرنابا، فلا بد أنَّ رجلاً آخر من الحاضرين هو من نطق هذه الكلمات بالروح.

والآن، كيف تجاوب قادة الكنيسة مع هذا الإعلان فوق الطبيعي لإرادة الله؟

فصاموا حينئذٍ وصلُّوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما (أعمال ١٣: ٣).

لاحظ أنهم لم يرسلوهما حالاً، لكنهم كرّسوا مزيداً من الوقت للصوم والصلاة. ففي اجتماعهم الاول للصوم والصلاة، أعلن لهم الله إرادته بطريقة فوق طبيعية. أمّا في اجتماعهم الثاني فقد صلوا وصاموا وأعلنوا - بنفسٍ واحدة - نعمة الله وقوته على بولس وبرنابا، لكي يتمكنّا من تحقيق خطة الله. بعد ذلك وضعوا عليهما الأيادي وأطلقوهما.

إنّ المصطلح المعاصر للدلالة على الذين تطلقهم الكنيسة المحلية للخدمة هو "مرسلين - missionaries" أمّا الكلمة التي يستخدمها العهد الجديد فهي "رُسل - apostles". فإذا قارنا بين التعابير المستخدمة في أعمال ١:١٣ وتلك التي في أعمال ١٤:٤، ١٤، نجد أنّ أعمال ١٣ يصف بولس وبرنابا بأنهم "أنبياء ومعلمون" وفي أعمال ١٤ يدعوهم "رُسل" مما يدل على أنّ اللقب "رُسل" أطلق عليهما فقط بعد أن أُرسلّا من كنيسة أنطاكية. ومع أنّ الكلمة "مرسلين" تشترك مع "رسل" بالأصل اللغوي والمعنى، إلا أنّ الكنيسة المعاصرة تميل إلى استخدام المصطلح "مرسلين" في أمورٍ لا علاقة لها بخدمة "الرسل".

إنّ الكلمة "رسول" تعني "من يُرسل بسلطانٍ الهي لكي ينفذ مهمةً ما". في حين يعتقد كثيرٌ من المسيحيين بأنّ هذا اللقب يقتصر على الاثني عشر الذين اختارهم يسوع أثناء وجوده على الأرض، إلّا أنّ الدراسة المدققة للعهد الجديد تفنّد هذا الاعتقاد. ففي أعمال ١٤ دُعي بولس وبرنابا رسلاً، مع أنّ يسوع لم يعيّن أيّاً منهما خلال خدمته على الأرض. أيضاً في ١ تسالونيكي ١:١ نقرأ أسماء ثلاثة أشخاص "بولس وسلوانس وتيموثاوس" تنسب إليهم كتابة هذه الرسالة. وفي ١ تسالونيكي ٦:٢ يقولون عن أنفسهم:

... مع أننا قادرون أن نكون في وقارٍ كرسل المسيح.

أي أنهم جميعاً كانوا معروفين باعتبارهم رُسلًا للمسيح. والواقع أنّ العهد الجديد يحتوي على أكثر من عشرين رجلاً ممن أطلق على كلّ منهم اللقب "رسول". على أية حال، فإنّ الدراسة المستفيضة التي يتطلبها تحليل أبعاد الخدمة الرسولية، ليست في نطاق دراستنا هذه.

نعود إلى إرسالية بولس وبرنابا لنسأل: "لماذا وضع القادة الآخرون أيديهم على بولس وبرنابا؟" والواقع أنَّ الهدف الأول من ذلك هو اعتراف قادة الكنيسة العلني بأنَّ الله قد دعا بولس وبرنابا إلى خدمةٍ معينةٍ. أمَّا الهدف الثاني فهو أنَّ القادة الآخرين في الكنيسة، قد منحوا الرسلين حكمةً إلهيةً خاصةً بوضع الأيادي، وأعلنوا نعمة الله وقوَّته عليهما. وهذا يعود بنا إلى العهد القديم، عندما وضع موسى يديه على يشوع معلناً للملأ اعترافه بأنَّ الله قد اختار يشوع قائداً للشعب من بعده، ومانحاً يشوع الحكمة والسلطان لكي يستطيع تحقيق المهمة الإلهية التي أوكلت إليه.

ويتابع لوقا، بوحى الروح القدس، وصفه لما حدث مع بولس وبرنابا:

فهذان إذ أرسلا من الروح القدس انحذرا إلى سلوكية (أعمال ١٣: ٤).

لاحظ العبارة "أرسلا من الروح القدس." لقد كانت كنيسة أنطاكية وقادتها أدواتٍ أعلن الله من خلالها إرادته ونفذها. فخلف هذه الأدوات ومن خلالها، كان الروح القدس يعمل بحكمته وقيادته ومعرفته المطلقة. فالروح القدس هو - أولاً وأخيراً - ممثل اللاهوت على الأرض الآن، ومنفذ إرادته. وهو المُرسِل الفعلي لهذين الرسلين. إنَّ كنيسة أنطاكية تمثل نموذجاً رائعاً عن التعاون بين الله والكنيسة، بين الروح القدس والمؤمن.

والآن ما هي نتيجة تلك الرحلة التبشيرية الأولى، التي أُرسل فيها بولس وبرنابا؟ تلك الرحلة التي صارت مُمكنةً بقيادة الروح القدس المقترنة بالصوم والصلاة، وممارسة وضع الأيادي.

ومن هناك سافرا بالبحر إلى أنطاكية حيث كانا قد أسلما إلى نعمة الله للعمل الذي أكملاه، ولمَّا حضرا وجمعا الكنيسة أخبرا بكل ما صنع الله معهما وأنه فتح للأمم باب الإيمان (أعمال ١٤: ٢٦-٢٧).

في هذا النص الذي تُختم به هذه الرحلة، هناك ثلاث نقاطٍ ملفتةٍ للنظر:

١- يوضح الكتاب المقدس الهدف الذي من أجله وضع القادة أيديهم

على بولس وبرنابا، حيث تُذكر أنطاكية باعتبارها المكان الذي فيه "أسلما إلى نعمة الله للعمل الذي أكملاه" فبوضع الأيدي يُسلم الخادم إلى نعمة الله لانجاز عملٍ معيّن.

٢- نلاحظ أيضاً أنهما قد أكملتا العمل الذي ذهبا من أجله بنجاح. قال أحدهم: "من يدعو الله، يمكنه أيضاً" أي أنّ الله عندما يدعو شخصاً إلى عملٍ ما، يوفر له النعمة الروحية والوسائل المادية اللازمة لنجاحه.

٣- وأخيراً نلاحظ تأثير خدمتهم على الأمم. يقول النص: "أنه (الله) فتح للأمم باب الإيمان." فلم يكن بولس وبرنابا يضاربان الهواء، لكن الله كان يفتح أمامهما الأبواب المغلقة، ويهيئ القلوب. إنها قوة الصوم والصلاة التي يجدونها عند الحاجة، وهي امتدادٌ لتلك القوة التي مُنحت لهما بوضع الأيدي في أنطاكية.

وأود أن أضيف هنا ما استنتجته شخصياً من خلال خبرتي واختباراتي الكثيرة في أماكن متعددة، وهو أنه لا يمكن تحقيق النتائج التي نقرأ عنها في العهد الجديد، إلا باتباع أمثلة وأساليب العهد الجديد.

تعيين الشيوخ والشمامسة

بقي أن ندرس استخداماً واحداً لوضع الأيدي يسجله العهد الجديد، وهو يشبه - إلى حدٍ ما - ما درسناه قبل قليل:

وفي تلك الأيام إذ تكاثرت التلاميذ حدث تدمّر من اليونانيين على العبرانيين أنّ أراملمهم كُنَّ يُغفل عنهم في الخدمة اليومية، فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا: لا يُرضي أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد، فانتخبوا أيها الأخوة سبعة رجالٍ منكم مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة. وأمّا نحن فنواظب

على الصلاة وخدمة الكلمة، فَحَسُنَ هذا القول أمام كل الجمهور فاختاروا استفانوس رجلاً مملوًّا من الإيمان والروح القدس وفيلبس وبرخورس ونيكانور وتيمون وبرميناس ونيقولاوس دخيلاً أنطاكيًّا، الذين أقاموهم أمام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الأيادي (أعمال ٦: ١-٦).

يُجمع أغلب المفسرين على أنَّ تلك الخدمة التي أوكلت إلى أولئك الرجال السبعة، هي الخدمة نفسها التي سُمِّيت فيما بعد بخدمة "الشَّمَّاس - deacon". ونجد أنَّ تعيين أولئك الشمامسة السبعة في الكنيسة الأولى صار نافذاً بممارسة وضع أيادي قادة الكنيسة آنذاك.

لفهم هذه العملية بوضوح أكثر، من الضروري أن نحلل باختصارٍ وجهة نظر العهد الجديد عن النظام الإداري للكنيسة المحلية. لقد كانت الهيكلية القيادية بسيطةً جداً في العهد الجديد، فهي تتضمن صنفين فقط من الخدام التدبيريين: الشيوخ والشمامسة (elders and deacons). أمَّا المعتادين على ترجمةٍ واحدةٍ للكتاب المقدس، فإنهم يعتقدون بوجود رُتَبٍ إداريةٍ كثيرة، من أمثلة ذلك اللقب "أسقف - bishop" وهي كلمةٌ مشتقةٌ (في العربية والانجليزية ولغاتٍ أخرى) من الأصل اليوناني "episkopos". والواقع أنَّ الكلمات: "أسقف، شيخ، قس، ناظر" جميعها تدل على خدمةٍ تدبيريةٍ واحدة. لقد تُرجمت الكلمة اليونانية "episkopos" إلى الكلمة "أسقف" في أعمال ٢٠: ٢٨، فيلبي ١: ١، ١ تيموثاوس ٣: ٢ - وإلى الكلمة "ناظر" في ١ بطرس ٥: ٢. والمزيد من البحث يكشف لنا أنَّ الكلمتين "قس، شيخ" هما ترجمتان مختلفتان من أصلٍ يوناني واحد هو "presbus" وأنَّ العهد الجديد يطلق هذين اللقبين على الاسقف أيضاً كما سنرى. ففي أعمال ٢٠: ١٧ نقرأ ما يلي:

ومن ميليتس أرسل إلى أفسس واستدعى قسوس (Presbuterion) الكنيسة.

ثم نقرأ أنَّ بولس يخاطب أولئك القسوس في عدد ٢٨ من الأصحاح نفسه قائلاً:

احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفةً.

والأمر نفسه بالنسبة للكلمة "شيخ" إذ يقول بولس لتيطس:

من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الامور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيوخاً (presbuterion) كما أوصيتك... لأنه يجب أن يكون الأسقف (episkopos) بلا لوم كوكيل الله (تيطس ١: ٥، ٧).

إذاً فالأسقف هو القس وهو الناظر وهو الشيخ، وهذه الأخيرة هي الأكثر استخداماً في العهد الجديد.

بالإضافة إلى الشيخ نجد خدمةً أخرى هي خدمة الشمّاس (deacon) (أنظر فيلبي ١: ١، ١ تيموثاوس ٣: ٨، ١٢) وأصلها اليوناني يترجم في العهد الجديد بالكلمة "خادم" (أمّا الكلمة "شمّاس" فهي معرّبة عن كلمة سريانية تعني "خادم" أيضاً). ولا يوجد في العهد الجديد خدمةً تدبيريةً أخرى غير الشيخ والشماس.

أمّا المؤهلات التي يجب توفرها فيمن يعيّن في إحدى هاتين الخدمتين، فهي واضحة في كلمة الله (أنظر أعمال ٣: ٦، ١ تيموثاوس ٣، تيطس ١: ٥-٩). ونستطيع من خلال هذه المقاطع الكتابية، أن نلخص المهام الرئيسة في هاتين الخدمتين. فخدمة الشيخ هي قيادة الكنيسة وتوجيهها.

أمّا الشيوخ المدبرون حسناً فليُحسَبوا أهلاً لكرامةٍ مضاعفةٍ ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم (١ تيموثاوس ٥: ١٧).

فيؤكد بولس على "التدبير" و "التعب بالكلمة والتعليم" في خدمة الشيخ. أمّا الشمّاس فهو "الخادم-servant" كما يدل أصل الكلمة اللغوي. لقد كانت خدمة الموائد، أي الاهتمام بحاجات الناس المادية، هي خدمة أول شمامسةٍ انتخبتهم الكنيسة (انظر أعمال ٦: ٢). وكانوا يقدمون بذلك خدمةً للرسول أنفسهم.

أما طريقة اختيار الشماسة، فنجد إطارها العام في أعمال ٦: ٣-٦. فقد طلب الرسل من الشعب أن يختاروا سبعة رجال من بينهم، بحيث تتوفر فيهم مؤهلات معينة. وبعد أن اختاروهم، جاءوا بهم إلى الرسل الذين صلّوا أولاً لأجل أولئك الخدّام، ثم وضعوا عليهم الأيادي. وكان لهذه العملية ثلاثة أهداف:

- ١- اعتراف الرسل العلني بقبولهم أولئك الرجال كشماسة.
- ٢- تسليم أولئك الرجال لله علناً، من أجل الخدمة التي اختيروا لتتميمها.
- ٣- منح أولئك الرجال مقداراً من النعمة الروحية عن طريق الرسل من أجل انجاز خدمتهم بنجاح. وقد استخدم الله اثنين منهم (استفانوس وفيلبس) على قدر ما نعلم، في خدمة واسعة النطاق.

أما عن طريقة تعيين الشيوخ فنقرأ في أعمال ١٤: ٢١-٢٣ ما يلي:

فبشرا (بولس وبرنابا) في تلك المدينة وتلمذا كثيرين، ثم رجعا إلى لسترة وإيقونية وأنطاكية يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا في الإيمان وأنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله. وانتخبا لهم قسوساً (شيوخاً) في كل كنيسة ثم صليا بأصوام ثم استودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به.

في هذا النص عدة أمور مهمة تتعلق بتعيين الشيوخ:

أولاً: ارتبطت عملية تعيين الشيوخ في هذا النص بالصوم والصلاة، تماماً كما حدث قبيل إطلاق الرسل من أنطاكية. لقد ادركت كنيسة العهد الجديد الأولى، بأن الصوم والصلاة أمران أساسيان لسماع صوت الله قبل اتخاذ أي قرار مهم.

ثانياً: يستخدم الكتاب المقدس الكلمة "تلاميذ" ليصف أولئك المؤمنين الذين رجع بولس وبرنابا إليهم في لسترة وإيقونية وأنطاكية. لكنه يسميهم "كنيسة" بعد انتخاب الشيوخ. إنّ عملية تحويل مجموعة من التلاميذ إلى كنيسة يستدعي تعيين شيوخ من بينهم.

ثالثاً: لقد كان تعيين الشيوخ هو مسؤولية الرسل ممثلي السلطان الإلهي، إلا أنهم لم يعتمدوا على تقديراتهم الشخصية في تنفيذ هذه المهمة، بل كانوا أدواتٍ يستخدمها الروح القدس. يقول بولس لشيوخ كنيسة أفسس:

احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفةً (أعمال ٢٠: ٢٨).

فانتخاب الشيوخ في الكنيسة هو أمرٌ ينبغي أن يتم بقيادة الروح القدس نفسه.

رابعاً: لا يذكر النص شيئاً عن وضع الأيادي، إلا أننا نعتقد بأن بولس وبرنابا قد مارسا وضع الأيادي عندما انتخبا الشيوخ في تلك الكنائس. ونؤسس اعتقادنا هذا على سببين قويين تقدمهما كلمة الله:

أ - السبب الأول هو أن العملية الموصوفة هنا تتطلب اعتراف الرسل علناً بأولئك الشيوخ، كما تتطلب أن يمنحهم الرسل القوة الروحية والحكمة الخاصة اللازمَتان لنجاح الخدمة. وهذان المتطلبان هما تماماً ما تحققه خدمة وضع الأيادي.

ب - السبب الثاني هو أن بولس في ١ تيموثاوس ٥: ١٧-٢٢ يقدم لتيموثاوس التعليمات المناسبة للتعامل مع شيوخ الكنيسة. وفي ختام حديثه يقول بولس: "لا تضع يداً على أحدٍ بالعجلة." ومع أننا نستطيع أن نعمم هذا التحذير ليشمل كل حالات وضع الأيادي، إلا أن بولس يشير في هذا السياق - على ما يبدو - إلى أن وضع الأيادي هو جانبٌ مهمٌ في رسامة الشيوخ.

في ختام هذه الدراسة، نستذكر الأهداف الأساسية الخمسة لوضع الأيادي، كما يشير إليها العهد الجديد:

- ١ - خدمة شفاء المرضى
- ٢ - مساعدة الراغبين بأن يتعمدوا في الروح القدس

٣- منح المواهب الروحية

٤- إرسال المرسلين

٥- تعيين الشيوخ والشمامسة في الكنيسة المحلية

لقد اتخذنا من حياة وإدارة الكنائس في نصوص العهد الجديد مثلاً لنا، نفهم من خلاله هذه الأهداف الخمسة.

والآن نلخص ما تعلمناه في الفصول الثلاثة الأخيرة عن وضع الأيدي: إنها الخدمة التي ترتبط ارتباطاً حيوياً بالكثير من مجالات حياة الإيمان والخدمة. فهي ترتبط بخدمة شفاء المرضى، وباعداد المؤمنين للشهادة من خلال المعمودية في الروح القدس، والخدمة التبشيرية الإرسالية، وهي على علاقة مباشرة مع موهبة النبوة، وتستخدم أيضاً في تشديد الكنائس المحلية وذلك بتفعيل عمل المواهب الروحية وبتعيين الشيوخ والشمامسة.

لهذه الأسباب جميعاً، تأخذ خدمة وضع الأيدي مكانها المنطقي في عبرانيين ٦: ٢، باعتبارها إحدى الأسس التعليمية المهمة في الإيمان المسيحي.

الجزء السادس

قيامۃ الأموات

... لعلِّي أبلغ إلى قيامۃ الأموات.

فيلبي ١١:٣

ما بعد الزمن

في الجزء الخامس من هذا الكتاب، تطرقنا إلى الأساس التعليمي الرابع في عبرانيين ٦: ١-٢، ألا وهو "وضع الأيدي". وبقي لدينا أساسان آخران هما: قيامة الأموات والدينونة الأبديّة. بدراستنا لهذين الموضوعين ننقل من عالم الزمن إلى عالم الأبديّة، حيث يقودنا إعلان كلمة الله إلى مرحلتين (القيامة، الدينونة) لا تنتميان إلى الزمن الحاضر، كما هو الحال في الأسس الأربعة الأولى التي درسناها، بل هما في نطاق الأبديّة.

الأبديّة: لا محدودية الوجود الإلهي

يتحير الكثيرون في تصورهم لمعنى الكلمة "الأبديّة"، ويعتقد بعضهم بأنها مجرد امتداد لانتهائي للزمن لا يستطيع الإنسان أن يدركه. والواقع أنّ هذا غير صحيح، فالأبديّة ليست مجرد امتدادٍ لا نهائي للزمن، لكنها تختلف تماماً في طبيعتها عن الزمن. فهي شكلٌ مختلفٌ من الوجود، إذ أنها تعبّر عن وجود الله نفسه، وجود "الرب الإله السرمدى" (تكوين ٢١: ٣٣)، الإله "الذي ليس عن فهمه فحص" (إشعيا ٤٠: ٢٨). ويقول موسى في المزمور ٩٠: ٢ :

من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله.

وهو "ساكن الأبد" كما جاء في سفر إشعيا:

لأنه هكذا قال العلي المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه (إشعيا ٥٧: ١٥).

فالكتاب المقدس يكشف بأنَّ الأبدية تتعلق بطبيعة الله نفسه. إنها البعد اللامحدود الذي يسكنه الله. فعندما سأل موسى الله عن اسمه، أجابه الله قائلاً:

هكذا تقول لبني اسرائيل أهيه أرسلني إليكم (خروج ٣: ١٤).

إنَّ الاسم "أهيه - YHWH" مأخوذٌ حرفياً عن العبرية ويعني "هو - HE IS" أو "يكون - HE WILL BE" وهو الأسم نفسه الذي يترجم غالباً إلى الكلمة "يهوه - Jehovah". أو إلى الانجليزية "YAHWEH" كما يقترح بعض علماء الكتاب، أو إلى الكلمة "السرمدى - The Eternal" كما فعل بعض مترجمي الكتاب المقدس. على كل حال فإنَّ المعنى الدقيق لكلمات الله في خروج ٣: ١٤ يبدو أوضح في الترجمة العربية الجديدة:

فقال الله لموسى: أنا هو الذي هو (I AM WHO I AM). هكذا تجيب

بني اسرائيل: هو الذي هو أرسلني إليكم (ت.ع.ج).

وهكذا يعلن الله طبيعته السرمدية الثابتة التي لا تتأثر بالزمن، فهو هو، كائنٌ منذ الأزل وإلى الأبد. أمَّا الماضي والحاضر والمستقبل فهي (الآن) بالنسبة إليه دائماً.

ويعلن العهد الجديد هذه الحقيقة نفسها عن سرمدية الله، في الرؤيا التي رآها الرسول يوحنا في جزيرة بطمس:

أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي

يأتي القادر على كل شيء (رؤيا ١: ٨).

فالعبرة "الألف والياء" مأخوذة عن الحرفين الأول والأخير في الأبجدية اليونانية "Alpha and Omega" وهما يشيران إلى أنَّ أبجدية الزمن بمجملها هي في طبيعة الله نفسه. والعبرة "الكائن والذي كان والذي يأتي" تجمع الماضي والحاضر والمستقبل معاً، لتكوِّن شكلاً آخر للإعلان الإلهي في خروج ٣: ١٤ "أنا هو الذي هو". أمَّا العبرة "القادر على كل شيء" فهي تنسجم مع اسم الله "ايل شدّاي" الذي استخدم أولاً في سفر التكوين عندما أعلن الله نفسه لإبراهيم.

ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنةً ظهر الرب (يهوه) لأبرام وقال له:
أنا الله القدير (ايل شدائي) سر أمامي وكن كاملاً (تكوين ١٧: ١).

ويشير هذا التعبير العبري "ايل شدائي" أيضاً إلى أن الله (مكتف في ذاته)، وهو مصدر
ومركز وهدف الخليقة كلها. نرى هذه الصورة في العهد الجديد أيضاً حيث يقول
بولس:

لأنَّ منه وبه وله كل الأشياء (رومية ١١: ٣٦).

فاسماء الله والقابه تتضمن إعلاناً لطبيعة الله الأبدية. وبينما نتأمل في هذه الطبيعة
الفائقة، نستطيع أن نكون صورةً حقيقية عن معنى الأبدية.

إنَّ الأبدية لا تعني زمناً غير محدود، لكنها تشير إلى كينونة الله وطبيعته
وجوده اللامخلوق. فمن الأبدية صدر العالم الزمني الحاضر مخلوقاً من الله. وكما
خلق الله هذا الكون من الأبدية سيعيده يوماً ما إليها، منهياً الزمن الذي نعرفه من ماضٍ
وحاضرٍ ومستقبلٍ. فالزمن مرتبطٌ بعالمنا الحاضر ارتباطاً مباشراً ووثيقاً. لقد خُلِقَ
الزمن مع هذا العالم، وسيأتي إلى نهايته مع نهاية هذا العالم.

إنَّ الزمن هو من حتميات عالمنا المادي، وتخضع كل الخلائق لحركته
المستمرة. بينما يقف الإنسان بكل قوته عاجزاً عن تغييره أو تغيير مساره أو عكس
اتجاهه. وسيبقى الإنسان كغيره من الخلائق عبداً للزمن ما دام يعيش في هذا العالم.

لقد ظلَّ عناد الزمن وقسوته التي لا تُستعطف وسيطرته على شؤون البشر
مثار خيالات وأفكار الرجال والنساء على مر العصور. فكم حاول الإنسان أن يتحرر
من قيود الزمن بوسائل مختلفة ولم ينجح. وقد وصف الشاعر الإنجليزي أندرو مارفل
(Andrew Marvel) معاناة الإنسان تحت وطأة الزمن قائلاً:

يلاحقني ذلك الصوت نفسه إلى الأبد،

إنها عربة الزمن المجنحة التي تقترب وتقترب.

لقد عبَّر الفلاسفة والشعراء من كل العصور والخلفيات عن هذه المعاناة بأساليب
متنوعة. فيا لعناد الزمن! ويا لسيطرته القائمة للبشر وللخليقة جمعاء!

أمّا الفيزياء المعاصرة فقد أسهمت إسهاماً بارزاً في مفهوم الإنسان عن الزمن. وذلك من خلال النظرية النسبية التي تقول باختصار، بأنّ المكان والزمان متصلان بحيث لا يمكن تعريف أو تحديد أحدهما إلّا بالنسبة إلى الآخر. هذا ما يسميه علم الفيزياء "متصل الزمكان - the space - time continuum" إنّ هذا الترابط بين الزمان والمكان، هو الهيكل الذي يشكل الوجود في هذا العالم. لقد خلق الله الزمان والمكان معاً بخلقه لهذا العالم، وسيأتي الوقت الذي يتوقف فيه هذا الوجود بزمانه ومكانه، بينما تستمر طبيعة الله الأبدية اللامحدودة ممتدةً بلانهاية.

وليس علينا نحن البشر أن ننتظر نهاية الزمن لكي تنتقل إلى الأبدية. إذ أنّ اللحظة التي نقفز بها إلى الأبدية ستأتي لا محالة على كل واحدٍ بمفرده، فينتهي الزمن بالنسبة إليه. قال أحدهم: "ساعة الإنسان هي قلبه". فأخر دقائق قلبه هي آخر دقائق ساعة الزمن بالنسبة إليه، فما الذي ينتظر ذلك الإنسان الذي يقفز في أحضان الأبدية يا ترى؟

الموعدان العظيمان

مما لا شك فيه أنّ كثيراً من الغموض يكتنف مصير النفس التي تنتقل إلى الأبدية. وخاصةً في الجوانب التي لا يكشفها الكتاب المقدس. إلّا أنّ الكتاب يكشف جانبين أساسيين فيما يتعلق بمصير الإنسان في الأبدية، هما: قيامة الأموات والدينونة الأبدية،

لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيى الجميع
(١كورنثوس ١٥: ٢٢).

فكما أنّ الموت هو مصيرٌ محتوم ورثناه عن آدم، كذلك القيامة من الموت هي الموعد الإلهي العظيم للجميع.

لقد صارت القيامة ممكنة بسبب موت المسيح وقيامته، وفي الكتاب المقدس استثناءً منطقي لفئة واحدة من الناس: أولئك الذين لن يموتوا، لن يحتاجوا إلى القيامة من الموت.

هوذا سرُّ أقوله لكم: لا نرقد كلنا ولكننا نتغير في لحظةٍ في طرفة عين عند البوق الأخير، فإنه سيَبوقُ فيُقامُ الأموات عديمي فسادٍ ونحن نتغير. لأنَّ هذا الفاسد لا بد أنَّ يلبس عدم فسادٍ وهذا المائت يلبس عدم موت (١ كورنثوس ١٥: ٥١-٥٣).

فعندما يقول بولس: "لا نرقد كلنا" فهو يقصد أنَّ المؤمنين الذين يعيشون إلى مجيء المسيح لن يموتوا لكن تتغير أجسادهم في لحظةٍ واحدةٍ وبطريقةٍ معجزية، ليجدوا أنفسهم لابسين أجساداً جديدة لا تفسد. حينئذٍ، يلبس الفاسد عدم فساد، والمائت عدم موت، فلا مجال للقيامة بعد ذلك. ونستطيع أن نضيف إلى هذه الفئة المستثناة من القيامة كلُّ من أخنوخ و إيليا الذين انتقلا إلى السماء من دون موت (انظر تكوين ٥: ٢٤، ملوك الثاني ٢: ١١). ولا يذكر الكتاب شيئاً عما حدث لهما بعد ذلك، لكننا نعرف بالتأكيد بأنَّ الذي لا يموت، لا يقوم من الموت. من جانبٍ آخر، يؤكد الكتاب المقدس بأنَّ كل من يموت سيقوم من الموت حتماً.

أمَّا الموعد المحتم الثاني في الأبدية، فهو الدينونة. يحذر بولس أهل أثينا من أنَّ العالم كله سيواجه دينونة الله يوماً ما:

فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل. لأنه أقام يوماً هو فيه مزمَعٌ أن يدين المسكونة بالعدل برجلٍ قد عيَّنه مقدِّماً للجميع ايماناً إذ أقامه من الأموات (اعمال ١٧: ٣٠-٣١).

لقد عين الله يوماً يدين به الجميع، لذلك فهو يأمر الجميع بالتوبة. كما يحذر بولس المؤمنين لكي يكونوا مستعدين هم أيضاً لمواجهة دينونة الله.

وأمَّا أنت فلماذا تدين أخاك؟ أو أنت أيضاً لماذا تزدري بأخيك؟ لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح. لأنه مكتوب: أنا حي يقول الرب إنه ستجثو كل ركبةٍ وكل لسانٍ سيحمد الله (رومية ١٤: ١٠-١١).

بولس يكتب هنا بأنَّ الجميع بلا استثناء سيواجه الدينونة، مؤكداً ذلك بالعبارة "لأننا

جميعاً،" فضلاً عن أنَّ العبارة "... كل ركبة وكل لسان..." المرتبطة هنا بالدينونة، لا تترك مجالاً لأي استثناء. وسندرس فيما بعد كيف تختلف الدينونة باختلاف فئات الناس. أمّا الآن فإننا نريد أن نؤكد على المبدأ الأساسي، وهو أنَّ كل الأموات سيقومون أولاً وبعد ذلك تأتي الدينونة.

وُضِع للناس أن يموتوا مرةً ثم بعد ذلك الدينونة (عبرانيين ٩: ٢٧).

فالعبرة "وُضِع للناس" تشمل البشرية بأكملها.

إذاً نستطيع أن نقول بأنَّ لكل من ينتقل من الزمن إلى الأبدية موعدان: الأول مع القيامة، والثاني مع الدينونة. وتشمل الدينونة أيضاً أولئك الذين يعيشون إلى مجيء المسيح،

لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح (رومية ١٤: ١٠).

والكلمات نفسها تقريباً في ٢ كورنثوس ٥: ١٠:

لأنه لا بدّ أننا جميعاً نَظْهَرُ أمام كرسي المسيح.

يشمل هذان العدان كل المؤمنين بلا استثناء.

ويقدم لنا الكتاب المقدس القيامة والدينونة بالتتابع دائماً. فالقيامة تسبق الدينونة، ولا يمكن لأحد أن يواجه الدينونة وهو نفسٌ متجردة عن الجسد، بل ينبغي أن يكون إنساناً كاملاً، نفساً وروحاً وجسداً. لذلك تأتي القيامة أولاً بالضرورة وبعد ذلك الدينونة. ومما يؤكد ذلك قول بولس:

لأنه لا بدّ أننا جميعاً نَظْهَرُ أمام كرسي المسيح لينال كل واحدٍ ما كان

بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً (٢ كورنثوس ٥: ١٠).

فما دمنّا سندان حسب ما صنعنا في الجسد، حتّم الله أن نقف أمامه بالجسد أيضاً. فقيامة الأجساد إذاً تسبق الدينونة الأبدية، وإلّٰهنا إلهُ ترتيب كما هو شأنه دائماً.

الموت: مفترق الطرق

نبحث في هذا الفصل ما يعلمه الكتاب المقدس عن موضوع قيامة الأموات بالتفصيل. وأول ما ينبغي تأكيده في هذا المجال، هو أنَّ القيامة تخص ذلك الجزء من الإنسان الذي نسميه الجسد. فهي ليست قيامة النفس أو الروح. ولمزيد من التوضيح، نحلل باختصار طبيعة الإنسان كما يعلنها الكتاب المقدس.

كيان الإنسان الثلاثي

يصلي بولس من أجل المؤمنين في تسالونيكي قائلاً:

والله السلام نفسه يقدسكم بالتمام، ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملةً بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح (١ تسالونيكي ٥: ٢٣).

يستخدم بولس العبارة "يقدسكم بالتمام" في بداية هذا العدد، فهو يتحدث عن الطبيعة الإنسانية الكاملة للمؤمن. ثم يذكر بولس ثلاثة مكونات لهذه الطبيعة: الروح والنفس والجسد. ونقرأ أيضاً:

لأنَّ كلمة الله حية وفعّالة وأمضى من كل سيفٍ ذي حدين وخارقةٌ إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ (عبرانيين ٤: ١٢).

حيث يقدم لنا هذا العدد التكوين الثلاثي نفسه للطبيعة البشرية: الروح والنفس والجسد. غير أنَّ الجسد هنا ممثَّلٌ بأجزاء حقيقيةٍ من جسم الإنسان: "المفاصل والمخاخ."

ولمزيد من التوضيح حول مكونات طبيعة وشخصية الإنسان، دعونا نقرأ ما يسجله الكتاب المقدس عن عملية خلق الإنسان:

وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا (تكوين ١: ٢٦).

ويستخدم الوحي هنا الكلمتين: "صورة" و "شبه"، للتعبير عن العلاقة بين الخالق والمخلوق. أما الكلمة "صورة" فإنها ترجمة لأصل عبري يترجم في الكتاب المقدس عادةً بالكلمة "ظل"، وفي اللغة العبرية الحديثة يستخدم هذا الأصل نفسه لعملية أخذ "صورة فوتوغرافية". وهذا يشير إلى أن المقصود هو نوع من التشابه في الهيئة الخارجية، غير موجود في المخلوقات الأدنى من الإنسان.

أما الكلمة "شبه" فهي أكثر شمولاً، فهي تشير إلى شخصية الإنسان كلها، وأن هناك نوعاً من التشابه بين الله والإنسان في الطبيعة نفسها. والواقع أن أهم وجوه هذا التشابه هو الطبيعة الثلاثية للإنسان (الروح والنفس والجسد). فالإنسان كائنٌ ثلاثي - إن صح التعبير - رغم أن هذه العناصر الثلاثة تجتمع في شخصية واحدة.

ينطبق هذا - مع فارق التشبيه - على الإعلان الكتابي لطبيعة الله الثلاثية. فهناك إله واحد فقط، لكن بثلاثة أقانيم مميزة: الأب والابن والروح القدس. هذا هو الشبه الذي يعلنه الكتاب: إنسانٌ ثلاثي الطبيعة والشخصية، مخلوقٌ على شبه الله الثلاثي الأقانيم.

في سفر التكوين نقرأ المزيد عن أول عملية خلق للإنسان:

وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية (تكوين ٢: ٧).

فنرى أن البداية كانت من أصلين مختلفين ومنفصلين تماماً: تراب الأرض لتشكيل العنصر المادي من الإنسان (الجسد)، ونفخة الله التي كوَّنت عنصراً خفياً غير مادي يسمى هنا "النفس"، والتعريف الأدق لهذا الجانب اللامادي هو "الروح والنفس معاً". فالكتاب المقدس يشير إلى الروح والنفس كعنصرين مستقلين، يكوَّنان معاً ذلك الجانب المخفي في شخصية الإنسان. والبحث في الحدود التي تفصل ما بين النفس والروح هو موضوع خارج نطاق دراستنا هذه، فنكتفي بالقول بأن للكيان الإنساني مصدرين مختلفين:

١- الجانب المادي والطبيعي (الجسد) هو من تحت، من تراب الأرض.

٢- الجانب غير المرئي واللامادي (النفس والروح) هو من فوق، من الله نفسه.

وعندما يموت الإنسان، تتحرر النفس والروح من ذلك القمقم الترابي. ويتحلل الجسد ويعود إلى العناصر الأولية التي خُلِقَ منها. وفي القيامة يتكوّن هذا الجسد مجدداً من تلك العناصر الأولية نفسها.

انفصال روح الإنسان عن جسده

لا يتعرض الروح أو النفس إذاً إلى عملية الدفن والتحلل اللتين يخضع لهما الجسد. فلندرس معاً ما تقوله كلمة الله عن مصير الروح والنفس. ونبدأ بسفر الجامعة، لكن علينا أولاً أن نفهم شيئاً بخصوص هذا السفر، وهو أن كاتبه (سليمان) تعمّد أن يُحدّد سفره في نطاق ما هو "تحت الشمس".

ما الفائدة للإنسان من كل تعب الذي يتعبه تحت الشمس؟
(جامعة ١: ٣).

هذا مثالٌ على نوعية اهتمامات سليمان واستنتاجاته في هذا السفر. والعبارة "تحت الشمس"، التي تتكرر تسعاً وعشرين مرة، تشير إلى أن هذا السفر يبحث في أمورٍ تتعلق بهذا العالم الحاضر وأشياءه المادية الزمنية المؤقتة. يقول بولس:

لأنّ (الأشياء) التي تُرى وقتية، وأمّا التي لا تُرى فأبدية
(٢ كورنثوس ٤: ١٨).

فالحدود هنا واضحةٌ بين نوعين من الأشياء: المرئية الوقتية، وغير المرئية الأبدية. فإذا تفحصنا سفر الجامعة، نجده يركز على النوع الأول: الوقتي والمرئي. فإذا وصل به المطاف إلى ما هو أبدي، وقف سليمان وعاد إلى داخل حدود اهتمامه

الأساسي: "ما هو تحت الشمس." أمّا النوع الثاني من الأشياء: الأبدى غير المرئي، فتتطرق إليه كل الأسفار الأخرى تقريباً، بما فيها كتابات سليمان الأخرى.

فلنقرأ الآن هذه الفقرة من سفر الجامعة، والتي تتحدث عن الفرق بين مصير جسد الإنسان وروحه عند الموت.

قلت في قلبي من جهة أمور بني البشر: إنَّ الله يمتحنهم ليريهم أنه كما البهيمة هكذا هم. لأنَّ ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم. موت هذا كموت ذاك ونَسَمَةٌ واحدةٌ لكل فليس للإنسان مزيةً على البهيمة لأنَّ كليهما باطل. يذهب كلاهما إلى مكانٍ واحد. كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما. من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد إلى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل إلى أسفل إلى الأرض؟ (جامعة ٣: ١٨-٢١).

وفي ترجمة أخرى:

فمن يعرف أنَّ روح الإنسان تصعد إلى العلاء، وروح الحيوان تهبط إلى أسفل الأرض؟ (كتاب الحياة).

فكأنه يقول: "إننا نعرف بأنَّ هناك فرقاً بين مصير الإنسان والحيوان، لكنه خارج مجال بحثنا. لكننا نقول باختصار: بأنَّ روح الإنسان تصعد إلى فوق، وروح الحيوان تنزل إلى الأرض" وهذا يتوافق مع ما نعرفه عن خلق الإنسان. فجسد الإنسان جاء من التراب من تحت. أمّا روحه فمن الله من فوق (انظر تكوين ٢: ٧) وعند الموت يعود كلُّ منهما حيث كان،

فيرجع التراب إلى الأرض كما كان،

وترجع الروح إلى الله الذي أعطاه (جامعة ١٢: ٧).

فتعليم سليمان في سفر الجامعة عن مصير روح الإنسان مختَصَرٌ ومفيد، ومتوافق مع معطيات الكتاب المقدس الأخرى.

ما الذي يحدث حالما ترجع الروح إلى الله؟ إنَّ الكتاب لا يقدم لنا إجابة مفصَّلة عن هذا السؤال، لكنه يؤكد لنا مبدئين رئيسيين في هذا المجال: الاول، هو أنَّ رجوع الروح الإنسانية ووقوفها أمام الله بعد الموت، لا يتضمن الدينونة الأبدية. فالدينونة لا تحدث إلا بعد القيامة. أمَّا المبدأ الثاني فهو أنَّ أرواح الأشرار لن يكون لها وجودٌ دائمٌ في حضرة الله. ومن هنا نستنتج بأنَّ الروح الإنسانية تقف أمام الله بعد الموت لهدفٍ واحد، وهو أن تسمع الحكم الالهي بخصوص الحالة والمكان الذي ستمكث فيه بانتظار القيامة والدينونة، ثم تُصرف هذه الروح من حضرة الله إلى المكان المعد لها، إلى أن تُستدعى في قيامة الأجساد.

فصل الأشرار عن الأبرار

ما هي الحالة التي تكون عليها الأرواح البشرية في الفترة ما بين الموت والقيامة؟ لقد رأى الله ألا يعلن الكثير في كلمته عن هذا الموضوع، لكنه أعلن هاتين الحقيقتين:

- ١- هناك فصلٌ كليٌّ دائم بين أرواح الأبرار وأرواح الأشرار.
- ٢- حالة أرواح الأبرار قبل موت المسيح وقيامته، كانت تختلف عما هي عليه الآن.

بالإضافة إلى هاتين الحقيقتين، يكشف لنا الكتاب المقدس بعض ملامح هذه الفترة، في ومضاتٍ سريعةٍ هنا وهناك. ففي إعلانة لدينونة الله على ملك بابل الظالم، يقدم لنا الكتاب المقدس بعض الحقائق عن حالة الأرواح فيما بين الموت والقيامة:

الهاوية من أسفل مهتزةٌ لك

لاستقبال قدومك

منهضةٌ لك الأخبيلة

جميع عظماء الأرض

أقامت كل ملوك الأرض عن كراسيهم

كلهم يجيبون ويقولون لك:

أأنت أيضاً قد ضعفت نظيرنا وصرت مثلنا؟ (إشعياء ٩: ١٤-١٠).

لا تشير هذه الفقرة إلى أن أرواح الذين في الهاوية تعرف ما يحدث على الأرض، لكن هناك إشارة إلى أنها تتذكر بعض ما حدث أثناء حياتها على الأرض. من الواضح أيضاً أن الشخصية الإنسانية تحتفظ بمميزاتها بعد الموت. فهناك اتصال ومعرفة بين هذه الأرواح بعضها مع بعض وهناك تشابه - بشكل ما - بين حالتها على الأرض وحالتها في الهاوية، فالملوك ما زالوا يحتفظون بألقابهم!

هناك أيضاً فقرة مشابهة عن دينونة الله على مصر وعلى ملكها:

يا ابن آدم، ولول على جمهور مصر

واحدره هو وبنات الأمم العظيمة

إلى الأرض السفلى مع الهابطين في الجب.

ممن نَعِمَت أكثر؟

انزل واضطجع مع الغلف،

يسقطون في وسط القتلى بالسيف

قد أسلم السيف. أمسكوها مع كل جمهورها.

يكلمه أقوياء الجبابرة من وسط الهاوية مع أعوانه

قد نزلوا واضطجعوا غُلْفاً قَتلى بالسيف (حزقيال ٣٢: ١٨-٢١).

تقدم هذه الفقرة الملامح نفسها التي رأيناها في إشعياء ٩: ١٤-١٠. لاحظ العبارة "يكلمه أقوياء الجبابرة من وسط الهاوية مع أعوانه". إذاً تحتفظ الشخصية الإنسانية بمقوماتها بعد الموت.

ننتقل الآن إلى العهد الجديد لمتابعة البحث في مصير روح الإنسان ونفسه بعد الموت مباشرة. ومدخلنا إلى هذا البحث هو قصة "العازر والغني" (أنظر لوقا ١٦: ١٩-٣١). هذه القصة ليست مثلاً، لكنها - على ما يبدو - حادثة تاريخية حدثت

في وقتٍ ما قبل موت المسيح وقيامته. وفيما يلي وصفُ المسيح لمصير كل من لعازر والغني بعد موتهما:

فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، ومات الغني أيضاً ودفن. فرفع عينيه في الجحيم وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيدٍ ولعازر في حضنه، فنادى وقال: يا أبي إبراهيم ارحمني وارسل ليعازر ليبلّ طرف إصبعه بماءٍ ويبرّد لساني، لأنني معذبٌ في هذا اللهب. فقال إبراهيم: يا ابني اذكر أنك استوفيت خيرتك في حياتك، وكذلك لعازر البلاء. والآن هو يتعرّى، وأنت تتعذب. وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوةٌ عظيمةٌ قد أُثبتت، حتى إنّ الذين يريدون العبور من ههنا اليكم لا يقدرّون، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا (لوقا ١٦: ٢٢-٢٦).

هناك الكثير في هذه الفقرة مما يؤيد استنتاجاتنا السالفة من العهد القديم. فالجسد يدفن بعد الموت، بينما تنقل الروح إلى نوعٍ آخر من الوجود. وهناك تحتفظ الشخصية الإنسانية بمقوماتها، فتدرك الأرواح حالتها وتعرف بعضها بعضاً، وتذكر شيئاً من ماضيها على الأرض، فيقول إبراهيم للغني: "يا ابني أذكر..."

ويضيف العهد الجديد في هذه القصة حقيقةً مهمةً أخرى تبين الفرق بين مصير أرواح الأبرار وأرواح الأشرار بعد الموت. فمع أنّ لعازر والغني ذهبا إلى الهاوية ("شبول" في العبرية و "Hades" في اليونانية)، إلا أنّ الغني وجد نفسه في مكان العذاب، بينما ذهب لعازر إلى مكان الراحة. وبين المكانين هوةٌ سحيقةٌ لا يمكن عبورها. ويسمى مكان الراحة في هذه القصة "حضن إبراهيم" وهي تسميةٌ رمزيةٌ تدل على أنّ ذلك المكان مُعدٌّ لأولئك الذين ساروا على آثار خطي إبراهيم في إيمانه وطاعته. أليس هو من يدعوهُ الكتاب "أباً لجميع الذين يؤمنون" (رومية ٤: ١١).

المسيح هو المثال والبرهان

لقد اعتمدنا في دراستنا لمصير الأرواح الإنسانية بعد الموت على حوادث كتابية سبقت موت المسيح وقيامته. والآن نبحث فيما يقوله الكتاب عن اختبار المسيح نفسه ما بين موته وقيامته.

بين موت المسيح وقيامته

ونبدأ بهذه الفقرة النبوية المختصة بموت المسيح ودفنه وقيامته:

جعلت الرب أمامي في كل حين

لأنه عن يميني فلا أترزعزع.

لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي،

جسدي أيضاً يسكن مطمئناً.

لأنك لن تترك نفسي في الهاوية،

لن تدع تقيك يرى فساداً.

تعرفني سبيل الحياة

أمامك شبع سرور

في يمينك نَعَم إلى الأبد (مزمور ١٦: ٨-١١).

يقتبس بطرس هذه الأعداد في أعمال ٢: ٢٢-٢٨. وفي أعمال ١٣: ٣٥ يقتبس بولس أحد هذه الأعداد. وكلاهما فسّر اقتباسه على أنه نبوة مباشرة عن دفن المسيح وقيامته. وقد أشار بطرس إلى أن هذه الكلمات لا تنطبق على داود، مع أنه هو قائلها. ذلك لأنّ جسد داود قد تحلل، وتُركت روحه في الهاوية لعدة قرون. لكن هذه الكلمات - كما

يشير بطرس - هي إحدى النبوءات المسيانية الكثيرة في العهد القديم. فالمقصود ليس داود ولكن ذاك الذي يأتي من نسله، أي المسيا (يسوع المسيح).

هذه النبوة تكشف لنا عن أمرين حدثا عند موت المسيح: الأول هو أن جسده لم يرَ فساداً، والثاني أن روحه ذهبت إلى الهاوية، وبقيت هناك طوال الفترة ما بين موته وقيامته. ويؤيد العهد الجديد إعلان العهد القديم بأكثر تفصيل. يقول يسوع للص التائب المصلوب إلى جانبه:

الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس (لوقا ٢٣: ٤٣).

إنَّ الكلمة "الفردوس" تعني حرفياً (جَنَّة أو حديقة) وهي إحدى الأسماء التي تُطلق على مكان أرواح الأبرار الذين انتقلوا.

ونادى يسوع بصوتٍ عظيم وقال: يا أبتاه في يديك استودع روحي، ولمَّا قال هذا أسلم الروح (لوقا ٢٣: ٤٦).

وهكذا نجد أن يسوع قد أسلم روحه للأب الذي سيقدر الخطوة التالية، أمَّا جسده فسيوضع في القبر.

فالمسيح بأخذه صورة وطبيعة الإنسان، إلى جانب طبيعته الالهية، اجتاز في كل ما ينتظر الإنسان عند الموت. فقد دفن جسده في قبر، أمَّا روحه فقد أُسْلِمَتْ بين يدي الله الذي سيقدر مصير تلك الروح. فما الذي حدث لروح المسيح بعد ذلك؟ يقول بولس:

وأما أنه صعد فما هو إلا إنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى. الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل (أفسس ٤: ٩-١٠).

ونقرأ في ١ بطرس ٣: ١٨-٢٠:

فإنَّ المسيح أيضاً تألم مرةً واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الاتمة، لكي يقربنا إلى الله مماتاً في الجسد ولكن محيياً في الروح. الذي فيه

أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن إذ عصت قديماً حين كانت
أناة الله تنتظر مرةً في أيام نوح.

من هذين المقطعين معاً نستطيع أن نتبين الإطار العام للاختبار الذي اجتازته
روح يسوع المسيح الإنسان. فقد نزلت روحه إلى الهاوية، إلى المكان المختص
بأرواح الأبرار الذي يدعى "الفردوس" أو "حضن إبراهيم". لقد مات يسوع قبل اللصين
المصلوبين عن يمينه وعن يساره، وهكذا فإن روحه كانت باستقبال روح اللص التائب
في الفردوس.

ثم نزلت روح المسيح من الفردوس إلى المكان الآخر المعد لأرواح الأشرار.
وفي مكان العذاب ذاك، تحمّل المسيح أجرة الخطية من جانبها الروحي، لا من جانبها
الجسدي فقط، فأعطى عمله الكفّاري بُعداً ضرورياً آخر. وهناك كرز المسيح لأرواح
الأشرار الذين عاشوا زمن نوح (عصر ما قبل الطوفان) والتي سُجّنت في مكان خاص
من الهاوية. أمّا الفعل "كرز" هنا فهو ترجمة لاصل يوناني يعني "يذيع - herald".
فهو لا يدل على أنّ المسيح كرز بالانجيل للأرواح التي في السجن، بل أذاع أو أعلن
إعلاناً ما.

بعد ذلك، وبعد أن حقق المسيح كل الأهداف المختصة بعمله الكفّاري، صعدت
روح المسيح مجدداً من الهاوية عائدةً إلى عالم الزمان الحاضر. وفي تلك اللحظة قام
جسده من الموت متحداً مع روحه ومكوّناً إنساناً كاملاً من جديد:

ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين، فإنه إذ
الموت بانسان، بانسان أيضاً قيامة الأموات. لأنه كما في آدم يموت
الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع (١ كورنثوس ١٥: ٢٠-٢٢).

فقيامة المسيح من الموت هي مثالٌ سيجتاز فيه كل البشر من بعده، ويتضمن هذا المثال
جانبيين: مجيء روح الإنسان من الهاوية، وقيامة جسده من الموت. وهكذا يتحد الروح
والجسد وتتكون الشخصية الإنسانية الكاملة بجانبها المادي واللامادي.

مصير المؤمن عند الموت

لاستكمال ملخصنا حول هذا الموضوع، ننتقل الآن من موت المسيح وقيامته إلى ما يعلنه العهد الجديد عن مصير المؤمن عند وفاته في عصرنا الحاضر. ونجد أنَّ العهد الجديد يشير إلى فرقٍ مهم بين الفترة ما قبل قيامة المسيح وما بعدها. فقبل قيامته - كما سبق ورأينا - كانت تنتقل أرواح الأبرار إلى مكانٍ ما في الهاوية يسمى "الفردوس" أو "حضن إبراهيم". أمَّا بعد قيامة المسيح وتنفيذه لخطة الكفارة بكل أبعاده، فقد انفتح الباب أمام تلك الأرواح لكي تصعد حالاً ومباشرةً إلى السماء، إلى حضرة الله نفسه.

يؤكد العهد الجديد هذه الحقيقة من خلال عدة مقاطع. منها حادثة رجم استفانوس، أول شهيدٍ في المسيحية:

وأمَّا هو (استفانوس) فشخص إلى السماء وهو ممتلئٌ من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله. فقال: ها أنا أنظر السموات مفتوحةً وابن الإنسان قائماً عن يمين الله (أعمال ٧: ٥٥-٥٦).

وينتهي الأمر كما يلي:

فكانوا يترجمون استفانوس وهو يدعو ويقول: أيها الرب يسوع اقبل روحي، ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوتٍ عظيم: يا رب لا تقم لهم هذه الخطية، وإذ قال هذا رقد (أعمال ٧: ٥٩-٦٠).

لقد أعطى الله استفانوس أن يرى المسيح الممجّد عن يمين الله قبل أن يموت. وفي صلاته: "أيها الرب يسوع اقبل روحي" عبّر استفانوس عن ثقته بأنّ روحه ستصعد حالاً (بعد موت جسده) إلى حضرة الله. يؤكد بولس هذه الحقيقة أيضاً عندما يقول:

فإذا نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب،... فنثق ونُسَرُّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب (٢ كورنثوس ٥: ٦، ٨).

فلا يمكن لروح الإنسان أن تكون في حضرة الله (تستوطن عند الرب) ما دامت في الجسد، لكنها تنتقل مباشرةً إلى حضرة الله بمجرد أن تنفصل عن الجسد في عملية الموت. وفي رسالته إلى أهل فيلبّي يكرر بولس هذه الفكرة عندما يبين فضل الانطلاق من الجسد الطبيعي بالموت، على البقاء على الأرض، فيقول:

لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح، ولكن إن كانت الحياة في الجسد هي لي ثمر عملي فماذا اختار؟ لست ادري! فإني محصورٌ من الاثنين، لي اشتهاؤ أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً، ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم (فيلبّي ١: ٢١-٢٤).

فإنّما أن يبقى بولس في الجسد، أي أن يستمر في حياته على الأرض بجسده الطبيعي. وإنّما أن ينطلق ويكون مع المسيح، أي أن تنطلق روحه من جسده بالموت، ليكون مباشرةً في محضر المسيح في السماء.

إنّ مثالي استفانوس وبولس يؤكّدان بأنّ روح المؤمن الحقيقي التي تغادر جسده بالموت، تنطلق حالاً إلى حضرة المسيح في السماء. لقد صار هذا ممكناً بعد أن أكمل المسيح عمله الكفّاري من خلال موته وقيامته. فقبل موت المسيح وقيامته، كانت أرواح المؤمنين تذهب إلى مكان الراحة والتعزية في الهاوية. ومع أنّ ذلك المكان لم يكن هو مكان العذاب لكنه كان بعيداً عن محضر الله.

أمّا القيامة فتستكون على مثال قيامة المسيح. فتستدعى الأرواح من المكان التي هي فيه بموجب حكم الله (السماء أو الهاوية)، ويقام الجسد من الموت في اللحظة نفسها. ويتحد الروح بالجسد من جديد، فيستعيد الإنسان كامل طبيعته.

القيامة تعيد تكوين الجسد الأصلي

يواجه بعض الناس صعوبة تتعلق بقيامة الأجساد. فكيف لأجساد قد تحللت تماماً منذ آلاف السنين أن تعود إلى ما كانت عليه؟ وهل يعقل أن يقوم من الموت جسداً فتتّه انفجاراً في الحرب مثلاً ولم يبقَ منه شيء؟ هل يمكن لمثل هذه الأجساد أن تتجمع

أجزاءها المبعثرة في كل مكان، وتستعيد تركيبها الذي كانت عليه؟ والإجابة تكمن طبعاً في قدرة الله وحكمته المطلقتين، فأمرٌ كهذا لا يعسر عليه.

من ناحيةٍ أخرى، إذا قارنا بين تعليم القيامة من الأموات وبين حكمة الله في خلقه للإنسان، لظهر الأمر منطقياً وطبيعياً. ففي المزمور ١٣٩ يتحدث داود عن عملية خلق جسد الإنسان. إنَّ المزمور بأكمله مكرسٌ لتعظيم حكمة الله فائقة العمق، وفي بضعة أعدادٍ يتحدث الشاعر عن صفات الله التي ظهرت في عملية خلق جسد الإنسان قائلاً:

لأنك اقتنيت كليتي نسجتني في بطن أمي
أحمدك من أجل أني قد امتزت عجباً
عجيبه هي أعمالك
ونفسي تعرف ذلك يقيناً
لم تختف عنك عظامي حينما صنعت في الخفاء
ورُقمت في أعماق الأرض.
رأت عيناك أعضائي
وفي سفرك كلها كتبت يوم تصوّرت
إذ لم يكن واحدٌ منها (مزمور ١٣٩: ١٣-١٦).

يتحدث داود هنا عن الجسد لا عن الروح والنفس، فهو يستخدم الكلمات "عضامي" و "أعضائي" ويعلن داود حقيقتين على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية:

- ١- إنَّ المكونات الأرضية المادية التي خلق الله منها الجسد، كانت معدةً مسبقاً ومعروفةً عند الله وهي في أعماق الأرض.
- ٢- لقد عين الله عدد وأبعاد المواد التي ستكون جسد الإنسان، قبل تكوينه الفعلي.

ويؤكد الدكتور فوجيتا (Dr. Fujita) الأخصائي الياباني البارز في علم العقاقير،

يؤكد بطريقة مذهلة ما يقوله داود في المزمور ١٣٩. فقد أمضى د. فوجيتا عدة سنوات وهو يبحث في السؤال: ما هي الحياة؟ وفي بحثه الذي اقتصر على الجانب المادي، حلل د. فوجيتا عدة أشكال حياتية نباتية وحيوانية. وخُص إلى أن المعادن هي المكونات الأساسية المشتركة في كل الكائنات الحية.

ويذهب إعلان كلمة الله إلى ما هو أبعد من هذه الحقيقة العلمية، فهو يكشف بأن الله يحتفظ بسجل بالغ الدقة للعناصر التي تكوّن أجسادنا. فكل جزء من أجزاء الجسد مهما صغر، له أهمية في سجل الله، يقول لنا يسوع:

فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة (متى ١٠: ٣٠).

من هذا كله نستطيع أن نلاحظ نوعاً من التشابه بين عمليتي خلق الجسد وإقامته من الموت. ففي البدء عرف الله المواد التي ستدخل في تركيب جسد الإنسان وهي ما زالت في أعماق الأرض، وعندما تكوّن الجسد كانت جميع أجزائه مُحصاة (مرقمة) عنده. بعد الموت يتحلل الجسد إلى تلك المواد الأولية التي خُلق منها. لكن هذه المواد - كما ذكرنا - معروفة ومسجلة ومحصاة عند الله، وهو يستطيع أن يجمعها ثانية في القيامة بقوته المبدعة كما جمعها أول مرة.

ويبدو أن هناك فرقاً واحداً بين عملية خلق الإنسان وإقامته من الموت: فبينما كانت عملية الخلق تدريجية، فإن القيامة تتم لحظياً. ونظراً لسيادة الله المطلقة على الزمان والمكان، فليس لهذا الفرق أهمية تُذكر.

إذاً يستعيد الجسد المُقام أجزائه الأولى التي تحللت. فإذا رفضنا هذه الحقيقة الكتابية، لن يكون هناك معنى لما نسميه "قيامه الأجساد"، ولن تكون هناك علاقة - من قريب أو من بعيد - بين الجسد المدفون والجسد المُقام. فالأولى إذاً أن نقول بأن الله يعطي روح الإنسان جسداً جديداً لا علاقة له بجسده الأول. وهذا يناقض تعليم الكتاب المقدس الذي يؤكد على وجود ارتباط بين الجسدين، يتلخص بأن مكونات جسد الإنسان الأولية قبل موته، تجتمع ثانية في جسده المُقام.

هذه الحقيقة الرائعة، تؤيدها قيامة المسيح نفسه في المقام الأول، فعندما ظهر المسيح لأول مرة لتلاميذه بعد القيامة، خافوا وظنوا أنه شبح. لكن المسيح أكد لهم حالاً بأنه ليس كذلك، وقَدَّم لهم الدليل قائلاً:

انظروا يدي ورجلي إني أنا هو، جسُّوني وانظروا فإنَّ الروح ليس
له لحمٌ وعظام كما ترون لي. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه
(لوقا ٢٤: ٣٩-٤٠).

أمَّا توما، الذي لم يكن حاضراً آنذاك، فلم يصدق ما قاله له باقي التلاميذ، وبعد أسبوع ظهر يسوع مرة أخرى للتلاميذ، وكان توما حاضراً، فقال له يسوع:

هات اصبعك إلى هنا وأبصر يديَّ، وهات يدك وضعها في جنبِي ولا
تكن غير مؤمنٍ بل مؤمناً (يوحنا ٢٠: ٢٧).

فقد حرص المسيح على تقديم أدلة واضحة لتلاميذه، بأنَّ جسده بعد القيامة هو هو ذلك
الجسد نفسه الذي كان معلقاً على الصليب. والدليل هو آثار الجروح التي ما زالت في
يديه وقدميه وجنبه.

من جانبٍ آخر، تعرَّض جسد المسيح إلى بعض التغييرات المهمة. فلم يعد
خاضعاً لمحدودية الجسد المائت (المعرَّض للموت) في عالمنا الحاضر. فهو يستطيع
أن يظهر وأن يختفي كما يشاء، ويستطيع أن يدخل غرفة مغلقة، بل إنه يستطيع أن
يتحرك ما بين السماء والأرض. ومع وجود هذه التغييرات، يبقى جسد قيامة المسيح
هو نفسه ذلك الجسد الذي رُفِع على الصليب.

في موضعٍ آخر، يعد يسوع تلاميذه بأنَّ أجسادهم ستقوم من الموت كاملةً.
ففي لوقا ٢١ ينبههم يسوع إلى ما ينتظرهم من معارضة واضطهاد، وينبئهم بأنَّ بعضهم
سَيُقْتَل أيضاً. لكنه يقدِّم وعداً واضحاً بقيامة أجسادهم:

وسوف تُسَلَّمون من الوالدين والأخوة والأقرباء والأصدقاء. ويقتلون

منكم وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي ولكن شعرةً من رؤوسكم لن تهلك (لوقا ٢١: ١٦-١٨).

لاحظ أن يسوع يقول بأن تلاميذه سيكونون مبغضين وسيضطهدون ويُقتَلون، ومع ذلك فإن شعرةً واحدةً منهم لن تهلك. فهذا الوعد لا يتعلق بحماية الأجساد من الموت في هذه الحياة، فما أكثر المؤمنين الذين قُتلوا بطريقةٍ وحشية، كالحرق والتقطيع وغيرها من الأساليب التي حطمت وشوّهت أجسادهم تماماً. لكن هذا الوعد يتعلق بقيامة الأجساد من الموت، حيث يسترجع الجسد المُقام كل خليةٍ من خلايا الجسد الأصلي، فكلُّها محصاةٌ ومسجلةٌ عند الله الذي سيجمعها بقدرته الفائقة، مقيماً ذلك الجسد الذي عانى من الموت والفساد. نعم، سيكون ذلك الجسد كاملاً وممجداً، لكنه سيكون هو نفسه ذلك الجسد الذي مات وفسد.

هذه هي الصورة التي يقدمها الكتاب المقدس عن قيامة أجساد البشر. صورةٌ كاملةٌ في توافقها مع المنطق ومع باقي مبادئ كلمة الله، ورائعةٌ في إعلانها لقوة وعلم الله وحكمته التي لا تُحد.

العهد القديم يتنبأ بالقيامة

في هذا الفصل، نرى الخيط الدقيق الذي يرسمه الوعد الإلهي بالقيامة من الموت في العهد القديم. والذي يمتد في العهد الجديد (موضوع الفصل القادم).

يقول بولس في ١ كورنثوس ٤:١٥ بخصوص دفن المسيح وقيامته:

...وأنه (المسيح) دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب.

وعندما يقول بولس "حسب الكتب" فإنه يقصد كتب العهد القديم طبعاً، وأنَّ المسيح قام من الموت تتميماً لهذه الكتب. ويشير بولس إلى كتب العهد القديم باعتبارها مصدر السلطة الأولى في إثبات تعليم القيامة. ثم يستشهد بأولئك الرجال الذين عاينوا المسيح المقام، وكانوا ما يزالون أحياء عندما كتب بولس هذه الكلمات. لكن بولس وضع شهادة الكتب أولاً ثم شهود العيان.

فيما يلي بعض مقاطع العهد القديم التي تنبأ بالقيامة:

المزمير

لقد سبق لنا وأشرنا إلى الوعد بقيامة المسيح في مزمور ١٦:٨-١١، وقلنا بأنَّ كلمات هذا المزمور، وإن كانت تشير إلى داود، فإنَّ المقصود بها هو المسيح (يسوع المسيح) الذي هو من نسل داود حسب الجسد. وعلى هذا الأساس اقتبسها كل من بطرس وبولس في العهد الجديد.

في مزمور ٧١:٢٠-٢١ نبوة أخرى عن قيامة المسيح. فيخاطب داود الله مباشرةً ويقول:

أنت الذي أريتنا ضيقاً كثيرةً ورديةً تعود فتحيينا ومن أعماق الأرض
تعود فتصعدنا. تزيد عظمتي وترجع فتعزيني.

وتأتي هذه الكلمات في الأصل في صيغة المفرد "...تعود فتحيني، ومن أعماق الأرض ترفعني..." (ت.ع.ج) وهي نبوة مسيانية أخرى يُقصد بها المسيح. فإذا حللنا هذه الكلمات نبوياً، نرى فيها خمس مراحل متتابعة اجتاز فيها المسيح في تنفيذه لخطة الفداء. هذه المراحل هي:

- ١- الضيقات الكثيرة القاسية التي تمثل رفض المسيح وآلامه وصلبه.
 - ٢- نزل المسيح إلى أعماق الأرض، إلى الهاوية حيث كانت تذهب أرواح الموتى.
 - ٣- أحيا الله المسيح.
 - ٤- أٌسعد المسيح من أعماق الأرض، من الهاوية. وهكذا تمت قيامته.
 - ٥- ازداد المسيح شرفاً وتعزيةً بعد القيامة، إذ أنه استعاد مكانته وسلطانه فجلس عن يمين الأب.
- ولا يتسع الوقت أو المجال لاقتباس كل فقرات العهد الجديد، التي تثبت أن هذه النبوة قد تمت بكاملها في اختبار المسيح.
- إذاً فما اقتبسناه من مزموري ١٦ و ٧١، يتعلق مباشرة بقيامة المسيح نفسه باعتباره "المسيح"، والآن ندرس مقاطع أخرى تتعلق بالقيامة في مفهومها الشامل.

التكوين

ونبدأ بإلقاء الضوء على أحد وعود الله لإبراهيم:

وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً (تكوين ١٧: ٨).

في هذا الوعد، جانبان مهمان جديران بالانتباه: أولاً، ترتيب عملية الامتلاك، حيث يقول الله: "...لك ولنسلك من بعدك..." أي أن إبراهيم يمتلك الأرض أولاً ثم نسله من بعده. ثانياً، ما يتعلق بحدود الأرض ومدة امتلاكها حيث نقرأ: "...كل أرض

كنعان، ملكاً أبدياً.^١ فلا يتم هذا الوعد من خلال احتلال جزئي مؤقت، بل يتطلب تتميمه امتلاكاً شاملاً أبدياً.

وهذا يبين بأن هذا الوعد الإلهي لإبراهيم لم يتحقق أبداً. الجزء الذي امتلكه إبراهيم من الأرض ملكاً دائماً حتى الآن، هو مكان في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوحر الحثي، وهو حقل صغير اشتراه إبراهيم لغرض دفنه هو وسارة امرأته من قبله (انظر تكوين ٢٥: ٨-١٠).

أمّا بالنسبة إلى إسرائيل، فلم ينالوا أكثر من احتلال جزئي مؤقت للأرض، وهو ليس ذلك الامتلاك الذي وعد به الله. والآن، ما زالت إسرائيل تتشبث بإصرار، بقسم صغير من الأرض التي قصدها الله في وعده. وحتى وإن توسعت إسرائيل في السنوات القادمة، واحتلت كل الأرض المشمولة بالوعد، فلن يكون ذلك تحقيقاً لما أراده الله، لأنّ الوعد يقول: "... لك ولنسلك من بعدك." فينبغي أن يتمتع إبراهيم نفسه بامتلاك الأرض أولاً، ثم نسله من بعده.

إذاً، لا يمكن تحقيق هذا الوعد بمعزلٍ عن القيامة. ينبغي أن تتخلى مغارة المكفيلة عن موتاهها أولاً، ويقوم إبراهيم من الموت. بهذه الطريقة فقط، يمكن لإبراهيم أن يمتلك الأرض امتلاكاً شاملاً. فإن لم تكن قيامة، لا يمكن لوعده الله أن يتم. فوعد الله لإبراهيم يفترض ضمناً حقيقة القيامة، بل ويعتمد تتميمه عليها.

وهكذا نرى بأنّ وعد الله لإبراهيم، بخصوص الامتلاك الأبدي لأرض كنعان، يتضمن الوعد بقيامة إبراهيم نفسه أيضاً. فهي حقيقة القيامة معلنه في سفر التكوين، أول كتب العهد القديم.

أيوب

يعتبر سفر أيوب من أقدم أسفار العهد القديم. وفي هذا السفر ينطق أيوب باعتراف إيماني مذهل يتعلق بمصير نفسه وبقيامة جسده. فمن وسط المصائب واليأس

^١ يقصد المؤلف بأنّ الاحتلال الحالي لا يمثل تتميم وعد الله لإبراهيم في تكوين ٨: ١٧، فلا يمكن تتميم ذلك الوعد قبل القيامة، عندما يمتلك إبراهيم الأرض هو وأولاده المؤمنون.

والحزن يقول أيوب:

أما أنا فقد علمت أن وليي حيٌّ والآخر على الأرض يقوم وبعد أن يفنى
جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله الذي أراه أنا نفسي وعيني تنظران
وليس آخر (أيوب ١٩: ٢٥-٢٧).

يستخدم الكاتب لغةً في غاية الإحكام والبلاغة، عدا أنها غنيةٌ في معناها، حتى أنه من الصعب أن تجد ترجمةً تعطي هذه الكلمات حق قدرها. على أية حال، فإنَّ أيوب يُقر بأنَّ جسده سيفنى ويتحلل، لكنه يتطلع إلى الوقت الذي سيتمتع فيه بحضرة الله بجسده المُقام^٢ ويؤسس أيوب إيمانه هذا على من يسميه "وليي" أي المسيح. ففي ترجمة كتاب الحياة التفسيرية يقول أيوب: "أما أنا فإنني موقنٌ أنَّ فاديَّ (وليي) حيٌّ، وإنه لا بد في النهاية أن يقوم على الأرض." إنَّ قيامة جسد أيوب صار ممكناً فقط من خلال قيامة الفادي يسوع المسيح.

إشعيا

ننتقل الآن إلى النبي إشعيا الذي عاش قبل المسيح بسبعمئة سنة. ويقدم إشعيا اعترافاً إيمانياً مشابهاً لذاك الذي قدّمه أيوب فيقول:

تحيا أمواتك تقوم الجثث.
استيقظوا ترنّموا يا سكّان التراب،
لأنَّ طلّك طلّ أعشاب
والأرض تُسقط الأخيلة (إشعيا ٢٦: ١٩).

يتكلم إشعيا عن قيامة الأجساد من التراب. إنه يشير إلى قيامة جماعية، ستكون

^٢ العبارة "بدون جسدي" المستخدمة في ترجمة بستانني وفاندايك لا تعطي المعنى الدقيق لما يقصده الكاتب. والأرجح أنها تعني (بدون جسدي المريض هذا ولكن بجسد صحيح مُعافى كجسد الطفل). وفي الترجمة العربية الجديدة: "...ساقوم أجلاً من التراب، فتلبس هذه الاعضاء جلدي وبجسدي أعين الله".

مصدر فرح لمن له نصيبٌ فيها. إذ أنه يقول: "استيقظوا ترنّموا يا سكان التراب" مخاطباً الموتى الأبرار، فالقيامة بالنسبة إليهم ستكون المرحلة الأخيرة نحو الراحة الأبدية المطلقة في محضر الله.

ويؤكد إشعياء بأنّ القيامة تتعلّق بالأجساد فقط - كما سبق وعرفنا - فيخاطب "سكان التراب" أي الأجساد الميّتة لكي تستيقظ وتقوم من التراب. ويصف إشعياء القوة الفائقة التي ستقيم هذه الأجساد بالكلمة "طَل" وهو الندى.

لأنّ طَلَّك طَل أعشابٍ والأرض تُسَقِطُ الاخيلةَ (الأموات) (إشعياء ٢٦: ١٩).

فالكاتب هنا يستعير صورةً من الطبيعة، هي صورة البذور الجافة المدفونة في التراب. فهذه البذور تحتاج إلى قدرٍ من الرطوبة لكي تشقّ الأرض وتنبت، ويؤمنُ الندى هذه الحاجة. فالندى أو الطلّ في الكتاب المقدس، يشير - كالمطر - إلى عمل الروح القدس. فنبوة إشعياء، تتضمن أنّ قيامة الأجساد هي عملٌ يتم بقوة الروح القدس، الأمر الذي يؤكده بولس في رومية ٨: ١١ حيث يقول:

وإن كان روح الذي أقام المسيح من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.

دانيال

المقطع التالي هو دانيال ١٢: ١-٣، وهو جزء من إعلان نبوي طويل يتعلق بالأيام الأخيرة. أخذ دانيال هذا الاعلان عن طريق الملاك جبرائيل، الذي أرسله الله لذلك الغرض بالذات، أمّا المقطع الذي يتعلق بموضوع القيامة فهو:

وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيقٍ لم يكن منذ كانت أمةٌ إلى ذلك الوقت وفي ذلك الوقت ينجي شعبك كل من يوجد مكتوباً في السفر. وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار

للازدراء الأبدى. والفاهمون يضيئون كضياء الجَلَد والذين رُدُّوا كثيرين إلى البرِّ كالكواكب إلى أبد الدهور.

يتعلق الجزء الأول من هذا الإعلان بشعب الله القديم، وبالضيق العظيم الذي سيأتي على الشعب وينقذه منه الله. هذا الضيق هو نفسه الذي يشير إليه إرميا قائلاً:

أه لأنَّ ذلك اليوم عظيمٌ وليس مثله. وهو وقت ضيق على يعقوب ولكنه سيخلص منه (إرميا ٣٠:٧).

فهو ضيقٌ عظيمٌ ليس مثله، كما يقول إرميا، لكن يعقوب (شعب إسرائيل) سيخلص منه. وهذا يتوافق مع دانيال ١٢:١:

... وفي ذلك الوقت يُنجي شعبك، كل من يوجد مكتوباً في السفر.

فسيتدخل الله نفسه لينجي الشعب من أعظم ضيقٍ مرَّ به، هذا الضيق هو مرحلة واحدة من مراحل "الضيقة العظيمة" التي ستأتي على العالم كله في الأيام الأخيرة. وعندما يتعلق الأمر بهذه الضيقة الأخيرة، تأتي النبوة الخاصة بالقيامة من الأموات في دانيال ١٢:٢، حيث يقول جبرائيل:

وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدى.

وهذا يشابه - إلى حدٍ بعيد - ما جاء في نبوة إشعيا. ففي كلا النبوتين إشارة إلى "الراقدين في التراب" وكلاهما تستخدمان "الاستيقاظ" للدلالة على القيامة. لكن نبوة دانيال تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فهي تشير إلى وجود مرحلتين للقيامة: الأولى هي قيامة الأبرار الذين سيتمتعون بالحياة الأبدية، والثانية هي قيامة الأشرار الذين سيكون مصيرهم العار والازدراء الأبدى. وسيجازى الأبرار بحسب أمانتهم في خدمة الرب.

والفاهمون يضيئون كضياء الجَلَد والذين ردوا كثيرين إلى البرِّ كالكواكب إلى أبد الدهور (دانيال ١٢:٣).

والتمييز هنا واضحٌ بين أولئك الذين يكتفون بخلاصهم فقط، وبين الذين يردون الآخرين أيضاً إلى البرّ. فالفئة الثانية تنال مجداً أعظم من الفئة الأولى.

نلاحظ من الفقرات التي اقتبسناها من العهد القديم، بأنّ تعليم القيامة من الأموات يمتد عبر الكتاب كلّهُ، بل إنه يزداد وضوحاً بالتدرّج إلى أن يكشف لنا سفر دانيال بأنّ القيامة ترتبط بالضيق العظيمة التي تأتي على العالم في آخر الأيام. ويكشف أيضاً عن مرحلتين مختلفتين، واحدة للأبرار وأخرى للآشرار.

وقبل أن نأتي إلى نهاية دراستنا حول نبوءات العهد القديم عن القيامة، سنؤكد على نقطة أخرى ذات أهمية كبيرة.

هوشع

لقد قال بولس بأنّ المسيح "قام في اليوم الثالث حسب الكتب" (١ كورنثوس ١٥: ٤). فلم يتنبأ العهد القديم بقيامة المسيح فحسب. لكنه تنبأ بأنها تحدث بعد ثلاثة أيامٍ من موته. فأين نجد هذه النبوءة في العهد القديم؟ هوشع يقدم لنا الجواب.

هلم نرجع إلى الرب

لأنه هو افترس فيشفينا، ضرب فيجبرنا

يُحيينا بعد يومين

في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه.

لنعرف، فلنتتبع لنعرف الرب

خروجه يقيُن كالفجر

يأتي إلينا كالمطر،

كمطرٍ متأخر يسقي الأرض (هوشع ١: ٦-٣).

تُستهل هذه النبوءة بوعود الشفاء والغفران لكل من يرجع إلى الرب تائباً. وفي العدد الثاني نتحدث النبوءة عن القيامة في اليوم الثالث: "يحيينا بعد يومين، في اليوم الثالث

يقيمنا فنحيا أمامه" (هوشع ٢:٦). ونلاحظ أنَّ النبوة قد صيغت بالجمع لا بالمفرد، أي أنها لا تتحدث عن قيامة المسيح فقط، لكنها تشمل كل أولئك الراجعين إلى الله بالتوبة وبالإيمان.

لفهم هذه الحقيقة، نستعين بالإعلان الكامل للإنجيل، كما قدمه الله إلى الكنيسة من خلال بولس.

قيامة المسيح تشمل كل المؤمنين

يقول بولس في رومية ٦:٦:

إنَّ إنساننا العتيق قد صلب معه (مع المسيح).

ويقول في غلاطية ٢:٢٠:

مع المسيح صلبت.

لقد اتحد المسيح بارادته بالإنسان الخاطيء، فحمل ذنبه واتحد بطبيعته الساقطة، ومات بدلاً منه. لقد دفع المسيح أجرة الخطية عن الإنسان، وعلينا أن نقبل بالإيمان بأننا شركاء المسيح في دفنه وفي قيامته وفي الحياة الجديدة التي ليس للموت سلطان عليها. هذه الحياة التي يحيها المسيح الآن.

الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مخلصون، وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع (أفسس ٢:٤-٦).

وحالما نقبل بالإيمان، أننا شركاء المسيح في موته، سنكتشف أننا شركاء في قيامته أيضاً وفي حياته الغالبة بعد القيامة. هذه الحقيقة نجدها أيضاً في العبارة القوية والموجزة التي يقول فيها يسوع لتلاميذه:

إني أنا حي، فأنتم ستحيون (يوحنا ١٤:١٩).

لذلك نجد أنَّ الاعلان النبوي في هوشع، جاء بصيغة الجمع.

في اليوم الثالث يقيمنا، فنجيا أمامه (هوشع ٦: ٢).

لا تعلن هذه النبوة بأن المسيح سيقوم في اليوم الثالث فحسب، لكنها تعلن أيضاً بأن كل المؤمنين هم شركاء في قيامته.

إن نبوة هوشع - كغيرها من نبوءات العهد القديم - لا تتنبأ بحدوث أمر ما فقط، لكنها تعلن الأهمية الروحية لذلك الحدث بارتباطه بالهدف الإلهي الشامل. ويقول هوشع بأن قصد الله الكامن في قيامة المسيح، سيعلن لأولئك المستعدين لأن يطلبوا الحق بايمانٍ ومثابرة، ويعبر عن ذلك بالكلمات:

لنعرف، فلنتتبع لنعرف الرب (هوشع ٦: ٣).

فهذا الإعلان هو فقط لأولئك الذين يتتبعون ليعرفوا الرب، فيكون لهم خروج الرب "يقين كال فجر" (هوشع ٦: ٣). فقيامة المسيح هي كال فجر المشرق الذي يأتي بعد ليلة مظلمة. هذا الوصف يشابه ما جاء في ملاخي ٤: ٢ عن قيامة المسيح: ولکم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها.

ومرة أخرى نجد أن الله يحدد أولئك الذين تعلن لهم قيامة المسيح، فهم المتقون اسمه. بعد ذلك يشير هوشع إلى أن انسكاب الروح القدس سيأتي بعد القيامة. فهو يقول:

يأتي إلينا كال مطر، كمطر متأخر يسقي الأرض (هوشع ٦: ٣).

فالمطر يتحدث عن الروح القدس، ويأتي انسكابه هنا على مرحلتين: المطر المبكر والمطر المتأخر. وقد بدأ انسكاب المطر المبكر في يوم الخمسين - تكميلاً جزئياً لهذه النبوة - على التلاميذ الذين ينتظرون ويتتبعون لمعرفة الرب.

وفي مراجعتنا لنبوءات العهد القديم التي اقتبسناها في هذا الفصل، والتي تتعلق بقيامة الأبرار، يظهر لنا أن مؤمني العهد القديم أيضاً لهم نصيب في هذه القيامة. قال أيوب عن نفسه: "...وبجسدي أعين الله" (أيوب ١٩: ٢٦. ت. ع. ج)، ويقينه هذا مؤسس

على الفادي الذي يقول عنه: "أما أنا فإني مؤمنٌ أن فاديَّ حي..." (أيوب ١٩: ٢٥) كتاب الحياة). أما إشعياء فقد تحدث بابتهاجٍ عن قيامة الأبرار الذي هو واحدٌ منهم، فقال:

تحيا أمواتك تقوم الجثث.

استيقظوا ترنموا يا سكان التراب (إشعياء ٢٦: ١٩).

وقال جبرائيل لدانيال بأنَّ هناك قيامةٌ للأبرار وأخرى للأشرار (انظر

دانيال ١٢: ٢-٣). ثم قال له في دانيال ١٢: ١٣:

أما أنت فاذهب إلى النهاية فتستريح وتقوم لقرعتك في نهاية الأيام.

فدانيال سيقوم في قيامة الأبرار بالطبع. وفي نبوة هوشع عن القيامة:

يحيينا (نحن) بعد يومين وفي اليوم الثالث يقيمنا فنحيا (أمامه) (هوشع ٦: ٢).

ولتأكيد هذه الحقيقة من العهد الجديد، نستعين بكلمات يسوع نفسه:

وأقول لكم إنَّ كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب ويتكئون مع

إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات (متى ٨: ١١).

يتحدث يسوع عن المؤمنين من كل الأمم، الذين يجتمعون في القيامة ومعهم الآباء من العهد القديم: إبراهيم وإسحق ويعقوب. وهو يؤكد بهذا بأنَّ المؤمنين من العهدين القديم والجديد سيكونون معاً في قيامة الأبرار، كما كانوا معاً في إيمانهم بذبيحة المسيح الكفارية. والفرق هو أنَّ مؤمني العهد القديم كانوا يرون بالإيمان ذبيحة المسيح التي لم تقدم بعد، من خلال الإعلانات النبوية المتنوعة. أما مؤمنو العهد الجديد فهم ينظرون بالإيمان إلى حقيقة تاريخية وقعت في الماضي، هي حقيقة موت المسيح وقيامته.

في ما تبقى من هذه الدراسة، سنعتبر حقيقة اشتراك مؤمني العهد القديم في

قيامة الأبرار أمراً محسوماً.

المسيح هو الباكورة

درسنا في الفصل السابق بعض الفقرات الرئيسية في العهد القديم، والتي تتنبأ عن القيامة، ورأينا أن العهد القديم يتنبأ عن ثلاثة أحداثٍ أساسية:

- ١- قيامة المسيح نفسه من الأموات.
- ٢- المؤمنون في المسيح هم شركاء في قيامته.
- ٣- هناك قيامة للأشجار تتبعها الدينونة والعقاب الأبديين.

فإذا انتقلنا الآن إلى العهد الجديد نجد أن اعلانه بخصوص القيامة يتفق تماماً مع العهد القديم في الأحداث الثلاثة السالفة الذكر. إلا أن العهد الجديد يقدم قدراً كبيراً من المعلومات الأخرى التي تستكمل الصورة وتوضحها.

ثلاث مراحل متتابعة للقيامة

أول ما سنتطرق إليه في العهد الجديد هو ما يقوله يسوع في انجيل يوحنا:

- الحق الحق أقول لكم: إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون (يوحنا ٥: ٢٥).
- لانتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة (يوحنا ٥: ٢٨-٢٩).

يستخدم يسوع هنا عبارتين مختلفتين: "الأموات" (ع ٢٥)، "الذين في القبور" (ع ٢٨)، ويبدو أن سياق النص يشير إلى عدم ترادف هاتين العبارتين، بل إلى اختلافهما. فالبارة الاولى "الأموات" لا تصف الأموات بالجسد، بل الأموات بالروح، وهي اللغة نفسها التي يستخدمها بولس في أفسس ١:٢:

وإذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا.

من الواضح هنا أن بولس لا يتحدث عن الأموات جسدياً، بل عن الأموات روحياً بسبب الخطية، وهم المنفصلون عن الله. ويوبخ بولس الخطاة بلغةٍ مشابهةٍ مستقاة من إشعياء:

استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح
(أفسس ٥: ١٤).

فالأموات هنا هم الأموات روحياً بالذنوب والخطايا. وتطبيق هذا التفسير على كلمات المسيح:

الحق الحق أقول لكم: إنه تأتي ساعةٌ وهي الآن حين يسمع
الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون (يوحنا ٥: ٢٥).

نجد أن المسيح يتحدث عن الطريقة التي سيتجاوب فيها الأموات في الذنوب والخطايا مع صوته، ذلك الصوت الذي يصل إلى الخطاة من خلال الكرازة بالإنجيل و "السامعون يحيون" أي أن كل من يقبل رسالة الإنجيل بالإيمان، تغفر خطايه وينال الحياة الأبدية. يؤكد النص تفسيرنا هذا، إذ أن يسوع يقول: "تأتي ساعةٌ وهي الآن" وهذا يعني أن عصر الكرازة بإنجيل المسيح قد بدأ في الوقت الذي قال فيه يسوع هذه الكلمات. لنلاحظ كيف يختلف هذا عن كلمات يسوع في يوحنا ٥: ٢٨-٢٩:

لا تتعجبوا من هذا. فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور
صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا
السيئات إلى قيامة الدينونة.

تختلف هذه الفقرة عن يوحنا ٢٥:٥ في ثلاثة أمور:

أولاً: قال يسوع: "تأتي ساعة" (ع ٢٨) من دون أن يقول: "وهي الآن" كما في العدد ٢٥. فهو يتحدث هنا عن أمورٍ مستقبلية لم تبدأ بعد.

ثانياً: يستخدم يسوع العبارة "الذين في القبور" والتي تشير بلا شك إلى الذين ماتوا جسدياً ودفنوا. ويتابع قائلاً بأن جميع أولئك الذين في القبور سيسمعون صوته، أما في يوحنا ٢٥:٥ فهناك إشارة إلى أن بعضهم فقط سيسمعون، "والسامعون يحيون" أي "الذين يسمعون هم الذين سيحيون فقط".

ثالثاً: يستخدم يسوع الكلمة "قيامة" بوضوح، ونستنتج من هذا بأن المسيح يتحدث في الفقرة الأولى عن تجاوب الأموات روحياً مع رسالة الإنجيل. بينما يتحدث في الفقرة الثانية عن نوعين من القيامة: (١) قيامة الحياة (٢) قيامة الدينونة. وهذا يتوافق مع إعلان العهد القديم في دانيال ١٢:١-٣، حيث أن قيامة الأبرار (قيامة الحياة) تأتي أولاً ثم قيامة الأشرار (قيامة الدينونة). لكن يسوع يضيف إلى إعلان دانيال حقيقةً أخرى، وهي أن الصوت الذي ينادي الأموات إلى القيامة هو صوت المسيح نفسه، صوت ابن الله.

ننتقل الآن إلى ١ كورنثوس ١٥، حيث نرى صورةً أكمل وأكثر تفصيلاً عن القيامة:

لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع. ولكن كل واحدٍ في رتبته. المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح في مجيئه، وبعد ذلك النهاية، متى سلم الملك لله الأب متى أبطل كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة (١ كورنثوس ١٥: ٢٢-٢٤).

لاحظ العبارة "كل واحدٍ في رتبته". إن الكلمة المترجمة هنا "رتبة" هي الكلمة نفسها المستخدمة لوصف الرتب العسكرية، حيث أن بولس يصور القيامة في ثلاث مراحل متتابعة، وكأنها ثلاثة طوابير عسكرية تسير بالتتابع حسب الرتبة: أولاً "المسيح

باكورة،" ثم كل المؤمنين الحقيقيين عند مجيء المسيح ثانية، وهم من يسميهم الكتاب: "الذين للمسيح في مجيئه،" ثم "النهاية" أي بعد أن ينتهي ملك المسيح الألفي على الأرض، ويسلم الملك للآب. هذه القيامة الأخيرة هي ما نعرفه باسم "قيامه الأشرار" إذ أن غالبية (وليس كل) من يقومون فيها ينتمون إلى قيامة الأشرار. ولا يذكر بولس المزيد عن هذه المرحلة في ١ كورنثوس، لكننا سنبحث في تفاصيل أخرى عند دراسة رؤيا ٢٠. أمّا الآن فلنتفحص عن قرب ما يقوله بولس عن المرحلتين الأولى والثانية.

المعنى الرمزي للكلمة

"باكورة"

يقول بولس بأن المرحلة الأولى هي "المسيح باكورة" وهو بهذا يقارن بين قيامة المسيح وبين مراسيم تقديم باكورة الحصاد للرب في ناموس موسى:

كَلَّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمْ: مَتَى جِئْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطَيْكُمْ وَحَصَدْتُمْ حَصِيدَهَا، تَأْتُونَ بِحَزْمَةٍ أَوَّلِ حَصِيدِكُمْ إِلَى الْكَاهِنِ (لاويين ٢٣: ١٠-١١).

فحزمة أول الحصيد (الباكورة) التي يرددها الكاهن (يحركها يمنة ويسرة) أمام الرب، تصوّر قيامة المسيح من الأموات ممثلاً عن الخطاة ومفتتحاً عصر الخليقة الجديدة.

لاحظ الدقة في هذه الصورة. إن حزمة الباكورة هي أول ثمر ينتجه البذار الذي دفن في الأرض. ويقول موسى للشعب بأن الكاهن يجب أن يردد الحزمة أمام الرب "للرضا عنكم". بالمقابل، يقول بولس في رومية ٤: ٢٥ بأن المسيح "أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا،" فقيامه المسيح لا تصادق على برّ المسيح فحسب، لكنها تفتح المجال لكي يُحسب المؤمن باراً أمام الله، كما أن المسيح بار.

أيضاً كان على الكاهن أن يردد تلك الحزمة أمام الرب "في غد السبت" وغد السبت هو اليوم الأول من الأسبوع (الأحد) يوم قيامة المسيح من الأموات، وترديد

الحزمة كان شكلاً من أشكال العبادة والابتهاج، لأنَّ الأرض أخرجت باكورة الحصيد مما يؤكد بأنَّ باقي الزرع سيكون على ما يرام. وهكذا فإنَّ قيامة المسيح أكَّدت لنا بأنَّ بقية الراقدين يقومون أيضاً.

وهناك إعلانٌ نبوي آخر بخصوص قيامة المسيح في طقوس الباكورة في العهد القديم. لقد تكلم المسيح متنبئاً بموته ودفنه، ومقارناً ذلك بحبة القمح التي تدفن في الأرض، فقال:

الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمرٍ كثير (يوحنا ١٢: ٢٤).

فلا يمكن أن ينتج ثمر خدمة المصالحة بين الله والإنسان، إلا بموت المسيح الكفاري وقيامته، ولو اكتفى المسيح بجانب واحدٍ من الخطة لما كان هناك ثمر. فبالموت والدفن والقيامة معاً ينتج ثمر التبرير والمصالحة مع الله. وقد قدّم المسيح هذه الحقيقة للتلاميذ بصورة حبة القمح التي تدفن في الأرض ثم تنمو وتطلع من الأرض ثانيةً لتصنع سنبلةً مليئةً بالقمح. فالحبة الواحدة تنتج ثلاثين أو ستين أو مئة حبة، كما أشار المسيح في مثل الزارع.

وتنطبق صورة حبة القمح على قيامة المسيح من جانبٍ آخر، فهي (حبة القمح) تدفن وحدها لكنها لا تخرج من الأرض وحدها. والمسيح دفن وحده لكنه لم يبق من الموت وحده. لقد أهمل كثيرٌ من المفسرين هذه الحقيقة الواضحة في متى ٢٧: ٥٠-٥٣. في هذه الأعداد وصفٌ لجوانب من أحداثٍ رافقت موت المسيح وقيامته:

فصرخ يسوع أيضاً بصوتٍ عظيم وأسلم الروح. وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثيرٌ من أجساد القديسين الراقدين. وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين.

لقد وقعت هذه الأحداث على امتداد ثلاثة أيام (من مساء الجمعة إلى صباح الاحد). وعندما يقول متى:

القبور تفتحت وقام كثيرٌ من أجساد القديسين الراقدين. وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين (متى ٢٧: ٥٢-٥٣).

فهو لا يحدد تماماً متى تفتحت القبور، لكنه يذكر أنَّ ذلك صار بعد القيامة. وهكذا تكتمل ملامح الصورة التي ترسمها طقوس العهد القديم عن الباكورة. فالمسيح دفن وحده كحبة قمح منفردة دُفنت في الأرض، لكنه قام كحزمة مثمرة من الأرض ترددت أمام الرب بانتصارٍ وابتهاج بهزيمة الموت والجحيم والشيطان، فكان ذلك تأكيداً على أنَّ المؤمنين الراقدين سيقومون أيضاً.

أمّا بالنسبة إلى أولئك القديسين الراقدين (من العهد القديم) الذين قامت أجسادهم. فهناك سؤالان مثيران يستحقان الطرح: الأول، هل شملت هذه القيامة كل مؤمني العهد القديم؟ ويبدو أنَّ الجواب هو "لا". إذ أنَّ متى يقول: "وقام كثيرٌ من أجساد القديسين الراقدين" والعبارة "كثيرٌ من..." لا تشمل الجميع. ويؤكد هذا ما قاله بطرس في يوم الخمسين:

أيها الرجال الإخوة يسوغ أن يُقال لكم جَهاراً عن رئيس الآباء داود أنه مات ودفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم (أعمال ٢: ٢٩).

فبطرس وبعد خمسين يوماً من القيامة، يشير إلى أنَّ جسد داود ما يزال في قبره حتى تلك الساعة. فداود، وهو من أعظم قديسي العهد القديم، لم يقم في قيامة المسيح. مما يثبت أنَّ تلك القيامة لم تشمل جميع مؤمني العهد القديم. أمّا الذين قاموا في فجر ذلك الأحد مع المسيح فهم بعض مؤمني العهد القديم وليس كلهم.

أمّا السؤال الثاني فهو ماذا حدث لأولئك الذين قاموا من الموت بعد ذلك؟ ويبدو من سياق النص بأنهم (قاموا) بالفعل، أي أنهم تحرروا من سيادة القبر والموت

إلى الأبد، وهذا يجعلهم مختلفين تماماً عن الأشخاص الذين أقامهم يسوع من الموت أثناء خدمته على الأرض. فاولئك لم يتحرروا من طبيعتهم الخاضعة للموت، فماتوا بعد ذلك بالتأكيد ودفنوا. إذ أنهم لم يقوموا من الموت بالمفهوم الكتابي للقيامة، لكنهم استعادوا حياتهم الطبيعية فقط. أمّا الذين قاموا مع المسيح فقد تشاركوا معه في قيامته، فدخلوا معه إلى بعدٍ جديدٍ وشكلٍ جديدٍ من أشكال الحياة، فأخذوا أجساداً روحيةً كجسد المسيح المقام نفسه،

وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين (متى ٢٧: ٥٣).

فلم يكونوا خاضعين لمحدودية الجسد الطبيعي الأرضي، وكانوا يستطيعون أن يظهروا أو ألا يظهروا كما يشاؤون. ولا مجال للاعتقاد بأنهم عادوا إلى قبورهم، فقد لبسوا أجساد القيامة وتحرروا من ظلمة الموت وسيادة القبر بلا رجوع.

ماذا حدث لهم بعد ذلك؟ لا يقدم العهد الجديد إجابةً وافيةً ونهائيةً عن هذا السؤال. لكن يبدو أنهم كما شاركوا يسوع في قيامته، شاركوه أيضاً في صعوده إلى السماء. دعونا ننظر قليلاً في وصف العهد الجديد لصعود يسوع إلى السماء:

ولما قال هذا (ما ورد في أعمال ١: ٧-٨) ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابةٌ عن أعينهم (أعمال ١: ٩).

لقد غاب يسوع عن أنظار التلاميذ، إذ "أخذته سحابةٌ عن أعينهم." وبعد ذلك:

إذا رجلان قد وقفا بهم بلباسٍ أبيض وقالا: أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ (أعمال ١: ١٠-١١).

والعبارة "هكذا كما رأيتموه" تشير إلى وجود تشابهٍ شديد بين صعود المسيح ومجيئه الثاني من السماء. ففي مرقس ١٣: ٦ وغيرها من المواضع، نقرأ بأنَّ المسيح سيأتي على السحاب أو في السحاب. وفي زكريا ١٤: ٥ ويهوذا ١٤ يقول الكتاب بأنه سيأتي مع قديسيه. إذاً فالمسيح سيأتي في السحاب مع قديسيه. وقد عرفنا بأنَّ هناك

تشابهاً شديداً بين كيفية صعود المسيح ومجيئه، وعرفنا أيضاً بأنَّ المسيح صعد إلى السماء في السحاب، ومن هنا نميل إلى الاستنتاج بأنه صعد مع قديسيه الذين قاموا من الموت وقت قيامته.

وهناك نقطة أخرى تلفت نظرنا في هذا الصدد:

لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابةً من الشهود مقدار هذه محيطّة بنا، لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر بالصبر بالجهاد الموضوع أمامنا (عبرانيين ١٢: ١).

آية "سحابة من الشهود" هذه التي يقصدها كاتب الرسالة إلى العبرانيين؟ إنه يشير بالطبع إلى أبطال الإيمان من العهد القديم والذين ذُكروا في عبرانيين ١١. فالكاتب يصورهم كسحابة من الشهود يحيطون بالمؤمن الحقيقي، الذي اختار أن يركض في ميدان الإيمان في هذا العصر. وهكذا ترتبط صورة السحابة ثانياً بمؤمني العهد القديم. فلهذه الاعتبارات كلها، يبدو من المنطقي ومن الكتابي أن نستنتج بأنَّ المسيح صعد إلى السماء في سحابةٍ تشمل بعض المؤمنين من العهد القديم الذين قاموا من الموت معه. فإذا أخذنا هذا الاستنتاج بعين الاعتبار، نلاحظ أنَّ قيامة المسيح وصعوده يحققان تماماً المعنى الرمزي للباكورة في العهد القديم، ويحققان الوعد الذي أشار إلى كيفية مجيء المسيح في أعمال الرسل:

على أية حال، هذا الاستنتاج ليس أكثر من قراءةٍ منطقية لبعض المقاطع الكتابية، ويجب أن لا يؤخذ على أنه حقيقة تعليمية راسخة.

الذين للمسيح في مجيئه

في الفصل السابق، بحثنا في المرحلة الأولى من مراحل القيامة، والتي يشير إليها بولس قائلًا: "المسيح باكورة"، وراينا التطابق التام بين أحداث قيامة المسيح في العهد الجديد، وبين طقوس الباكورة في العهد القديم. أما الآن فنتابع دراستنا في المرحلة الثانية من القيامة وهي مرحلة "الذين للمسيح في مجيئه" كما يقول بولس في ١ كورنثوس ١٥: ٢٣.

مميزات المؤمنين الحقيقيين

لاحظ العبارات التي يستخدمها بولس بخصوص هذه المرحلة الثانية من مراحل القيامة. وأولها الكلمة اليونانية "parousia" والمترجمة هنا بالكلمة "مجيء"، وهي الكلمة نفسها التي تستخدم في العهد الجديد للإشارة إلى مجيء المسيح الثاني، عندما يأتي باعتباره العريس لأخذ عروسه (الكنيسة).

الملاحظة الثانية هي التعابير الدقيقة المحددة، التي يستخدمها بولس لوصف أولئك الذين يقومون من الأموات في المرحلة الثانية، فيقول: "الذين للمسيح". إنها عبارة تفيد الملكية، وهي ترادف قولنا: "الذين ينتمون إلى المسيح". وهذا الوصف لا ينطبق على كل من قال بأنه يؤمن في المسيح، لكنه يتضمن فقط أولئك الذين سلموا حياتهم للمسيح بلا تحفظ، فصاروا له بالكلية. فهم ليسوا لأنفسهم فيما بعد بل للمسيح. ويميز بولس هؤلاء المؤمنين الحقيقيين بـ "ختم" مزدوج عندما يقول:

ولكن أساس الله الراسخ قد ثبت، إذ له هذا الختم يعلم الرب الذين هم له وليتجنب الاثم كل من يسمي اسم المسيح (٢ تيموثاوس ٢: ١٩).

فالله وحده - في نهاية الأمر - يستطيع أن يميز تماماً أولئك الذين ينتمون إليه حقاً. وهذه هي الناحية الغيبية من الموضوع. أما الختم الخارجي المشترك بين المؤمنين الحقيقيين فهو أنهم يتجنبون الإثم، ولن يعترف الله بغير المختومين بهذا الختم أوولاداً له. ويقدم بولس علامة مميزة أخرى لأولئك الذين للمسيح، فيقول في غلاطية ٥: ٢٤:

ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.

فمن يدعون الإيمان في المسيح وهم يعيشون حياةً جسدية غير مكترئين بالخطية، لن يحسبوا مع الذين سيأتي المسيح لاخذهم. فمع أن المسيح يأتي "كلص"، إلا أنه لن يسرق بالتأكد، لكنه سياخذ أولئك الذين هم له فقط.

أخذين هذا التحذير بعين الاعتبار، دعونا نبحث فيما يحدث في المرحلة الثانية من القيامة. من الواضح أن ذلك الحدث يرتبط مباشرةً بمجيء المسيح الثاني، إذ أن بولس يقول: "الذين للمسيح في مجيئه". والواقع أن مجيء المسيح هو من المواضيع الرئيسية في نبؤات الكتاب. وقد قدر أحدهم بأن كل وعدٍ في الكتاب المقدس عن ميلاد المسيح (مجيئه الأول)، تقابله خمسة وعودٍ على الأقل عن مجيئه الثاني. مما يدل على الدور الكبير الذي يلعبه مجيء المسيح الثاني في مجمل إعلان كلمة الله. لذلك لن نتمكن من دراسة هذا الموضوع بالتفصيل، خاصةً وأنه ليس مدار بحثنا أصلاً في هذا الكتاب. لكن من المفيد أن نذكر بأن الله - في مشورته الأزلية - أراد أن يحقق خمسة أهدافٍ مختلفة في مجيء المسيح الثاني. ومع أنها أهداف متباعدة عن بعضها، إلا أنها جميعاً تصب في تحقيق خطة الله.

خمسة أهداف

لمجيء المسيح الثاني

يتضمن كل هدف من هذه الأهداف جانباً من مجيء المسيح الثاني، فلننظر

فيها باختصار:

١- سيأتي المسيح من أجل كنيسته، باعتباره العريس الذي سيأخذ لنفسه عروساً هي جميع المؤمنين الحقيقيين. يتم ذلك: بقيامة الراقدين في المسيح، وتغيير أجساد الأحياء المؤمنين. فقد وعد المسيح تلاميذه قائلاً:

وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً، آتي أيضاً وأخذكم إلي حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً (يوحنا ١٤: ٣).

٢- سيأتي المسيح من أجل خلاص البقية الباقية من الشعب القديم. أولئك الذين سيجتازون في الضيقة العظيمة ويعترفون بأن يسوع هو المسيح، ويتصالحون مع الله حسب إيمانهم هذا، ويرجعون إلى نعمته وإحسانه وبركاته. وقد تنبأ إشعياء بهذا الوعد الإلهي واقتبس بولس هذه النبوة:

وهكذا سيخلص جميع إسرائيل كما هو مكتوب:
سيخرج من صهيون المنقذ
ويرد الفجور عن يعقوب
وهذا هو العهد من قبلي لهم
متى نزلت خطيتهم (رومية ١١: ٢٦-٢٧).

٣- سيأتي المسيح ليقضي على الوحش (ضد المسيح) وعلى الشيطان نفسه.

وحينئذٍ سيستعلن الأئيم (ضد المسيح) الذي الرب يبيده بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه (parousia) (٢ تسالونيكي ٢: ٨).

٤- سيأتي المسيح ليدين الأمم، قال المسيح:

ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذٍ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع

الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف
من الجداء (متى ٢٥: ٣١-٣٢).

وفي الأعداد التي تلي هذه، يصف المسيح عملية الدينونة بالتفصيل.

٥- سيأتي المسيح لكي يؤسس ملكه الألفي على الأرض. هذه الحقيقة
نجدها في الفقرة السابقة من متى ٢٥، كما أنها معلنة في سفر
إشعياء:

ويخجل القمر وتخزي الشمس،
لأنَّ رب الجنود قد ملك
في جبل صهيون وفي أورشليم
وقدام شيوخه مجد (إشعياء ٢٤: ٢٣).

وفي نبوة أخرى في سفر زكريا.

ويكون الرب ملكاً على كل الأرض (زكريا ١٤: ٩).

أما الفترة التي يملك المسيح فيها على الأرض، فهي محددة في رؤيا ٤: ٢٠ حيث يدور
الحديث عن شهداء الضيقة:

فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة.

نلخص فيما يلي الأهداف الخمسة التي سيأتي المسيح ثانيةً من أجل تحقيقها:

١- من أجل كنيسته، ليأخذ لنفسه كل المؤمنين الحقيقيين

٢- لخلاص بقية الشعب القديم

٣- للقضاء على الوحش وعلى الشيطان

٤- لدينونة الأمم

٥- لتأسيس ملكه الألفي على الأرض

هذه الأهداف الخمسة متفق عليها عند جميع من يؤمنون بالكتاب المقدس، إلاَّ

أنَّ بينهم كثيراً من الاختلاف والجدل حول التفاصيل. فمن الأسئلة التي تطرح: هل ستتحقق هذه الأهداف دفعةً واحدةً عند مجيء المسيح، أم أنَّ هناك فتراتٍ زمنية بينها؟ وإن كانت لن تحدث معاً، ما هو الترتيب الصحيح لحدوثها؟ وهل يمكن أن تتداخل؟ ولن يكون لهذه الأسئلة الجدلية مكانٌ في دراستنا هذه، لكننا سنتجنبها ونركز على الجانب المرتبط بقيامة الأبرار عند مجيء المسيح.

قيامَة واختطاف المؤمنين الحقيقيين

يصف بولس الكيفية التي يقوم فيها المؤمنون من الأموات ويلاقون المسيح في مجيئه قائلاً:

ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الاخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم. لأنه إن كنَّا نؤمن أنَّ يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه. فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب: إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين. لأنَّ الرب نفسه بهتافٍ بصوت رئيس ملائكةٍ وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام (١ تسالونيكي ٤: ١٣-١٨).

لقد كان الهدف الأساسي لتعليم بولس في هذا النص هو تعزية المؤمنين بخصوص مصير غيرهم من الأقارب والأحباء المؤمنين الذين ماتوا. وهم يوصفون بعباراتٍ مثل "الراقدين" أو "الراقدين بيسوع" أي الذين ماتوا مؤمنين بالانجيل. وترتكز التعزية التي يقدمها بولس على التأكيد بأنَّ أولئك الراقدين سيقومون من الأموات مع باقي المؤمنين الحقيقيين.

أمَّا الصورة التي يعلنها بولس عن هذه المرحلة من القيامة، فتبدأ بثلاثة أصواتٍ مؤثرةٍ تعلن البداية. أولها هو صوت مناداة الرب يسوع نفسه، فقد أشار المسيح على هذا بقوله:

فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئ إلى قيامة الدينونة (يوحنا ٥: ٢٨-٢٩).

فصوت المسيح وحده له السلطان على مناداة الأموات من قبورهم إلا أنه سينادي الأبرار فقط في هذه المرحلة، أمّا نداء الأشرار فله وقته في المرحلة الثالثة من القيامة. الصوتان الآخران هما صوتا رئيس الملائكة وبوق الله، أمّا رئيس الملائكة فهو هنا جبرائيل في أغلب الظن، لأن مهمته الخاصة - كما يبدو - هي إعلان الأحداث التي يوشك الله أن يصنعها بخصوص البشر. أمّا البوق فيستخدم لجمع شعب الله معاً في أوقات الأحداث المهمة جداً. وهنا يكون صوت البوق هو العلامة التي تنادي إلى اجتماع شعب الرب معاً لملاقاة الرب الآتي للقائهم من السماء.

في هذه الأثناء - وبتتابع سريع - يقوم المؤمنون الراقدون من الأموات، وبعد ذلك مباشرةً يتعرض المؤمنون الأحياء إلى تغييرٍ لحظي فوق طبيعي في أجسادهم. ثم يرفع أولئك جميعاً بقوة الله من الأرض إلى الهواء عالياً، حيث تغطيهم السحب التي يلاقون الرب فيها ويتحدون معه ومع بعضهم بعضاً، في وحدة لن تنفصم عراها إلى الأبد.

في هذا النص هناك أهمية خاصة لكلمتين يونانيتين يستخدمهما بولس هما: "سنخطف" وهي ترجمةٌ للفعل اليوناني "harpazo" الذي يصوّر عملية خطفٍ سريع لا إرادي مفاجيء. وقد استخدم هذا الفعل أربع مراتٍ في العهد الجديد للإشارة إلى حالة اختطاف أناسٍ إلى السماء. بالإضافة إلى استخدامه في أعمال ٨: ٣٩ حيث نقرأ: "خَطَفَ روح الرب فيلبس"، وفي يوحنا ١٠: ١٢ حيث يصف يسوع الذئب الذي "يخطف" الخراف، كما استخدم يسوع هذه الكلمة في متى ١٣: ١٩ حيث يفسر ما تعنيه الطيور في مثل الزارع على أنها الشرير الذي "يخطف" الكلمة المزروعة على الطريق، وفي يهوذا ٢٣ "خَلَّصُوا البعض بالخوف مُخْتَطَفِينَ من النار..." من هنا فإن مفسري الكتاب المقدس يستخدمون الكلمة "اختطاف" في العربية كترجمة للفعل

اليوناني "harpazo" وفي الإنجليزية يستخدمون "rapture" كاسم وكفعل معاً، وهي كلمة مشتقة من فعل لاتيني الاصل يعطي نفس معنى "harpazo" اليوناني. على أية حال فإننا نستخدم الفعل "اختطف" ومشتقاته في ما تبقى من دراستنا هذه كمرادف للفعل اليوناني "harpazo" وقد استخدم بولس الفعل "اختطف" عن قصدٍ ليعطي انطباعاً عن عملٍ سريع ومفاجيء يحدث عنوة، وهو وصف لعمل اللص بالتحديد.

هذا يتوافق مع عدة مقاطع كتابية أخرى تقول بأن المسيح سيأتي كلص!

- ها أنا آتي كلص (رؤيا ١٦: ١٥).
- اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم. واعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت في أي هزيع يأتي السارق، لسهر ولم يدع بيته يُنقب (متى ٢٤: ٤٢-٤٣).

لاحظ الإشارة إلى الشدة في استخدام الكلمة "يُنقب - broken into" أي (يُفتح) أو (يؤخذ ما فيه عنوة). فالمسيح سيأتي كلص، أي أن مجيئه سيكون سريعاً ومفاجئاً واقتحامياً من دون إنذار، ثم يُتَوَجَّ بعملية اختطافٍ سريعة ومفاجئة لأثمن كنوز الأرض (المؤمنين الحقيقيين). ويختلف مجيء المسيح عن مجيء اللص في أنه (المسيح) لن يأخذ إلا ما دفع ثمنه وصار ملكه باعتباره الفادي.

هناك كلمة يونانية ثانية في ١ تسالونيكي ٤: ١٧. يقول بولس بأننا سلاقى الرب "في الهواء" وهي ترجمة للكلمة اليونانية "aer" التي هي إحدى كلمتين تترجمان عادةً "هواء"، الكلمة الثانية هي "aither". والفرق بين الكلمتين هو أن "aer" تشير إلى المنطقة السفلى المتصلة بسطح الأرض، أمّا "aither" فإنها تشير إلى المنطقة العليا الأقل هواءً والأبعد عن سطح الأرض. وبما أن بولس يستخدم الكلمة "aer" فيما يتعلق بمجيء الرب الثاني، فإنه يشير إلى أن ملاقة الرب لقديسيه المختطفين، يتم في المنطقة السفلى الأقرب إلى سطح الأرض.

ويشير بولس إلى لحظة القيامة والاختطاف في ١ كورنثوس ١٥: ٥١-٥٢ حيث

يقول:

هوذا سر أقوله لكم: لا نرقد كلنا: ولكننا كلنا نتغيّر في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير. فإنه سيُوق، فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير.

ويكشف بولس هنا سرّاً لم يكن قد أعلن بعد بخصوص خطة الله من نحو الكنيسة. والسر هو أنّ كل المؤمنين سيخطفون معاً في مجيء الرب، لكن لن يكون جميع أولئك قد ماتوا وقاموا. فالأحياء الباقون إلى مجيء الرب لن يموتوا، بل تتغير أجسادهم لحظياً بطريقة معجزية، فتصير كأجساد الذين قاموا من الأموات تماماً. وفي ١ كورنثوس ١٥: ٥٣، يلخص بولس طبيعة هذا التغير قائلاً:

لأنّ هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت. فالأجساد المعرضة للفساد والموت، تصبح أجساداً لا تفسد ولا تموت.

هل يتضمن هذا النص صورةً كاملةً عن قيامة كل المؤمنين قبل تأسيس المسيح لملكه الألفي؟ يبدو أنّ الإجابة عن هذا السؤال هي بالنفي، إذ أنّ سفر الرؤيا يذكر أكثر من مرحلة أخرى تتعلق بقيامة الأبرار.

شهود وشهداء

في رؤيا ١١ نقرأ عن الشاهدين لله خلال فترة الضيقة، وكيف استشهدا على يد "الوحش الصاعد من الهاوية" (رؤيا ١١: ٨) أي ضد المسيح:

وينظر أناسٌ من الشعوب والقبائل والألسنة والأمم جثتيهما ثلاثة أيام ونصفاً، ولا يدعون جثتيهما توضعان في قبور... ثم بعد الثلاثة الأيام والنصف دخل فيهما روح حياة من الله فوقاً على أرجلهما،... وسمعوا صوتاً عظيماً من السماء قائلاً لهما اصعدا إلى ههنا فصعدا إلى السماء في السحابة ونظرهما اعداؤهما (رؤيا ١١ : ٩، ١١، ١٢).

يوضح هذا النص بأنّ ما حدث مع هذين الشاهدين، ينطبق تماماً على القيامة بمفهومها

الكامل. فمع أنَّ جسديهما لم يُدفنا، إلا أنَّ هذين الشهيدين ماتا لمدة ثلاثة أيام ونصف، ثم قام جسداهما وصعدا إلى السماء على مرأى من أعدائهما. ومن المثير أنَّ صعودهما إلى السماء جاء مشابهاً لصعود المسيح مع قديسيه، ولصعود المؤمنين في الاختطاف، حيث أنَّ كل هذه الأحداث وقعت في السحاب.

من الواضح أيضاً أنَّ قيامة هذين الشاهدين تختلف عن قيامة المؤمنين الموصوفة في ١ تسالونيكي ٤: ١٦-١٧، وليست مرتبطةً مع مجيء المسيح من السماء للاختطاف، ولا ذكر فيها لصوتي رئيس الملائكة والبوبق.

فإذا عدنا إلى سفر الرؤيا، نجد ما يبدو وكأنه مرحلة أخرى من مراحل قيامة الأبرار حيث نقرأ في رؤيا ٢٠: ٤-٦:

ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حكماً ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة. وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة. هذه هي القيامة الأولى. مباركٌ ومقدسٌ من له نصيبٌ في القيامة الأولى.

يصف النص قيامة أولئك الذين قتلوا من أجل المسيح أثناء حكم الوحش، فهم قديسو الضيقة الذين يقومون من الأموات في نهاية الضيقة العظيمة، وقبل تأسيس ملك المسيح الألفي. فيكون لهم امتياز أن يملكوا ألف سنة مع المسيح ومع باقي القديسين الذين قاموا من الأموات.

يعتقد بعض المفسرين بأن ١ تسالونيكي ٤: ١٦-١٧ تتضمن قيامة أولئك الشهداء أيضاً، بينما يرى آخرون بأن قيامتهم مختلفة وهي تتبع قيامة الأبرار. ولا فائدة من جعل هذا الموضوع موضع جدلٍ وخلاف.

ويختتم يوحنا حديثه عن قيامة أولئك الشهداء بهذه الكلمات:

هذه هي القيامة الأولى. مباركٌ ومقدسٌ من له نصيبٌ في القيامة الأولى (رؤيا ٢٠: ٥-٦).

وربما يقصد يوحنا أنَّ هذه هي خاتمة القيامة الأولى، و"مباركٌ ومقدسٌ من له نصيبٌ في القيامة الأولى." أي أنَّ جميعهم أبرار، (حتى الآن لم يَمُتْ أي من الأشرار بعد، فقيامتهم تأتي بعد ذلك، ويصفها يوحنا في بقية رؤيا ٢٠).

نستطيع الآن أن نلخص قيامة الأبرار بمجملها، إذا وضعنا الإعلانات الإلهية التي قدمها كلٌّ من بولس ويوحنا معاً. فقيامة الأبرار التي تشمل قيامة المسيح ومن معه وحتى قيامة شهداء الضيقة، يسميها يوحنا "القيامة الأولى" وكل من له نصيبٌ فيها "مباركٌ ومقدس" أي مؤمن بار، وتتضمن هذه القيامة ما يلي:

١- "المسيح باكورة" وتتضمن هذه المرحلة قيامة المسيح وقيامة بعض

قديسي العهد القديم.

٢- "الذين للمسيح في مجيئه" وهم المؤمنون الأحياء والذين رقدوا في

الإيمان حتى مجيء المسيح. حيث سيخطف جميعهم لملاقاة الرب

في الهواء.

٣- "الشاهدان" اللذان يقتلا في فترة الضيقة، ويتركا بلا دفنٍ لمدة ثلاثة

أيامٍ ونصف، ثم يقومون من الأموات ويصعدون إلى السماء.

٤- بقية شهداء الضيقة الذين يقومون من الأموات في نهايتها ليملكوا مع

المسيح ومع باقي القديسين على أُمم الأرض لمدة ألف سنة.

هذا هو ملخص الصورة التي يقدمها العهد الجديد عن قيامة الأبرار. في الفصل التالي سنبحث في المرحلة الثالثة من مراحل القيامة.

وبعد ذلك النهاية

سندرس الآن المرحلة الختامية من مراحل القيامة. يقول بولس بأن هذه المرحلة الأخيرة تأتي بعد قيامة المؤمنين الحقيقيين "الذين للمسيح في مجيئه"، وتتزامن مع نهاية ملك المسيح الألفي:

لكن كل واحدٍ في رتبته. المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه. وبعد ذلك النهاية متى سلّم الملك لله الآب، متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة. لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. آخر عدوٍ يُبطل هو الموت (١ كورنثوس ١٥: ٢٣-٢٦).

عند تمام الألف سنة

يبدأ بولس حديثه عن المرحلة الأخيرة من مراحل القيامة في عدد ٢٤ وبالعبارة "وبعد ذلك النهاية." ثم يشير إلى بعض الأحداث الرئيسة التي ترافق هذه المرحلة النهائية للقيامة.

في ذلك الوقت يكون المسيح قد أكمل فترة ملكه على الأرض (ألف سنة). حيث بدأ الآب بوضع أعداء المسيح تحت قدميه، وآخر عدوٍ يُبطل هو الموت. بعد ذلك يسلم الابن الملك للآب. وباعتباره الابن، يخضع المسيح ومملكته طوعاً للآب. هذا ما يصفه بولس قائلاً:

ومتى أخضع له الكل، فحينئذٍ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل (١ كورنثوس ١٥: ٢٨).

وبينما ندرس هذه الصورة النبوية عن النهاية، نلاحظ الانسجام المطلق بين الآب والابن في اللاهوت. فالله الآب يعيّن المسيح الابن - في فترة الملك الألفي - ممثلاً وحاكماً على كل الأشياء. وفي نهاية الألف سنة يكون الآب قد وضع جميع أعداء المسيح تحت قدميه. ثم يسلم المسيح الملك لله الآب ويخضع هو أيضاً للآب، فيصير الله الآب - في المسيح - هو الكل في الكل.

إن تسليم المسيح الملك لله الآب، يمثل ذروة خطة الله لكل العصور. يصف بولس هذه القمة المجيدة لخطة الله قائلاً:

إذ عرّفنا (الله) بسر مشيئته، حسب مسرته التي قصدتها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك (المسيح) (أفسس ١: ٩-١٠).

إن عملية جمع كل شيء في المسيح، والتي يتممها الله الآب، هي "تدبير ملء الأزمنة" كما يقول بولس، أي "التدبير الذي يتممه عندما تكتمل الأزمنة" (ت.ع.ج). وذلك إشارة إلى ذروة خطة الله التي كانت تنضج تدريجياً عبر الأزمنة السابقة كلها.

فإذا عدنا إلى رؤيا ٢٠، نرى كيف أن القيامة الأخيرة لكل الأموات الباقين، ترتبط مع تفاصيل الخطة الإلهية في نهاية الملك الألفي. فيصف يوحنا محاولة الشيطان الأخيرة لمقاومة سلطان الله والمسيح، ولإثارة العصيان ضد هذا السلطان:

ثم متى تمت الألف سنة يُحل الشيطان من سجنه، ويخرج ليضلّ الأمم الذين في أربع زوايا الأرض: جوج وماجوج، ليجمعهم للحرب، الذين عددهم مثل رمل البحر. فصعدوا على عرض الأرض، وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة، فنزلت نارٌ من السماء من عند الله وأكلتهم. وابليس الذي كان يضلهم طُرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب وسُيْعِدُّون نهاراً وليلاً إلى أبد الأبد (رؤيا ٢٠: ٧-١٠).

يستخدم يوحنا العبارة "معسكر القديسين" و "المدينة المحبوبة" للإشارة إلى القدس

والمنطقة المحيطة بها. فالقدس (أورشليم) ستكون مركز ملك المسيح على الأمم خلال الألف سنة. وخلال تلك الفترة يكون الشيطان مقيداً في الهاوية، لكنه يُطلق بعد ذلك فترة قصيرة من الوقت، تكفيه لإثارة عصيان وتمرد بين الأمم، ينتهي إلى محاولتهم لمهاجمة القدس. عندها يتدخل الله بنارٍ من السماء منهياً هذا العصيان، ويطرح الشيطان في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت إلى الأبد، مع الوحش (ضد المسيح) والنبي الكذاب الذين طُرحا في البحيرة في مجيء المسيح الثاني وبداية الملك الألفي.

القيامة الأخيرة

يصف يوحنا بعد ذلك القيامة الأخيرة التي تشمل كل الأموات الباقين قائلاً:

ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض، والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء، ولم يوجد لهما موضع. ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله، وانفتحت أسفار. وانفتح سفرٌ آخر هو سفر الحياة، ودين الأموات مما هو مكتوبٌ في الأسفار بحسب أعمالهم. وسلّم البحر الأموات الذين فيه وسلّم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما، ودينوا كل واحدٍ بحسب أعماله. وطُرح الموت والهاوية في بحيرة النار. هذا هو الموت الثاني. وكل من لم يوجد في سفر الحياة طُرح في بحيرة النار (رؤيا ٢٠: ١١-١٥).

نلاحظ من هذا النص أن القيامة تأتي أولاً ثم الدينونة. وهذا ينطبق على مراحل القيامة كلها. فالإنسان صنع خيراً أو شراً بجسده على الأرض، وبجسده نفسه ينبغي أن يقف أمام الله الذي سيدين أعماله.

ورأينا سابقاً بأن كل المؤمنين في المسيح يقومون قبل الملك الألفي، وهذا يشمل مؤمني العهد القديم والجديد. لذلك فإن أغلبية الذين يقومون في نهاية الملك الألفي هم من غير المؤمنين. لذلك نجد أن يوحنا يسميهم "الأموات" فيقول: "ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله" وهي لغة تختلف عن الذي كان يستخدمها في وصفه

لقيامة الأبرار في بداية الملك الألفي، إذ يقول: "فعاشوا وملكوا مع المسيح الف سنة" (رؤيا ١: ٢-٤). فهم لم يقوموا من الأموات فقط لكنهم "عاشوا" فيما بعد، فكانوا أحياء بكل ما في الكلمة من معنى. أمّا غير المؤمنين الذين قاموا بعد الملك الألفي، فما زالوا هم "الأموات". فمع أنهم قاموا في أجسادهم، إلا أنهم ما زالوا أمواتاً روحياً، أمواتاً بالذنوب والخطايا، مطرودين من محضر الله. لكنهم يقفون الآن أمام الله للمرة الأخيرة ليسمعوا حكم دينونتهم الأخير، ثم يُطرحون في بحيرة النار "الموت الثاني" حيث العقاب الأبدي بعيداً عن حضرة الله، حيث لا رجاء بتغيير المصير والرجوع إلى الله.

في وسط هذا كله، تشير كلمة الله إلى وجود فئتين من الناس على الأقل تشتركان في هذه القيامة، لكنهما تُعتبران جزءاً من قيامة الحياة ولا تأتيا إلى دينونة. الفئة الأولى تتضمن أشخاصاً مثل ملكة التيمن (سبأ) وأهل نينوى الذين يقول عنهم المسيح:

ملكة التيمن ستقوم في الدين مع رجال هذا الجيل وتدينهم، لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان، وهوذا أعظم من سليمان ههنا. رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه. لأنهم تابوا بمناداة يونان. وهوذا أعظم من يونان ههنا (لوقا ١١: ٣١-٣٢).

ويقصد يسوع بـ "هذا الجيل" كل الذين رفضوا الرحمة التي قُدمت لهم. أولئك يقومون للدينونة كما هو واضح. لكن ستقوم معهم فئة من الناس تتضمن ملكة سبأ ورجال نينوى، الذين أنعم الله عليهم بالرحمة، ولن يأتوا إلى دينونة. فمثل هؤلاء الناس لم يحصلوا على إعلانٍ يشير إلى ذبيحة المسيح الكفارية، كالذي حصل عليه شعب العهد القديم في طقوس الناموس والأنبياء. وهكذا فلن يقوموا في القيامة الخاصة بـ "الذين للمسيح في مجيئه"، لكنهم يقومون في نهاية الملك الألفي في القيامة الأخيرة ثم يرسلون ليكونوا مع الأبرار في قيامة الحياة، ذلك لأنهم تجاوزوا بالإيمان للنور القليل الذي وصل إليهم.

هل تتضمن هذه الفئة آخرين عدا ملكة سبأ ورجال نينوى؟ من هم؟ وما عددهم؟ الإجابات عن هذه الأسئلة يعرفها الله الكلي المعرفة فقط. لكن من المؤكد بأن الذين سمعوا إنجيل المسيح ورفضوه، قد أغلقوا باب رحمة الله أمامهم إلى الأبد.

الفئة الثانية من الناس الذين يرسلون من القيامة الأخيرة ليكونوا مع الأبرار، هم المؤمنون الذين ماتوا خلال الملك الألفي للمسيح على الأرض. فهناك ما ينبغي أن نعرفه عن فترة الملك الألفي، وهو ما نجده في نبوة إشعياء:

لا يكون بعد هناك طفل أيام ولا شيخ لم يكمل أيامه. لأن الصبي يموت ابن مئة سنة والخاطيء يُلعن ابن مئة سنة (إشعياء ٦٥: ٢٠).

والصورة النبوية التي يقدمها إشعياء عن حياة الإنسان خلال فترة الملك الألفي تبين أن الإنسان (مؤمناً كان أم غير مؤمن) يكون خاضعاً للموت في تلك الفترة، رغم أن عمره يمتد كثيراً جداً. ومن هنا نستنتج بأن من يموت من الأبرار في فترة الملك الألفي، لن يخضع لدينونة الله على الأشرار، مع أنه سيقوم معهم في القيامة الأخيرة.

نعود مرة أخرى إلى رؤيا ٢٠، ونلاحظ كمال ونهاية القيامة التي يصفها

يوحنا:

وسلم البحر الأموات الذين فيه، وسلم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما، ودينوا كل واحد بحسب أعماله (رؤيا ٢٠: ١٣).

فهي قيامة تشمل جميع الأموات الباقين بلا استثناء، حيث سيسلم كل من "البحر" و "الموت" و "الهاوية" الأموات الذين فيه. والهاوية (باليونانية "Hades" - بالعبرية "شبول") هي مكان تُسجن فيه الأرواح بانتظار القيامة والدينونة، وبعد الدينونة يطرح جميع الأشرار في بحيرة النار والتي تدعى "جهنم" أو "جهنماً" بالعبرية. والفرق واضح بين الهاوية وجهنم، فالأولى هي سجن مؤقت للأرواح لا للأجساد، بينما الثانية هي مكان العقاب الأبدي للإنسان كله (جسد وروح ونفس). ويظهر الفرق بين الهاوية وجهنم في رؤيا ٢٠: ١٤:

وطُرح الموت والهاوية في بحيرة النار، هذا هو الموت الثاني. وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طُرح في بحيرة النار.

الموت والهاوية هما شخصان

ما هي طبيعة كل من الموت والهاوية بحسب العهد الجديد؟ لقد رأى يوحنا أربعة فرسانٍ يصفهم في سفر الرؤيا. ويقول بخصوص الفارس الرابع. فنظرت وإذا فرسٌ أخضر، والجالس عليه اسمه الموت والهاوية تتبعه (رؤيا ٨:٦).

من الواضح بأنَّ الموت والهاوية قد ظهرا ليوحنا كأشخاص. فالأول شخصٌ لأنه جالسٌ على فرسٍ والثاني شخصٌ يتبعه. وهذا النص يلقي الضوء على طبيعة الموت والهاوية كما هي في كلمة الله. فكما أنَّ الموت من ناحيةٍ هو حالة نهاية الحياة أو انفصال الروح عن الجسد، كذلك فإنَّ الموت هو شخصٌ من ناحيةٍ أخرى. إنه روحٌ شرير يخدم الشيطان، وياخذ أرواح غير المؤمنين عندما تنفصل عن أجسادهم عند الموت.

أمَّا الهاوية فهي مكان سجن الأرواح من ناحية، وهي شخصٌ من ناحيةٍ أخرى. فهي، كالموت روحٌ شرير يتبع الموت ويلقي بالأرواح التي امتلكها روح الموت في سجن الأرواح، وقد أخذ هذا الملاك الساقط اسمه من اسم ذلك المكان (الهاوية).

فالموت والهاوية هما روحان شريران في مملكة الشيطان السفلى. والفرق بينهما هو أنَّ الموت يأخذ أولاً أرواح غير المؤمنين عند الموت، ثم تأخذ الهاوية تلك الأرواح من الموت وتلقيها في سجن الأرواح. لذلك رأى يوحنا الموت والهاوية يتجولان في الأرض بين الناس، الموت أولاً وتتبعه الهاوية. الموت يأخذ أرواح الأموات من غير المؤمنين باعتبارها ملكاً لابليس، بينما تلقيها الهاوية بعد ذلك في سجن الأرواح.

ويساعدنا هذا المشهد من سفر الرؤيا على فهم كلمات المسيح عندما يقول:

الحق الحق أقول لكم: إن كان أحدٌ يحفظ كلامي، فلن يرى الموت إلى الأبد (يوحنا ٨: ٥١).

فالمسيح لا يقصد بأنَّ المؤمن لن يختبر حالة الموت الجسدي الطبيعي، لكنه يقصد بأنَّ المؤمن "لن يرى الموت" الذي هو الروح الشرير الذي يدعى "الموت". وبالتالي فالمؤمن لن يرى الهاوية التي تتبع الموت أيضاً. وهذا يعني بأنَّ المؤمن لن يكون تحت سيادة هذين الملاكين الساقطين (الموت والهاوية)، لكن ستحملة ملائكة الله النورانية إلى الفردوس، كما حدث مع لعازر الفقير.

من هنا أيضاً نستطيع أن نفهم قول بولس: "آخر عدوٍ يُبطل هو الموت" (١ كورنثوس ١٥: ٢٦)، وقول يوحنا: "وطُرح الموت والهاوية في بحيرة النار." فالإشارة في هاتين العبارتين إلى الموت والهاوية باعتبارهم شخصين، بل روحين شريرين في خدمة الشيطان والبشر المتمردين. وسيكون الموت هو آخر عدوٍ يُهزم تماماً، إذ يُطرح مع الهاوية في بحيرة النار ليرافق سيده الشيطان وأتباع الشيطان من الملائكة والبشر. وهكذا يُبطل آخر عدوٍ لله إلى الأبد ويُطرح بعيداً عن محضر الله.

بأي جسم؟

في الفصول الثلاثة الأخيرة، درسنا المراحل الثلاث الرئيسة للقيامة من الأموات، والتي يذكرها بولس في ١ كورنثوس ١٥: ٢٣-٢٤:

١- "المسيح باكورة" وهي قيامة المسيح نفسه، ومعه بعض قديسي العهد القديم.

٢- "الذين للمسيح في مجيئه" وهم كل المؤمنين الذين رقدوا، حيث يقومون في مجيء المسيح الثاني وقبل تأسيس الملك الألفي.

٣- "النهاية" وهي القيامة الأخيرة للأموات الباقين في نهاية الملك الألفي.

وسنكرّس الجانب الأكبر من هذا الفصل لدراسة طبيعة جسد القيامة، الذي سيتمتع به المؤمنون.

في دراستنا السابقة كنا قد أشرنا إلى وجود صلة مباشرة بين الجسد الذي يموت ويدفن والجسد الذي يقوم من الأموات بعد ذلك. فالجسد المقام يتكوّن من نفس مادة الجسد الذي دُفن. أي أنّ القيامة تتضمن أن يقوم الجسد الذي دُفن نفسه، وليس أن يُخلق جسدٌ آخر. لكننا نضيف هنا بأنّ جسد المؤمن المقام يتعرض لبعض التغييرات المذهلة.

رمز حبة الحنطة

بأي جسم؟ هو سؤال يطرحه ويناقشه بولس:

لكن يقول قائل: كيف يقام الأموات وبأي جسم يأتون؟ يا غبي! الذي

تزرعه لا يحيا إن لم يمت، والذي تزرعه لست تزرع الجسم الذي سوف يصير بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقي. ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد ولكل واحدٍ من البذور جسمه (١ كورنثوس ١٥: ٣٥-٣٨).

يستخدم بولس هذه المقارنة الرمزية بين حبة الحنطة التي تزرع في الأرض وبين جسد الإنسان، وذلك ليبين العلاقة بين الجسد الذي يدفن والذي يقام من الأموات. ونستخلص من مقارنة بولس هذه الحقائق الثلاث التي يمكن تطبيقها على قيامة الأجساد:

١- هناك استمرارية مباشرة في العلاقة بين الحبة التي تُزرع وبين جسم النبات الذي يطلع من الأرض. فالنبات يتكون من المادة الأصلية الموجودة في الحبة.

٢- يتعرض النبات أثناء عملية نموه من الحبة الأصلية، إلى تغييرات واضحة ومحددة. فشكله الخارجي يختلف عن شكل الحبة الأصلي.

٣- إن طبيعة الحبة التي تزرع، تحدد طبيعة النبات الذي سيخرج منها. فكل جنس من البذور يُنتج نباتاً من جنسه فقط. فحبة الحنطة تنتج الحنطة فقط، وحبة الشعير لا تنتج إلا الشعير.

والآن فلنطبق هذه الحقائق الثلاث على طبيعة الجسم الذي يقوم من الأموات:

١- هناك استمرارية مباشرة في العلاقة بين الجسد الذي يُدفن والجسد الذي يُقام.

٢- يتعرض الجسد المقام إلى تغييرات محددة وواضحة. فالشكل الخارجي للجسد المدفون يختلف عن الشكل الخارجي للجسد المقام.

٣- طبيعة الجسد المدفون تحدد طبيعة الجسد المقام، حيث يوجد ترابطٌ منطقي وسببي بين حالة المؤمن أثناء وجوده على الأرض وحالته في جسده المقام.

ويقدم بولس المزيد من التفاصيل بخصوص طبيعة التغيرات التي يتعرض لها جسد المؤمن في القيامة:

ليس كل جسدٍ جسداً واحداً، بل للناس جسدٌ واحد، وللبهائم جسدٌ آخر، وللسمك آخر، وللطيور آخر. وأجسامٌ سموية، وأجسامٌ أرضية. لكن مجد السمويات شيء، ومجد الأرضيات آخر. مجد الشمس شيء، ومجد القمر آخر، ومجد النجوم آخر. لأنَّ نجماً يمتاز عن نجم في المجد. هكذا أيضاً قيامة الأموات. يزرع في هوان ويُقام في قوة. يزرع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً (١ كورنثوس ١٥: ٣٩-٤٤).

ولاستكمال هذه الصورة، ينبغي أن نضيف العدد ٥٣:

لأنَّ هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت. ويمكن أن نقدم تحليل بولس هذا، حول طبيعة التغيرات في جسد المؤمن المقام، على شكل سلسلةٍ من الفقرات:

١- يشير بولس إلى فروقٍ في طبيعة ومكونات المخلوقات المألوفة، وهو يذكر الفئات الرئيسية التالية: الناس، البهائم، السمك، الطير. وهذا يتوافق مع نتائج بحوث العلم الحديث. فالعلم لم يجد فرقاً في تركيب الدم بين عرقٍ وآخر من الناس، لكنه أثبت بأنَّ هناك فروقاً جوهرية بين التركيب الكيميائي لدم الإنسان وبين دم باقي الكائنات.

٢- يشير بولس إلى وجود طبيعةٍ أخرى ونوعٍ آخر من الأجساد ذات مستوى أعلى من الأجساد المألوفة لنا على الأرض. ويصف بولس تلك الأجساد بأنها "سماوية" و "روحانية". لقد اكتشف العلم بأنَّ الإنسان لا يستطيع السفر في الفضاء إلا إذا كان محمياً في داخل كبسولةٍ خاصة ومحاطاً بجوٍ يشبه جو الأرض. فلكي تستطيع أن

تغادر الأرض عليك أن تحصل على جسد آخر يختلف كلياً عن جسدك الحالي، وهذا ما يستطيع أن يحققه الله.

٣- يشير بولس إلى وجود فروق بين الأجسام السماوية نفسها، كالقمر والشمس والنجوم. فهناك فرق في الطبيعة وفي التألق. فالشمس تنتج نورها الخاص بينما يعكس القمر نور الشمس. والنجوم كلها تختلف في تألقها. وسيكون هذا صحيحاً بالنسبة لأجساد المؤمنين بعد القيامة. فكل مجده الخاص الذي يختلف عن مجد الآخر. وهذا التفاوت واضح في نبوة سفر دانيال عن القيامة:

وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون
وهؤلاء إلى الحياة الأبدية
وهؤلاء إلى العار
للازدراء الأبدية
والفاهمون يضيئون كضياء الجلد
والذين ردوا كثيرين إلى البر
كالكاوكب إلى أبد الدهور (دانيال ١٢: ٢-٣).

يتنبأ دانيال مشيراً إلى التفاوت في المجازاة والمجد بين القديسين بعد القيامة. فالأكثر أمانةً واجتهاداً في نقل الحق الإلهي للآخرين يضيء بمجدٍ أعظم. هذه الصورة للقديسين الذين يقومون من الأموات بأجسادٍ مجدة، وتشبيههم بالنجوم هو تكميمٌ لوعده الله لإبراهيم:

ثم أخرجه إلى خارج وقال: انظر إلى السماء وعُدَّ النجوم إن استطعت أن تعدّها. وقال له: هكذا يكون نسلك (تكوين ١٢: ٥).

ونسل إبراهيم هم كل الذين يؤمنون بكلمة الله كما آمن إبراهيم، ويقبلون في قلوبهم زرع كلمة الله. هذا الزرع الذي لا يفسد في قلب المؤمن، هو الذي يضمن إمكانية القيامة مع الأبرار. في ذلك اليوم (يوم القيامة) يتحقق وعد الله، ويقام المؤمنون،

ويكونون كالنجوم التي شاهدها إبراهيم في كثرتها وفي مجدها وفي اختلافها عن بعضها في المجد.

خمسة تغييراتٍ مميزة

يختتم بولس تحليله لطبيعة جسد المؤمن المقام، بذكر بعض تغييراتٍ محددة

هي:

١- الجسد الحالي قابل للفساد، معرض للمرض والهرم. الجسد المقام غير قابل للفساد، خالٍ من الشر.

٢- الجسد الحالي قابل للموت. الجسد المقام لا يموت.

٣- الجسد الحالي يوصف بالهوان وعدم الكرامة، ويسمى في فيلبي ٣: ٢١ "جسد تواضعنا". فهو نتاج خطية الإنسان وعصيانته، وهو مصدر الهوان دائماً، الذي يذكرنا بالسقوط وعواقبه الوخيمة. فمهما عظمت انجازات الإنسان في الفن والعلم، يبقى خاضعاً لحاجات جسده ولمحدودية طبيعته. أمّا الجسد المقام فسيكون متسربلاً بالجمال والمجد، حراً من محدودية الإنسان في الحاضر.

٤- الجسد الحالي خاضع للقبر وللضعف. والدفن هو الاعتراف الأعظم بمديونية الإنسان للضعف والموت. أمّا الجسد المقام فسيترك القبر بقوة الله الكلي القدرة، مبتلعاً قوة الموت والقبر.

٥- الجسد الحالي "حيواني" - حرفياً "نفسى - Soulsh" - (الكلمة اليونانية المترجمة هنا "حيواني" هي "Psuchikos" وهي مشتقة من "Psyche" أي (نفس) ومن المؤسف أنّ الترجمات العربية لا تستخدم الكلمة "نفسى"¹).

¹ "حيواني" (بستاني وفاندايك)، "بشري" (ت.ع.ج)، "مادي" (كتاب الحياة)

لقد خلق الله الإنسان كائناً ثلاثياً، يتكون من النفس والروح والجسد. والروح كانت لها القدرة على الاتصال والشركة مع الله، والسيطرة على النفس والجسد. وبسقوط الإنسان استأثر الجسد والنفس بالسلطة، ونتج عن ذلك تغييراً في شخصية الإنسان الداخلية وفي جسده الطبيعي، فصار جسده "نفسياً - Soulish" وصارت أعضاؤه ونشاطاته تعمل لإرضاء الرغبات الدنيوية للنفس، من دون القدرة على التعبير عن طموحات الروح السامية. لقد صار هذا الجسد "النفسي" بمثابة سجنٍ يحد ويغيق الروح. أمّا جسد القيامة فسيكون جسداً "روحياً" معداً تماماً لتحقيق طموحات الروح العليا. إذ أنّ الروح تستعيد سلطانها المسلوب على الجسد. وعندها تعمل شخصية الإنسان بانسجام تام تحت سيطرة الروح الإنسانية. ويلخص بولس الفرق بين الجسد الطبيعي (النفسي) وجسد القيامة، بالمقارنة بين جسد آدم وجسد المسيح، ويقول بأنّ جسد القيامة يشبه جسد الرب يسوع:

الإنسان الأول من الأرض ترابي. الإنسان الثاني الرب من السماء.
كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضاً. وكما هو السماوي هكذا
السماويون أيضاً، وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة
السماوي (١ كورنثوس ١٥: ٤٧-٤٩).

أي أنّ جسد الإنسان يشبه الآن آدم الترابي، الذي هو أول إنسانٍ خلقه الله، ومن نسله جاء كل البشر. أمّا جسد المؤمن المقام فيشبه جسد المسيح السماوي، الذي هو سيد الخليقة الجديدة، وهم الذين قبلوا فداء المسيح بالإيمان فخلصوا من الخطية ومن نتائجها.

يقدم بولس صورةً مشابهةً عن قيامة جسد المؤمن في فيلبي ٣: ٢٠-٢١:

فإنّ سيرتنا (جنسيتنا) نحن هي في السموات، التي منها أيضاً ننتظر
مخلصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيغير شكل جسد تواضعنا
ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه
كل شيء.

ونلمح صورةً مشابهةً في ١ يوحنا ٣: ٢:

أيها الأحياء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو.

أمّا المؤمنون الأحياء إلى مجيء المسيح أيضاً، فإنهم يختبرون تغييراً لحظياً مشابهاً في أجسادهم، رغم أنهم لن يختبروا القيامة، هذا ما نجده في ١ كورنثوس ١٥: ٥١-٥٢:

هوذا سرٌّ اقولهُ لكم: لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظةٍ في طرفة عينٍ عند البوق الأخير. فإنه سيُبوّق، فيُقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغير.

وعندما يقول بولس: "لا نرقد كلنا" فهو يعني: "لا نموت كلنا"، ويتابع قائلاً: "ولكننا كلنا نتغير." فالْمُؤْمِنُونَ جميعهم (مختطفين وقائمين من الأموات) تتغير أجسادهم لحظياً وبطريقةٍ معجزةٍ.

فما هي صفات جسد المسيح المقام؟ تقدم الأنجيل بعض الإشارات المثيرة. فهو (جسد المسيح) غير خاضعٍ لمحدودية الزمان والمكان كما هي أجسادنا الآن. فيستطيع أن يظهر وأن يختفي متى شاء وأينما شاء، أن يدخل غرفةً أبوابها مغلقة، وأن يظهر بأشكالٍ مختلفةٍ في أماكن مختلفة، وأن يصعد إلى السماء. وسيشبه جسد المؤمن المقام أو المختطف، جسد المسيح في هذه الجوانب كلها وفي جوانب أخرى لم تعلن بعد.

حتى الآن ما زلنا نتحدث عن أجساد المفديين. فماذا عن غير المؤمنين؟ ماذا عن غير المفديين الذين ماتوا في خطاياهم؟ يقول الكتاب المقدس بأن أولئك يقومون من الأموات - في رتبته - للدينونة والعقاب. فأَي أجسادٍ سيُلْبَسون في قيامتهم تلك؟ والواقع أن كلمة الله لا تقدم إشارةً واحدةً نستدل بها على جواب هذا السؤال. لذلك نحن أيضاً نتركه بلا جواب.

الأهمية الفريدة للقيامة

هناك ثلاثة أسباب تجعل من تعليم القيامة من الأموات تعليمًا مهمًا يحتل مكانةً

خاصة ومركزية في الإيمان المسيحي:

السبب الأول هو أن القيامة هي مصادقة الله نفسه وشهادته عن يسوع المسيح،
نقرأ في رومية ٤:١:

وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القدس بالقيامة من الأموات.

لقد سبق ليسوع أن وقف في محكمتين بشريتين: مجلس اليهود (محكمة دينية)،
ودار ولاية الحاكم بيلاطس البنطي (محكمة مدنية). وقد رفضت كلتا المحكمتين
الاعتراف بأن يسوع هو ابن الله، بل أدين وحكم عليه بالموت. والأكثر من هذا، أن
هاتين المحكمتين حرصتا على منع إمكانية فتح قبر يسوع، فخنم اليهود القبر ووضع
الرومان حراساً مسلحين على بابه. وفي اليوم الثالث تدخل الله، فانكسر الختم، ووقف
الحراس كالأموات، وخرج يسوع من القبر. لقد نقض الله حكم مجلس اليهود والوالي
الروماني، معلناً بأن المسيح هو ابن الله البار.

السبب الثاني لأهمية القيامة، هو أنها ختم التأكد على غفران الله لكل
التائبين، وخلصه لكل من يؤمن في المسيح،

الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا (رومية ٤: ٢٥).

فتبرير الخاطيء يعتمد على قيامة المسيح من الأموات. ولو بقي المسيح مصلوباً
أو مدفوناً، لما تحقق وعد الله بالخلاص والحياة الأبدية. فقبول المسيح المقام
والاعتراف به بالإيمان، هو فقط ما يحقق الغفران للخطاة ويمنحهم السلام
والحياة الأبدية والانتصار على الخطية.

إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات
خلّصت (رومية ١٠: ٩).

فالخلاص يعتمد على أمرين:

١- الاعتراف العلني بأن يسوع رب

٢- الإيمان القلبي بأن الله أقامه من الأموات

فالإيمان بالقيامة هو من عوامل الحصول على الخلاص، ولا يمكن لمن ينكر القيامة أن يخلص. فلو لم يقم المسيح من الأموات لما استطاع أن يغفر أو أن يخلص. لكنه قام كما قال الكتاب، وله القدرة على الخلاص والغفران.

فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حيٌّ في كل حينٍ ليشفع فيهم (عبرانيين ٧: ٢٥).

إنَّ قيامة المسيح ضرورةٌ منطقيةٌ بلا شك، كقاعدةٍ لنعمة الله في الخلاص:

- وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلةٌ كرازتنا وباطلٌ أيضاً إيمانكم (١ كورنثوس ١٥: ١٤).

- وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلٌ إيمانكم، أنتم بعد في خطاياكم (١ كورنثوس ١٥: ١٧).

تجسّد حالة العالم المسيحي المعاصر هذه العبارات الكتابية بوضوح. فأولئك اللاهوتيين الذين يرفضون حقيقة قيامة المسيح بالجسد، يستطيعون أن يفسروا وأن يحبكوا نظرياتهم كما يشاؤون، بعد أن فاتهم الاختبار الشخصي للسلام والفرح بغفران الخطايا.

السبب الثالث لأهمية القيامة هو أنها تتضمن ذروة رجائنا كمؤمنين، وتحقيق أسمى أهدافنا التي نسعى إليها في حياة الإيمان على الأرض. فالقيامة هي غاية وهدف كل مساعينا على الأرض، هذا ما يؤكده بولس في حديثه عن الهدف الذي يدفعه إلى السعي في حياة الإيمان، فيقول:

لأعرفه، وقوة قيامته، وشركة آلامه، متشبهاً بموته، لعلّي أبلغ إلى قيامة الأموات. ليس أنني قد نلت أو صرت كاملاً، ولكني أسعى لعلّي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع (فيلبي ٣: ١٠-١٢).

لاحظ بشكلٍ خاص العبارتين "لأعرفه، وقوة قيامته" و "لعلّي أبلغ إلى قيامة الأموات."

فلم يسمح بولس لأي شيء أن يعيقه عن بلوغ غاية إيمانه وجهاده، والتي هي قيامة الأموات. وينبغي أن يتبنى هذا الموقف كل المؤمنين.

وأخيراً، لو لم يكن هناك قيامة من الأموات، لكان الإيمان المسيحي بأسره خدعةً تثير الشفقة.

إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس
(١ كورنثوس ١٥: ١٩).

بالمقابل، إن كنّا نؤمن بالقيامة حقاً، فإنّ هدف وغاية حياتنا يكون كهدف حياة بولس، وهو أن نبلغ قيامة الأموات.

الجزء السابع

الدينونة الأبدية

رأس كلامك حق،
وإلى الدهر كل أحكام عدلك.
مزمور ١١٩: ١٦٠

الله: ديّان الجميع

ما زلنا نبحث - عبر هذه الدراسة - في الأسس التعليمية الستة التي أعلنها المسيح، والمذكورة في عبرانيين ٦: ١-٢.

١- التوبة من أعمالٍ ميتة

٢- الإيمان بالله

٣- تعليم المعموديات

٤- وضع الأيادي

٥- قيامة الأموات

٦- الدينونة الأبدية

وها نحن قد وصلنا إلى الأساس السادس والأخير من هذه الأسس، ألا وهو الدينونة الأخيرة.

في هذا الفصل ندرس جانبين من جوانب الدينونة الإلهية: (١) إعلان الكتاب المقدس الشامل عن الله، باعتباره "ديّان الجميع". (٢) المبادئ الأساسية التي تقام الدينونة بناءً عليها.

الدينونة ولطف الله

وكمدخلٍ لدراسة تعليم الكتاب المقدس عن الله الديّان، نقرأ المقطع التالي من الرسالة إلى العبرانيين:

بل قد أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحيّ أورشليم السماوية، وإلى ربواتٍ هم محفل ملائكة وكنيسة أبكارٍ مكتوبين في السموات،

وإلى الله دِيَّان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكملين، وإلى وسيط
العهد الجديد يسوع، وإلى دم رشٍ يتكلم أفضل من هابيل
(عبرانيين ١٢: ٢٢-٢٤).

في هذه الأعداد الثلاثة صورةً عن سكنى الله مع ملائكته ومفديه في السماء. والعدد
(ثلاثة) هو مفتاح مناسب لتحليل هذا النص. فيمكن تقسيمه أولاً إلى ثلاثة أجزاءٍ
رئيسية:

١- وصفٌ لمكان سكنى الله

٢- ذكر أولئك الساكنين معه

٣- وصفٌ لله نفسه

وكل جزء من هذه الأجزاء ينقسم بدوره الى ثلاثة أقسامٍ فرعية. فوصف مكان سكنى
الله يأتي في ثلاثة أقسام:

١- "جبل صهيون"

٢- "مدينة الله الحي"

٣- "أورشليم السماوية"

و الساكنون مع الله هم ثلاث فئات:

١- "ربواتٌ هم محفل الملائكة"

٢- "كنيسة أبكار مكتوبين في السماوات"

٣- "أرواح أبرار مكملين"

وفيما يلي شرحٌ موجز عن هذه الفئات الثلاث: "الملائكة" هم أولئك الذين حفظوا
رياستهم ، فلم يشتركوا في العصيان الذي قاده ابليس، ولا فى الشر الذي عمَّ البشر
والملائكة قبل الطوفان. "كنيسة الأبكار" تمثل قديسي العهد الجديد، الذين كتبت
أسمائهم في السماء كباكورة خليفة الله الجديدة بميلادهم الثاني في المسيح. "أرواح

الأبرار المكملين" هم مؤمنو العصور الأسبق من عصر العهد الجديد، والذين تكملوا بالتدريج خلال سيرهم مع الله بالإيمان.

وأخيراً نجد تقديماً مثلثاً لله نفسه في هذه الفقرة:

١- "الله: ديّان الجميع"

٢- "وسيط العهد الجديد: يسوع"

٣- "دم رشّ (دم يسوع المسفوك) يتكلم أفضل من هابيل"

فلندرس الآن هذا النص بعين الإيمان وعلى ضوء حقائق كلمة الله. ونلاحظ أولاً مركزية الله في هذا المشهد السماوي فائق الجلال والهيبة، حيث يعلن "الله ديّان الجميع". فأنه هو صاحب السلطان الأزلي بالدينونة، دينونة الجميع، دينونة السماء والأرض، دينونة البشر والملائكة.

ولو أعلن الله كديّان فقط، لما وجد البشر لهم مكاناً في هذا المشهد. فلا الخطاة ولا المؤمنون المولودون ثانية ولا الأبرار المكملون، كانوا ليظهروا أمام الديّان لولا رحمة الله. هذا ما تعلنه كلمة الله إذ تستكمل الصورة بشخص الوسيط يسوع المسيح، فهو الوحيد الذي يستطيع أن يقف بين الله البار القدوس والإنسان الخاطئ الهالك لكي يصلحهما معاً. ثم تكتمل الصورة باعلان دم يسوع الذي هو طريق المصالحة و ثمنها.

في صورة دم يسوع المعلنة في هذا النص، نرى المفارقة بين دم يسوع و دم هابيل. وتتضمن هذه المفارقة ثلاثة وجوه:

١ - سُفك دم هابيل رغماً عنه، وأريق بغتةً بضربةٍ غادرة من القاتل، أمّا

دم يسوع فقد قُدّم بإرادة يسوع نفسه، ثمناً لفداء الإنسان.

٢- رُشّ دم هابيل على الأرض، بينما رُشّ دم يسوع أمام كرسي رحمة

الله في السماء.

٣- صرخ دم هابيل طالباً الانتقام من قاتله، بينما تضرّع دم يسوع من

أجل رحمة الخطاة وغفران خطاياهم.

و هكذا تظهر دينونة الله ولطفه معاً في هذا الإعلان، فنراه باعتباره "دِيَّانُ الجميع" ونرى رحمته ونعمته المعلنين في وساطة المسيح وفي دمه المسفوك. هذه الصورة التي تجمع ما بين الدينونة و اللطف، تنسجم مع إعلان كلمة الله الشامل بهذا الخصوص. فالكتاب المقدس بأسره يعلن أنَّ الدينونة هي حق الله الأزلي. قال إبراهيم لله:

أدِّيَّانُ كل الأرض لا يصنع عدلاً؟! (تكوين ١٨: ٢٥).

ونقرأ في العهد القديم أيضاً:

- ليقضِ الرب القاضي اليوم... (قضاة ١١: ٢٧).
- ... إنه يوجد إلهٌ قاضٍ في الأرض (مزمور ٥٨: ١١).

ويخاطب كاتب المزمور الرب قائلاً:

- ارتفع يا دِيَّانُ الأرض (مزمور ٩٤: ٢).
- فإنَّ الرب قاضينا (إشعيا ٣٣: ٢٢).

لكن الصورة الأكمل عن طبيعة الله الأزلية، هي صورة النعمة لا الدينونة، والرحمة لا الغضب. هذا ما تؤكده نبوءة إشعيا بخصوص غضب الله ودينونته.

لأنه كما في جبل فراصيم يقوم الرب، وكما في الوطأ عند جبعون
يسخط ليفعل فعله، فعله الغريب، وليعمل عمله، عمله الغريب
(إشعيا ٢٨: ٢١).

فيصف إشعيا دينونة الله من نحو مقاوميه بأنها "فعله الغريب" و "عمله الغريب". فالسخط والغضب والدينونة، غريبةٌ كلها عن طبيعة الله. لكنها تجاوب الله المحتمَّ مع تمرُّد الإنسان ونجاسته. فشخصية الإنسان المشوَّهة وسلوكه المنحرف، يستدعيان ذلك الإظهار الغريب لغضب الله ودينونته.

فإذا انتقلنا إلى العهد الجديد، نجد إعلاناً أشمل عن دوافع دينونة الله وأساليبها. ويؤكد العهد الجديد على استثنائية وغرابة مبدأ الدينونة بالنسبة إلى طبيعة الله وأهدافه:

• لأنه لم يرسل الله ابنه للعالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم (يوحنا ٣: ١٧).

• لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قومُ التباطؤ، لكنه يتأنّى علينا. وهو لا يشاء أن يهلك أناسٌ بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة (٢ بطرس ٣: ٩).

هذان العددان وغيرهما كثيرٌ، يُظهران بأنَّ الله يسرُّ بالرحمة والخلاص. لكن الله (مضطر) لإقامة الدينونة على الخطية. ويعلن العهد الجديد أكثر من ذلك بخصوص هذه الحقيقة، إذ أنَّ (اضطرار) الله لإقامة الدينونة، يؤثر على الطريقة التي تنفَّذ بها كما سنرى.

الآب، الابن، الكلمة

إنَّ إقامة الدينونة حق أزلي من حقوق الله الآب، يقول بطرس:

... وهو (الآب) الذي يدين من غير محاباةٍ كل واحد على قدر أعماله... (١ بطرس ١: ١٧. ت.ع.ج).

فالله الآب له سلطانُ دينونة كل البشر. لكن المسيح يعلن في يوحنا ٥ بأنَّ الله الآب قد اختار بحكمته الأزلية، أن يعطي الدينونة للابن.

• لأنَّ الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن. لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب الذي أرسله (يوحنا ٥: ٢٢-٢٣).

• لأنه كما أنَّ الآب له حياةٌ في ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له حياة في ذاته. وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان (يوحنا ٥: ٢٦-٢٧).

من الواضح أنَّ وظيفة الدينونة قد انتقلت من الآب إلى الابن، وذلك لسببين: (١) لأنَّ عمل الديَّان يتطلب الإكرام من البشر، وهكذا يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. (٢) لأنَّ المسيح هو ابن الإنسان كما هو ابن الله، فهو شريكٌ في الطبيعتين الإلهية والبشرية، مما يؤهله لمراعاة ضعف الجبلية البشرية في دينونته.

وكما أنَّ طبيعة الآب هي الرحمة والنعمة، كذلك هي طبيعة الابن الإلهية أيضاً. لذلك لا يُسرُّ الابن بإقامة الدينونة، ما جعله يعهد بهذه المهمة إلى كلمة الله، يقول يسوع:

وإن سمع أحدٌ كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه، لأنني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم. من ردنني ولم يقبل كلامي فله من يدينه. الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير (يوحنا ١٢: ٤٧-٤٨).

فالكلمة لها السلطان النهائي للدينونة، فهي المعيار الشامل والذي يقاس كل الناس بناءً عليه. وهذه الحقيقة نفسها في العهد القديم حيث يقول داود:

رأس كلامك حق،

وإلى الدهر كل أحكام عدلك (مزمور ١١٩: ١٦٠).

فمبادئ ومعايير دينونة الله، تكمن جميعها في كلمة الله. وكما أنَّ الكلمة ثابتةٌ إلى الدهر، كذلك هذه المبادئ والمعايير.

أربعة مبادئ للدينونة بحسب

كلمة الله

فما هي إذًا مبادئ الدينونة الإلهية التي تعلنها كلمة الله؟ يوضح بولس أربعة من هذه المبادئ نلخصها فيما يلي:

أولاً: دينونة الله هي حسب الحق.

لذلك أنت بلا عذرٍ أيها الإنسان كل من يدين. لأنك فيما تدين غيرك

تحكم على نفسك. لأنك أنت التي تدين تفعل تلك الأمور بعينها.
ونحن نعلم أن دينونة الله هي حسب الحق على الذين يفعلون مثل هذه
(رومية ٢: ١-٢).

يتحدث بولس هنا عن أولئك المتدينين الذين يدينون غيرهم بمعيار معين، بينما يدينون
أنفسهم بمعيار آخر. يقول بولس، بأن هذه الطريقة ليست هي طريقة الله في إقامة
الدينونة. لكن دينونة الله "هي حسب الحق". فإذا اعترفنا بالحق الذي يدين به الله
الآخرين، علينا أن نقيس أنفسنا على ذلك الحق نفسه. إنه حق كلمة الله الذي لا يتغير.
إذ يقول يسوع مخاطباً الآب: "كلامك هو حق" (يوحنا ١٧: ١٧). فالذي يدين والذي
يدان، كلاهما ملتزمان بالإقرار بهذا المعيار الإلهي المعلن: حق كلمة الله.

ثانياً: دينونة الله هي حسب الأعمال.

الذي (الله) سيجازي كل واحد حسب أعماله (رومية ٢: ٦).
ويتكرر هذا المبدأ في كلمة الله كثيراً، فبطرس يصف الآب بأنه:
...الذي يحكم بغير محاباة بحسب عمل كل واحد...
(١ بطرس ١: ١٧).

ونقرأ في رؤيا ١٢: ٢٠:

...وانفتحت الأسفار، وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات مما
هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم.

والكلمة "أسفار" في موقعها هنا، هي كلمة مثيرة ومُلهمة. فرغم أننا نستخدم الكلمة
"سفر" للدلالة على كتاب مكوّن من عددٍ من الصفحات، إلا أن السفر (في مفهوم الكتاب
المقدس) هو عبارة عن صحيفة طويلة ملفوفة من جانبيها، تُصنع من الجلد أو مادة
أخرى، وتفتح عند قرائتها. وكان هذا النوع من الرقوق يختم بسبعة أختام متتالية، وقد
كان لهذه الصورة دوراً بارزاً في بعض مشاهد رؤيا يوحنا.

لقد طوّرت التقنية الحديثة ما يوضح فكرة تلك الأسفار الملفوفة. فشريط التسجيل الذي يخزّن المعلومات بطريقة كهرومغناطيسية، يُحفظ ملفوفاً بطريقة تشبه تلك التي كانت تلفُ فيها الأسفار. ولمعرفة المادة المسجلة عليه يجب ألا يبقى ملفوفاً على حاله، لكنه يُفتح بالتدريج.

هذا التوضيح (شريط التسجيل) يساعدنا على الإدراك، بأنّ هناك سجلاتٌ محفوظةٌ في السماء، تحتوي على تفاصيل حياة كل إنسان. فكما يمكن تسجيل كلمات الإنسان في شريط، ويمكن حفظها على الأرض. كذلك يمكن حفظ تفاصيل حياة الإنسان بأكملها في "سفرٍ" في السماء. وهكذا يدان الإنسان يوماً ما، حسب أعماله المسجلة في ذلك السفر.

أمّا الكلمة "أعمال" هنا، فليست مقصورةً على الأفعال الخارجية التي يلاحظها الآخرون. لكن الله يأخذ باعتباره أيضاً تلك الأفكار العميقة الكامنة في سريرة الإنسان: دوافع القلب البشري ونياته. هذا ما يؤكد الكتاب المقدس، يقول بولس:

- ... في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح (رومية ٢: ١٦).
- إذاً لا تحكموا في شيءٍ قبل الوقت حتى ياتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب. حينئذٍ يكون المدح لكل واحدٍ من الله (١ كورنثوس ٤: ٥).

ويعلن الكتاب المقدس هذه الحقيقة بارتباطها مع الدينونة بحسب كلمة الله:

لأنّ كلمة الله حيّةٌ وفَعَّالَةٌ وأمضى من كل سيفٍ ذي حدين وخارقةٌ إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميزةٌ أفكار القلب ونياته. وليس خليقةٌ غير ظاهرةٍ قَدَّامه بل كل شيءٍ عريان ومكشوف لعيني ذاك الذي معه أمرنا (عبرانيين ٤: ١٢-١٣).

العبارة "الذي معه أمرنا" تعني: "الذي سنؤدي له حساباً" (كتاب الحياة). فتسجيل الله

لأعمال الإنسان لا يتضمن أعماله الخارجية فقط، لكنه يتضمن أيضاً "أفكار القلب ونياته". وحسب هذا المفهوم الشامل للأعمال، يدين الله الإنسان حسب أعماله.

ثالثاً: دينونة الله هي بلا محاباة. هذا ما يعلنه بولس في رومية ١١: ٢: "لأنَّ ليس عند الله محاباة" أو "... لا يحابي أحداً (حرفياً: الوجوه - faces) (ت.ع.ج). أي أنَّ دينونة الله لا تتأثر بصفات الإنسان الظاهرية التي لا تشير إلى حقيقة شخصية الإنسان وسلوكه. فبينما تتأثر أحكام الناس بأمرٍ مثل: العرق، الدين، الاعتراف الخارجي، المركز الاجتماعي، المظهر الخارجي، الثروة، المستوى التعليمي وغيرها، تثبت أحكام الله من دون أن تتأثر أو تنحرف بفعل أيٍّ من تلك الأمور.

لأنَّ الإنسان ينظر إلى العينين وأمَّا الرب فإنه ينظر إلى القلب
(١ صموئيل ١٦: ٧).

وليس أنَّ الله لا يحابي الناس فقط، لكنه يحث كل من له سلطان الحكم في شؤون الناس، بأن لا يخضع لأي تأثير يقوده إلى المحاباة. لقد أكد الكتاب المقدس هذا المبدأ بطريقة مميزة، إذ كرره ست عشرة مرة: تسع مرات في العهد القديم، وسبع مرات في العهد الجديد.

رابعاً: دينونة الله هي حسب النور.

لأنَّ كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك. وكل من أخطأ في الناموس فبالناموس يُدان (رومية ٢: ١٢).

هذا يعني - بشكلٍ عام - بأنَّ كل إنسانٍ يَدان حسب مقدار النور والفهم الذي حصل عليه. فأولئك الذين لهم معرفةٌ كاملةٌ بمعايير الله الأخلاقية المعلنة في ناموس موسى، يدانون حسب الناموس. والذين لم يعرفوا ناموس موسى، لا يدانون حسب ناموس موسى، بل حسب الإعلان الإلهي العام الذي وفَّره الله لكل البشر في خليقته الرائعة.

لأنَّ أموره (الله) غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم، مُدرَكَةً بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته، حتى أنهم بلا عذر (رومية ١: ٢٠).

فيؤكد بولس بأنَّ حقيقة لاهوت الله وقدرته السرمدية، هي أمورٌ ظاهرةٌ ومعلنةٌ لكل البشر في خليفة الله. ويستطيع الإنسان أن يدرك هذه الأمور - بغض النظر عن عرقه ودينه - باستخدام فهمه الطبيعي.

هذا هو المقياس الأساسي لدينونة الله: النور. وكل من يمتلك قدراً إضافياً أو إعلاناً خاصاً من كلمة الله، يدان حسب مقياس معرفته الأعلى. فالدينونة حسب النور، هي الدينونة حسب المعرفة المعلنة. وقد أشار يسوع إلى هذا المبدأ في تعليمه للناس في أيامه.

حينئذٍ ابتداءً يوبخ المدن التي صُنعت فيها أكثر قَوَّاته لأنها لم تتب: ويلٌ لك يا كورزين، ويلٌ لك يا بيت صيدا، لأنه لو صُنعت في صور وصيدا القوات المصنوعة فيكما لتابنا قديماً في المسوح والرماد. ولكن أقول لكم إنَّ صور وصيدا تكون لهما حالةٌ أكثر احتمالاً يوم الدين ممَّا لكما. وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية. لأنه لو صُنعت في سدوم القوات المصنوعة فيك لبقيت إلى اليوم. ولكن أقول لكم إنَّ أرض سدوم تكون لها حالةٌ أكثر احتمالاً يوم الدين ممَّا لك (متى ١١: ٢٠-٢٤).

يبين يسوع هنا بأنَّ المدن القديمة مثل صور وصيدا وسدوم، ستُدان حسب قياس المعرفة المتوفرة لديها آنذاك. أمَّا المدن الحاضرة (في عصر المسيح) مثل كورزين وبيت صيدا وكفرناحوم، فستُدان حسب مقياسٍ أعظم جداً، بسبب المعرفة الأعظم التي توفرت لها بمعاصرتها لحضور المسيح وخدمته. فدينونة هذه المدن ستكون أكثر دقةً من دينونة تلك.

فإذا طبقنا هذا المبدأ على عصرنا الحاضر، فإننا ندان حسب النور المعلن والمعرفة المتوفرة لجيلنا. ومن يعيش منا في دولٍ ذات تاريخٍ مسيحيٍ طويل، كبريطانيا والولايات المتحدة، لربما يدان حسب مقياسٍ هو أعظم الكل. إذ أنَّ المعرفة الأخلاقية متوفرةٌ الآن في هذه الدول أكثر من أي عصرٍ مضى. فلنطبق كلمات يسوع التالية على جيلنا هذا:

فكل من أُعطي كثيراً يُطلب منه كثيراً، ومن يودعونه كثيراً يطالبونه
بأكثر (لوقا ١٢: ٤٨).

هذه هي إذاً المبادئ الأربع، التي ستقام عليها دينونة الله حسب كلمة الله:

- ١- حسب الحق
- ٢- حسب الأعمال
- ٣- بلا محاباة (من دون مراعاة للوجوه)
- ٤- حسب النور

دينونة الله عبر التاريخ

في الفصل الثامن والأربعين حددنا المبادئ العامة التي تقام الدينونة الإلهية على أساسها. والآن نستعرض مرحلتين مختلفتين ومنفصلتين للدينونة وكيفية تنفيذها.

مقارنة بين الأبدية والتاريخية

الدينونة في الزمن، هي أول مرحلتين الدينونة الإلهية. إنها جزء من الدينونة ينفذه الله علناً في التاريخ البشري، أمّا "الدينونة الأبدية" (عبرانيين ٢:٦) فهي الجزء الثاني الذي ينفذه الله في الأبدية لا في التاريخ. إنها الدينونة التي تنتظر كل نفس بشرية في الأبدية، بعد أن ينتهي الزمن وتغلق أبواب التاريخ.

ومع أن بحثنا هذا، يهدف إلى دراسة تعليم كلمة الله عن الدينونة الأبدية، إلا أن التعرف بايجاز على المرحلة الأولى (الدينونة في التاريخ) سيكون مفيداً. فإذا تمكنا من ملاحظة التمييز المنطقي بين المرحلتين، نتمكن من فهم بعض العبارات الكتابية التي تبدو متناقضة. نأخذ - على سبيل المثال - وصية الله وتحذيره لشعبه القديم عندما قال:

لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورةً ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهم ولا تعبدهم، لأنني أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي. وأصنع إحساناً إلى الوفاء من محبي وحافظي وصاياي (خروج ٢٠: ٤-٦).

وبخصوص ذلك التحذير وتلك الوصية، يصف إرميا الرب قائلاً:

صانع الإحسان لألوفٍ ومجازي ذنب الآباء في حضن بنيهم بعدهم
(إرميا ٣٢: ١٨).

هذان العددان وغيرهما، يؤكدان بأنَّ خطايا جيلٍ معين تؤدي - في حالاتٍ معينة على الأقل - إلى دينونة الأجيال التالية، حتى الجيل الثالث أو الرابع. والعكس أيضاً صحيح، فبرُّ جيلٍ معين يؤدي إلى تمتع الألوف ببركات الله بعد ذلك. مثل هذه الفقرات الكتابية، تشير إلى دينونة الله في الزمن، أي في التاريخ.

ولاستكمال الصورة، علينا أن نأخذ بعين الاعتبار تلك المقاطع الكتابية الكثيرة، التي تشير إلى دينونة الله في الأبدية. رسالة الله إلى شعبه على فم حزقيال النبي هي مثالٌ واضح على ذلك:

وكان إليّ كلام الرب قائلاً:
ما لكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين:
الآباء أكلوا الحصرم،
وأسنان الأبناء ضرست؟
حيّ انا، يقول السيد الرب:
لا يكون لكم بعد أن تضربوا هذا المثل في إسرائيل.
ها كل نفس هي لي،
نفس الأب كنفس الابن،
كلاهما لي
النفس التي تخطيء هي تموت (حزقيال ١٨: ١-٤).

هذه الفقرة تشير إلى العذر الذي كان المرتدين من إسرائيل يتسترون خلفه. فكانوا يبررون حالتهم السيئة، بالقاء اللوم على خطايا آبائهم. مما يتضمن أن العدالة الإلهية لا يمكن أن تحمّلهم مسؤولية ذلك الانحراف الذي عمّ إسرائيل في ذلك الوقت. إلا أن الله يعلن رفضه التام لذلك العذر من خلال نبوءة حزقيال. فيحذر الله الشعب بأن كل واحدٍ يتحمل مسؤولية خطيئته بنفسه، حتى وإن كانت خطيئتهم امتداداً لخطية الآباء. فكل

واحدٍ يدان - في الأبدية - حسب شخصيته وسلوكه الخاص، لا حسب ما عمله الآباء أو لم يعملوه. ويكرر الله هذا التحذير نفسه بحسم أكثر قائلاً:

النفس التي تخطيء هي تموت.

الابن لا يحمل من اثم الاب،

والاب لا يحمل من اثم الابن.

برُّ البار عليه يكون،

وشرُّ الشرير عليه يكون (حزقيال ١٨: ٢٠).

إنها دينونة شخصية وفردية إلى أبعد الحدود، "النفس التي تخطيء هي تموت"، وليست دينونة أمة أو عائلة. إنها الدينونة التي تحدد المصير الأبدي لكل نفسٍ على انفراد. وهذا واضحٌ في العدد ٢٤ من الأصحاح نفسه حيث نقرأ:

إذا رجع البار عن برِّه وعمل إثماً وفعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير أفيحياً؟! كل برِّه الذي عمله لا يُذكر في خيانتِه التي خانها وفي خطيئته التي اخطأ بها يموت.

العبارة الأخيرة في هذا النص، "في خطيئته التي اخطأ بها يموت"، تبين أن الله يتحدث هنا عن حالة النفس عند انتقالها من الزمن إلى الأبدية. فحالة النفس من جهة الخطية تحدد مصيرها الأبدي. فالإنسان الذي يموت في الخطية، لا يمكن أن يتمتع بمحضر الله بعد ذلك. يقدم سفر الجامعة هذه الحقيقة في هذه الصورة الاستعارية:

وإذا وقعت الشجرة نحو الجنوب أو نحو الشمال،

ففي الموضع حيث تقع الشجرة هناك تكون (جامعة ٣: ١١).

ترمز الشجرة التي تقع، إلى موت الإنسان. "في الموضع حيث تقع الشجرة هناك تكون." فالحالة والطريقة التي تقع بها الشجرة، تحدد الحالة التي ستكون عليها بعد ذلك دائماً. كذلك فإنَّ الحالة التي يموت عليها الإنسان، تحدد الحالة التي يكون عليها بعد ذلك إلى الأبد. وعليه فإنَّ كل إنسانٍ بمفرده مسؤولٌ عن حالته الخاصة.

هذه الفقرات من سفري حزقيال والجامعة، تختص بالدينونة الإلهية الأبدية على كل إنسان. حيث أن مصيره الأبدي، يتحدد حسب حالته عند الموت. بينما تختص الفقرات السابقة من سفري إرميا والخروج بالدينونة الإلهية في التاريخ. هذه الدينونة التي تتحقق من جيلٍ إلى جيل، وتتناقلها العائلات والأمم والشعوب.

وهكذا يتضح عدم وجود تناقضٍ في تقديم الكتاب المقدس لموضوع الدينونة. ففي الدينونة عبر التاريخ، يكون لكل جيلٍ تأثيره المهم على الجيل الذي يتبعه، أكان ذلك خيراً أم شراً. هذا، جانبٌ من الدينونة الإلهية في التاريخ. أمّا في الدينونة الأبدية، وبعد أن يتوقف مجرى التاريخ، فإنّ كل نفسٍ تكون مسؤولةً عن حالتها. فلن تتبرر نفسٌ ببرّ نفسٍ أخرى، ولن تدان نفسٌ بشرّ نفسٍ أخرى. هكذا تكون دينونة الله في الأبدية.

أمثلة من الدينونة في التاريخ

نأتي الآن إلى دراسة بعض الأمثلة من دينونة الله في التاريخ. والواقع أنّ الكتاب المقدس يزخر بمثل هذه الأمثلة، والتي تبين موقف الله تجاه بعض الأعمال الخاطئة بطريقة واضحة ومؤثرة تصلح كإنذارٍ وعبرةٍ للأجيال اللاحقة التي تجرّب بخطايا من النوع نفسه.

أحد الأمثلة الواضحة هو دينونة الله لمدينتي سدوم وعمورة:

فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء. وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض (تكوين ١٩: ٢٤-٢٥).

وقد أشار كتبة العهد الجديد إلى تلك الحادثة عدة مرات:

وإذ رمّد (حوّل إلى رماد) مدينتي سدوم وعمورة حكم عليهما بالانقلاب واضعاً عبرةً للعتيدين أن يفجروا (٢ بطرس ٢: ٦).

فبطرس هنا يبين أنّ ما حدث لسدوم وعمورة، هو مثال عن موقف الله تجاه الخطية

التي أدين بها أهل المدينتين. ويقدم سفر حزقيال وصفاً مثيراً للأحوال الأخلاقية والاجتماعية المنحرفة في سدوم، ففي حزقيال ١٦: ٤٩، يقول الله لأورشليم:

هذا كان إثم اختك سدوم: الكبرياء والشبع من الخبز وسلام الاطمئنان
كان لها ولبناتها ولم تشدد يد الفقير والمسكين.

حيث يحدد الله أربع سماتٍ تشكل حالة الانحراف الأخلاقي في سدوم: الكبرياء، الشبع من الخبز (التخمة)، سلام الاطمئنان (الرخاء الذي يقود إلى اللامبالاة والتراخي)، عدم الاهتمام بمساعدة الفقراء والمساكين. ومن هذه السمات كلها، خرج ذلك الشكل من الانحراف الجنسي الذي ما زال يدعى "سدومية - sodomy" وهو الشذوذ الجنسي. ومن قبيل الدقة المذهلة في الكتاب المقدس، أننا نلاحظ بأن تلك السمات عينها، ما زالت تنتج ذلك الانحراف الجنسي نفسه في الكثير من المدن المتحضرة المكتظة بالسكان. ولا يقول الكتاب المقدس بأن الدينونة التاريخية التي وقعت على هذه الخطية في سدوم، ستقع بالضرورة على هذه المدن الحديثة. لكنه يبين بأن موقف الله الثابت من هذه الخطية قد تجسّد بوضوح في دينونته لسدوم. وهكذا يقف كل من يمارس الشذوذ الجنسي بلا عذر، فحتى وإن لم يُدين في هذا العالم، فإن دينونته الأبدية لن تكون أقل صرامة مما وقع على سدوم.

مثال آخر من أمثلة دينونة الله في التاريخ، نجده في قصة حنانيا وسفيرة (انظر أعمال ١: ٥-١٠). فحنانيا وزوجته سفيرة، كانا من المتدينين المرائين. فقد باعا حقلاً وقدمًا جزءاً من ثمنه لخدمة الرب، وهو تصرفٌ جديرٌ بالثناء، لولا أنهما تظاهرا بتقديم ثمن الحقل كله للرب. لقد كان حنانيا وزوجته يأملان بالتمتع بمدح الرسل واستحسان جماعة المؤمنين بهذا التظاهر. لكن بطرس ميّز رياءهم باعلان الروح القدس فوق الطبيعي، وحكم بالروح على حنانيا أولاً ثم على سفيرة، بأنهما كذبا على الروح القدس وحاولا خداعه. وكانت النتيجة دينونة إلهية مباشرة ولحظية، تمثلت بموتهما. وكان لذلك تأثيرٌ كبير على كل من رأى هذه الحادثة أو سمع عنها، حيث أننا نقرأ بعد ذلك:

فصار خوفٌ عظيم على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك
(أعمال ٥: ١١).

ولا نجد في هذه القصة إشارةً إلى أنَّ الله سيدين مثل هذا السلوك بمثل هذه الطريقة
اللحظية دائماً. لكننا نجد تجسيداً لموقف الله الثابت من المسيحيين الكذبة والمرائين،
هذا الموقف الذي يمثل عبرةً وإنذاراً لأجيال الكنيسة التي جاءت بعد ذلك.

وبشكل عام، يزخر تاريخ شعب الله القديم بمثل هذه الأمثلة عن دينونة الله في
التاريخ. فعندما أعطى الله الناموس للشعب، حذرهم عن طريق موسى من الدينونات
التي سيأتي بها عليهم إذا تمردوا عليه فيما بعد. من هذه التحذيرات النبوية، ما نقرأه في
لاويين ٢٦، حيث يحذر الله إسرائيل من الدينونات المتنوعة التي ستقع عليهم بسبب
عدم الطاعة. ثم يحذرهم من زيادة حدة الدينونة إذا استمر عصيانهم، حيث سيؤدي ذلك
إلى تشتتهم في العالم كله:

وإن كنتم بذلك لا تسمعون لي بل سلكتم معي بالخلاف فأنا أسلك معكم
بالخلاف ساخطاً وأؤدبكم سبعة أضعافٍ حسب خطاياكم. فتاكلون
لحم بنيكم، ولحم بناتكم تاكلون. وأُخرب مرتفعاتكم وأقطع شمساتكم
وألقي جثثكم على جثث أصنامكم وترذلكم نفسي. وأصير مدنكم خربةً
ومقادسكم موحشةً ولا أشتُم رائحة سروركم (لاويين ٢٦: ٢٧-٣٢).

وقد تحقق هذا تماماً، بغزو الجيوش الرومانية بقيادة تيطس لفلسطين عام ٧٠ م. لقد
تعرض اليهود المشتتون إلى الجوع حتى أنهم أكلوا لحم أولادهم وبناتهم. وقد تحطمت
مقادسهم (أماكنهم المقدسة) ودور عبادتهم، وبيع منهم الكثيرون عبيداً. وقد حذرهم
أيضاً من الحالة المخزية التي سيؤولون إليها بعد تشتيتهم قائلاً:

والباقون منكم أُلقي الجبانة في قلوبهم في أراضي أعدائهم فيهزمهم
صوت ورقةٍ مندفةٍ فيهربون كالهرب من السيف ويسقطون وليس
طارد. ويعثر بعضهم ببعض كما من أمام السيف وليس طارداً ولا
يكون لكم قيامٌ أمام أعدائكم (لاويين ٢٦: ٣٦-٣٧).

ويؤكد التاريخ هذه النبؤات بحذافيرها. فقد اتسمت حياة اليهود عبر التاريخ بالذل والخوف والهزيمة.

ومن الأمثلة على رحمة الله التي ترافق دينونته، ما نقرأه في سفر يشوع ٦، ٢ عن راحاب. لقد كانت راحاب زانية تنتمي إلى شعبٍ واقع تحت الدينونة، وتسكن في مدينة واقعة تحت الدينونة. لكنها استطاعت أن تلقي بنفسها في أحضان رحمة الله وذلك بايمانها وانكسارها أمامه. فخلصت هي وأهل بيتها، ثم دخلت في شعب الله، لتكون واحدة ممن تشرفن بأن يأتي المسيح من نسلهنَّ (انظر متى ١: ١-٥).

تؤكد هذه القصة بأنَّ الإنسان يستطيع أن يخلص من اللعنة المكتسبة من خلفيته أو وبيئته. فمهما كانت خلفيته مظلمة وبيئته فاسدة، يستطيع الإنسان أن يتمتع بالرحمة بدلاً من الدينونة، هذا إذا تاب وآمن. إنَّ ذلك الجزء من التاريخ البشري الذي يلقي الكتاب المقدس الضوء عليه، يبين تلازم رحمة الله ودينونته، حتى في وسط أقسى وأعنف الدينونات. إذ أنَّ الرحمة والنعمة هما مركز أهداف الله، لذلك يلخص صاحب المزمور عمل الله في التاريخ بهذه الكلمات:

من كان حكيماً يحفظ هذا، ويتعقل مراحم الرب (مزمور ١٠٧: ٤٣).

فالدرس الذي يتعلمه المؤمن الراسخ، هو أنَّ أمانة الله ثابتة في تحقيق عهوده ونعمته ورحمته. ولكن يجب أن نعرف بأنَّ دينونة الله النهائية والكاملة على أعمال الإنسان لا تتحقق في هذا العالم الحاضر. يقول بولس محذراً:

خطايا بعض الناس واضحة، تتقدم إلى القضاء (الدينونة). وأمَّا البعض فتتبعهم. كذلك أيضاً الأعمال الصالحة واضحة والتي هي خلاف ذلك لا يمكن أن تُخفى (١ تيموثاوس ٥: ٢٤-٢٥).

وتحذيرٌ مشابهٌ في سفر الجامعة:

لأنَّ القضاء (الدينونة) على العمل الرديء لا يُجرى سريعاً فلذلك قد امتلأ قلب بني البشر فيهم لفعل الشر (جامعة ٨: ١١).

تحذرنا هاتان الفقرتان من أنَّ دينونة الله لا تكتمل على الأرض، وهذا ينطبق على دينونة الأشرار كما ينطبق على مكافئة الأبرار. فلكي نحصل على إعلانٍ كامل عن دينونة الله النهائية، علينا أن نتخطى الزمن إلى الأبدية.

كرسي المسيح

يعلن العهد الجديد ثلاثة مشاهد متتالية للدينونة الأبدية. ويتميز كل منها عن الآخر بطبيعة الكرسي الذي يجلس عليه الديّان. ففي مشهد الدينونة الأول يسمى "كرسي المسيح" وسيقف أمامه أتباع المسيح المؤمنون وخدامه. أمّا في المشهد الثاني فيسمى "كرسي مجده (ابن الإنسان)" (متى ٢٥: ٣١) وسيقف أمامه الأمم الباقون على الأرض في نهاية الضيقة العظيمة وقبيل تأسيس ملك المسيح الألفي على الأرض. وفي المشهد الثالث يسمى "العرش العظيم الأبيض" (رؤيا ٢٠: ١١). ويقف أمامه بقية الأموات الذين يقومون في نهاية الملك الألفي.

دينونة المؤمنين أولاً

نبدأ بدارسة الصورة التي يقدمها العهد الجديد بالمشهد الأول من مشاهد الدينونة والذي يتم أمام كرسي المسيح. هذه الدينونة كما ذكرنا تخص المؤمنين الحقيقيين. وقد يبدو غريباً ومفاجئاً بأنّ المؤمنين سيقفون للدينونة. والواقع أنّ هذه حقيقة كتابية، فالمؤمنون هم أول من يقف أمام القضاء:

لأنه الوقت لا بدّاء القضاء من بيت الله. فإن كان أولاً منّا فما هي نهاية الذين لا يطيعون انجيل الله؟ وإن كان البار بالجهد يخلص فالفاجر والخطيء أين يظهران؟ (١ بطرس ٤: ١٧-١٨).

يقول بطرس بأنّ القضاء يبدأ منّا (المؤمنين). ويؤكد هذا عندما يبين الفرق بين المؤمنين وبين "الذين لا يطيعون انجيل الله". من الواضح أنّ بطرس يؤكد بأنّ هذه الدينونة تختص بالمؤمنين فقط.

ويذكر بولس دينونة المؤمنين في مقطعين مختلفين من رسائله:

- وأما أنت فلماذا تدين أخاك؟ أو أنت أيضاً لماذا تزدرى بأخيك؟ لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح (رومية ١٤: ١٠).
- فإذا كل واحدٍ منا سيعطي عن نفسه حساباً لله (رومية ١٤: ١٢).

العبارتان "أخاك" و"كل واحدٍ منا" تبينان بأن بولس يقصد دينونة المؤمنين. ويقصد بولس بأننا كمؤمنين يجب ألا نصدر أحكاماً نهائية على بعضنا ، لأن هذا هو عمل المسيح الذي سيدين كل واحدٍ منا، وكل واحدٍ منا سيعطي حساباً عن نفسه للمسيح. وكالعادة فإن الدينونة الأبدية هي مسألة فردية صرفة، هذا ما تؤكد العبارة التي استخدمها بولس: "كل واحدٍ منا" وهي الفكرة نفسها التي يكررها بولس في فقراتٍ أخرى مثل:

لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحدٍ ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً (٢ كورنثوس ٥: ١٠).

في هذا النص نرى المحتوى نفسه واللغة نفسها، فالدينونة هنا تخص المؤمنين فقط، وهناك تأكيدٌ على الفردية "كل واحدٍ".

ويضيف بولس بأن موضوع الدينونة هو: "ما كان بالجسد". أي سلوك وأعمال كل مؤمن في حياته على الأرض، وهذه الأعمال - كما يشير بولس - إما أن تكون "خيراً" أو "شراً" ولا مجال للحياد، فلا بد لأي عملٍ من أن ينتمي إلى إحدى الفئتين (السلبية أو الإيجابية). فإن كان دافع العمل هو غير الإيمان والطاعة، فهو عملٌ مرفوض عند الله وبالتالي فهو شر. بناءً على هذا المبدأ البسيط ينبغي أن يتوقع المؤمن الوقوف أمام كرسي المسيح.

وفي الفقرتين حيث يتحدث بولس عن دينونة المؤمنين، نقرأ العبارة "كرسي المسيح" عن مكان وقوع هذه الدينونة. والكلمة اليونانية المترجمة "كرسي" هي "bema" وهو منبرٌ عالي يستخدم لمخاطبة الناس. وفي موضعٍ آخر يستخدم العهد

الجديد الكلمة نفسها للدلالة على مكان القضاء الذي يستخدمه الامبراطور الروماني أو أحد معاونيه لسماع القضايا وإصدار الأحكام. فعندما استخدم بولس حقه كروماني ورفع دعواه إلى قيصر، قال:

أنا واقفٌ لدى كرسي ولاية قيصر حيث ينبغي أن أحكم
(أعمال ٢٥: ١٠).

فالكلمة المترجمة "كرسي" هنا هي "bema". وهي الكلمة نفسها التي استخدمت لوصف المكان الذي سيقف المؤمنون أمامه في الدينونة.

لا للإدانة بل للمجازاة

ما هي طبيعة الدينونة التي سيواجهها المؤمنون أمام كرسي المسيح؟ أول ما يجب تأكيده في هذا الصدد، هو أنَّ الهدف لن يكون إدانة المؤمنين. إنها حقيقةٌ مهمةٌ جداً، فالمؤمن في المسيح يتحرر من كل خوفٍ من جهة إدانته، وهذا ما يؤكد العهد الجديد في أكثر من موضع. يقول يسوع:

الذي يؤمن به (ابن الله) لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم
ابن الله الوحيد (يوحنا ٣: ١٨).

هذه الكلمات واضحةٌ وفاصلةٌ. فالمؤمن الحقيقي في المسيح لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين بسبب عدم إيمانه. وفي انجيل يوحنا أيضاً يؤكد المسيح هذه الحقيقة قائلاً:

الحق الحق أقول لكم: إنَّ من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله
حياةٌ أبدية ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة
(يوحنا ٥: ٢٤).

والمسيح هنا يقدم تأكيداً ثلاثياً لكل من يؤمن. فذلك المؤمن له (الآن) حياةٌ أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، وقد انتقل من الموت إلى الحياة. ويكرر بولس هذا التأكيد بقوله:

إذاً لا شيء من الدينونة^١ (condemnation) الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح (رومية ٨: ١).

هذه الفقرات كلها تبين بأن المؤمنين الحقيقيين في المسيح لن يدانوا، بسبب خطاياهم. فعندما يأتي الخاطئ إلى المسيح بالإيمان، ويقبله كمخلص، ويعترف به كرب. يُمحي سجل خطايه إلى الأبد، ولا يعود الله يذكرها فيما بعد. هذا الوعد نجده مرتين وفي أصحابين متتاليين من سفر إشعياء:

• أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها (إشعياء ٤٣: ٢٥).

• قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك (إشعياء ٤٤: ٢٢).

في هذين العديدين ذكرٌ للذنوب والخطايا. فالخطايا (sins) هي الأعمال الخاطئة التي ارتكبت من دون أن يكون لها علاقةٌ بشريعة أو ناموسٍ معروف. أما الذنوب (transgressions) فهي "المعاصي" (ت.ع.ج) أو التعديت المتعمدة على ناموسٍ معروف. لذلك يشبه الكتاب المقدس الذنوب بالغميم الكثيف، والخطايا بالسحابة الخفيفة. فالذنوب أشدُّ ظلمةً من الخطايا، إلا أنَّ نعمة الله أكثر من كافية لمحو الذنوب والخطايا معاً.

قلنا في الفصل الماضي بأنَّ هناك سجلاً كاملاً في السماء لحياة كل إنسان، يمكن مقارنة هذا السجل بشريط تسجيل عادي يمكن التسجيل عليه يمكن محو ما لا نرغب بوجوده عليه بإدارة الشريط ثانيةً على الجزء المطلوب وتميرير رأس التسجيل عليه. ويمكن مسح شريطٍ كامل في بضعة ثوان، باستخدام أداة خاصة لمسح الأشرطة، ثم يمكن استخدام الشريط نفسه للتسجيل من دون أي أثرٍ للتسجيل السابق.

هذا يشبه ما يحدث لسجل حياة الخاطئ الذي يتوب ويؤمن في المسيح، حيث يستخدم الله "ماسح الأشرطة الإلهي" ماحياً جميع الذنوب والخطايا بلا استثناء، ليحصل

١ يأتي المؤمن إلى الدينونة بمعنى (محاكمة - Judgment) ولا يأتي إلى الدينونة بمعنى (إدانة - Condemnation).

الإنسان بالتالي على (شريط) جديد نظيف تماماً، يمكن استخدامه لتسجيل حياة جديدة ملؤها الإيمان والبرّ. فإذا أخطأ الإنسان بعد ذلك ورجع تائباً ومعتزلاً، يمحو الله ذلك الجزء من (الشريط) ليعود نظيفاً تماماً كما كان.

• إن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم (١ يوحنا ١: ٩).

• يا أولادي أكتب اليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحدُ فلنا شفيعٌ عند الأب يسوع المسيح البار وهو كفّارةٌ لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً (١ يوحنا ٢: ١-٢).

فاذا اقترف المؤمن خطيئةً ثم تاب عنها واعترف بها، يمحى سجل تلك الخطية ويطهر المؤمن من كل إثم (عدم بر). فلا ينبغي للمؤمن في المسيح أن يخاف من الدينونة الأخيرة، فאלله يمحو خطاياه ويطهره من الإثم فيكون سجله خالياً. وبالتالي فإنه لن يُدان.

والآن، ما دام المؤمن لن يدان، فلماذا يحاسب المؤمنون؟ والإجابة هي أن دينونة المؤمنين تهدف إلى مكافئتهم، لا بحسب برّهم بل بحسب خدمتهم وطاعتهم للمسيح. فالمؤمن لا يحاسب بناءً على البرّ لأنّ برّه ليس هو برّه فعلاً، بل هو برّ المسيح الذي يحسب له بالإيمان، حيث أن:

(المسيح) صار لنا حكمةً من الله وبرّاً وقداًسةً وفداء (١ كورنثوس ١: ٣٠).

فالمسيح إذاً - وليس غيره - قد صار برّاً من الله،

لأنه (الله) جعل الذي لم يعرف خطيئةً خطيئةً لاجلنا لنصير نحن برّاً الله فيه (٢ كورنثوس ٥: ٢١).

وصرنا نحن برّاً الله في المسيح. فعندما نال المؤمن الخلاص على هذا الأساس، لم يعد من المنطقي أن يحاسبه الله أو حتى أن يستجوبه فيما يتعلق بالبرّ.

نستنتج إذاً بأن دينونة المؤمنين لن تتطرق إلى برّهم، بل إلى خدمتهم للمسيح. ولن يكون هدفها تقرير البراءة أو الإدانة، بل تحديد المكافئة بحسب خدمة المؤمن على الأرض.

امتحان النار

ويصف بولس دينونة المؤمنين للمكافئة فيما يلي:

فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح. ولكن إن كان أحدٌ يبني على هذا الأساس ذهباً فضةً حجارةً كريمة خشباً عشباً قشاً، فعمل كل واحدٍ سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبيّنه. لأنه بنارٍ يستعلن وستمتحن النار عمل كل واحدٍ ما هو. إن بقي عمل أحدٍ قد بناه عليه فسيأخذ أجره، إن احترق عمل أحدٍ فسيخسر وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار (١ كورنثوس ٣: ١١-١٥).

يؤكد بولس بأن هذه الدينونة لا تقع على نفس الإنسان بل على أعماله. فحتى لو احترق عمله كله، فإن نفسه تخلص. ويبين بولس السرّ في أن نفس المؤمن تكون آمنة عندما يقول:

فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح (ع ١١).

فهذه الدينونة تقتصر على أولئك الذين بنوا إيمانهم، لا على برّهم الذاتي أو أعمالهم الصالحة، بل على أساس يسوع المسيح وعلى برّه هو. وما دام إيمانهم ثابتاً على هذا الأساس فإن نفوسهم آمنة إلى الأبد.

وعندما يتعلق الأمر بتقييم أعمال المؤمنين، يضع بولس تلك الأعمال ضمن فئتين: الأولى، "ذهب وفضة وحجارة كريمة" والثانية، "خشب وعشب وقش"، وتختلف هاتان الفئتان بقدرتهما على تحمل النار. فالفئة الأولى "الذهب والفضة والحجارة الكريمة" يمكنها اجتياز النار من دون أن تحترق، أمّا الفئة الثانية "الخشب والعشب والقش" فإنها تحترق في النار تماماً.

هذه المفارقة بين هاتين الفتنتين تكشف لنا فوراً عن حقيقة مهمة، وهي أن النوعية هي أكثر أهمية عند الله من الكمية. فالذهب والفضة والحجارة الكريمة هي معادن ثمينة نادرة توجد بكميات قليلة، إلا أنها قيمة جداً. أما الخشب والعشب والقش فهي مواد تأخذ حيزاً كبيراً ويمكن الحصول عليها بكميات كبيرة لكنها ليست ثمينة نسبياً.

والآن ما هي تلك النار التي تُمتحن فيها أعمال المؤمنين؟ لنذكر بأن المسيح سيكون جالساً على كرسي القضاء، وكلنا (كمؤمنين) سنقف أمامه. عندها سنراه كما رآه يوحنا في رؤيا جزيرة بطمس:

أما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج وعيناه كلهيب نار،
ورجلاه شبه النحاس النقي كأنهما محميتان في أتون وصوته كصوت
مياه كثيرة (رؤيا ١: ١٤-١٥).

فرجلاه "شبه النحاس النقي" وهي محماة في أتون هي إشارة إلى نار الضيقة التي سيدين فيها الخاطئة. وعيناه "كلهيب نار" إشارة إلى بصيرته النافذة، والتي تميز وتقيم أعمال شعبه المؤمن. تلك النار التي تخترق أعماق المؤمنين الواقفين أمامه، ستحرق لحظياً وإلى الأبد، كل ما هو زائف وغير مخلص وريء من أعمال شعبه المؤمن. ويبقى بعد ذلك كل ما هو ثمين وحقيقي، فتنقيه تلك النار وتصفيه.

وبينما نحن ننظر في مسألة دينونة المؤمنين، يحتاج كل واحد منا أن يسأل نفسه هذا السؤال: كيف أخدم المسيح في هذه الحياة، بحيث تحتاز أعمالي امتحان النار في ذلك اليوم؟ والإجابة عن هذا السؤال نضعها في ثلاث نقاط ينبغي أن نمتحن أنفسنا على أساسها: الدافع، الطاعة، القوة.

١- ينبغي أن نفحص دوافعنا. هل غاية خدمتنا هي إرضاء نفوسنا وإشباعها

وتمجيدها، أم أننا نسعى إلى مجد المسيح وإلى تحقيق إرادته باخلاص؟

٢- ينبغي أن نفحص طاعتنا. هل نسعى إلى خدمة المسيح بحسب المباديء

والأساليب المعلنة في كلمة الله؟ أم أننا نصمم أساليبنا البشرية في الخدمة والعبادة، ثم نلصقها على اسم المسيح، ونلقبها بأسماء وعبارات مقتبسة من العهد الجديد؟

٣- ينبغي أن نفحص قوتنا. يذكرنا بولس بأنَّ "ملكوت الله ليس بكلام بل بقوة" (١ كورنثوس ٤: ٢٠). فهل نسعى إلى خدمة المسيح بقوتنا الجسدية الناقصة؟ أم أننا خاضعين للتجديد والتشديد بقوة الروح القدس؟ إن كنا كذلك نستطيع أن نقول مع بولس: "الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً مجاهداً بحسب عمله الذي يعمل فيَّ بقوة" (كولوسي ١: ٢٩).

بناءً على أجوبة هذه الأسئلة بخصوص الدافع والطاعة والقوة، يتوقف الحكم في يوم الحساب ذاك. عندما نقف جميعاً أمام كرسي المسيح.

الدينونة والخدمة المسيحية

قبل أن نخوض فيما تبقى من الدينونات الأخيرة سندرس أولاً المبادئ التي يكافئها المؤمنون بموجبها بالتفصيل. وقد حددها المسيح في مثلين من أمثاله: مثل الوزنات (انظر متى ٢٥: ١٤-٣٠)، ومثل الأمانة (انظر لوقا ١٩: ١١-٢٧).

تقييم الخدمة المسيحية

إنَّ الموضوع المركزي في المثلين واحد: رجلٌ غني وذو سلطان يضع قدراً من المال بين يدي كل خادمٍ أو عبدٍ من عبيده لكي يستثمره في غيابه، ثم يسافر إلى بلدٍ بعيد. وبعد فترةٍ من الوقت، يعود الرجل الغني ليحاسب عبيده كل واحدٍ بمفرده، إذ أنه كان قد وزع عليهم المال على انفرادٍ أيضاً.

وفي كلا المثلين ثلاثة عبيد: الأول والثاني كانا أمينين بالعمل في مال سيدهما، أمَّا الثالث فلم يكن أميناً. وقد قسّم الرجل المال في مثل الوزنات كما يلي: فأعطى واحداً خمس وزناتٍ وآخر وزنيتين وآخر وزنة. كلٌّ حسب طاقته (متى ٢٥: ١٥).

والوزنة هي مقدارٌ من المال يوازي أجرة خمسة عشر عاماً من العمل في ذلك الوقت تقريباً. لاحظ المبدأ الذي وزع الوزنات على أساسه: "كل واحد على قدر طاقته." فالله يعطي كل مؤمنٍ عدداً من الوزنات على قدر طاقته، القدر الذي يؤهله لاستخدام هذه الوزنات بفعالية. ولا يمكن أن يعطي الله للمؤمن عدداً أقل أو أكثر مما يستطيع أن يستخدمه بشكلٍ مثمرٍ وفعال.

وفي هذا المثل نجد أنَّ العبدَيْن الأول والثاني قد ضاعفا عدد الوزنات، فالذي أخذ خمس وزناتٍ ربح خمسةً أخرى، والذي أخذ وزنيتين ربح وزنيتين. وقد قِيم السيد أمانتهما لا بمقدار ما ربحا بل بنسبة ما ربحا. فالذي ربح الخمسة وزناتٍ لم يُعتبر أميناً أكثر من الذي ربح الوزنتين، بل اعتُبر كلاهما على القدر نفسه من الأمانة، لأنَّ كليهما حقق ربحاً بنسبة ١٠٠٪. لقد استخدم السيد الكلمات نفسها لمَدح العبدَيْن في متى ٢٥: ٢١، ٢٣:

فقال له سيده: نعماً أيها العبد الصالح والأمين كنت أميناً في القليل فاقمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك.

لقد أخذ كلاهما الحد الأعلى من الوزنات والذي يتناسب مع طاقة كلٍّ منهما. وربح كلاهما بنسبة ١٠٠٪. وقد حاسبهما السيد بالتساوي بناءً على أمانتهما المتساوية، وليس بناءً على عدد الوزنات التي ربحها كل واحد منهما.

أمَّا العبد الثالث فقد خبأ الوزنة، ثم أعادها كما هي لسيده عندما رجع من سفره. لهذا لم يكتف السيد بأن يحرمه من المكافئة، لكنه طرحه خارجاً وطرده من محضره نهائياً:

فأجاب سيده وقال له: أيها العبد الشرير والكسلان عرفت أنني احصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبذر. فكان ينبغي أن تضع فضتي عند الصيارفة فعند مجيئي كنت أخذ الذي لي مع رباً. فخذوا منه الوزنة وأعطوها للذي له العشر وزنات. لأنَّ كل من له يعطى فيزداد ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه. والعبد البطل اطرحوه إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان (متى ٢٥: ٢٦-٣٠).

إنَّ النص واضحٌ جداً. لقد أُخذت الوزنة من ذلك العبد، وطُرح بعيداً عن محضر سيده.

لننتقل الآن إلى مثل الأمانة في لوقا ١٩. (والأمانة جمع "منا" وهي أجرة عمل ثلاثة أشهر في ذلك الوقت).

في هذا المثل عشرة عبيد، ويصف المثل ما حدث مع ثلاثةٍ منهم فقط. فقط أعطى السيد مناً واحداً لكلٍ من عبيده العشرة، وكان هناك تفاوتٌ في مقدار أمانتهم. فالأول ربح ضعف ما ربحه الثاني، فكانت مكافئته مضاعفةً أيضاً حيث نقرأ:

فجاء الأول قائلاً: يا سيد مناك ربح عشرة أمناء. فقال له: نعماً أيها العبد الصالح. لأنك كنت أميناً في القليل فليكن لك سلطانٌ على عشر مدن. ثم جاء الثاني قائلاً: يا سيد مناك عمل خمسة أمناء. فقال لهذا أيضاً: وكن أنت على خمس مدن (لوقا ١٩: ١٦-١٩).

لقد اختلفت مكافئة العبد الأول عن الثاني في جانبين: فقد مدح السيد عبده الأول إذ وصفه بالعبد الصالح، الأمر الذي لم يتمتع به العبد الثاني. ثم أن العبد الأول أخذ سلطاناً على عشر مدنٍ والثاني على خمسٍ فقط. فالمكافئة كانت تتناسب مع مقدار الربح الذي حققه كلٌ منهما.

نستنتج من هذا المثل أيضاً، أن مكافئة المؤمن الأمين في خدمة المسيح تتضمن التمتع بسلطانٍ ومسؤوليةٍ في ملكوت المسيح الآتي. إن الاستمرار بخدمة المسيح في الدهر الآتي هي أعظم فرحٍ وأسمى امتيازٍ يمكن أن يتمتع به المؤمن الذي أحب المسيح فعلاً في هذا الدهر. هذا الامتياز الذي يناله الأمناء، يبدأ هنا على الأرض وفي هذا الزمان، ثم يمتد إلى الدهور الأبدية.

في هذا المثل (مثل الأمناء) كما في مثل الوزنات، يوصف العبد الثالث بعدم الأمانة في استخدام المنا الذي أوتن عليه:

فقال له (السيد): من فمك أدينك أيها العبد الشرير. عرفت أنني إنسانٌ صارمٌ أخذ ما لم أضع وأحصد ما لم أزرع. فلماذا لم تضع فضتي على مائدة الصيارفة فكنت متى جئت استوفيتها مع رباً؟ ثم قال للحاضرين: خذوا منه المنا وأعطوه للذي عنده العشرة الأمناء (لوقا ١٩: ٢٢-٢٤).

لقد أخذ السيد المنا الذي كان مع ذلك العبد بدلاً من أن يكافئه. ولا نعرف مصير ذلك

العبد بعد ذلك، لكن من المعقول أن نستنتج بأنه طُرِدَ من محضر سيده كذلك العبد في مثل الوزنات.

لقد استخدم الرب لهجةً شديدة في وصفه للعبد غير الأمين في المثليين، فقد خاطبه سيده قائلاً: "أيها العبد الشرير" قبل إصدار الحكم عليه. ومن هنا نستنتج بأنّ (الشر) بالمقياس الإلهي، لا يتضمن الأعمال السيئة فقط، لكنه يتضمن عدم الأمانة في عمل ما هو صالحٌ عندما يكون في مقدورنا عمله،

فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطيةً له (يعقوب ٤: ١٧).

فخطية الإهمال ليست أقل خطورةً من خطية الأعمال.

نجد هذه الفكرة نفسها في نبوة ملاخي عن الدينونة الإلهية:

فتعودون وتميزون بين الصديق والشرير،

بين من يعبد (يخدم) ^١ الله

ومن لا يعبد (يخدمه NKJV) (ملاخي ٣: ١٨).

فيميز الله بين الصديق (البار) والشرير، بأنّ الأول يخدمه والثاني لا يخدمه. فعدم خدمة الله هو شرٌّ بحد ذاته. فالشر هو الذي سبب إدانة ورفض العبد غير الأمين في المثليين. ولم يكن الشر هو عملٌ شريراً قام به ذلك العبد، بل فشله في عمل الصالح الذي كان بمقدوره أن يعمل. وهذا المبدأ سيطبق - كما يشير المسيح - على كل من يدعي خدمة وتبعية المسيح.

في الفصل السابق درسنا مقطعاً كتابياً يتحدث عن المؤمنين الذين تُرفض أعمالهم وتُحرق في نار الدينونة، بينما تخلص نفوسهم (أنظر ١ كورنثوس ٣: ١١-١٥). لكننا نلاحظ بأنّ العبد غير الأمين، في مثلي الوزنات والأمناء، لم يُحرم من المكافئة فحسب، لكنه طُرِدَ من محضر سيده. وهذا يقودنا إلى السؤال التالي: ما الفرق بين هاتين الحالتين من المنظور الإلهي؟ لماذا تُرفض الأعمال ويُقبل الإنسان في الحالة

١ الكلمتان "يخدم" و "يعبد" هما من أصل لغوي واحد.

التي يصفها بولس، بينما يُحرم العبد في أمثال يسوع من المكافئة ويُرفض هو أيضاً من حضرة الله إلى الأبد؟ والواقع أنَّ الفرق يكمن في أنَّ الحالة التي يصفها بولس، تشير إلى أشخاص حاولوا أن يخدموا الله بالفعل. فالخشب والعشب والقش يبين أنهم عملوا الكثير، لكن عملهم لم يكن من النوعية التي تصمد عندما تُمتحن بالنار. لذلك فإنهم يخلصون - رغم أنهم لن يكافئوا - لأنَّ أعمالهم تلك تدل على وجود إيمان حقيقي في المسيح. فتخلص نفوسهم وتحترق أعمالهم.

من جهةٍ أخرى، نجد أنَّ العبد غير الأمين الذي أخذ المنا، لم يعمل شيئاً لسيدة على الإطلاق. مما يدل على أنَّ إدعائه الخدمة والإيمان لم يكن مخلصاً.

هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت (يعقوب ٢: ٢٦).

فالإيمان الذي لا ينتج عملاً على الإطلاق، هو إيمانٌ فارغٌ وكاذب وبلا قيمة. ليس لأنه لا يُنتج أعمالاً يُكافىء الإنسان عليها فحسب، لكنه لا يوفر ضماناً لخلاص من يجاهر به. إنَّ الإنسان الذي يجاهر بالإيمان في المسيح، من دون أن يسعى لخدمة المسيح بفعاليةٍ هو إنسانٌ مرائي. ويُحكم على مثل ذلك الإنسان بأن يُطرح "إلى الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (انظر متى ٢٤: ٣٠، ٥١ ولوقا ١٢: ٤٦). هذا المكان حيث الظلمة والبكاء وصرير الأسنان، هو مكانٌ يُحكم على المرائين بالذهاب إليه، وهو مكان ذلك العبد غير الأمين. فهو مرائي في الحقيقة، ومكانه هو الظلمة الخارجية.

الملائكة تجمع المرائين

يقودنا موضوع دينونة العبد المرائي إلى استنتاجٍ مهم يتعلق بالأحداث التي ستنتهي إلى الدينونة أمام كرسي المسيح، فقبل أن يؤخذ المؤمنون للوقوف أمام كرسي المسيح، يفرز من بينهم المراءون أولاً ويدانون بحسب ريائهم وكذبهم. ونجد وصفاً لهذه الدينونة في مثلين من أمثال الملكوت هما: مثل الحنطة والزوان ومثل الشبكة التي تُطرح في البحر (انظر متى ١٣). في دراستنا لهذين المثلين وغيرهما في متى ١٣،

علينا أولاً أن نحدد معنى العبارة "ملكوت السموات". ففي متى ١٢: ٢٥-٢٨ وفي لوقا ١١: ١٧-٢٠ يتحدث يسوع عن مملكتين متعارضتين: ملكوت الله أو السموات، ومملكة الشيطان. وستبقى هاتان المملكتان معاً حتى نهاية هذا الدهر الحاضر. ملكوت الله يتضمن كل الخاضعين لحكمه العادل، بينما تحتوي مملكة الشيطان كل الرافضين لسيادة وحكم الله.

وفي رسالته إلى أهل أفسس، يكشف بولس عن وجود مستويين في مملكة الشيطان، المستوى الأول يتضمن جمعاً من الملائكة الشريرة الساقطة التي انفادت وراء الشيطان في عصيانه (انظر أفسس ١٢: ٦)، والمستوى الثاني هم البشر الذين عصوا الله، ويسميهـم "أبناء المعصية" (أفسس ٢: ٢) الذين يعمل فيهم "رئيس سلطان الهواء".

ويعتبر "إنجيل الملكوت" الذي أعلنه المسيح ورساله، دعوةً من الله للعصاة من البشر - لا للملائكة الساقطين - للهروب من دينونة الشيطان والدخول في ملكوت الله. ومن يقبل هذه الدعوة ينبغي أن يحقق شرطين: التوبة عن العصيان، والخضوع للمسيح الملك.

والواقع أن مثل الحنطة والزوان ومثل الشبكة، يعلنان بأن بعض أولئك الذين يظهرون وكأنهم ينتمون إلى ملكوت الله، لم يحققوا بالفعل هذين الشرطين بل تظاهروا بذلك. وبالتالي فهم لم يتغيروا من الداخل كما يليق بأبناء الملكوت. وهناك هدفٌ مشتركٌ واحد في هذين المثليين، هو إظهار الدينونة الخاصة التي ستقع على مثل أولئك المرائين في نهاية الدهر الحاضر.

في المثل الأول، يسأل العبيد صاحب الحقل إن كان بإمكانهم جمع الزوان،

فقال: لا، لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه (متى ١٣: ٢٩).

وهذا يشير إلى صعوبة التمييز بين الحنطة والزوان. وكان يمكن أن يكون هذا سهلاً لو أن الزوان يرمز إلى أولئك الذين لم يدعوا الإيمان في المسيح أصلاً، ويقدم المسيح

تفسيراً كاملاً للمثل قائلاً:

الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان، والحقل هو العالم، والزرع الجيد هو بنو الملوكوت، والزوان هو بنو الشرير، والعدو الذي زرعه هو إبليس، والحصاد هو انقضاء العالم، والحصادون هم الملائكة. فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا سيكون في انقضاء هذا العالم. يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعائر وفاعلي الإثم. ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. حينئذٍ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم. من له أذنان للسمع فليسمع (متى ١٣: ٣٧-٤٣).

يفسر يسوع الزوان على أنه "بنو الشرير" ووجودهم في الحقل ليس صدفة، لكن إبليس زرعه بين الحنطة. إنها استراتيجية شيطانية يُزرع فيها المرائين بين المؤمنين الحقيقيين، فيُطعن في مصداقية شهادة الكنيسة.

ويتابع يسوع تفسيره مبيناً بأن الملائكة ستجمع المرائين من بين المؤمنين عند انقضاء الدهر للدينونة، ثم تطرحهم الملائكة في النار حيث البكاء وصرير الأسنان. بعد ذلك "يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم"... أي أن المرائين يُجمعون أولاً ويُطرحون في أتون النار، ثم يستعلن المؤمنون بمجد القيامة.

ويحتوي مثل الشبكة على هذا الإعلان نفسه:

أيضاً يشبه ملكوت السموات شبكةً مطروحةً في البحر وجامعةً من كل نوع. فلما امتلأت أصعدوها على الشاطئ وجلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعية، وأما الأردياء فطرحوها خارجاً. هكذا يكون في انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار. ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان (متى ١٣: ٤٧-٥٠).

تمثل الشبكة إنجيل الملوكوت المعلن في العالم كله. وما جمعته من كل نوع يمثل كل الذين تجاوبوا مع دعوة الإنجيل، فهم أناس من كل نوع فيهم الجيد والرديء، فيهم البار

والشرير. وفي انقضاء العالم تفرز الملائكة الأشرار من بين الأبرار، وتطرحهم في أتون النار. وبعد ذلك يمضي الأبرار لكي يأخذوا مكافأتهم وبركاتهم في الأبدية مع المسيح.

ونرى في هذا الإعلان سبباً آخر يؤكد بأن هذه الدينونة (أمام كرسي المسيح) لن تؤدي إلى إدانة أحد. فالملائكة تكون في ذلك الوقت، قد جمعت المرائين وطرحتهم بعيداً. فكل الذين يقفون أمام كرسي المسيح هم الأبرار الباقين بعد ذلك. وهم الذين حُفظت نفوسهم للأبدية حسب إيمانهم المبني على برِّ المسيح. ويصف كاتب المزمور عملية فرز المرائين والمنافقين عن الأبرار قبل الوقوف أمام كرسي المسيح:

ليس كذلك الأشرار،

لكنهم كالعصافة الذي تذرّيهما الريح.

لذلك لا تقوم الأشرار في الدين (Judgment)

ولا الخطاة في جماعة الأبرار (مزمور ١: ٤-٥).

يشبّه الأشرار في هذه النبوة بالعصافة (ما يسقط من السنابل كالتبن)، وهذا يتضمن أن الأبرار هم الحنطة الحقيقية. فقبل أن تجمع الحنطة إلى المخازن، يذرّى منها التبن أولاً. هكذا يفصل الأشرار أولاً عن الأبرار، فيطرح الأشرار في النار بينما يقف الأبرار أمام كرسي المسيح للمكافئة. لذلك يقول صاحب المزمور بأن الأشرار لن يقفوا في هذه الدينونة، ولن يُعترف بهم بين جماعة الأبرار. فالأبرار فقط يقفون أمام كرسي المسيح. بينما تطرح الملائكة المرائين في مكانٍ للعذاب قبل ذلك.

الدينونات النهائية

أشرنا في الفصل الخمسين إلى أنَّ دينونة الله الأبدية تتحقق في ثلاثة مشاهد متتالية:

أولاً: دينونة المؤمنين أمام كرسي المسيح.

ثانياً: دينونة الأمم في نهاية الضيقة العظيمة أمام كرسي مجد المسيح.

ثالثاً: دينونة بقية الأموات في نهاية الملوك الألفي أمام العرش الأبيض العظيم.

لقد سبق وبحثنا أول هذه المشاهد، ألا وهو دينونة المؤمنين أمام كرسي المسيح. وننتقل الآن إلى المشهد الثاني: دينونة الأمم في نهاية الضيقة العظيمة.

دينونة الأمم

يقدم لنا المسيح صورة حية عن دينونة الأمم في متى ٢٥: ٣١-٤٦. ليست هناك إشارة واحدة على أنَّ هذه الأعداد هي مجرد مثل، لكنها نبوة مباشرة يستخدم الرب فيها صورة الراعي وكيف يتعامل مع قطيعه، فلننظر في مدخل هذه الأعداد:

ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذٍ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار (متى ٢٥: ٣١-٣٣).

أمَّا الخراف فهم الذين قبلهم الله فأدخلهم إلى الملكوت المعد لهم قبل تأسيس العالم وهو الملك الألفي. أمَّا الجداء فهم الذين رفضهم الله فأرسلهم إلى عقابهم الأبدي، النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته. فلن يرسل الله أولئك الأمم المرفوضين إلى

الهاوية، بل مباشرةً إلى بحيرة النار التي طُرح فيها كلُّ من الوحش و النبي الكذاب من قبل. هذا هو هدف هذه الدينونة.

وتعتمد عملية فرز الخراف والجداء على مبدأ محدد واحد، وهو الكيفية التي عامل بها الأمم شعب يسوع. ففي متى ٧: ١٣-٢٤ يقدّم يسوع صورة نبوية حول الأحداث والنزعات التي تسود أواخر هذا الدهر وتسبق مجيئه، فيقول:

لأنه تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن. ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع. حينئذٍ، يسلمونكم إلى ضيق، ويقتلونكم، وتكونون مُبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي. وحينئذٍ، يعثر كثيرون، ويسلمون بعضهم بعضاً، ويبغضون بعضهم بعضاً. ويقوم أنبياء كذبة كثيرون، ويضلون كثيرين، ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص.

فهناك إذاً:

- حروب كبيرة على مستوى العالم، وتكاثر في المجاعات والأوبئة والزلازل. وهي كلها "مبتدأ الأوجاع (أول المخاض - كتاب الحياة)" والتي تؤدي إلى تأسيس ملكوت الله على الأرض (ع ٧-٨).
- اضطهادات لشعب يسوع في كل العالم (ع ٩).
- ضغوط كبيرة على المؤمنين حتى أن بعضهم يضعف ويستسلم ويخون إخوته الآخرين (ع ١٠).
- زيادة كبيرة في عدد الأنبياء الكذبة تؤدي إلى تأسيس الكثير من الأديان والبدع (ع ١١).
- زيادة سريعة وعالمية في العنف والخروج عن القانون تؤدي إلى برودة محبة الكثيرين من المؤمنين (ع ١٢).
- ثبات وصبر آخرين من المؤمنين إلى النهاية، الأمر الذي يؤدي إلى مكافئتهم على ما تمتعوا به من أمانة وصبر (ع ١٣).

تشكل هذه الأحداث كلها معاً أساساً يعتمد عليه المسيح للفصل بين الخراف والجداء. فالجداء، التي برهنت على كراهيتها لله من خلال أعمال الكراهية ضد شعب يسوع، ستدان باعتبارها عدوة لله. أما الخراف، التي أظهرت الرحمة والمحبة لشعب يسوع المضطهد، فقد تمت شروط قبول رحمة الله كما يؤكد وعد يسوع في متى ٥: ٧: طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون.

وتكتمل دينونة الأمم بفصل الجداء عن الخراف، ويدخل كل من يُحسب مستحقاً إلى مرحلة الملك الألفي، وذلك بعد اجتياز مرحلة الدينونة بسلام، وتبدأ ألف سنة من السلام والازدهار تحت ظل سيادة المسيح الملك على كل الأرض.

في نهاية الألف سنة، يقوم الشيطان بمحاولته الأخيرة لإثارة عصيان الأمم على المسيح وعلى مملكته. وسرعان ما ينتهي هذا العصيان بتدخل إلهي مباشر، ويُطرح الشيطان في بحيرة النار ليرافق الوحش والنبي الكذاب، وتنتهي قوة الشيطان إلى الأبد. أما المتمردون من البشر آنذاك فيفرزون جانباً، وينادى الأموات الذين لم يقوموا بعد من كل العصور السابقة ليدانوا، وهكذا تنزاح الستارة عن المشهد الثالث والأخير من مشاهد الدينونة الأبدية.

العرش الأبيض العظيم

ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض، والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء، ولم يوجد لهما موضع! ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله، وانفتحت أسفار. وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة، ودين الأموات ممّا هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم، وسلّم البحر الأموات الذين فيه وسلم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما، ودينوا كل واحد بحسب أعماله. وطُرح الموت والهاوية في بحيرة النار. هذا هو الموت الثاني. وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طُرح في بحيرة النار (رؤيا ٢٠: ١١-١٥).

هذه هي نهاية الخطية والعصيان ضدَّ سلطان الله الجبار وقداسته، إنها بحيرة النار الأبدية التي لا ينجو منها إلا المكتوبين في سفر الحياة، حيث لا تُكتب إلا أسماء أولئك الذين احتموا بالإيمان في رحمة الله ونعمته أثناء حياتهم على الأرض. ويقع هؤلاء في فئاتٍ مختلفة، فمنهم أولئك الذين وضعوا ثقتهم في ذبيحة المسيح الكفارية من أجل البشر، وقد قام جميع هؤلاء من الأموات في بداية الملك الألفي ووقفوا أمام كرسي للمسيح لا للإدانة بل للمكافأة.

أما الذين يقفون أمام العرش الأبيض العظيم فيبدو أن معظمهم من الذين لم يحققوا مطالب رحمة الله، لذلك يكون مصيرهم الإدانة والطرح في بحيرة النار. لكننا أكدنا في الفصل السادس والأربعين على وجود فئتين أخريين أمام العرش الأبيض العظيم، ممن ينجون من الإدانة ويدخلون الحياة الأبدية:

تتضمن الفئة الأولى أناساً مثل ملكة الشمال ورجال نينوى الذين احتموا في رحمة الله حسب مقدار الحق المحدد الذي أعلنه الله لهم عن نفسه. ولا يشير الكتاب المقدس إلى عدد أولئك الذين يندرجون تحت هذه الفئة في التاريخ، أما الفئة الثانية فهم أولئك الذين رقدوا مؤمنين أثناء الملك الألفي.

هل نستطيع أن نتوقع وجود فئات أخرى تحظى برحمة الله أمام العرش الأبيض العظيم؟ إجابة هذا السؤال تبقى في علم الله الكلي المعرفة. فمن الحماقة أن نقم أنفسنا في مثل هذه التخمينات وهي تتجاوز معرفتنا المحدودة ومنظورنا الضيق. والأفضل أن نتمسك بذلك الموقف الذي عبّر عنه إبراهيم قائلاً:

أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟! (تكوين ١٨: ٢٥).

فأولئك الذين ذاقوا رحمة الله التي لا تقاس، يدركون بلا أدنى شك، بأن الله لا يمكن أن يحجب رحمته إلا عن أولئك الذين رفضوها.

فلنحذر - على أية حال - من الاعتقاد بأننا نستطيع أن نحيط علماً بكل ما يتعلق بتفاصيل دينونة الله. فالدراسات التي يتضمنها هذا الكتاب تلمس بالكاد بعض

الجوانب المحددة التي رأى الله أن يعلنها في كلمته. بينما هناك جوانبٌ أخرى تفوق مجال استيعابنا. فلا يسعنا إذاً إلا أن نشارك بولس في خشوعه ودهشته عندما يقول:

يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه
عن الاستقصاء! (رومية ١١: ٣٣).

وهي عبارة تصلح لاختتام هذه الدراسة النظامية للأسس العقائدية الستة في الإيمان المسيحي التي هي موضوع كتابنا هذا. لقد أكدنا في هذه الدراسة على وضع الأسس الكتابية العقائدية، والتي ينبغي أن يبني عليها كل مؤمنٍ بثبات. وبعد أن نضع هذه الأسس، نستطيع أن "نتقدم إلى الكمال" كما توصينا كلمات عبرانيين ٦: ١. فلنبنِ إذاً على هذا الأساس، إلى أن نستكمل بناء صرح الإيمان في حياتنا عقائدياً وعملياً، فكلمة الله التي كشفت لنا عن هذا الأساس، تكشف لنا أيضاً كيف نبني عليه متقدمين إلى الكمال. وأخيراً، أُقدِّم هذه النصيحة إلى كل الذين تابعوا معي هذه الدراسات منذ البداية، فأقول مقتبساً من حياة بولس:

استودعكم يا إخوتي الله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم، وتعطيكم ميراثاً
مع جميع المقدَّسين (أعمال ٢٠: ٣٢).

أمثال يسوع	الأبدية ٤٠٨-٤١١
الابن الضال ١٠٧	إبراهيم ١١٩-١٢١، ١٣٥-١٣٦،
الأمناء ٥٠٤-٥٠٥	١٥١-١٥٢، ٢٥٢، ٤٠٩-٤١٠،
الحنطة والزوان ٥٠٧-٥٠٩	٤٣١-٤٣٢، ٤٦٨-٤٦٩
الرجل العاقل والرجل الجاهل	حضن إبراهيم ٤٢٠، ٤٢٣
٣٤-٣٣	إحسان الله (هباته) ٩٠، ١٠١، ١٣٢-
الشبكة ٥٠٩	١٣٣، ٢٩٢-٢٩٧
الوزنات ٥٠٣-٥٠٤	الاختطاف ٤١٢، ٤٥٢-٤٥٥
الإنجيل ١٣٥-١٣٧	إدارة الكنيسة ٣٩٦-٤٠٦
أنطاكية (كنيسة) ٣٩٦-٤٠٦	الإرسالية (بولس وبرنابا) ٣٩٨-٤٠١
إيل شداي ٤٠٩	الأساس
بحيرة النار ٤٥٩-٤٦٠، ٤٦٢	أساس الخلاص ٢٩-٣٢
البرّ ١٢٥-١٢٧، ١٧٣-١٨١، ٣٥٨-	البناء على الأساس ٣٣-٤١
٣٦٢	العقائد الأساسية ١٠٥، ١٨٣،
بطرس (دوره في الكنيسة) ٢٦-٢٧	٣٧٧، ٤٧٦
تجديد الذهن ٨٨-٨٩	الاستنارة الذهنية ٦٩-٧١
تجربة المسيح ٤٧، ٧٦-٧٧، ٢٩٨-	الأسقف ٤٠٢-٤٠٣
٢٩٩	الإعلان الإلهي ٢٩-٣٠، ٩٢-٩٨،
التقدمات (قايين وهابيل) ٣٧٢-٣٧٣	٣١٦-٣١٨ (انظر أيضاً الاستنارة
التلمذة ٣٥-٣٦، ٢٠٢-٢٠٣	الذهنية)
التوبة ١٠٦-١١٣، ١٩٤-١٩٦، ٢٠٠	الألسنة
التوراة (الأسفار الخمسة-Pentateuch)	التكلم بالألسنة ٢٠٤-٢٠٥،
٤٦	٢٢٥-٢٢٩، ٢٤١-٢٤٨،
ثمر الروح ٢٤٣، ٢٥٠	٢٩١، ٣٥١-٣٥٢
الجسد	موهبة الألسنة ٢٤١-٣٤٨،
جسد المسيح ٣٥٠	٣٣٢-٣٣٤
ذبيحة حياة ٨٨	الله (الديّان) ٩٨، ٤٧٦-٤٨٠

- هيكل الروح القدس ٧٤،
٢٥٧-٢٥٦
- العرش الأبيض العظيم ٥١٣-
٥١٥
- الذهن
الاستنارة الذهنية ٦٩-٧١
تجديد الذهن ٨٨-٨٩
راحاب ١٥٢-١٥٣، ٤٩٣
الرسول ٣٩٩
تعيين الرسل ٣٩٦-٤٠١
الروح القدس (انظر أيضاً المعمودية
في الروح القدس)
إظهارات الروح ٢٢٥-٢٢٩
إطفاء الروح ٣٨
الامتلاء من الروح ٧٦-٧٧
ثمر الروح ٢٤٣، ٢٥٠
رؤيا يوحنا ٤٥٥-٤٥٧، ٤٥٩-٤٦٠،
٥٠١
الزمن (نهايته) ٤٠٨-٤١٣، ٤٥٨-٤٦٤
سلاح الله ٤٧٩-٤٨٠
السلطان
السلطان الروحي ٣٠٢-٣٠٣
سلطان الكلمة ٤٥-٥١
السماء (مصير المؤمنين) ٤٢٤-٤٢٥
الشفاء ٦٢-٦٩، ١١٨-١١٩
الشماسة ٤٠١-٤٠٦
الشهادة (بالإنجيل) ٣٠١-٣٠٥
الشهيد
استفانوس ٤٢٤
- الجماعة (المتلثة من الروح) ٣٣٨-٣٥٥
جهنماً ٤٦٢
الحرب الروحية ٧٦-٨١، ٢٩٧-٢٩٩،
٣٩٤-٣٩٥
الحرية الروحية ٣٣٨-٣٤٦
الخروج ٢٧٧، ٢٨٠
الخطية
الانتصار على الخطية ٧٢-٧٥
خطية الإنسان الأولى ١٥٥
الخلاص ١٣٧-١٤٣، ١٤٤-١٤٨
أساس الخلاص ٢٩-٣٢
الخليقة ٤٠، ٤١٠
الخمسون (يوم) ٢٢٦-٢٢٧، ٢٣٢
خوف الرب ٥٣-٥٤
دم المسيح ٨٠، ٨٣-٨٥، ٢٦٤-٢٦٦،
٢٧٦-٢٧٧
الدينونة ٣٥٨-٣٦٣
تقييم الخدمة المسيحية ٥٠٣-
٥٠٧
الدينونة الأبدية ٤٧٦-٥١٥
دينونة الأمم ٥١١-٥١٣
الدينونة في التاريخ ٤٨٧-
٤٩٤
كرسي المسيح ٤٩٥-٥٠٢

- شهداء الضيقة ٤٥٧-٤٥٥
الشیطان
الانتصار على الشیطان ٧٦-٧٨،
٢٩٨-٢٩٩
العصیان الآخر ٤٥٩-٤٦٠
النشاط الشیطانی ٣٩، ٢٩٨،
٣٤٢-٣٤١ (انظر أيضاً الحرب
الروحیة)
الشیوخ ٣٩٢-٣٩٣
تعیین الشیوخ ٤٠١-٤٠٦
شیول ٤٢٠، ٤٦٢ (انظر أيضاً الهاویة)
الصخرة (Petra , petros) ٢٦-٢٨
الصدوقیون ٤٨، ١٩٥
صعود المسیح ٤٤٦-٤٤٧
الصلاة (متقده بالروح) ٣١٣-٣١٦
صهیون (جبل) ٤٧٦-٤٧٧
الصوم ٣٩٦-٣٩٨
الضيقة ٤٥٥-٤٥٧،
الطاعة ١٣٠، ١٣٣، ١٥١-١٥٢،
١٨٠-١٨١
طبیعة الإنسان
الجدیة ٥٧-٥٨، ٦٢، ٧١،
١٧٨-١٧٩
القدیمة ٥٨
العبادة ٣١١-٣١٢
العرش الأبيض العظیم ٥١٣-٥١٥
(انظر أيضاً الدینونة)
- العشاء الآخر ١٨٦
العلیة ٣٨٧-٣٨٨
العهد (Covenant) الجدید ١٧٨-١٧٩،
٢٦٤
العهد (Testament)
الجدید ٤٩-٥١
القدیم ٤٧-٤٩
غضب الله ٤٧٩-٤٨٠
الفردوس ٤٢٢-٤٢٣، ٤٦٤
الفریسیون ١٩٥
الفصح ٢٧٧
فوق الطبیعی ٣١٠-٣١٨
العلامات فوق الطبیعیة ٣٦٧-
٣٧٢، ٣٨٧-٣٨٩
القداسة والتقدیس ٨٢-٩١
القوة الروحیة ٢٩٧-٢٩٩
القیادة الروحیة ٣١٩-٣٢٤
القیامة
قیامة الأبرار ٤٥٢-٤٥٧
القیامة الأخیره ٤٦٠-٤٦٣
قیامة الأموات ٤١١-٤١٣،
٤٢٥-٤٢٩، ٤٤٠-٤٧٤
القیامة الأولى ٤٥٦-٤٥٧
قیامة الجسد ٤٦٥-٤٧٤
قیامة المسیح ٤٣٠-٤٣١،
٤٣٦-٤٣٩، ٤٤٣-٤٤٧

- مراجع من العهد القديم ٤٣٠-٤٣٩
- الكتاب المقدس ٣٤-٤١
- كلمة الله ٤٢-٥١ (انظر أيضاً كلمة)
- الكفارة ١٦٧، ١٧٠، ٢١١-٢١٥، ٢٦٤-٢٦٦
- الكلمة
- دينونة الكلمة وحكمها ٣٨، ٩٨-١٠٢، ٤٨٠-٤٨٦
- زرع (بذار) الكلمة ٥٧-٥٨، ٦٢، ٧١، ٤٦٦، ٤٦٨
- سلطان الكلمة ٤٥-٥١
- سيف الروح ٥٤-٥٥، ٧١، ٧٦-٧٧، ٢٩٩، ٣٦٣-٣٦٦
- ٤١٤
- الطهارة بالكلمة ٨٢-٨٥، ٨٩
- الغذاء الروحي ٥٨-٦١، ٢٨٦-٢٨٧
- المجيء الثاني ٤٤٨-٤٥٥
- المحبة الإلهية (agape) ٣٢٨-٣٣٦
- المسحة
- الدهن بالزيت ٣٨١-٣٨٣
- مسحة الروح القدس ٣٦٩-٣٧٠
- كيفية قبولها ٢٦٧-٢٧٥
- المسيح
- أساس الكنيسة ٢٥-٢٦
- الباكورة ٤٤٣-٤٤٧
- تجربة المسيح ٤٧، ٧٦-٧٧، ٢٩٩-٢٩٨
- تمجيد المسيح ٣٠٩-٣٠٥
- حمل الفصح ٢٧٧
- دم المسيح ٨٠-٨٣، ٢٦٤-٢٧٦، ٢٧٧
- رئيس كهنة ١٢٤
- الصخرة ٢٩، ٣٤، ٢٨٧
- صعود المسيح ٤٤٦-٤٤٧
- قيامة المسيح ٤٣٠-٤٣١، ٤٣٦-٤٣٩، ٤٤٣-٤٤٧
- كلمة الله ٣٤-٣٥
- معمودية المسيح ١٩٦-١٩٩
- المعمودية (يعمّد) ١٨٣-١٩٢ (انظر أيضاً المعمودية في الروح القدس)
- شروط المعمودية ٢٠٠-٢٠٢
- معمودية الأطفال ٢٠٣-٢٠٥
- معمودية الآلام ١٩٠-١٩١
- معمودية المسيح ١٩٦-١٩٩
- المعمودية المسيحية (في الماء) ١٩١، ١٩٣-١٩٩، ٢٠٠-٢٠٨
- معمودية يوحنا ١٩٠، ١٩٤-١٩٩
- المعمودية في الروح القدس ١٩١-١٩٢، ٢١٨-٢٤٠، ٢٩١-٢٩٢، ٣٨٧-٣٩٠
- علامتها ٢٢٥-٢٢٩

الوحش (ضد المسيح) ٤٥٠، ٤٥٥-٤٥٦	كيفية قبولها ٢٦٧-٢٧٥
الوحي الإلهي ٤٤-٤٥	الملك الألفي ٤٥١، ٤٥٦-٤٥٧، ٥١٢-
الوصايا العشر ١٦٠-١٦١	٥١٣
وضع الأيادي ٣٧٧-٣٨٦	المن (طعام) ٢٨٦-٢٨٧
من أجل إعطاء الروح القدس	المواهب
٣٨٧-٣٩٠	ممارسة المواهب ٣٥١-٣٥٥
من أجل تفويض الخدام ٣٩٦-	المواهب الروحية ٣٧-٤١،
٤٠٦	٢٤١-٢٤٨، ٣٤٧-٣٥٥،
من أجل الشفاء ٣٨٠-٣٨٦	٣٩٠-٣٩٥
من أجل منح المواهب الروحية	الموت والهاوية ٤٦٠، ٤٦٢-٤٦٤
٣٩٠-٣٩٥	الناموس
مواقف من العهد القديم ٣٧٨-	مقارنته مع النعمة ١٥٤-١٦٢
٣٤٦	هدف الناموس ١٦٣-١٧٢
الوعد (الموعد)	النبوة ٣٨، ٣٣٣، ٣٥١-٣٥٤، ٣٩٣-
وعود الله ٩٠، ١٢٠-١٢١،	٣٩٥
١٣١-١٣٤، ٢٦٢-٢٦٤	النعمة ١١٩، ١٤٧، ١٥٢-١٦٢، ٢٠٩-
موعد الروح ٢٥٩-٢٦٦	٢١١، ٢٦٧-٢٧١، ٣٤٩
الولادة الجديدة ٥٧-٥٨، ٦٢	النمو الروحي ٥٨-٦٢، ٧١
يوحنا المعمدان ١٠٩-١١٠، ١٦٧،	الهاوية (hades) ٤١٨-٤٢٠، ٤٢٢-
١٩٠، ١٩٣-١٩٩، ٢١٨-٢١٩	٤٢٣، ٤٦٢

